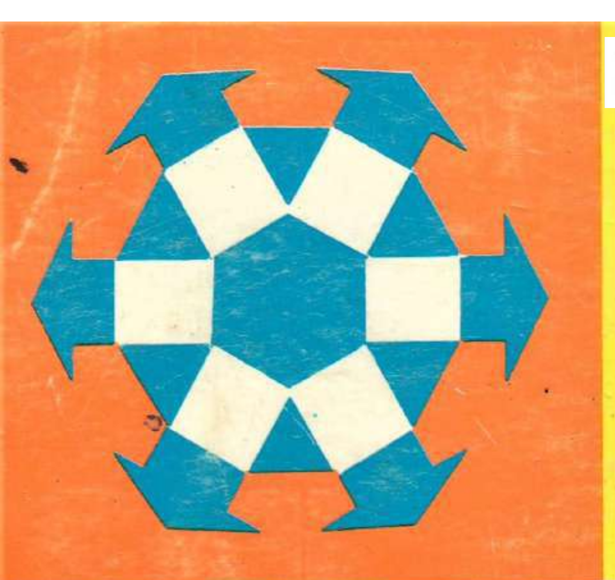


عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون

أستاذ اللغة العربية
وعضو « المجلس الاسلامي الاعلى »

الكفاح القومي والسياسي

الأخير

من خلال مذكرات معاصر

الفترة الثانية 1936 - 1945

الجزء الثاني



عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون
الكفاح القومي والسياسي
الجزء الثاني

عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون

أستاذ اللغة العربية

وعضو « المجلس الاسلامي الا

الكفاح القومي والسياسي

من خلال مذكرات معاصر

الفترة الثانية 1936 - 1945

الجزء الثاني



المؤسسة الوطنية للكتاب ©
رقم النشر : 1279 / 82
الجزائر ـ 84

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله

1936 الفترة الثانية 1945
عهد الفرز او بداية النهاية

وهكذا يبدأ عهد الفرز بانتهاء تجربة تاريخية ، شائكة وحاسمة ، وضعت الحكم الاستعماري الفرنسي وضعا أخيرا على محك الاختبار والامتحان ، ووقفت بزعماء ورجال الهيئات والحركات القومية أمام مسؤوليتهم التاريخية التي لا تتحمل أي تردد ، فكانت هذه التجربة بداية النهاية •

فقد كان تجمع الهيئات القومية فى « المؤتمر الاسلامي » سكينا ذا حدين اثنين ، سواء أريد له ذلك أم لم يرد — كما كان تدبيرا ذا موقفين حاسمين •

فاما أحد الحدين فقد نشب بعنق نفاق السياسة الاستعمارية فانتهى بها الى الظهور بحقيقتها الخبيثة المخادعة ، بينما وصع الحد الآخر على رقبة قادة السياسة الاندماجية ، فاستبان السقيم من الصحيح ، والغالط من المعتمد •

وأما أحد الموقفين الحاسمين فقد حدا بالحكم الاستعماري الى الاعلان صراحة عن صلفه الطبيعي فانتهى به الى نكران أي حق للشعب الجزائري ، ذلك لأنه — الاستعمار — يملك المدفع ولا مدفع للشعب الجزائري !

أما الموقف الآخر فقد كان للزعماء الجزائريين الفيصل بين الاستمرارية فى الخيال والكذب على النفس ، وبين الرجوع الى الحقيقة المنطقية التي

انتهت اليها تجربة سبع سنوات ــ على أقل أجل ــ كانت كلها على حساب تطلعات الشعب الجزائري وحقوقه الانسانية والطبيعية •

ولكي ندرك هذه الحقيقة بجميع مهازلها وجدياتها يجب أن تتعرف بتفصيل على حوادث نهاية هذه الفترة ــ 1930 ــ 1936 م ــ التي ختمت بتجمع عرف « بالمؤتمر الاسلامي » ، السابقة منها واللاحقة • فأما الحوادث السابقة لانعقاد المؤتمر فقد عرفنا منها كثيرا فيما تقدم فى الجزء الأول من هذا الكتاب ، وسنقف ــ ان شاء الله ــ على ما بقي فى هذا الجزء الثاني حيث نبتدىء به العهد الجديد الذي أطلقت عليه « عهد الفرز » فى السياسة الجزائرية ، ونبتدىء هذا العهد باجتماع :

المؤتمر الاسلامي الجـــزائري

كانت سياسة الهيئات الاصلاحية قد انتهى بها المطاف الى الارتباط نهائيا ببرنامج « بلوم فيوليت » وكان أوان فرصة بحث هذا البرنامج ــ كما تقدم ــ قد أزف ، وكان من الحكمة أن تتقدم هذه الهيئات مجتمعة متحدة فى برنامج موحد ورأي موحد لتكون سياستها سياسة كتلة قوية يقرأ لها حساب ، فاجتمعت فى « المؤتمر الاسلامي الجزائري » •

وجهت الدعوات بالصحافة الوطنية للعموم ، ووجهت دعوات خاصة لبعض الهيئات والشخصيات • ورغم ضيق الوقت المحدد ما بين توجيه الدعوات وانعقاد الاجتماع ، فقد حضر ما قدرته الجرائد ــ اذ ذاك ــ بنحو ستة أو سبعة آلاف شخص • وفيما يلي أنقل من وصف نشر بجريدة البصائر ما به الحاجة (1) :

« هبت الأمة الاسلامية الجزائرية بجميع طبقاتها على تلك الدعوة الجامعة التي أذاعها الأستاذ « عبد الحميد بن باديس » رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والدكتور « ابن جلول » رئيس جمعية النواب بعمالة

1 ــ البصائر عدد 23 يوم 12-6-1936 وعدد 24 بعده تابع التقرير كاملا في هذين العددين •

قسنطينة الى عقد مؤتمر اسلامي جزائري عام (2) تعرض فيه مطالب الأمة وحقوقها ، وتتبادل فيه الآراء بين علماء الأمة ونوابها وذوي الرأي منها فيما يتفق من هذه المطالب والحقوق مع الأوضاع الحكومية الحاضرة ... وساعدها « اعتدال الزمان » على اظهار قواها الكامنة ، وعلى انطلاق ألسنتها بالتعبير الواضح عن آلامها فتجلت جزائريتها واسلامها للعيان فى يوم مشهود هو يوم السابع عشر من ربيع الأول سنة 1355 هـ الموافق ليوم السابع جوان ــ حزيران ــ سنة 1936 م وفى مدينة تاريخية هي مدينة الجزائر وفى (صالة) قاعة « الماجيستيك » الفسيحة .

لم يمض على الجزائر الاسلامية فى تاريخ ارتباطها السياسي بفرنسا يوم أغر محجل تمثلت فيه الأمة روحا وجسما ، وتلاشت فيه الفوارق الاعتبارية ، كهذا اليوم ، ففيه التقى ــ عن فكرة وعقيدة ــ الجزائري بأخويه القسنطيني والوهراني ، وفيه اجتمع ــ على تلك الفكرة ــ المصلحون والطرقيون وعلماء الدين ورجال السياسة ، والشيوخ والشبان ، والتجار والفلاحون والعمال . جمعت الكل صفتا الاسلام والجزائرية ، لذلك كان ضروريا أن يكون مدار البحث على الاسلام ولسانه والمسلم وحقوقه فى الحياة » .

« ولئن قدرت الجرائد الفرنسية من ضمتهم قاعة المؤتمر بخمسة أو ستة آلاف شخص وحزرناهم نحن بسبعة آلاف أو يزيدون .

سبق يوم المؤتمر يوم تمهيدي بنادي الترقي اجتمع فيه أنصار المؤتمر وتمثلت فيه العمالات الثلاث أكمل تمثيل ، وبحثت فيه وجهات النظر المختلفة ، وخلاصة ما استقر عليه الرأي فى هذه الجلسة أن المطالب الجزائرية تنقسم الى قسمين : قسم لا يختلف فيه نظر ولا يتشعب فيه رأي ، لأنه عبارة عن مظالم صريحة ، كحرية القول والفكر والكتابة والاجتماع

---

2 ــ ان عبارة « المسلم الجزائري » تقابل في القانون الاستعماري كلمة « الفرنسي الجزائري » فالمؤتمر الاسلامي الجزائري يقابله « المؤتمر الفرنسي الجزائري » . فالاسلام في عرف قانون فرنسا صار بالنسبة للجزائري جنسية عوض العربي أو العروبة . وذلك لافساح المجال لكلمة الفرنسي أو الفرنسة . وهذا الاطلاق كان جائزا قبل قرار السابع مارس 1945 م أما بعد هذا القرار فلا يجوز اطلاق غير كلمة « المسلم الفرنسي » عوض المسلم العربي .

والتنقل والتعليم العربي والمساجد • وكرفع القوانين الاستثنائية الشاذة الـــخ •••

وقسم يحتاج الى تأمل ودقة نظر ، وهي الحقوق السياسية ، وأشـد مسائل هذا القسم تعقيدا مسألة النيابة فى البرلمان • و قد كانت تغمر الجزائر أسماء برامج عتيقة كبرامـــج : « ڤرنوت » « وكيطـــولي » و « ديروكس » زيادة على برنامج فيوليت •

وكان فى الأخير الاتفاق ، بحمد الله ، وقع على تسمية المؤتمر « بالمؤتمر الاسلامي » ، وعدم مراعاة هذه البرامج القديمة أساسا له • وتفـاوض الحاضرون فى جميع المسائل التي يجب عرضها فى المؤتمر وتقديمها الى الحكومة بأسمه ، وفى نظام المؤتمر ومكتبه ، وخطبائه ، فوقع الاتفـاق الاجماعي على اسناد رئاسة المؤتمر للزعيم السياسي الدكتور ابن جلول ، وتأليف المكتب من السادة : الدكتور تامزالي ، الدكتور بشير عبد الوهاب ، السيد محمد الطاهر طيار ، الصيدلي عبد الرحمن بوكردنه ، هؤلاء عن الجزائر • والسيد عبد الرحمن بن خلاف ، والدكتور سعدان ، والصيدلي عباس فرحات ، عن قسنطينة ، وعن وهران السيد محمد بن سليمان ، والدكتور الجيلاني بن التهامي ، والسيد محمد لالوت ، وعن العلماء : الشيخ عبد الحميد بن باديس ، والشيخ محمد البشير الابراهيمي ، والشيخ الطيب العقبي ، وعن الشبان والهيئات الاجتماعية جماعة منهم •

« انتظم المكتب بهيئته التي أسلفنا القول عنها ، واستقر رجال الصحافة فى المقاعد التي خصصت لهم ، وافتتح المؤتمر الدكتور عبد النور تامزالي النائب المالي والبلدي ، بكلمة رحب فيها بالمؤتمرين وتمنى لهم النجاح باسم مدينة الجزائر التي هو عضو مجلسها البلدي ونائب شيخها « نائب رئيس بلديتها » •

ثم قام رئيس المؤتمر الدكتور محمد الصالح ابن جلول فخطب خطبـة طويلة وصف فيها حال الأمة وبين الأسباب الداعية لعقد المؤتمر ، والمقاصد التي ستعرض عليه ، وأعلن فى الأخير أن النواب كلهم مجمعون على المطالبة

بالحقوق السياسية ، ومنها التمثيل فى البرلمان ، لا على أسس البرامــج الشخصية الرائجة بل على أساس المساواة التامة والتعميم التام والمحافظة التامة على الأحوال الذاتية الاسلامية • »

ثم قام الدكتور الجيلاني ابن التهامي فأيد خطاب ابن جلول ثم الدكتور البشير عبد الوهاب والصيدلي عباس فرحات وكلهم أجمعوا على كلمة واحــدة •

ثم تكلم الدكتور سعدان نائب بسكرة العمالي عن سكــان القســم العسكري الجنوبي ، فاقترح على المؤتمر المطالبة بحذف المحاكم العسكرية الشاذة وتصيير الأقسام الجنوبية مدنية ــ يعني أن يحذف الحكم العسكري ويخلفه الحكم المدني ــ كسائر الوطن ، فوافق المؤتمر بالاجماع عــلى طلبــه •

ثم تعاقب عشرة من الخطباء على المنصة وكانت خطبهم مثــل خطب النواب والشبان كلها دائرة على **ان الجزائر المخلصة المرتبطة بفرنسا ارتباطا وثيقا المقيمة على ولائها لها في ايام الشدة والرخاء اصدق البراهين ، ليس من العدل والانصاف ان لا تعطي حقها في الحياة مستوفي ، او ان ترزا في ذاتيتها لتدفعها ثمنا لتلك الحقوق زيادة على ما دفعت من اثمان غالية** • وليس من العدل أن تساس بقوانين استثنائية لا تليق بمكانتها ولا بسمعة فرنسا ••

ثم انتهى دور الخطابة الى الشيخ عبد الحميد بن باديس ، فنوه بقيمة هذا المؤتمر ثم تخلص الى ذكر المطالب الخاصة بالدين واللغة العربيــة فشرحها للناس شرحا وافيا وقدم هذه المطالب فى نسخة لمكتب المؤتمر ، فوافق المؤتمر عليها بالاجماع • وكانت خاتمة الخطب هي خطبتا الشيخ محمد البشير الابراهيمي والشيخ الطيب العقبي •

ثم ختم المؤتمر بالموافقة على المطالب التي ستقدم باسمه الى الحكومة، وبالموافقة على نص برقية شكر لحكومة « الجبهة الشعبية » والثقة بها • وأخيرا قدمت اقتراحات خاصة فوقع عليها الوفاق بالاجماع » • اهـ

ملاحظة لازمة :

من العجيب ـ أو من المحير ـ ان هذا التقرير المنقول مختصر من جريدة البصائر لم يشر ولا بكلمة واحدة ـ على طوله ـ للمعارضة ، فتجمع المؤتمر الاسلامي الجزائري ، وان كان اعتبر تجمعا وطنيا جمع كثيرا من الهيئات والشخصيات مثل : جمعية النواب بفروعها الثلاثة ، وجمعية العلماء ، والحزب الشيوعي الجزائري ، وجمعية الطلبة الجزائريين ، وشخصيات حرة • وحتى شخصيات بعض الأحزاب اليسارية الفرنسية ، الا أنه لم يخل من معارضة ، وهذه المعارضة ذات شقين : فجمعية علماء السنة المسلمين الجزائريين والطرقيون وأنصارهم من النواب المسلمين ، كانوا ضد عقد المؤتمر أساسا ، لأنه فى نظرهم مؤتمر حزبي ، وتغلب عليه الشيوعية ، عقد فى صفة « تجمع شعبي » •

والشق الثاني هو حركة « نجم الشمال الأفريقي » السياسية وهي تعارض مطالب المؤتمر ومقاصده ، لا عقده ـ حيث يظهر ـ فى نظرها ـ انه القضاء على الذاتية الجزائرية بطلب حقوق لا تخرج فى الواقع عن « مشروع فيوليت » الاندماجي مقابل حقوق هزيلة • بل ذهبت فى المعارضة لحد أن قدمت بمفردها مطالب لحكومة الجبهة الشعبية الفرنسية، عبرت عنها « بالمطالب المستعجلة » سنثبتها فيما بعد ، وذلك بعد أن فشلت فى معارضتها فى المؤتمر •

فاما جمعية علماء السنة والطرقيون وأنصارهم من النواب والشخصيات فقد قاطعوا المؤتمر تماما ، وحاول بعضهم عرقلته والتعرض للوفد الذي أرسله لفرنسا لتقديم قائمة مطالبه ، باعتبار أنه لا يمثل الشعب الجزائري حق التمثيل •

معارضة جمعية علماء السنة

ونجد تفصيل ذلك فى المقال الآتي بعنوان كلمتنا : (3)

3 ـ جريدة الاخلاص •

« جاءت ظروف يود العقلاء استثمارها بطرق صحيحة منتجة ، ورصانة وهدو ، فوقع اعلان بعقد مؤتمر جزائري ، قلنا مرحى ! وقلنا ليت هذه الحركة تكون طبق ما ألمعنا اليه . لكن جاء الأمر بخلاف ما يرجوه من أنضجهتم الظروف .

وصورة ذلك أن الواجب يقضي فى مثل هدا الأمر العظيم بدرس المسائل التي تعرض على المؤتمر دراسة تامة مجردة عن الأنانية والهوى وذلك بواسطة الجرائد ، واللجان المؤلفة من الأكفاء . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ان الواجب يقضي من بعد ذلك بعقد مؤتمر أول لعرض تلك المسائل المدروسة دون البت فيها وانما ترجأ الى عقد مؤتمر ثان يمكن اذ ذاك فيه الحكم البات فى تلك المسائل ، وهذا ما تقضي به طبيعة المؤتمرات فى الأمم الراقية لكي تصبح تلك المسائل مقبولة ومرجوة الايجاب .

لكن كل هذا لم يوفق اليه المؤتمرون ، وخطؤهم هو أنهم اندفعوا الى عقد مؤتمر اندفاعا ربما كان سبب الخيبة على طول الخط لأنهم أقدموا مجهدين أنفسهم باجهاد جنوني ، على امتطاء متن العوائق على غير استعداد .

ويضيف ! وغير خفي ان الجمع المحشود بمثل هذا التسرع هو كالفرد الغير المفكر فلا يلبث أن يكون فريسة قريبة المأخذ لكل مرجف طائش طبعه الاستسلام لأحلام اليقظة !

وبعد هذا كله نبدي أسفنا بما يتوقعه العقلاء المفكرون بهدوء ورصانة من فشل محاولات هذا المؤتمر الخطير . ومثله مثل فاكهة وقع نضجها بعمليات كيماوية لا يستمرئها المتعودون لذاذة الفاكهة الناضجة بطبيعتها . وعلاوة على هذا الاندفاع وآثاره السيئة كما هو المتوقع ، فان المؤتمرين أوغلوا وأفرطوا افراطا ربما حدثوا أنفسهم بأن من يريد الحصول على المطلوب يجب أن يطلب ما فوق الواجب . وقد خدروا بذلك أعصاب الأمة باعطائها العافيون الذي هو محرم فى ديننا شرعا وقانونا على أنه دواء ناجع . وهذه فكرة خاطئة حقا ...

ثم يقول : ومع هذا فقد كثر فى هذا المؤتمر التصريح من مختلف الطبقات بأنهم فرنسيون ، بل ما منهم الا ويقول : أنا فرنسا ، وفرنسا هي أنا ! يا لعقول العصافير كيف تتناقض أقوالها مع أفعالها ، أبهذا يتم الحصول على الحقوق ؟ »

ويذهب المقال فى « خليطة » يلعن آخرها أولها ... فى الجمع بين المطالب الدينية والقوانين الفرنسية اللائكية ، ويبدو فى المقال تضارب كبير بحيث فى الأخير لم يوفق كاتبه حتى الى وجود عبارات تعطيه صبغة المعقولية ، ذلك لأن الشجاعة الأدبية التي تعينه على بيان المقصود الذي لا يرضي المستعمرين قد خانته ، فجاء مقاله مرتبك الشكل والمضمون . على أن المعارضة الكبيرة من الكاتب منصبة تقريبا على شيء واحد هو طلب المؤتمر انتزاع الشؤون الدينية من أصحابها التقليديين لتتولاها جمعية العلماء المسلمين وان كان يشير أيضا الى قضية التجنيس ولكن فى احتشام وتحـرز » .

وأما حركة نجم الشمال الافريقي :

فقد قام مناضلوها الحاضرون بمعارضة كبرى فى الاجتماع أدت الى مشادة بين بعض الأعضاء من الطرفين ، ثم أرسلوا الى رئيس الحركة الحاج مصالي الذي كان مقيما اجباريا بفرنسا ولم يتمكن من حضور المؤتمر ، يستعجلونه لدخول الوطن بأي وسيلة حتى يحضر المؤتمر ويعطي كلمة الحزب ، الا أنه لم يتمكن من دخول الوطن الا بعد نحو شهرين ، وبعد سعي ــ كما قال فرحات عباس ــ من محاميه الفرنسيين حيث حصلوا له على رخصة الدخول للوطن ، ونزل الجزائر العاصمة يوم الثاني أوت ــ آب ــ 1936 الذي صادف الاجتماع العام الذي عقده وفد المؤتمر بعد رجوعه من فرنسا ، ولما استقرت رجلاه بأرض الميناء الجزائرية ، وكان مرتديا جلابية (قشابية) تلمسانية وطربوشا أحمر ، أخذ حفنة من التراب وعلما جزائريا صغيرا ، وتوجه بصحبته جمع من المناضلين الذين استقبلوه بالميناء الى الاجتماع رأسا الذي عقد بالملعب البلدي ، وما أن استقر به المقام حتى طلب الكلمة ، ولكن رئيس الجلسة ــ ويروى أنه الشيـخ العقبي ــ أبى ــ أن يعطيه الكلمة بحجة أن الفرنسيين هم الذين أوفدوه

خصيصا . فأجابه ... ! انني لست فرنسيا ، انني جزائري ! وها هي هويتي الشخصية تحمل كلمة (أنديجان) وها هو مظهري ، انني أرتدي جلابة وطربوشا ...

وبتدخل من الشيخ عبد الحميد بن باديس أعطى فترة ربع ساعة ، فقال باللهجة الدارجة : أيها الشعب ان هـؤلاء الجماعـة أرادوا أن « يتورزوكم » بمعنى يجنسونكم بالجنسية الفرنسية لأنهم اعتقدوا أن جنسهم العربي غير شريف وأن دينهم الاسلامي كذلك . ومعنى ذلك انهم يريدون تكفيركم ... »

وفى العدد الخاص رقم 42 من جريدة الأمة نجد خطاب الحاج مصالي كاملا وقد استهله باللغة العربية قائلا :

« سادتي واخواني أحمل اليكم باسم نجم الشمال الافريقي التحيـة الأخوية والتضامن الفعال من 200 ألف من الشمـال افريقيين المقيمـين بفرنسا ، من أجل احترام لغتنا الوطنية الغالية التي نحترمها ، ومن أجل كرامة هذا الشعب الجزائري الكريم التي يجب أن لا تداس ، انني فرح كثيرا أن أقف فى هذا اليوم بين أيديكم ، بعد أن تغربت عن وطني مدة اثنى عشر عاما ، وأكلمكم بلغة الأم وأصارحكم بأنني فرح كثيرا اذ وضعت أرجلي بعد هذه المدة الطويلة بأرض وطني ووطن أجدادي وأقول لكم كم تألمت فى نفسي بهذه الغربة الطويلة (4) . ثم مضى يتكلم باللغـة الفرنسية فى هذا الاتجاه الشائك قائلا :

« بأسم نجم شمال افريقية قدمت للمشاركة فى هذا الاجتماع الكبير » . وان نجم شمال افريقية معروف لدى الجميع فهو فى غنى عن الحديث عن نشاطه وكفاحه . وبعد أن يبين شيئا من أعمال الحزب وكفاح مناضليه الطويل ، وبعد أن يخبر المجتمعين بأن الحزب قدم بدوره الى وزارة الداخلية الفرنسية مطالب الشعب الجزائري ، وعلمنا بانعقاد المؤتمر الاسلامي الذي أيدنا مطالبه المستعجلة وان لم تؤيد مطلب الحاق الجزائر

---

4 — جريدة الامة عدد 42 يوم 26 اوت 1936 م .

بفرنسا ، لأننا نحن أيضا أبناء الشعب الجزائري ولن نقبل أبـدا ـ واختيارا ـ أن تكون بلادنا ملحقة ببلاد أخرى ، فنحن لا نستطيع مهما كانت الظروف ، أن نراهن على المستقبل الذي هو أمل الحرية الوطنية للشعب الجزائري ، ان هذا المستقبل يخص الجيل الصاعد فهو وحده الذي يملك الحق فى تقرير مصيره ..

غير أن رئيس الجلسة منعه من الاسترسال فى كلامه الذي ظهر له أنه خارج عن سياسة المؤتمر . الا أن مصالي ، وتحت الحنق والغضب ، مضى يتكلم بأكثر صراحة فى اتجاه شائك ، وقال ما معناه :

ان هذا التراب ، ورفع حفنة التراب التي معه أمام المـلأ ـ لا زال مشمخا بدماء الشهداء الذين حاربوا من أجل الجزائر العربية المسلمة ! وهذا هو العلم ـ ورفع العلم الجزائري الصغير الذي كان معه ـ الذي لا زال مصبوغا بدم الشهداء ! وبعد ذلك طالب بالعمل على استقلال الجزائر وحريتها ثم خرج مغاضبا وتبعه خلق كثير ثم حملوه على الأعناق حيث تكونت مظاهرة وذهبت تشق المدينة وانتهت الى اجتماع بساحة أول ماي (شان منوفر) سابقا . وفى هذا الاجتماع خطط لبرنامج جولة واسعة فى جميع أنحاء الوطن ، يجب أن يقوم بها رئيس الحزب مصالي الحـاج .

وبالفعل فقد بدأ مصالي لحينه الجولة وأقام عدة اجتماعات فى القطاع الأوسط والغربي من القطر الجزائري ، ونشر لأول مرة صيتا كبـيرا للحزب ، وانخرط فيه عدد كبير من المناضلين ، ولكن الادارة الاستعمارية قضت على نشاطه في مستهل سنة 1937 فحلت الحزب بقصد منعه من هذه الاجتماعات والجولات وذلك يوم 26 جانفي ـ يناير ـ 1937 م .

ولاعطاء نموذج للاجتماعات التي قام بها رئيس هذا الحزب نثبت فيما يلي خلاصة عن اجتماع فى مدينة شرشال قرب مدينة الجزائر غربا . ففي مدينة شرشال التاريخية نشأ نظام لا بأس به من المناضلـين وأرادوا ـ بالمناسبة ـ أن ينظموا اجتماعا عاما فطلبوا قاعة الاجتماعات من رئيس

البلدية م ــ بارطو هنري (5) وكان يساري النزعة ، فهو من المناهضين لفكرة الكولون ومن المؤيدين لبرنامج فيوليت ، ومع ذلك لم يسمح باعطاء القاعة لرئيس النجم بدعوى أن هذا الشخص أجنبي عن البلدية ، ولكن المناضلين سعوا بوسائلهم الخاصة ووجدوا مكانا للاجتماع بضاحية المدينة وعقد مصالي فيه اجتماعه وخطب وقال :

« ان بارطو الذي منعني ، وأنا جزائري جئت لبلد من بلادي الجزائرية ، وطلبت منه القاعة التي هي جزائرية فرفض أن يعطيها لأنـه وجدنـي أجنبيا ... ! أقول لمسيو بارطو : انني أنا هنا فى شرشال فى بلدي وبين أهلي ولست أجنبيا كما يدعي ، ولكن هو الأجنبي فى هذا البلد » .

فقامت ضجة من التصفيق تأييدا له . ثم مضى فى خطاب طويل شرح فيه سياسة الحزب التي ترتكز منذ نشأته سنة 1926 على المحافظة على الشخصية الجزائرية العربية الاسلامية ، وبالتالي العمل على حرية الجزائر واستقلالها . ولئن كنا قدمنا مطالب اجتماعية واقتصادية فهي لأنها من المطالب المستعجلة التي لا غنى للشعب عنها ليقيم أود حياته . ومن هنـا جاءت معارضتنا لبرنامج فيوليت الاندماجي ولمقررات المؤتمر الاسلامي .

ومضى يشرح المعاطب والأخطار التي تنجم عن الاندماج ، ومن أخطرها ذوبان الأمة الجزائرية فى الأمة الفرنسية ، على قاعدة الضعيف مع القوي . وهي سنة كونية لا تتخلف الا نادرا ، وذلك بمفعول طول الزمـن . فاضمحلال أمتنا ، اذن ، بكل ما حباها الله من تراث وأمجاد ، لا شك متوقع تحت ضربات صليبية الاستعمار ، وكذا حضارتها وعاداتها ، وكل ما تميزت به خلال أربعة عشر قرنا من تاريخ حافل بالأمجاد ... » .

وهكذا يمضي أحمد مصالي فى اجتماعاته عبر الوطن الى أن عقد أفخم وأنجح اجتماع بمسقط رأسه مدينة تلمسان ، فقد توسعت الحركة بعد ذلك توسعا كبيرا ، وسرت فكرة الاستقلال والحرية فى الشعب

5 ــ بارطوا هذا صار يعد شخصية كبرى ، فقد توصل أن ترأس مجلس النيابات المالية ثم الى نائب برلماني .

المتعطش لهما كسريان الماء العذب فى البذرة المتعطشة الذاوية ، فتفتح عن اتجاه جديد كان يرهبه ويراه ــ فى حماة سياسة المسالمة والاندماج ــ جنونا وتنطعا . كما أن جمــود المستعمرين وأنانيتهم جعلت شعبنا يستفيق ويراجع هو الآخر سيرته الغالطة ، مفضلا فى أكثريته ربط عجلته بهذا الاتجاه الأثير عنده والذي هو مليء بالمخاطر ولكنه مضمون النتائج الشريفة عند المطاف الأخير ، أو على الأقل فهو أحفظ لكرامة الأمة ولشرف نضالها .

ومن أجل ذلك فقد خطط لهذه الحركة نظام محكم يمكن أن يصمد لجميع الهزات لأنه مبني عــلى الأنــاة وطول النفس مع الاستهانة بالتضحيات (6) .

ويقول أحد المؤرخين : « ... وتنجح هذه الاجتماعات وينشيء ــ مصالي ــ للجمعية ــ النجم ــ ثلاثين قسما فى الجزائر . ولكن النواب المسلمين الجزائريين يهاجمونه لأنهــم يؤمنون بالتطور داخل الاطار الفرنسي . والحزب الشيوعي يهاجمه لأسباب تاكتيكية « ويمضي الكــاتب فيتهم مصالي بأنه يخــدم الفاشية ويشجــع الاتجاهات العنصرية ... » (7) .

وفى كتاب الجزائر الثائرة : « وسمح قيام الجبهة الشعبية فى فرنسا بعودة مصالي الى باريس حيث استأنف نشاطه التنظيمي والدعائي ،

واستعرض نحوا من أربعين ألف عامل افريقي شمالي فى باريس صباح يوم ذكرى « الباستيل » عام 1936 م مطالبين بتحرير الوطن العربي (8) .

---

6 ــ لست موافقا للاخ الدكتور تركي رابح اذ نسب وعي هذه الحركة لكونها نبعت من الشعب ولأنها تكونت من العمال .. بل أن سبب وعيها وصمودها هو :
أولا : ما نسرف من الروح التحريرية في شعبنا .
ثانيا : وبصفة خاصة التنظيم المحكم والقيادة الواعية الصامدة . والا فما أضيع الشعوب بدون قيادة صحيحــة وسليمة ! ودائمــا « اسأل عن القيادة ! » .

7 ــ كتاب ثورة الجزائر للشلقاني ، ص 187 .

8 ــ ذكرت جريدة الأمة عدد جويلية ــ اوت 1936 ان مصالي استعرض 60 الفا .

وتضيف الكاتبة : « ودخل مصالي وحزب النجمة الى الجزائر نفسها لأول مرة فى الثاني من شهر آب (أوت) فى اجتماع عام عقد فى الملعب البلدي فى مدينة الجزائر بحضور نحو عشرة آلاف جزائري • وقام مصالي بعد ذلك بجولة فى أنحاء البلاد ، حيث ألقى عددا من الخطب نالت نجاحا بارزا فى مسقط رأسه فى مقاطعة تلمسان » •

وذكر حزب النجمة فى هذه الآونة أن عضويته تضم أحد عشر ألف شخص (11000) نظموا فى سبعة فروع فى فرنسا ، وفى نحو من ثلاثين فرعا تم تأسيسها أخيرا فى الجزائر ، وتم تأسيس واحد وثلاثين فرعا أخرى أثناء الجولة التي قام بها مصالي فى أنحاء البلاد » •

وتمضي الكاتبة غيليسبي : ولقيت حملة مصالي ضد اقتراحات « بلوم فيوليت » ، وبسبب مطالبته بالاستقلال معارضة قوية من جانب المؤتمر الاسلامي الجزائري الذي ينادي بالدمج ، ومن الحزب الشيوعي الذي كان بوصفه أحد الأحزاب الحاكمة فى فرنسا ، اذ ذاك — يؤيد السياسة الفرنسية » •

« وأدى هذا الصراع الى نتيجتين مهمتين : أولاهما تخلي الكثيرين من الجزائريين عن ارتباطاتهم الشيوعية تأييدا لموقف حزب النجمة القومي • وثانيهما حل حكومة الجبهة الشعبية لحزب النجمة فى كانون الثاني — جانفي — ولكن مصالي يؤسس « حزب الشعب الجزائري » (P.P.A.) على نفس المطالب والمبادي » (9) •

بل ان نجاح الحزب فى هذه الآونة أثر حتى على بقية الأحزاب القومية فتوقعوا منه شيئا يكرهونه • وحتى جمعية العلماء أصيبت بحيرة • فقد صرح لي الصديق الفاضل الشيخ محمد خير الدين أنه بعد اجتماع المؤتمر الاسلامي وبعد تفاقم دعاية جماعة حزب الشعب ضد المؤتمر وضد جمعية العلماء واتهامهما بالالحاد ، بعثني الشيخ باديس رحمه الله للحيلولة بين هذه الدعاية المغرضة والشباب ، وذلك بالعمل على تجميعه

---

9 — الجزائر الثائرة (غيليسبي جان) ص 58—59 •

فى منظمة تمنعه من التـأثر بالحزب المصالي • قال الشيخ : وجئت العاصمة فقمت بنفسي بتأسيس « شباب المؤتمر » وبقيت بالعاصمـة حيث أقمت دروسا بنادي الترقي وكنت أقرىء فيها « رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، ووقع اقبال كبير على الدروس التي كانت تتعاطى الفقهيات التي لم يعرفوها فى دروس الشيخ الطيب العقبي » •

ويضيف الشيخ : وظهر لي أن ذلك أثر عـلى العقبي وتوقع منه منافسة ، فأشار فى بعض الاجتماعات التي كان لزاما علي حضورها ، وترك القاء الدرس العادي — الذي لم يحترمه الشيخ وعقد الاجتماع فى وقته — وقال مخاطبا الحضور : انكم اليوم تركتم دروس الشيخ خير الدين وان لم يكن ذلك فيه خسارة ، لأنكم تسمعون محتوى هذه الدروس فى دروسي التي قلت لكم فيها ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لصحابته : « صلوا كما رأيتموني أصلي » •

ففهمت من ذلك تضايقه من دروسي وتكلمت كلمة بينت فيها أن دروسي فيها نفع أكبر لأنها تشتمل عـلى فقهيات ومسائل فى جميع العبادات والقواعد الدينية والمعاملات ، وليس كما قال الشيخ الطيب العقبي ، بل ان فواتها فيه خسارة •

ويختم الشيخ خير الدين : الا أنني منذ ذلك الحين تخليت عن تلك الدروس تجنبا للشقاق ، وهذا سنة 1936 م بعد المؤتمر وقبل وقوع حادثة مقتل الشيخ كحول » •

وهذا يعني أن منظمة « شباب المؤتمر » التي انتشرت فروعها فى جميع أنحاء الوطن ، وكان لها فضل كبير فى نشاطات المؤتمر الاسلامي قد أنشئت مباشرة بعد اجتماع المؤتمر الاسلامي ، وكان الفضل الأكبر فى تأسيسها لشيخنا خير الدين •

وفي قسنطينة خليـة أولى

وعلى ذكر تخلي الكثير من مناضلي الحزب الشيوعي عنه ورجوعهم الى حزب النجم لمواقفه الوطنية من المؤتمر الاسلامي ، تذكرت حكاية

الشيوعيين مع الورتلاني رحمه الله وحكاية هذا مع أعضاء الخلية الأولى التي أسست بمدينة قسنطينة لحزب النجم ، فذهبت الى مؤسس هاته الخلية الأخ المناضل المتواضع حسين بلال وطلبت منه أن يعطيني معلومات عن هذه البداية التي كان يحتفظ بها ولم يعرفها الا القليل فأجابني :

حقا انني لا أحب التبجح كثيرا بنضالي وخدماتي الوطنية لأنه واجب أديته ولا مزية لأي أحد يؤدي واجبا ، فلا شكر على واجب • ولكن للتاريخ أسرد لك ما بقي بذاكرتي :

« دخلت لأول مرة الحركة الوطنية لما كانت باسم نجم الشمال الافريقي وذلك سنة 1931 م وبهذا فتحت مركزا لهذه الحركة فى قسنطينة لأول مرة وقدمت مصنعي الصغير الذي كنت أتعيش منه بصناعة النجارة ، لاجتماعاتنا السرية ، وساعدنا هذا المحل بسبب مكانه المخفي تحت جسر سيدي راشد فى خضم البناءات العتيقة المتداخلة المتشابكة •

وقد كنا لهذه الآونة لا نعرف من « النجم » الا جريدة الأمة التي كانت ترد علينا من فرنسا يحملها بعض المناضلين خفية ، فنشتريها ونقرؤها وتعجبنا خطة الحزب •

كان معي من المناضلين الأوائل بقسنطينة جماعة لا أتذكر ترتيبهم فى المشاركة بحسب طول الزمن انما أتذكر أنهم كلهم من قدامى المناضلين بالناحية ، ومنهم الاخوة : ابن دحمان عمر عامل فى القطار وحسن بوجنانة ، وابن الحسين • ومن بسكرة دبابش علي ــ وهو شيوعي بعثه حزبه خصيصا •• ثم بومعزة علاوه ، وعبد الله فيلالي ، ومعمر عبد القادر ، وعمروش أحمد • والحواس بوقدوم ، وعبد الرحيم الطاهر وأخوه السعيد ، وحيواني لخضر ، ومعاش محمد ، وعمار بوجريده ، وصريدي حميده من قالمة •

ومن المناضلين الأوائل ابن يلس العربي ومشاطي •

لقد أخذ مركزنا بقسنطينة بفضل هؤلاء المناضلين ـ الطليعة ـ سمعة ممتازة وكان منتجع المناضلين من العاصمة وغيرها ، وما ان حلت سنة 1937 حتى وجدنا أنفسنا فى خضم الحركة ، وقد أوفدنا الحزب الى تونس أنا وهرقه عبد القادر من قالمة ، وقنانش محمد من تلمسان ، ومفدي زكريا بصحبة الحسين الأحول ، وذلك لنشارك أشقاءنا التونسيين لما أقاموا احتجاجا عاما تضامنا معنا بسبب حل « نجم الشمال الافريقي » فوزعنا معهم المنشورات وأقمنا دعاية ، وأعربنا بذلك نحن وهم على وحدة عملية .

وفى أثناء هذه المدة اتصل بنا المرحوم الشيخ الفضيل الورتلاني ـ الشاب ـ ورغب فى مشاركتنا العمل ، وشيئا فشيئا أصبح يحضر جلساتنا السرية ويقوم أحيانا خطيبا ومشجعا ، وبعد مدة أوفدته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الى فرنسا ليستقر هناك بمركزها ، فجاءنا يقدم خدماته للحزب معلنا انه سيقوم هناك ، الى جانب قيامه بمهمة الجمعية ، كما قام هنا بالدعوة الى صفوف الحزب وقد حاز بالفعل على ثقتنا فأعطيناه رسالة للتعريف به عند جماعتنا فى باريس .

لكن الشيخ الورتلاني ، على ما أخبرنا مسؤولو ادارة الحزب بباريس ، تملص شيئا فشيئا من الحزب وأصبح يؤيد الشيوعيين فى مواقفهم ضد الحزب ، ووقع لنا توبيخ من جماعة باريس ، فقررنا ايفاد جماعة منا الى الشيخ باديس فمشيت أنا ولخضر حيواني ومعمر عبد القادر وقابلنا الشيخ رحمه الله وأطلعناه على الواقعة متشكين ومتذمرين من موقف الورتلاني . وبعد محادثة طويلة أجابنا الشيخ بما معناه :

« يا أبنائي انه بالرغم من تقديري لكم وثقتي فيكم، لاسيما اذ تتكلمون عن العروبة والاسلام ، لكن ثقتي فى الفضيل الورتلاني لا تتركني أشك فى اخلاصه ، ولعل الذي حملكم على هذا التأثر هو مفدي زكريا وهذا ليس لي فيه ثقة » . وقد وقع شيء فى قلوبنا نحو الشيخ بالرغم من ثقتنا به وتقديرنا .

هذا ، ولسذاجة الادارة الاستعمارية فى الجزائر وفى طليعتها المستوطنون (الكولون) غفلوا عن حركة مصالي من حيث انه ـ فقط ـ كان يعارض برنامج فيوليت الذي رأوا فيه القضاء عليهم وعلى حظوتهم نهائيا ، ولم ينتبهوا الا بعد فوات الوقت كما سيأتي بيانه . وفيما يلي أثبت ما وعدت به من المطالب التي قدمها الحزب الى الجبهة الشعبية الفرنسية بتاريخ العشرين (20) جوان ـ حزيران 1936 (10) .

المطالب الفورية التي قدمها النجم الى حكومة الجبهة الشعبية

1 ـ المطالب السياسية :

من أجل أن يتكون الأمل فى قلوب الجزائريين وترجع الطمأنينة الى الأفكار فان على حكومة الجبهة الشعبية العدول عن سياسة الامتيازات التي لا زالت لحد الآن تمارس فى الجزائر سواء فى التشريع أو النظام الاداري ، والتي هي منبع الأحقاد والاعنات . ولهذا فنحن نناشد ـ وهذا فى صالح جميع عناصر السكان الجزائريين .

1) العفو العام الواسع ، أي تسريح جميع المبعدين والمعتقلين (ومنهم موساوي رابح فى بريكة) وتسريح جميع المساجين (محكومي قسنطينة والأصنام) .

2) الغاء قانون « لانديجينا » وقانون الغابات ، وكل قانون خاص بالأهالي .

3) اعطاء الحريات الديمقراطية ، ويكون تطبيقها بواسطة قوانين :

أ) حرية الصحافة مع تطبيق قانون 1881 .

ب) حرية الاجتماع .

جـ) حرية انشاء الجمعيات بتطبيق قانون 1901 .

---

10 ـ كلودوجان ، ص 79 نقلا عن جريدة الأمة ، عدد 41 جويلية ـ اوت 1936 م .

د) حرية العقيدة والفكر ، بحيث لا يمكن ازعاج الجزائري بسبب أفكاره السياسية أو الفلسفية أو الدينية •

هـ) الحرية النقابية مع تطبيق قوانين 1884 — 1920 — 1924 — 1936 •

و) المساواة التامة فى الخدمة العسكرية بين الفرنسيين والجزائريين •

ز) حرية السفر الى فرنسا والى الخارج •

ح) احداث :

1) جمعية (Assemblée) تمثل الجزائريين تمثيلا صحيحا ويتخرج نوابها بالتصويت الحر والعام •

2) ومجالس بلدية تنتخب أيضا بالتصويت العام •

3) التفريق بين السلطة التشريعية والتنفيذية والعدلية •

4) حذف المساعدات التي تعطيها الحكومة الى الديانات الكاثوليكية والبروتستانية •

2 ـ المطالب الاجتماعية ، باختصار :

فى هذه المطالب ، اجبارية وتعميم التعليم ، والتوصل لجميع المستويات باللغة الفرنسية والعربية ـ توسيع حق العمال الأهالي وحفظهم فى جميع النواحي التي يتمتع بها غيرهم ـ المحافظة على الطفولة فى جميع مراحلها وعلى الأسرة بصفة عامة ـ محاربة البطالة وتطبيق مبدأ « عمل متساوي له أجرة متساوية » ـ المحافظة على الصحة العامة ...

3 ـ المطالب الاقتصادية والمالية :

من هذه المطالب باختصار : سياسة جبائية عادلة ترتكز أولا على رؤوس الأموال الكبيرة مع التخفيض فى المرتبات الكبيرة التي يتمتع بها بعض الموظفين ـ اجراءات اقتصادية لصالح صغار الفلاحين والتجار والصناع ـ تعديل القوانين الجائرة المختصة بحجز الملكيات للمصلحة العامة •

4 ـ اصلاحات ادارية ، باختصار :

ومن هذه المطالب : حذف مناطق الحكم العسكري التي لا زالت فى الجنوب الجزائري وجعلها مدنية ـ اصلاح نظام البلديات بصفة عامة ، الممتزجة منها والتامة ـ حذف نظام القيادة التعسفي ـ التفريق فى المعاملة بين المساجين السياسيين والمجرمين وتحسين حالة المساجين الأهالي بصفة عامة والتي هي الآن غير انسانية ـ ارجاع الأوقاف الاسلامية لما أوقفها عليه أصحابها ، والتخلي نهائيا عن استعمالها فى مقاصد استعمارية .

التوقيع : ادارة نجم الشمال الافريقي

قرارات المؤتمر الاسلامي

بعد هذه البسطة ـ المعترضة ـ مع المعارضة ، أرجع الى اجتماع المؤتمر، حيث ان المجتمعين ، بعد تلك الزوبعة التي أثارها مناضلو نجم الشمال وأنصارهم ، واصلوا اجتماعهم وصادقوا ـ كما قال التقرير ـ بالاجماع على المطالب الآتية :

1 ـ القـرارات :

أ) ثقة المؤتمر بالحكومة الشعبية الجديدة وشكرها على عواطفها نحو الأمة الجزائرية .

ب) الغاء جميع القوانين والقرارات الاستثنائية الخاصة بالمسلمين .

جـ) تخويل المسلمين الجزائريين جميع الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون مع المحافظة التامة على المميزات الاسلامية التي يتمتع بها المسلم الجزائري فى أحواله الذاتية الشخصية مع ادخال اصلاحات عليها .

د) تخويل المسلمين الجزائريين حق التمثيل فى البرلمان الفرنسي على هذه الصورة :

1 ـ انتخاب مشترك بين المسلمين والفرنسيين .

2 ـ تعميم فى المنتخبين (بالكسر) المسلمين على الصورة الجارية الآن فى انتخاباتهم المحلية .

3 ـ تأكيد فى المحافظة على الأحوال الشخصية الاسلامية •

هـ) تأسيس لجنة تنفيذية للمؤتمر على الوجه الآتي بعد •

2 ـ قائمة الاقتراحات الفردية (أي الخاصة) (11) :

أ) الغاء الولاية العامة وما يتبع هامن الأوضاع الادارية ، كالدوائر المختلطة (Commune mixte) والقواد ، والغاء مجلس النيابة المالية الذي يتحكم فى الميزانية الجزائرية ، والغاء المجلس الأعلى المبني عليه •

ب) الغاء المحاكم العسكرية •

جـ) عقد المؤتمر بهذا الاسم وبهذه الروح وعلى هذه المباديء عند كل مناسبـة •

د) تكريم الرجال الذين عملوا لخير الجزائر بلا فرق بين أجناسهم الأحياء بشكرهم باسم المؤتمر ، والأموات باحياء ذكراهم •

وجرى فى هذا الموقف ذكر فيوليت وموتى ، والأمير خالد ، وألبان روزي •

هـ) طرح كلمة (أنديجان) وهجر استعمالها (12) •

و) العفو عن المحكوم عليهم فى حوادث 5 أوت 1934 م •

3 ـ اهم مقررات المؤتمر :

أول برنامج عرف فى عالم السياسة الفرنسية الجزائرية مختصا بالمسلمين الجزائريين ، هو برنامج م ـ فيوليت ، وصاحبه من أبرز المشتغلين بالسياسة

---

11 ـ المراد بالاقتراحات الفردية هي أنها سيحتفظ بها لدى اللجنة التنفيذية للمؤتمر على أن يسعى مستقبلا في تنفيذها على أساس الاتفاق . ولا تقدم حينا للحكومة الشعبية مع ما عبر عنه بالقراراث .

12 ـ كلمة انديجان (Indigène) بالفرنسية معناها «الأهالي» أي سكان البلاد الأصليين . ولئن كنا اليوم نعتز بهذه الصفة فانها كانت زمن الاحتلال وبخاصة عند الطبقة المتفرنجة ـ تعتبر سبة ما بعدها سبة ! ولذا فان طرحها وهجران استعمالها يعتبر تطبيقا حقيقيا لمبدأ المواطنة الفرنسية . (=)
(=) ولئن كان الالحاق يعتبر لدى المسلمين ردة وكفرا فهو لدى الكولون أكبر من ردة وطنية فرنسية ، لأن الحاق هذه الجماهير المسلمة بالجنسية الفرنسية سيضيق عليهم كثيرا ويتوقعون منه في المستقبل شرا مستطيرا .

الأهلية الجزائرية • وقد أدار برنامجه على اعتبارات سياسية دقيقة لا يفهمها الا الراسخون فى عالم السياسة، وقد أفرغه فى قالب لفظي مستهو خلاب ينطوي على معان غامضة ، ويحتمل وجوها كثيرة من الاحتمالات والتفسيرات • ومنها ما يعد فى الاعتبار النفسي الجزائري من الشعريات • ومثل هذه المعاني قد تكون عند التطبيق مثارا للأشكال والعسر • وقد يكون من الحكمة فى وضع برنامج مثل هذا ، يبني عليه مصير أمة كاملة أن تكون معانيه بمقربة من افهام العامة ، خصوصا اذا كان تنفيذه يتوقف على رأي تلك الأمة أو على تأييدها » •

ثم ظهر بعد برنامج فيوليت ، برنامج النائب « ڤيرنوت » وتصاول البرنامجان فى مجلس الشيوخ ، فلم يظفر أحد منهما بقبول • وبين البرنامجين خلاف فى النقط الجوهرية من الموضوع ، وفى كليهما جهات صالحة • غير أن برنامج فيوليت كان أكثر استهداءا لخاصتنا وشبابنا وأيسر على ألسنتهم وبذلك بذ قرينه فى الشهرة والحظوة » (13) •

ملخص نص المطالب التي قدمت في كراسة خاصة للحكومة

ان نص القرارات المتقدمة الذكر وما تبعها من التعليق على البرامج هي خلاصة من تقرير جلسات المؤتمر العام التي ذكر التقرير انها قبلت فى المؤتمر بالاجماع ، وقد نقلتها من مجلة الشهاب « عدد المؤتمر » جويلية 1936 •

وهذا نص المطالب التي قدمت الى الحكومة فى كراسة خاصة كانت اللجنة التنفيذية التي انتخبها المؤتمر هي التي حررتها على ضوء القرارات المتقدمة من مختلف الاتجاهات • وهذا هو النص الذي نشرته جريدة الدفاع وجريدة الأمة ، ونشرة « لجنة افريقيا الفرنسية » (14) •

« اعتمادا على وثائق واسعة وأبحاث ومناقشات ثرية تبين أن المطالب الآتية هي خلاصة الرغبات العميقة للطبقات الشعبية ، فاعتمدها المؤتمر ووافق عليها :

---

13 ـ الشهاب ملحق الجزء الرابع ، مجلد 12 •

1) الغاء جميع القوانين الاستثنائية التي لا تطبق الا على المسلمين •

2) الارتباط المطلق بفرنسا مع حذف كل الاجراءات الخاصة ، الغاء النيابات المالية ، الأحواز الممتزجة ، الولاية العامة •

3) المحافظة على الحالة الشخصية مع اعادة تنظيم الادارة الشرعية الاسلامية على كيفية معقولة تتفق وقانون الفكر الاسلامي، مع فصل الدين عن الدولة ، وتطبيق كل قوانينه المقررة حسب منطوقه ومفهومه استرجاع كل المؤسسات الدينية الى المجتمع المسلم الذي يمكن له وحده أن يتصرف فيها ويستغلها بواسطة الجمعيات الدينية التي تؤسس بصفة قانونية •

صيانة المؤسسات الدينية ورجالها بواسطة مداخيل الأوقاف ، الغاء كل الاجراءات الخاصة باللغة العربية والتي حعلتها فى وضع لغة أجنبية حرية تعليم اللغة العربية ، وحرية التعبير والصحافة العربية •

4) المطالب الاجتماعية : التعليم الاجباري لكل الأطفال من الجنسين ، بالبداية فورا فى بناء المدارس ضمن برنامج واسع •

ضم الثقافتين أو « التعليمين » للأروبيين والأهالي (هكذا) •

تنمية مشاريع المساعدات (مستشفيات ، مستوصفات ، ممرضات وممرضات زائرات (Visiteuses) واعادة تنظيم النمط الحالي) ، اقامة مطاعم شعبية — انشاء صناديق البطالة لكل العاطلين •

5) المطالب الاقتصادية :

1 — عمل متساوي ، أجرة متساوية •

2 — كفاءة متساوية ، درجة متساوية •

3 — تقسيم المساعدة التي تقدمها الميزانية الجزائرية الى الفلاحة ، والتجارة ، والصناعة ، والحرف على حسب الاحتياجات ودون تفريق بين الجنسين •

4 ــ انشاء تعاضديات فلاحية ومراكز تكوين للفلاحين •

5 ــ ايقاف كل النزاع لملكية الأراضي •

6 ــ توزيع الأراضي الشاسعة « البور » على صغار الفلاحين وعمال الزراعــة •

7 ــ الغاء قانون الغابات •

6) المطالب السياسية : العفو العام عن كل الجنح السياسية مجمع انتخابي واحد فى كل الانتخابات (15) ، حق الترشح للنيابة لكل المنتخبين ــ التصويت العام (Suffrage universel) ــ النيابة فى البرلمان » •

اهـ

هذا ، واتماما للوصف الشامل الذي كتبته جريدة البصائر ومجلــة الشهاب استكمل فيما يلي ما عبرت عنه مجلة الشهاب بالشيء الذي تم بعد المؤتمر ولم تنشره الجرائد :

« وفى مساء يوم المؤتمر ــ الأحد 7 جوان (حزيران) اجتمع بنادي الترقي كبار النواب والعلماء وممثلو الشباب ، وعينوا لجنة تنفيذية مؤقتة كان أعضاؤها يمثلون الاتجاهات التي اتفقت على قرارات المؤتمر وهم كما يلي : عن النواب :

الدكتور ابن جلول ، المحامي عبد السلام ابن الطالب ، الصيدلي عبد الرحمن بركردنه •

وعن العلماء المشائخ : محمد خير الدين ، الطيب العقبي ، البشــير الابراهيمي •

وعن لجان الشبان : الأستاذ ابن الحاج أو الحاج والمهندس عبد الرحمن بوشامة ، والسيد عبد الله العنابي •

15 ــ كان القانون الفرنسي في الجزائر يجعل المنتخبين على مجمعين : المجمع الاول للفرنسيين (1er collège) والمجمع الثاني للجزائريين (2ème collège)

وقد وكل أعضاء اللجنة المؤقتة الذين لا يسكنون العاصمة السادة : عبد الرحمن بوكردنه والأمين العمودي ومحمد خير الدين وعمار وزقان (16) •

« على أن يقوم جميع الأعضاء العاملين فى اللجنة التنفيذية بجولات فى جميع أنحاء الوطن ليؤسسوا لجانا تنفيذية محلية ، ويعرفوا الشعب بمقررات المؤتمر • على أن تكون هذه اللجان ممثلة للاتجاهات : النواب ، والعلماء ، والشباب ، ثم اذا تم تأسيس هذه اللجان انتخبت كل لجنة عضوا منها ليحضر اجتماع اللجنة الوطنية الذي سينعقد يوم الخامس جويلية (يوليو) 1936 م » •

وسيكون أول أعمال هذه اللجنة التنفيذية طبع المطالب والقرارات باللغتين العربية والفرنسية فى كراسة تسمى « قرارات المؤتمر الاسلامي الجزائري » ثم تشكيل وفد من النواب يسافر الى فرنسا باسم المؤتمر ليقدم مطالبه » •

ا هـ ملخص التقرير

لجنة المؤتمر الاسلامي الجزائري التنفيذية

هكذا ، وفى يوم 6 جويلية ـ تموز ـ اجتمع المفوضون من لجان العمالات الثلاث الفرعية ، بمدينة الجزائر وكان عددهم أربعة وستين عضوا واتفقوا على أن تكون اللجنة الوطنية مركبة من واحد وعشرين عضوا باعتبار سبعة أعضاء عن كل عمالة « ولاية » وأن تسمى اللجنة « لجنة المؤتمر الاسلامي الجزائري التنفيذية » •

وفى يوم الأثنين 6 جويلية اجتمعت اللجنة وكان جدول أعمالها :

---

16 ـ لاشك أن الذي يطلع على هذا التنظيم الذي يدل مظهره انه تنظيم دائم ومعبر ، لا يتردد في أن يحكم بأن « المؤتمر الاسلامي » بتنظيمه هذا ودقته في تقاريره انما هو نظام حزب أو واجهة تجمعت فيها هيئات وشخصيات اتفقت في المبدأ زيادة عن المقصد . وتلك هي الحقيقة التي كان يريدها المؤسسون وظهرت في استمرارية العمل لمدة لا بأس بها ، لولا الباب المسدود الذي يقيمه الجمود الاستعماري في الجزائر •

1) نظام اللجنة الداخلي •

2) تحديد مأمورية الوفد الذي يسافر لفرنسا ، وعدد أفراده ، وتعيين أسمائهم • ففيما يتعلق بالوفد كانت القرارات هكذا :

1) مأمورية الوفد محصورة فى تقديم مطالب المؤتمر الاسلامي من دون أن يزيد فيها أو ينقص •

2) وتقرر أن يكون عدد الوفد الرسمي ستة عشر عضوا ، تسعة من النواب ، على نسبة ثلاثة نواب عن كل عمالة ، ونائب واحد عن المناطق العسكرية الثلاث ـ الجنوب الجزائري ـ وثلاثة من العلماء ، وثلاثة من الشبان • وهذه أسماء أعضاء الوفد :

من نواب قسنطينة :

الدكتور محمد الصالح ابن جلول
الصيدلي فرحات عباس
الأستاذ طاهرات العربي ـ نائب بلدي

من نواب الجزائر :

الدكتور عبد الوهاب بشير
الصيدلي عبد الرحمن بركردنه
الحاج عمارة فرشوخ ـ نائب بلدي

من نواب وهـران :

المحامي عبد السلام ابن الطالب
المحامي محمد قاضي ـ نائب بلدي تلمسان
بنعوده باش تارزي ـ نائب عمالي

عن المناطق العسكرية :

الدكتور سعدان ـ نائب عمالي بسكرة

من العلمـــاء :

الشيخ عبد الحميد ابن باديس
الشيخ محمد البشير الابراهيمي
الشيخ الطيب العقبي

عن الشبان العاملين :

ابراهيم ابن قلعيه ــ من قدماء المحاربــين قسنطينــة .

الأستاذ ابن الحاج ــ نائب بلدي الجزائر

المهندس عبد الرحمن بوشامة عن وهران

وعين الدكتور اسماعيل الأخضري النائب العمالي بقالمة كمستشار للوفد وصاحب الوفد كمترجم وصحافي السيد : العمودي مدير جريدة الدفاع (La défense).

وهكذا اجتمع أعضاء الوفد فى مدينة الجزائر حيث عينوا رئيس الوفد وكان هو الدكتور ابن جلول ، وطلبوا مقابلة الوالي العام على القطر الجزائري م ــ لوبو ، فاستقبلهم وسهل لهم مهمة السفر ، وتوجه الوفد الى فرنسا ميمما مدينة باريس بتاريخ 18 جويليه ــ تموز ــ سنة 1936 م مستقلا الباخرة (ڤوفيرنون ڤيدون) .

ويختم هذا الوصف المختصر لسفر الوفد كاتبه العام ابن الحاج فيقول :

« ودعت الباخرة باسم الله مجراها ومرساها ... وما أرسلت بمرسيليا حتى رأينا قطار باريس ينتظرنا ... وبعد أن يصف السفرة من مرسيليا الى باريس يقول : « وصلنا الى أم العواصم على الساعة الواحدة من ليلة الاثنين ... فنزلنا بها فى (ڤراند أوتيل) جميعا . وقد كان مكتب الوفد يتألف من الذكتور ابن جلول رئيسا .

ابن الحاج كاتب عام

بوكردنه أمين مال

وصبيحة الاثنين (20 جويلية) ابتدأ الوفد أعماله » (17) .

واليك وصفا شاملا عن يوم رحيل الوفد عن مجلة الشهاب بعنوان : « الوفد الاسلامي الجزائري » .

« اجتمع الناس ألوفا مؤلفة فى ضحى السبت 18 يوليو 1936 م حول مرسى العاصمة ، وجاءت وفود القوم من كل فج عميق ، فما كنت ترى الا الوجوه المستبشرة ، وما كنت ترى الا الآمال الفسيحة قد ارتسمت على محيا الجميع ، وما كنت يومئذ تشعر الا بروح تفاؤل عالية قد سادت كل ذلك الجمع الزاخر ، والكل يعتقد أن الوفد الاسلامي الجزائري الذي جاءوا لوداعه وهو يمتطي متن الباخرة تلك الساعة ، انما سيعود بعد أيام قليلة من سفرته حاملا فى حقائبه رغائب الأمة ومطالبها ، مؤكدا لها أن فرنسا الجديدة الشعبية قد أدركت آلام الأمة وقدرت حاجتها حق قدرها ، فأجابت الأكثر من مطالبها ، ريثما تسمح الظروف بانجاز الباقي منها .

تلك كانت آمال الجميع عندما كان أعضاء الوفد يصعدون سلم الباخرة بين حب وانعطاف الجماهير ، وبين صيحات التحبيذ والاعجاب » .

وبعد أن يذكر أسماء أعضاء الوفد حسب عمالاتهم ووظائفهم ، يضيف : ذلك هو الوفد العتيد الذي مثل أغلب عناصر الأمة ، وجمع بين أفراده رجالا من مختلف طبقاتها . وأم عاصمة الجمهورية ليقدم مطالب لم يحررها الغرض ولم يملها الهوى ، انما كانت نتيجة مؤتمر عمومي جامع ، ومقررات نخبة الأمة كلها . ومهما كان فى بعض هذه المطالب من ضعف ، ومهما كان فيها من نقص ، فلا يسع الانسان الا الاعتراف بأنها مطالب الأمة بصفة حقيقية ، وان ارادة الشعب هي التي أملتها ، وأن نواب الشعب هم الذين حملوا مهمة النضال عنها والدفاع عن فكرتها الى أن تتحقق » .

ثم يذكر مقال الشهاب المطالب بتفصيل بعد اجمال تقدم ، وهو التفصيل الذي أثبت فى كراسة المطالب التي حملها الوفد الى الحكومة الفرنسية .

---

17 – البصائر عدد 30 يوم 31 جويلية 9136 م .

وبعد أن يذكر الكاتب ان وفود الأحزاب الفرنسية اليسارية المنزع قد سافرت هي الأخرى لباريس لتأييد الوفد الجزائري يقول : لكنني أعتقد ـ وأود لو أن الواقع يكون خلاف اعتقادي ـ أن الوفد سيرجع بتحقيقات طفيفة ، ووعود جزيلة ، ثم تمر الأيام ولا تتحقق الوعود ... » (18) .

هكذا ، وبالفعل فانه لم يقف الأمر عند عدم تحقيق الوعود : الجزيلة أو الهزيلة ! .. بل ان الوفد قد رجع دون أن يحظى حتى بتحقيقات طفيفة . فلقد قامت فى وجهه زوابع ونصبت مكائد من لدن المستوطنين فى الجزائر وأنصارهم من رجال الحل والعقد هنا وهناك ، وانتهى الحال الى أن « برنامج بلوم فيوليت « الذي أصبح برنامج الحكومة ، والذي كان الأمل معقودا عليه، لم يبحث حتى فى البرلمان بعد ما قدمته الحكومة . وبالتالي ما ان دخلت سنة 1937م حتى اسقطت حكومة (الجبهة الشعبية) تحت وطأة قوة الرجعية الاستعمارية .

ولكي نقف على مدى البراعة فى الألاعيب الاستعمارية ومدى الاستهانة بشعبنا الجزائري وبرجاله ، حتى عندما يستهين هذا بشرفه ، وحتى عندما يتنازل عن ذاتيته التي هي كرامته التاريخية وتراثه النبيل ، سأنقل ، بعد ، مجمل الأحداث التي مر بها وفد المؤتمر الاسلامي فى عاصمة الجمهورية الفرنسية ، والوعود التي مني بها ، وكيف كان مآل الآمال التـي بنيت على هذا الوفد العتيد ، والثقة التي كان يحملها كل أعضائه فى رجـال فرنسا دولة ثالوث : « الحرية ، والمساواة ، والأخوة » . وذلك بعد ما آتى عل ىخلاصة عن الاجتماع الذي عقده الوفد بعد رجوعه من فرنسا .

الاجتماع العام في الملعب البلدي بالعاصمة (19)

فى الاجتماع العام الذي عقد يوم الثاني أوت ـ آب ـ 1936 م بعد رجوع وفد المؤتمر الاسلامي الجزائري من فرنسا ، يذكر رئيسه ابن

---

81 ـ الشهاب ، عدد المؤتمر 30 .

19 ـ الملعب البلدي بحي الرويسو ، وبعد الاستقلال صار يدعى « ملعب عشرين أوت 1955 » .

جلول فى خطابه الذي ألقاه على الجموع الشعبية التي تناهز عشرين ألف نسمة (20000) ان الوفد لقي حسن وفادة وجميل عطف سواء من وزراء فرنسا ورجال الحل والعقد فيها ، مثل رئيس الحكومة ليون بلوم عندما استقبل الوفد الاسلامي ورحب به قال : « انني سعيد بهذه المقابلة التي هي مقابلة مسلمين ليهودي ، وديمقراطيين لديموقراطي ، ومن فرنسيين لفرنسي » • ووزير الدفاع ادوارد لادلي ، ووزير الدولة موريس فيوليت ، ووزير المستعمرات ماريوس موتي (معطى) (20) ، أو من الهيئات الحزبية اليسارية التي تتألف منها الجبهة « الواجهة الشعبية » وهي : الحزب الاشتراكي والحزب الراديكالي ، والحزب الشيوعي • وحتى بعض الشخصيات الفرنسية من نواب الجزائر بمجلسي الأمة والشيوخ •

وذكر ابن جلول ان هذه الشخصيات كلها كانت فى جانبنا ، وأنهم وعدونا بالوقوف على تحقيق رغائب الشعب الجزائري وابلاغه أمانيه ، وقد بدأوا بالفعل فى تشكيل لجنة واسعة النطاق (21) • ستقدم الى الجزائر خلال شهري أكتوبر ونوفمبر 1936 م ثم تحرر تقريرها الذي سيكون عمدة الحكومة لسن الاصلاحات الجديدة •••

وهكذا يقف فى نفس الحفل الدكتور البشير عبد الوهاب فيشرح المطالب التي قدمها الوفد والتي جمعت فى عشرة بنود ، وهي قرارات المؤتمر المتقدمة الذكر • ووقف بعد الشيخ ابن باديس ليبين للجمهور أعمال الوفد التي قام بها فى فرنسا ، واخلاصه للقضية ••• ويذكر ان الشعب الجزائري كان مجهولا لدى الرأي العام فى فرنسا ولكن من حسنات هذا الوفد ، ومن حسنات الشعب الجزائري فى موقفه ، فقد صار معروفا عند من يعرف الحق ويحترم الكريم وينصف المظلوم •

---

20 – لا يخفى أن ليون بلوم وموريس فيوليت هما صاحبا البرنامج ، أما دالادي فسيأتي كيف كان موقفه عندما قابل نفس الوفد مرة أخرى سنة 1938 م وهو يومئذ رئيس الوزراء •

21 – يقول المثل الفرنسي : اذا أردت قتل قضية أسس لها لجنة بحث •

ووقف ابن باديس فى هذا اليوم ـ وكأن الخيبة المريرة التي يحس بها أو يتوقعها توخزه وتدفعه دفعا ـ موقف رجل زعيم سياسي ما عرفناه منه قبل ، موقف يخلده التاريخ ، ويضفي ظلالا ترشح بحقيقة تجارب ماضية أثناء مجاراة الظروف الاستعمارية القاهرة التي فرغ من استكناه ظواهرها وبواطنها فانتهى به حدسه المؤمن الى اليأس من عدالة الكافر المستعمر ، فانفجر بحقيقته مصرحا فى ذلك الحفل الحاشد فى غير التواء أو لعثمة ! ويقـول :

« أيها الشعب ! انك بعملك العظيم برهنت على انك شعب متعشق للحرية ... هائم بها ! تلك الحرية التي ما فارقت قلوبنا منذ كنا حاملين لواءها ... وسنعرف فى المستقبل كيف نعمل لها ، وكيف نحيا ونموت لأجلها ... ! اننا مددنا أيدينا الى الحكومة الفرنسية : وفتحنا قلوبنا ، فان مدت الينا يدها وملأت بالحب قلوبنا فهو المراد ، وان ضيعت فرنسا فرصتها هذه فاننا نقبض أيدينا ونغلق قلوبنا فلا نفتحها الى الأبد ...

وهنا يراجع ابن باديس وقاره العلمي فيتذكر ان الانفجار العاطفي له عواقب ، وهو ليس من النوع الذي تعزيه عواطفه المتأججة حتى فى أحرج المواقف ، فيختم بالدعوة الى العمل والمحافظة على الهدوء والنظام ثم يبين ان العمل طويل ، وانما هذه خطوة من الخطوات والوثبات ، وبعدها اما الحياة واما الموت » ا هـ (22) .

ووقف بعد الشيخ باديس الصيدلي عبد الرحمن بوكردنه (بوخدنه ليتكلم عن جانب آخر ، فوجه كلامه للمعارضين محتجا على أعمالهـم التي تروم الفت فى عضد الأمة ـ كما يرى ـ وتشتيت وحدتها ، ويشير الى محاولة تأليف وفد آخر ...

---

22 – في جريدة البصائر يصف كلمة ابن باديس « بالقامة » وهي نظرة شعرية ادبية لا تعطي للموقف معناه الحقيقي ، وأحسن من ذلك ما وصفتها به قبل ووصفت به الشيخ رحمه الله .

وتمضي جريدة البصائر ناقلة عن مجلة الشهاب : وهذا مصالي الحاج رئيس جماعة نجم الشمال الافريقي ومن كبار المصطهدين فى سبيل القضية الجزائرية يخطب فيقول :

« انه لا يوافق على أعمال الوفد الا فيما يتعلق بالحريات العامة ... وأنه لا يرى وجوب تمثيل الأمة الجزائرية فى مجلس الأمة الفرنسي ، ولا يرى الحاق الجزائر بفرنسا وحذف الولايه العامة ، وانما يجب السير بالجزائر فى طريق الاستقلال وتأليف مجلس أمة جزائري يمثل سائر طبقاتها وعناصرها على قدر نسبتهم العددية ... » (23) •

ويمضي المقال : وهذا الأستاذ الكبير الابراهيمي يخطب الناس بما أوتيه من جوامع الكلم ، وتتساقط من فمه الكلمات التي فيها شفاء للصدور •

ثم يذهب صاحب المقال فيبين ما فى خطاب العقبي من بشائر النجاح أو الآمال ، ويذكر من الخطباء السيد عمار وزقان العضو فى لجنة المؤتمر التنفيذية فيبين الغرض من هذا الاجتماع ويندد بخصوم المؤتمر والوفد « ألا نذال الذين يركبون متون الأكاذيب والاختلافات ويعمدون الى الزور والبهتان يدسون ضد مطالب الأمة ، ويتحرشون بالقائمين عليها » • وخص الخطيب من بين هذه الحشرات البغيضة ، كما وصفها ، جريدة (كانديد) وجريدة (ڤرانڤوار) (Gringoire) الفرنسيين •

وتختم البصائر : وهكذا تفرق الناس وكلهم يتواصون بالحق ويتواصون بالصبر » • (24)

ماذا كان ؟ وماذا وقع بعد ؟ !

فما ان رجع الوفد الذي اعتبره الراسخون فى السياسة أنه عاد يحمل الخيبة الكاملة ، واعتبره المجموع انه عاد ــ ولو ظاهرا ــ منتصرا حتى تحركت رؤوس الأفاعي تنفث سمومها ، واندفعت الادارة الاستعمارية

23 ــ طبعا أن هذا الموقف من مصالي كان موقفا مبدئيا يحتمه عليه حزبه ، وحتى دينه • وهو في نظري الموقف السليم والشريف اذ ذاك •

24 ــ البصائر •

فى الجزائر تنصب المكائد وتثير الشكوك ، وتنشر الشائعات ، وتكتل المستوطنون (الكولون) ومن ورائهم الولاية العامة ، التي كانت تحت سيطرتهم ليظهروا للحكومة المركزية أن الجزائريين مقدمون على ثورة ضد الحكم الفرنسي ، وأنهم كلهم « وطنيون » ... ! يظهرون المسالمة والارتباط بفرنسا ، ويضمرون فكرة « نجم الشمال الافريقي » الانفصالية، وبالتالي فكلهم أعداء فرنسا ، فاذا ما قبلت فرنسا مساواتهم فى الحقوق الفرنسية فمعنى ذلك انها ستطرد من الجزائر .

اذن فسلطة الأروبي (الكولون) تدبير ضروري يجب أن يبقى ويسود . وللابقاء على هذه السلطة المطلقة يلجأ المستعمرون دائما الى العنف ويطالبون لذلك باستقدام الكتائب الأجنبية من المرتزقة ، وانشاء وحدات قمع من الكولون مسلحة غاية التسليح ، واطلاق يدها فى الأهالي ، وذلك مثلما يطالب به التقرير الآتي ترجمته ومثلما سبق أن بينا ما وقع أثناء سنة 1935 فى حوادث الانتخابات .

نص التقرير او الرسالة الرسمية

من رئيس دائرة بجاية الى السيد عامل العمالة ــ قسنطينة

لي الشرف أن أبلغكم رسالة مكتوبة بتاريخ 5 فيفري ــ شباط ــ الجاري هذه الرسالة التي بعث بها السيد رئيس بلدية بجاية الى السيد الوالي العام ، وفى آخر الرسالة ــ وتحت توقع خيانة محتملة من طرف الجنود الأهالي الموجودين بالمخفر . وفى حالة ما اذا وقعت حوادث أو تشويشات ذات تأثير ديني أو وطني ، يؤدي الى عزل هؤلاء الجنود الأهالي عن المدينة ويطالب السيد بوا (bois) رئيس البلدية بتشكيل قوة محايدة ... بمشاركة العناصر الأروبية .

ان هذه القوة المحايدة أو « النزيهة » التي يجب أن تكون متجمعة ومسلحة ، تستدعي حينا لتحول دون تفاقم الحوادث ريثما تصل نجدات المعسكرات المجاورة » .

« انني أعتبر ان هذا الطلب لا يصادفه أي محذور ، بل ان الأذن به يجب أن يصدر بدون تأخير ، اذا قدرتم ان السلطة العليا ربما تجد نفسها غير مستعدة لاجابة هذا الاقتراح ، فانني بعثت لها برسالة يوم 7 فيفري الحالي تحت رقم 1031 بقصد أن ترسل حينا الى بجاية كتيبة أو على الأقل نصف كتيبة من الحرس المتنقل » (25) .

التوقيع : رئيس الدائرة

ومضت هذه الحملة المغرضة التي يدفعها ويمولها كبار المستعمرين أمثال : بورجو ، وديروكس ، ومورينو ، وغيرهم ، مضت تتفاقم وتتعاظم بواسطة صحافة هذه الفئة ووفودها ومكائدها تعمل فى ناحيتين ، وتحارب فى واجهتين : واجهة نحو الحكومة الشعبية ، فهي تعمل على اسقاطها بتأليب الأحزاب اليمينية المتطرفة عليها ، من جهة . وباغرائها وايغارها على الشعب الجزائري العدو الذي يريد الغدر بفرنسا ... ! من جهة أخرى .

وواجهة أخرى نحو الشعب الجزائري نفسه ، لتفرق كلمته وتنتشر الخصومة بين أحزابه وهيئاته وأفراده . وبالتالي لتقضي على أي تحرك مهما كان نوعه ولو بالقوة الغاشمة ، ان لزم .

مقتل الامام كحول

وهكذا تكيد ادارة الولاية العامة مكيدة قتل مفتي الجزائر العاصمة والامام الأول بها الشيخ محمود كحول ابن دالي ، وهو ينتسب لكتلة العلماء المحافظين ، وقريب من الادارة الاستعمارية ، فاشترت شخصا عربيا « بثلاثين ألف فرنك » يدعى عكاشة ، فقتله واتهم الشيخ الطيب العقبي والسيد عباس التركي محمد علي ، وهما ينتسبان للصف المقابل « جمعية العلماء المسلمين » .

فبينما كان الوفد الراجع من باريس فى اجتماعه العام بالملعب البلدي يشرح أعماله فى فرنسا ، كانت المكيدة تدبر لقتل الامام كحول بادارة الولاية العامة .

25 ـ وثيقة دائرة الحراسة السياسية للاهالي رقم 1081 (مديرية وثائق قسنطينة) .

يقول الكاتب الفرنسي بول صولداني في كتابه « الجريمة الشنيعة » (Abominable assassinat) الذي طبعه خصيصا للحادثة يقول :
« يوم الأحد الثاني أوت « أغسطس » 1936 على الساعة التاسعة ونصف بينما كانت الحركة بالغة أشدها بنهج لالير « أحمد بوزرينة » اعتدى شقي على السيد ابن دالي محمود كحول المفتي بالنيابة بالجامع الكبير ، الحامل لوسام جوقة الشرف من رتبة كومندور والبالغ من العمر ستة وستين عاما ، وطعنه طعنة فاضت معها روحه » •

ويمضي : ذلك بينما كان الشيخ مارا بانفراده تحت أقواس شارع لالير اذ تلقاه شاب وأخذ يقبل يده ، وقبل أن يتمكن الشيخ من التراجع الى الوراء طعنه بسرعة « ببوسعادي » خنجر معروف عند الشعب الجزائري نسبة الى مدينة بوسعادة ـ فطعنه به ولجأ الى الفرار مع ثلاثة كانوا بصحبته ، وفي أقل من لمحة البصر التف جمهور عظيم حول تلك الجثة الهامدة ، وقد فارقتها الحياة ، ولم يبق فيها عرق ينبض ، فوجد الحاضرون في طي برنس القتيل خنجرا من نوع « البوسعادي » ملوثا بالدم وقبضته ملفوفة في خرقة صغيرة • وقد أخذ الجاني هذه الاحتياطات لئلا تبقى علامة أصابعه ـ بصماته ـ على قبضة الخنجر » •

وفي وصف لتشييع جنازة الفقيد ، وقد حضر م ـ ميو مدير الشؤون الأهلية في الولاية العامة ، لتأبين الفقيد فقال :

« سادتي ! في هذا المقام ـ وقد جئت للقيام بالواجب الأخير نحو الراحل ـ لا أريد أن أبوح الا بألفاظ موزونة وبكلمات تدعو الى السكينة ولكن هل يمكن لي السكوت عن الفضاعة التي أثارها في نفوس الفرنسيين ـ أعني الفرنسيين أصالة والفرنسيين المسلمين ـ هاته الجريمة الشنيعة التي أصابت الادارة في أحد ممن خدموها بصدق واخلاص ••• »

وبعد أن ذكر شيئا من حياته وآثاره العلمية عرج على فكرته التي كانت مخلصة لدينه والتي جعلته يقف ضد من يريد المس بالسنة والعقيدة الصحيحة ولكن بدون تحيز أو تعصب ديني ، يقول :

فهل ينبغي لنا أيها السادة أن نتلقى حول هذا التابوت تلكم الاشاعات التي تجعل مصرع المفتي ابن دالي انتقاما سياسيا ؟ وهل ينبغي أن نعتقد أن الجاني انما هو أداة لفكرة تعصبية ؟ اننا لا ندرك أبـدا أن الرأي يحاول الانتصار بغير طرق الجدال الحر والمناقشة الصريحة ، كما لا ندرك أن الفكرة تسود بتلك الوسائل الدامية التي كانت تتخذ فى العصـور المظلمة . اننا لنرتعد تلقاء هذه الافتراضات ، لكن ليس لنا أن نمعن فيها النظر ... » (26) .

وفى اثبات الجريمة يقول المؤلف : لقد نجحت مساعي رجال البوليس « الشرطة » ... حيث ألقى القبض على القاتل المسمى : شعير محمد بن علي المعروف بـ « ... عكاشة » البالغ من العمر 34 سنة والممتهن لحرفة « الزواق » (27) وهو من ذوي السوابق العدلية ، صدرت عليه ثمانيـة أحكام بجنايات مختلفة منها القتل والسرقة والاعتداء وغيرها . كما وقع اعتقال الجناة الثلاثة الذين شاركوه فى الجريمة وهم المدعوون : موهاره علي بن سعيد البالغ من العمر 21 سنة المتعاطي صناعة خادم مقهى ، وأوسعيدان بلقاسم بن سعيد البالغ من العمر 24 سنة المتعاطي بيع الشواء، وأبو خير الرزقي بن حسن البالغ من العمر 34 سنة .

ويمضي الكاتب : لقد دست الدسيسة بمطبخة ـ مطعم ـ أهلية بنهج بابا عروج أين رسم برنامج القتل ووزعت الأدوار بالصورة الآتية : كلف موهاره على بن سعيد باستيقاف الشيخ وتقبيله على جبينه : حسب العادة الجارية عند المسلمين ـ يعني بالنسبة للكبراء والعلماء ـ وكلف أوسعيدان بلقاسم وأبو خير الرزقي بالوقوف كحاجز أمام الشيخ حتى لا يرى البوسعادي الذي يطعنه به عكاشة فى ناحية القلب » .

ثم مضى الكاتب فى تصوير حادثة القتل التي وقعت يوم الثاني أوت كما وقع بيانه ، ولكن بأكثر شرحا ثم يختم : « تلك هي الرواية كما قصها عكاشة لما شعر ان الحجج قامت عليه بصفة قطعية » (28) .

---

26 ـ كتاب «الجريمة الشنيعة» ص 10-21 .

27 ـ الزواق هو «الصباغ» وقد يطلق على الرسام في الدارجة الجزائرية .

28 ـ نفس المصدر ، ص 16 .

وتحت عنوان : اعتقال الشيخ الطيب العقبي

يقول الكاتب : بعد أن أقر عكاشة واعترف بارتكابه جريمة قتل الامام كحول ، بقيت هناك نقطة لما يوفق التحقيق الى ايضاحها حيث يظهر أن ليست لعكاشة أية فائدة شخصية فى قتل الامام ؛ ومن هنا وجب اتجاه البحث الى ناحية جديدة حتى يتبين الباعث الذي دفع الجاني على انجاز جريمته » •

ثم يضيف الكاتب : وادعى عكاشة أن الطيب العقبي وقف فى هذه القضية موقف المدبر ، وهو الذي أسلمه الخنجر قائلا له : « يجب الفتك بالمفتي وبكل من كان عدوا للعقبي » (29) •

فقرر اذ ذاك حاكم البحث « التحقيق » التوجه حالا الى نادي الترقي وتفتيشه لتحقيق هذه الادعاءات •••

وبعد أن يصف الذهاب والدخول الى النادي فى موكب يحيط بالجاني عكاشة ، يقول : فلما وصل الموكب الى درج النادي أمر م ـ فيان « قاضي التحقيق » باطلاقه وتركه يدخل النادي وحده حتى تتبين صحة ما كان يدعيه • فدخل عكاشة وحده وأخذ بقود حاكم التحقيق ورجال الأمن الذين كانوا يسيرون خلفه بين قاعات النادي حتى أوصلهم الى المكتب الذي قرر فيه قتل الامام كحول • وهنا شرع عكاشة فى تمثيل الرواية كما قصها على حاكم التحقيق بالحرف الواحد وتوجه توا الى الخزانة التي أخرج منها الخنجر » •

ثم يضيف الكاتب : وأمام هذه التحقيقات أجريت عملية تفتيش فى النادي وصودرت جميع المطبوعات والأوراق ثم أخذ الشيخ العقبي مكبلا بالأغلال الى مكتب قاضي التحقيق حيث قرر هذا اعتقاله وايداعه سجن بربروس الى أن يتم التحقيق •

---

29 ـ نفس المصدر ص 18-19 •

وللمرة الثانية يتهم أيضا عكاشة التاجر الكبير السيد عباس التركي محمد أوعلي بأنه أحد الاثنين اللذين دبرا الاغتيال مع الشيخ العقبي ولم يذكره بأسمه وانما ذكر أوصافه ، ولما أخضر له مع جماعة قال انه هذا ـ وأشار الى عباس التركي ـ أحدهما وأما الآخر فلم يعرفه • وألقي القبض على السيد عباس التركي بدوره وسيق الى سجن بربروس حيث يوجد العقبي (30) •

كيف ألقي القبض على عباس التركي ؟

مما يقول الكاتب : اننا نشاهد بمزيد الاغتراب ان البحث الذي كان فى بداية الأمر يتابع سيره بسرعة وحزم أصبح اليوم يعتريه البطء ، حتى انه لم يقع العثور الى حد الآن على الأشخاص الذين شاركوا الشيخ العقبي فى تدبير الجريمة ـ كما يدعي عكاشة ـ وبعد أن يعتذر الكاتب بما يدعيه رجال العدالة من الاجراءات يقول :

« غير أن الذي يتعسر علينا ادراكه هو أن يتراخي رجال العدالة ـ مدة عشرة أيام ـ فى الوقت الذي يوالي رجال الشرطة نشاطهم ويجمعون من الحجج ما يكفي لاتهام بعض الأشخاص الذين لا يزالون فى قيد الحرية حيث سينتهزون الفرصة لايجاد الأدلة التي تنفي عنهم التهمة » •

« وبالأمس فقط بدأت وكالة الحق العام تهتم بقضية الشخصين اللذين شاركا العقبي » • ثم يذكر المقابلة المتقدمة الذكر التي ألقي فيها القبض على عباس التركي ، ويذكر اندهاش العقبي وكذا عباس التركي بالتهمة حيث يصيح العقبي عندما كان فى دائرة قاضي التحقيق وعلم بتهمة تدبيره قتل الامام كحول ، محتجا على براءته ودافعا بكل قواه التهمة ، وأمام امعان القاضي علم ان المقاومة لا تجديه فاستسلم وطلب أن يسمح له باثبات براءته بمحضر محاميه السيد (لادميرال) وهكذا أيضا عباس التركي •

---

30 ـ المصدر السابق ، خلاصة ص 20-25 •

اعتراف عكاشة بافترائه وكذبه

وبعد مراجعات متعددة للجاني ، وامعانه فى التهمة قرر قاضي التحقيق مقابلته بالمتهمين ، فلما قابله العقبي وجابهه بالنكير أخذ يخالجه الندم ولجأ الى الاعتراف بافكه وبهتانه ، وهو بائس كئيب ، وقال :

« اني كذبت لما اتهمت الشيخ العقبي بالمشاركة فى هذه القضية » ومثل ذلك وقع مع السيد عباس التركي .

وسئل عكاشة : لماذا سلكت هذا السلوك ؟ ومن ذا الذي بعثك على اختلاق تلك التهمة الكاذبة ؟ فأجاب : اني حاولت اعطاء القضية صبغة سياسية حتى أنجو بنفسي من المشنقة . ومضى يقول : انني رجل محترف لا أنتسب لمذهب ديني أو حزب سياسي . الا أنه لم يقل كل شيء ، وبخاصة عن الذي دفعه للجريمة . وبما انه تبين لقاضي التحقيق براءة المتهمين العقبي والتركي فقد أطلق سراحهما بعد التزامهما بالبقاء بالعاصمة الى أن يتم التحقيق نهائيا (31) .

الدفاع عن النفس

يقول الكاتب صولداني بعنوان « الحجج والبراهين التي ناضل بها الشيخ العقبي عن نفسه » .

« قبل اجراء تلك المقابلة التي كانت قاضية بنفي التهمة على الشيخ العقبي ، كان حاكم التحقيق قد استنطقه بتدقيق فى أصل القضية . وقد بلغنا أن من جملة الأمور التي صرح بها الشيخ العقبي لدى استنطاقه قوله :

« ان الخلاف القائم بينه وبين المفتي ينحصر فى كونهما يختلفان فى تأويل القرآن الكريم ولم يكن يحمل له حقدا كما لم يكن من مزاحميه فى وظيفة » . ثم يقول الكاتب :

وبلغنا أيضا ان الشيخ العقبي ألح بصفة خاصة فى اقناع حاكم التحقيق بأنه لم يكن من خصوم الادارة الفرنسية ، ولا من أعدائها . بل أنه ـ

---

31 ـ المصدر السابق لغاية 30 .

خلافا لما أشيع — لم يحاول ولو بمجرد الاشارة من طريق خفي القاء مسؤولية اغتيال الامام كحول على رجال الادارة الفرنسية ، وهو انما كان ولا يزال من الخادمين للقضية الفرنسية باخلاص ونزاهة « وقد أكد ذلك بلهجة شديدة قائلا : « ان جميع أعمالي ترمي الى تحقيق الغاية التي أصبوا اليها وهي جعل « الجزائر قطرا فرنسيا » وليس لي مثل أعلا سوى الرجوع بالشعب الاسلامي الجزائري الى الفكر الفرنسي . كما اني أرغب فى تحقيق المساواة فى الحقوق بين المسلمين والفرنسيين فى القريب العاجل ... (32)

وهكذا يختم مؤلف الكتاب بتحدي رجال العدالة والأمن الذين ان هم وقفوا موقفا شريفا سيزيلون الغموض الذي حدث لهذه القضية بعد اعتراف عكاشة وتبرئته للعقبي ، ولاشك انهم سيجدون المسؤولين الحقيقيين عن الجريمة .

بيان لمجرد التاريخ

لقد عرفت الشيخ محمود كحول رجلا مسلما صميما ولكنه متشدد فى المحافظة على القديم ، مهما كانت صفته . ولذلك نشبت المعركة بينه وبين العقبي لما جاء هذا وصارح بمذهبه المتشدد أيضا فى الاصلاح الديني ، وجرت هذه الحالة كلا منهما لاستعمال كل وسيلة لكبح جماح الآخر .

وقد سبقت للشيخ كحول مواقف ، فى ميدان هذا التعصب ، حتى مع بعض العلماء المحافظين مثل زميله الشيخ المولود ابن الموهوب مفتي قسنطينة حينما دعا هذا الى نبذ بعض العوائد والبدع التي كانت منتشرة بمدينة قسنطينة ، فعارضه بقصيدة شائكة مطلعها :

صعود الأسفلين به دهينا لأنا للمعارف ما هدينا

وسماها « البدع » بل ذهبت به اللجاجة الى أن انتقد شيخه وولي نعمته الشيخ الجليل عبد القادر المجاوي بقصيدة مطلعها :

انا النصوح وما ابديه كالدرر ...

32 — المصدر السابق لغاية ص 31 .

وذلك لما شرح الشيخ المجاوي قصيدة ابن الموهوب المشار اليها آنفا فى كتاب سماه : « كتاب اللمع على نظم البدع » وهو كتاب مشهور ذو فوائد جمة : جمع من المعارف ما أبان تضلع الشيخ ومشاركته فى جميع الفنون والعلوم ، ومما جاء فى مقدمته :

« وبعد فانه لما انتشر بحر البدع فى الآفاق ، ورمى بأمواج الباطل والزخارف باتنساق ، وتمكن فى قلوب كثير حب العادات المهلكة والمخالفات الموبقة ، نهض بعض علماء الوقت ينهى بالتأليف عن هذه المنكرات التي أفقرت مرتكبيها ، وأهلكت أكابر مجرميها ، فصاروا كلا على العباد ، وأكثروا فى الأرض الفساد ، مبينا فى تأليفه ما عليه مخالف السنة من الوزر ، والبعض الآخر بالرسائل والشعر ، ومن هؤلاء العلامة الجليل ، الشريف الأصيل ، الشيخ محمد المولود ابن العلامة الشيخ السعيد ابن الموهوب ... » .

وقد كان للشيخ المجاوي لدى الرعيل الأول من تلامذته وتلاميذ تلامذته مكانة محترمة لحد التقديس ، فلما رأى هؤلاء تجاسر أحد تلامذة الشيخ عليه حتى لحد الرد عليه ، نهض من بينهم شيخنا عمار بن أحمد العطوي (مهري) ورد عليه بقصيدة طويلة نقتطف منها ما يلي :

انت الغرور وما تبديه مختلق	وهل يشين الكرام قول من نهقوا
تبدى زخارف اقوال لمن الفوا	حب المناكر والكحول قد عشقوا
ما قلت الا اختلافا لبه شبه	من الدنىء وبالمعيار ينبثق
فالحق حق وقد ضاعت مذاهبه	والزور زور وبالبرهان ينمحق
ماذا القريض الذي حشوته كذبا	وقمت تعوي به وهزك النزق ؟ .

ويقول :

يا من يعيب الالى بقولهم نصحوا	لقد فريت واهل العلم قد صدقوا
ان الذين تعيبهم لقد ملأوا	برشدهم افقا وغيكم سحقوا ...

ويقول :

فكم افادوك من علم ومن ادب	وكم نهوك بقولهم وما سلقوا .. الخ

أما قضية اتهام الشيخ كحول بخدمة الادارة فهي حالة قل من نجا منها من الموظفين المسلمين ، خاصة منهم المرموقين • فهم يخدمون الادارة خوفا وتقية • بل وحتى غير الموظفين من كل شخصية عرفت لدى المستعمرين بمكانتها الاجتماعية ، فهؤلاء أيضا كانوا ـ الا القليل ـ يدفعون عنهم التهم الاستعمارية بكل وسيلة •

فهذا الشيخ الطيب العقبي نفسه ، وهو الرجل المصلح العظيم ، نجده حينما صار بين أصبعي الاتهام ، يصرح تصريحات لا يتحمل اليوم سماعها كما نقلنا البعض منها عن كتاب المسيو صولداني عما قاله أثناء التحقيق معه فى الدفاع عن نفسه ، وكما نجد فى رسالة موجهة بخطه الى السيد صولداني هذا بتاريخ 12 سبتمبر 1936 ، أي بعد خروجه من السجن بنحو شهر واحد ، اذ يقول :

« حضرة الكاتب الفاضل السيد بول صولداني المحترم

سألتني عن فكرتي فى مدنية فرنسا وعما نقصد بنهضتنا الحديثة في الجزائر وحركتنا الاصلاحية •

والجواب هو اننا ـ معشر رجال جمعية العلماء المسلمين نطرب كثيرا لمدنية فرنسا كلما درسنا جانبا من نواحيها القائمة على أساس التربية الصحيحة والأخلاق الفاضلة ، وحب الخير لبني الانسان ••• ولسنا نرى فى شريعة الاسلام ما يخالف شعار فرنسا الدائم : الحرية ، المساواة ، الأخوة •

ثم يقول : أما نهضتنا الحديثة وحركتنا الاصلاحية فليس المراد منها الاضرار بأي مخلوق ••• هذا مع احترامنا للقوانين الفرنسية والخضوع لكل ما يوجبه العدل ، ونحرص دائما على العمل لما يكون به التقارب والتعاون بين كل العناصر المتساكنة فى هذا القطر الذي لا يسعد أبناؤه الا اذا عاشوا فى دائرة الأمن والسلم والمحبة والنظام » •

التوقيع : الطيب العقبي

وجواب الشيخ العقبي لقاضي التحقيق الذي تقدم قريبا يعطينا صورة أكثر صراحة .

لكن لا يعني هذا خيانة الشيخ العقبي ولكن للظروف أحكامها ، وهكذا ـ أو قريبا منه ـ نحكم على الشيخ كحول .

لكن الأصابع الحقيقية التي حركت للجريمة معروفة ، ومعروفة جدا . ان المستعمرين كانوا يستعملون كل الوسائل التي يتوصلون بها الى تفريق كلمة المسلمين ، والتي تظهرهم فى مظهر الشعب المتهمج الذي لا يرده الى المعقول سوى القوة والقهر .

ولا عبرة لما أشيع من أن قاتل الشيخ كحول غير عكاشة تماما وأن الحادثة نتيجة أغراض سيئة بين المسلمين أنفسهم .

لولا أن الله سلم

نعم ، لقد ذهب الناس فى هذه الحادثة مذاهب شتى ، كل حسب منهجه السياسي أو الديني ، وقد حملت الكثير عواطف خاصة فى نظرات ضيقة الأفق كلها تدور فى فلك الخلافات الحزبية ، فاتهم بعضهم بعضا ، وحنق البعض على الآخر ووقع أو كاد يقع كلهم فى الفخ الذي نصبه المستعمرون ، لولا أن الله سلم .

فلولا ما وقع بعد الحادثة من حوادث شبيهة ومشبوهة كثيرا ، حتى كاد المستعمرون أن يقولوا فيها خذونا ، وذلك كطلق عيارات نارية على الشيخ الوقور سيدي أحمد الحبيباتني بقسنطينة دون أن يصاب بسوء ، وهو شخصية محترمة ومحبوبة عند الجميع ، وكمحاولة اغتيال المربي الكبير الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، وغير ذلك .

وكل هذه الموبقات متقاربة الزمن ، ولم تظهر الا بعد ذهاب وفد المطالبة بالحقوق من حكومة الجبهة الشعبية ، فلولا هذه التمثيليات المفضوحة ، مضافا اليها مآل قضية التحقيق مع المجرم عكاشة التي انتهت

الى « اللاحل » والى ابقائها غامضة الحقيقة ، لما تفطن الناس الى المكيدة العنصرية ومن ورائها الادارة الاستعمارية فى الجزائر .

هكذا ــ ولله الحمد ــ تنفتق الحقيقة فتبهر الأنظار والألباب ، ويتحقق القاصي والداني ان هي الا مؤامرات المستعمرين وأنصار المستعمرين . وتكتب مجلة الشهاب بمناسبة حادثة الشيخ الحبيباتني بالعنوان الآتي :

الشيخ احمد الحبيباتني يطلق عليه الرصاص (33)

« مساء يوم الأثنين العاشر من شهر أوت ــ آب ــ 1936 على الساعة السابعة ونصف تقريبا ، بينما كان الأستاذ الشيخ أحمد الحبيباتني بنهج « زواف » سيدي بوعنابة ــ فى طريقه الى منزله الكائن بهذا النهج ، اذا بأربع طلقات نارية من مسدس يقع رصاصها حوله من دون أن يمسه بأذى ، الأمر الذي حير العقول فى تعليل هذه « المداعبة الوحشية » وبيان أسبابها ومسبباتها .

ونحن بدورنا نقول كلمتنا فى هذه الحادثة قبل أن نهنيء الأستاذ بسلامته ، مستندين فيما نقوله ما نعرفه من سيرته ، وسيرة المرء أصدق شاهد عليه ، فهو الرجل السليم المسالم الذي لم يؤثر عنه أنه مد يده لمجرم ، أو أطلق لسانه بوشاية أو فتنة ، فمن أين جاءته هذه المصيبة ومن الذي تولى كبرها ؟؟ » .

« ثم ان الحادث وقع فى آخر النهار ، وفى وسط آهل بالسكان فكيف استطاع المجرم أن ينجو من أيدي الناس ؟ وحتى من أعينهم فلم تره عين أحد . اننا نعد بلهاء اذا صدقنا بأن الحادث بسيط الى هذا الحد ، فنكتفي بسلامة الأستاذ وبسلامة الجاني عليه على السواء ، وندعي اننا حصلنا على نتيجة حاسمة » .

« ان الحوادث التي وقعت حول المؤتمر الاسلامي الجزائري قد أثارت المخاوف ، وقوت الشعور فى سائر طبقات الأمة الجزائرية بأن هناك سلسلة

33 ــ الشهاب ، اوت وسبتمبر 1936 ، ص 282 .

من المؤامرات السرية دبرت لاحباط مساعي المؤتمر ، وقتل آمال الأمة فى مهدها ، وما هذه المحاولة الجديدة التي انتهت بسلامة الأستاذ الحبيباتني الا حلقة من تلك السلسلة الرائعة » .

« ان الذين يعمدون الى مثل هذه التجارب فى تنفيذ أغراضهم السافلة فى مثل هذه الظروف لا يسيئون لسمعة فرنسا فقط بل هم يجعلون نجاحها فى استمالة الشعب الجزائري والاعتماد عليه فى الشدائد أمـرا مشكوكا فيه ، بينما كان الاتفاق على وجوب توحيد المصلحة قد كاد يتـم » .

ثم يضيف فى نفس العدد من الشهاب : ... نحن الآن نريد أن نطالب الحكومة ونطالب الادارة ، ونطالب دوائر الأمن العام بدم الشيخ محمود كحول . هذه جريمة شنيعة فظيعة لا يجب أن يذهب دم الذي كان ضحيتها كما ذهب من قبل دم المستشار « ابرانس » هدرا (34) . نريد أن تظهر الحقيقة علنية جلية . نريد أن نعرف من ذا الذي قتل الشيخ محمود كحول ؟ نريد أن نعرف ما الداعي لارتكاب تلك الجريمة الشنيعة . نريد أن نعرف من الذي سلح يد القاتل وأغراه بالقتل . نريد أن نعرف من هو أو من هم الذين حرروا البرقية ضد الوفد وقدموها للقتيل ليمضيها هو وأصحابه ؟ نريد أن نعرف من الذي أوعز للمتهم أو أمره بأن يدعي أن العقبي وجماعته هم الذين أغروه بذلك . نريد أن نعرف من هم الذين أطلقوا عيارات نارية ضد الشيخ المحترم أحمد الحبيباتني بقسنطينة ليوهموا الناس والحكومة أن هناك حقيقة مؤامرة فتك واغتيال مدبرة للقضاء على بعض رجال الدين فى العاصمة وفى الآفاق ... » .

ويمضي الكاتب بتحريض رجال القضاء على الاقتصاص من المجرمين وأن يظهروا بهذه المناسبة أن العدالة فوق الأشخاص مهما علت مراتبهم ، وفوق الهيئات مهما عظمت .

---

34 – المستشار ابرانس موظف فرنسي أغتيل في فرنسا في ظروف غامضة ولم تعثر العدالة على قاتله .

ثم يختم بتعليق الأمل على الله ثم على عدالة فرنسا ويتوجه الى الشعب الجزائري فينصحه بملازمة الصبر والرصانة حتى لا يقع فى مكائد الذين نصبوها للايقاع به تحت غوائل الانتقام » ٠ ا هـ

مكائد المستعمرين ضد الشعب برمته

ان الحوادث التي أعقبت ذهاب وفد المؤتمر الاسلامي الى فرنسا ورجوعه منها مزودا بوعود رآها الجزائريون ضئيلة النتائج ، حتى ولو نفذت بحذافيرها . ورآها المستوطنون نذير سوء ضد وجودهم ، أو سهما مصوبا ضد سلطتهم المطلقة على الأقل .

ان هذه الحوادث الاجرامية المتعاقبة التي دلت على ضيق فظيع فى أفق المستعمرين الفكري ، وأعربت على حقد شنيع ضد الجزائريين المسلمين ، لم يكن — فى الواقع والحقيقة — هدفها الا هذا الشعب المنكوب بهم برمته : أفراده وهيئاته ، قويه وضعيفه ، المسالم منه للاستعمار وخصمه . وان كانت جمعية العلماء تراها موجهة نحوها للقضاء على نشاطها الديني والتعليمي . واستخلصت من هذا الرأي تصنيف خصومها الى ضعفاء وتعني بهم بعض رجال الدين الاسلامي ، وأقوياء وتعني بهم رجال الادارة الاستعمارية أو من كان فى ركابهم .

كما أن جمعية النواب المسلمين ترى نفسها كهيئة سياسية ، هي الغرض المفضل لقذيفة المستعمرين ، فهي الطفل الوقح الغرير الذي يجب أن يؤدب ، بل يجب أن يقهر حتى لا يخرج عن الطريق ! وحتى يرضخ الى الأستاذ ! ..

أما حزب الشعب فهو يعرف نفسه جدا أمـــام الادارة الفرنسية الاستعمارية . والمستعمرون عرفوه أكثر من أي هيئة أخرى ، بسياسته الصريحة ...

ودليلي على ذلك سير الحوادث ومرور الأيام التي ولدت كل عجيب ! فقد بينت هذه بوضوح ، وبكل جلاء ــ أن غرض المستعمرين أعم وأشمل ، ذلك لأن أنانيتهم اللامتناهية ونذالتهم النفسانية هما اللتان لم تسمحا لهم بأن يروا ذلك (البيكو) (1) العربي الوسخ ، الذي كانوا ولا يزالون يشمئزون حتى من وجوده معهم فى مقهى واحد ، جالسا بجانبهم فى الحقوق التي كانت وقفا علبهم ، فجن جنونهم وبدأوا يكيدون هنا وهناك ليظهروا للحكومة الشعبية ، وبالأحرى لجميع الفرنسيين ، أن الجزائريين فى غليان كبير ، وأن شعب الجزائر المتهمج المتوحش .. خطر جسيم على حياتهم وعلى السيادة الفرنسية ، وبالتالي ضياع الجزائر من السلطة الفرنسية الى الأبد ، لاسيما ان أحس هذا الشعب بشيء من التسامح ، أو عومل بنوع من اللين أو الاعتدال ! .

وأمام هذا الضيق الأفقي والحقد الأعمى اندفع المستعمرون ــ كما قدمنا ــ يعملون فى ناحيتين : فيد تخطط كيف تفرق وتنشر العداوة بين الأهالي ، ففكرت وقدرت فوجدت أنأحسن وسيلة تثير الأحقاد والخلافات بينهم هو مس علمائهم الدينيين وكبرائهم باظهار ذلك من فئة مسلمة ضد أخرى . ويد تجمع وتهييء وسائل القمع ، وتنصب العراقيل أمام رجال السياسة ، حتى لا تترك فى النهاية الا من يأتمر بأمرها ويخضع لارادتها .

ومن أجل كل ذلك أحدثوا المؤامرات ، ونصبوا المكائد ونشروا الرعب والخوف يتفاقم فى جميع أنحاء الوطن . فزيادة عن حوادث الاغتيال قد شاهد الشعب أنواعا شديدة من الضغوط وتحمل كثيرا من المظالم التي لا تطاق ، فالضرائب والمغارم الجائرة التي نزلت على الأهالي لا قبل لهم بها . وخلافا للعادة ــ خاصة فى مثل ظروف تلك الضائقة الاقتصادية الشديدة ــ فقد نشطت ادارة الضرائب والمغارم فى تكديس الخطايا والمصاريف والرسوم ، مصادرة ما تبقى لدى الفلاح المصاب بقلة المحصولات وكسادها ، من أثاث بيته المتواضع وفراش وغطاء أبنائه .

---

1 ـ البيكو كلمة فرنسية كانوا يطلقونها على العربي كحطة له .

وهذه ادارة الغاب قد ضاعفت من ضغوطها ونهبها الأموال الأهالي اليسيرة ، وقهرها للرجل والمرأة والطفل على السواء ! وهل من العدالة أو الانسانية سجن الرجل اذا عجز عن دفع تلك الأثقال من المغارم والمخالفات اذا لم يوجد شيء في بيته ليباع بالمزاد العلني ؟ ! بل ان كثيرا ما رأينا سجن المرأة في هذه الحالة عوض الرجل زيادة في النكاية ! •

أما تعديات الشرطة على الأبرياء ، فقد صارت من الأمور العادية • وما حوادث أيام انتخابات أكتوبر – تشرين الأول – 1937 بالأمر الذي ينساه التاريخ • ومنها حادثة الدكتور ابن جلول ، فان الادارة بقسنطينة لم تقنع باعتقاله لمدة غير قانونية – وهو النائب العمالي والمالي – بل عمدت أيضا الى تهديده وتهديد أنصاره بالسلاح •

وحكاية ذلك ، فقد كان ابن جلول خارجا من دار بلدية قسنطينة يوم 17 أكتوبر ، بعد ما أعلنت نتائج الانتخابات وانتصر فيها هو وأصحابه على مرشحي الادارة ، وتلقته الجماهير بالهتاف وبالفرح بانتصارهم ، فما كان من السلطة التي أغاظها المظهر الا أن أمرت (الحرس المتنقل) الذي كان على استعداد فانهال على الشعب المتجمع حول نائبه بالضرب بمؤخرة البنادق بكيفية وحشية ولما هربت الجموع أمام خطر السلاح صوبوا بنادقهم الى صدر الحكيم ابن جلول نفسه •

واغتنم شيخ المدينة ، النائب البرلماني م – مورينو رأس الاستعمار بقسنطينة – يحمله الحنق – فرصة التفاف الحرس المتنقل مصوبا بنادقه نحو صدر ابن جلول ، فبدأ يرسل له الشتائم والسباب ثم ارتمى عليه فلكمه على صدره وفر هاربا كالجبان ، وقد سقط عدة جرحى من الشعب أثناء هذه الحادثة (2) •

وهكذا نجد صحيفة الميدان لصاحبها السيد حسن الوارزقي تعلق على هذه الحادثة تعليقا طويلا أثبت منه هنا الخاتمة : « ••• أصنع أيها الاستعمار ما شئت ، فان القوة والعنف لا يطفئان الشعور الكامن

---

2 – صحيفة الميدان عدد 19 يوم 31 اكتوبر 1937 •

فى الصدور • ومهما حاربت القوة رجـال الأمة المخلصين فان الأمة ستمدهم بقوة من عندها ، وتلك القوة مستمدة من قوة الله • فهل يفهم الاستعمار ؟ وهل يعلم أن قوة الله فوق كل قوة على ظهر هذه الأرض ؟ وستزيد الأمة برجالها ثقة على ثقة كما كان الأمر فى الماضي وكما كان ذلك فى عدة مناسبات • فهل يعمد الاستعمار الى سياسة اللين والمفاهمة المبنية على الحكمة والعدل ؟ » (3) •

وتعلق مجلة الشهاب على أحداث تلك الأيام بعنوان :

متى تنقشع سحب الاستبداد ؟

نقتطف منها ما يلي :

« يقاسي مسلمو الجزائر اليوم من ضروب الظلم والاضطهاد ألوانا مختلفة ، وفى كل يوم يزداد الأثر شدة وارنباكا • والأهلي المسلم رابض تحت هذه الخطوب المفزعة ، والمقارع التي أصبحت تهدد حياته الوداعة المتطامنة ، يصرخ فلا يسمع له صوت ولا يجد منقذا يأخذ بيده حيث العدالة الحقة والحكم الديمقراطي النزيه » •

ويضيف : ولكن الأهلي المنكود الحظ قد حرم من كل شيء ، فشكاته لا تسمع وصراخه يتلاشى بين سوط البغي ، وصلصلة الأصفاد التي تغل بديه لأدنى شيء ، وتقوده لظلمات السجون •• الى أن يقول :

« ظلم مريع واستبداد فظيع تربأ عنه الانسانية بعدما تسجله بقائمة القضايا الوثنية فى القرون المظلمة •• » •

ويختم : ولقد أخبرني من أثق به أن رجلا بضواحي تبسه مات جوعا حيث لم يجد ما يسد به رمقه ، وجباة المغارم لما يزالوا فى شدتهم نحو الأهالي البؤساء يرهبونهم بالحبس والضرب ، الأمر الذي ساءنا

---

3 ـ نفس المصدر والعدد .

وساء كل مسلم . ولا يسعنا ، أمام هذه الكوارث ، الا أن نقول : متى تنقشع سحب الاستبداد من سماء الجزائر ؟ » (4) .

التقارير السرية والحالة السياسية (*)

ولكي ندرك مدى صحة هذا الرأي « مكائد الاستعمار ضد الشعب كله وليس المقصود بها فقط حزبا من الأحزاب أو جمعية من الجمعيات » أنقل خلاصة من تقارير سرية للادارة الفرنسية ، وفى هذه الخلاصة ندرك الحقيقة التاريخية لهـذه التحركات الكائدة . وبدأت هـذه التحركات ، بحذر ، أو بالأحرى تجددت منذ انعقاد المؤتمر الاشتراكي الفرنسي والمؤتمر الاسلامي الجزائري ، ثم الانتخابات العامة التي قامت بعدها حكومة « الواجهة الشعبية » .

يقول تقرير مطول تحت عنوان : القطر الجزائري ـ الحالة السياسية

« ان ممتلكاتنا في شمال افريقيا ، خاصة القطر الجزائري لا شك انه اكثر تشويشا وذلك بمفعول الحوادث السياسية الحالية» ، فان الوعود التي كانت قدمت بسخاء اثناء كفاح الوسم الانتخابي ، اسكرت جميع الأحزاب الأهلية في الجزائر فراحت تحضر مطالب ورغائب تتزايد كل يوم جسارة ، الى الحكومة الجديدة . ثم يروح التقرير يعدد الحوادث الجريئة ـ كما سماها :

فهذه جريدة الدفاع (La défense) الأسبوعية التي أسست من أجل الدفاع عن حقوق ومصالح المسلمين الجزائريين قد نشرت برنامجا كاملا من المطالب ، وبعد أن يعدد المطالب المعروفة يقول :

« وهؤلاء نواب برلمانيون ـ فرنسيون ـ جزائريون ونواب ماليون أهليون من الجزائر ووهران وقسنطينة قد جاءوا الى باريس ليقدموا

---

4 ـ الشهاب ج 6 ـ م 12 ص 284 .

* ـ نشرة سرية بمركز الوثائق الوطني بقسنطينة تحت رقم 28 وبدون تاريخ السنة 1936 .

أيضا مطالبهم للمؤتمر الاشتراكي (S.F.I.O) الذي عقد يوم 31 ماي ، وختم بارسال اقتراحات الى الحكومة » .

« وفى النهاية ها هو المؤتمر الاسلامي الجزائري قد عقد بمدينة الجزائر يوم السابع جوان ـ حزيران ـ وحضره (5000) مندوب عن مختلف الأحزاب الأهلية ، ووجدنا المشايخ ابن باديس والابراهيمي والعقبي من جمعية العلماء يجلسون بجانب الدكتور ابن جلول وفرحات عباس والدكتور سعدان المثقفون الاصلاحيون
وبجانب ابن عبد الله محمد من عنابة وابن علي بوخرصا الذي ريثما خرج من السجن ، وبجانب بوشامة من وهران ، ومناضلين من أحزاب متطرفة » .

ثم يذكر مطالب المؤتمر التي ـ كما قال ـ تذهب الى حد الحصول على الحقوق الفرنسية مع بقاء الحالة الشخصية للمسلمين ، وفى الوقت نفسه ـ يواصل التقرير ـ : يبعث المؤتمر الاسـلامي برقية شكر للمؤتمر الاشتراكي الذي ريثما عقد ، ويشكره على تقديمه لمطالب المسلمين ، ويجعل ثقته فى الحكومة الجدبدة . هكذا ومن غير أي دراسة يقدم النواب الأهالي للجمعية الوطنية بواسطة م ـ م ـ فيوليت كيطولي ، ديروكس ، ڤرنوت ، ثم يذكر المطالب المقدمة .

ثم يضيف التقرير : ان العمل على هذه المطالب لم يعدم تحريكا لعواطف الأهالي ، أدى الى قيام مظاهرات والى غليان عميق .. ففي مدينة الجزائر يوم الثامن ماي هاجم نحو (1500) شخص دار البلدية يحملون العلم الأحمر ، الأمر الذي أدى الى تدخل الحرس المتنقل .

وفى دوار ـ أي قرية ريفية ـ أولاد عوف ناحية باتنة تلقى رجال الدرك ضربات بالحجارة لما أرادوا مساعدة موظف الضرائب على أداء مهمته .

وفى مدينة الجزائر أيضا أعلن عن عدة اعتصابات واضرابات أمـا التحرشات ما بين المسلمين واليهود فلا تعدم حوادث يومية فى قسنطينة وفى سيدي بلعباس وفى آفلو » .

وهكذا يذهب التقرير فى موازنة بين الأحزاب الأهلية تحت عنوان « أفكار واتجاهات » فيقول :

1 ـ نجم الشمال الافريقي :

« بالدرجة الأولى ان نشاط « نجم الشمال الافريقي » خصوصا بعد خطاب مصالي الذي ألقاه يوم الثاني أوت ـ آب ـ فى الملعب البلدي بالجزائر ، يوم رجوع وفد المؤتمر الاسلامي ـ قد أخذ يتكثف فوق أرض كانت لحد هذا اليوم ممنوعة عنه . وقد أسست كثير من فروع الحزب ، وأخرى تتأسس عبر العمالات الثلاث الجزائرية . فنجم الشمال ينشد أن يتفوق وأن يسود على بقية الأحزاب المتواضعة ـ المعتدلة ـ مثل جمعية النواب المسلمين وجمعية العلماء . وفى الوقت نفسه يقاوم كل الصعاب التي تصادفه فى طريقه بكل جرأة وعزيمة » .

« ففي عدد سبتمبر ـ أكتوبر 1936 من جريدة الأمة التي تصدر بباريس كتب مقال بعنوان : « خيانة ابن جلول » ينتقد فيه تصريح هذا ، الذي يقول : « انه يجب محاربة كل من ليس فرنسيا فى الجزائر (يعني أصحاب الفكرة التي ضد الفرنسية) بكل شدة » .

ويمضي الكاتب يقول في جريدة الأمة : انه يحق لى أن أقول كم هي هذه النذالة والخبث والسفالة التي تصدر من فم رجل يحمل اسما عربيا . ان مثل هذا (الحيض) وبهذه البشاعة لم يصدر عن أي عميل أو خائن معروف ومشتهر منذ احتلال وطننا » .

ويمضي التقرير ينقل ما قالته جريدة الأمة فيقول :

« وأخيرا فان الدمالة قد فقعت تحت تأثير الحوادث التي قادها الشعب الى نهايتها والتي جعلته يرى الحقيقة جلية . فان ابن جلول قد افتضح وظهر بوجهه الحقيقي ، فعوض أن يمشي فى طريق الزعماء العرب مثل سعد زغلول باشا ، وهاشمي باي الأتاسي والثعالبي ، ومصالي ، وبورقيبة . وكثير غيرهم فقد أختار « منحدر الردة » .

وتضيف الجريدة : لا ... يا ابن جلول ، يا مورينو (Morino) يا روكس (Rouxe) يا بريسيننق Pressineng وأنتم كلكم أيها المستغلون للشعب الجزائري ، نحن الأحـــزاب الوطنية وكذا جمعية العلمـــاء الجزائريين (5) ، ليسوا فى الواقع ضد فرنسا بل هم يريدون فرنسا ولكن تلك التي هي صاحبة حقوق الانسان وحقوق المواطن ، فرنسا صاحبة الحرية والعدالة ، فرنسا الجمهورية الديمقراطية ، هي فرنسا ثورة عـــام 1789 . ان مع فرنسا هذه نريد التضامن كأصدقاء ، كحلفاء ، وليس كعملاء ، وأيضا فلا ننسى جنسيتنا الجزائرية لأن هناك فرنسا ، وهنا الجزائر ، بينما السيد ابن جلول وأصدقاؤه العنصريون الامبرياليون يريدون أن ينسوا بأن بين مدينة الجزائر ومرسيليا تسعمائة كيلومتر من الماء تفصل بين الوطنين ، وسواء أحب ابن جلول وعصابته أم لا فان الشعب الجزائري سيتابع طريقه الصحيح للتوصل الى حقوقه كأحد الفرنسيين فى الاحترام وكأحد الفرنسيين فى محبة وطنه . فليس لأحد ، اذن ، أن يلوم الجزائري فى محبة وطنه كمثل ذلك الفرنسي الذي يحب وطننا » .

« ان مصلحة فرنسا نفسها تكمن فى قيادتها فى طريق الحرية والخلاص وليس من مصلحتها أن تبقينا تحت العبودية والضغط الذي لا ينتج الا الحقد بين المتساكنين » ا هـ مقال جريدة الأمة .

وفى خلاصة فى تقييم الحالة العامة عن الصحافة الأهلية والحكومية أثناء نصف شهر أكتوبر 1936 تقول النشرة :

« ان مصالي فى جولته الدعائية التي قادته الى فورناسيونال (أربعاء بني اراتن) وبني دواله ، وتيزي وزو ، وميشلي (عين الحمام) وأخيرا الى قسنطينة فقالمة وكان حضر تشييع جنازة م ـ. سالانقرو (Salengro)

---

5 ـ ان هذه اللهجة التي نقلها التقرير الفرنسي من جريدة الأمة نحو جمعيـــة العلماء جديدة ومفـرية بتجدد موقف الجمعية من سياسة الاندمـــاج ، طالع الشهـــاب ج-1-م-12 وجريدة الزهرة التونسية عدد 22 ربيع الأول 1936 حيث يذكر ابن باديس ويمجد فكرة الاستقلال التي يطالب بها حزب النجم في محاضرة ألقاها سنة 1937 بقصر الجمعيات الفرنسية بتونس ، راجع أيضا ما أثبتته النشرة السرية فيما يأتي بآخرها من انفصال بين ابن جلول والجمعية .

وتمكن من أخذ صورة شمسية بجانب أعضاء الحكومة فاستغل هذه الصورة أثناء نشر دعايته » •

وتمضي النشرة : « ان الخطر الذي يمثله نجم الشمال الافريقي ، ولازال يكمن — على الأقل فى الساعة الحاضرة — بين أعضائه الذين مايزال عددهم محدودا ، فهو سيتعاظم بسبب فكرة الاستقلال التي يعمل قادته على ايقاظها فى أفكار المسلمين الجزائريين ، وبخاصة لدى الأوساط الشعبية والشبيبة » •

« ان مصالي الحاج لم يخف أبدا غرضه فى أن « نجم الشمال الافريقي » يرمي الى استقلال القطر الجزائري ، وفى أقرب وقت ممكن • واذا ما ظهر عجز الجزائريين فى تسيير دفة الحكم عند خروج الفرنسيين ، كما لاحظه له البعض ، فمصالي الحاج يجيب بأن برنامج حزب النجم يقرر عقد اتفاقية مع فرنسا ، على غرار الاتفاقية الفرنسية السورية مع قبول الجزائر فى عصبة الأمم » (6) •

وهكذا نجد فى نهاية تحليل حزب النجم تقول النشرة « ان مصالي يقول : ان المهم هو اغتنام فرصة ضعف فرنسا الحاضر داخليا وخارجيا للحصول منها على وعد بالعمل على السير بالجزائر نحو حكم نفسها فى أقرب فرصة ممكنة • ويذهب لحد أن يقول بأنه يجب على كل حال أن يتفق مع الحبيب بورقيبة رئيس الحزب الدستوري التونسي الجديد • ومع الوزاني رئيس « لجنة العمل المغربي » (Le Comité d'action (Marocaine

---

6 — يعني بالاتفاقية الفرنسية السورية المعاهدة التي عقدت بينهما بتاريخ التاسع سبتمبر — أيلول — 1936 م وتنص هذه المعاهدة على استقلال سورية الموحدة في خلال ثلاث سنوات ، وتنال سورية سيادتها وتدخل عضوا في « عصبة الأمم » بتوصية من فرنسا •
وهذا مقابل تحالف عسكري تحتفظ فيه فرنسا بقواعد جوية وعسكرية ، ومثل هذه المعاهدة عقدت مع لبنان ، وقد ساعد على قيام هذه المعاهدة ، بعد تلك النزاعات الطويلة ، قيام حكم الواجهة الشعبية الفرنسية برئاسة ليون بلوم ، غير أن موعد ثلاث سنوات امتد الى تسع ، ولم تخرج فرنسا من سورية ولبنان الا بعد هدنة الحرب العالمية الثانية عام 1945 م •
وبعد محاولة للبقاء مدة أخرى ولكنها كانت فاشلة ، طالع التفصيل في كتاب « يقظة العرب » ج — انطونيوس ، ص 509 •

بهدف تنظيم تحرك عام بالشمال الافريقي لفائدة قيام حرب يتحتم على فرنسا مواجهتها » •

2 ـ جمعية النواب (ابن جلول) (7) :

وتمضي النشرة السرية تقول : ان الدكتور ابن جلول المعارض لمصالي تماما يقول ان مصالي قد ذهب بعيدا عن المعقول منذ رجوعه من باريس، ويحاول ـ ابن جلول ـ أن يقنع الحكومة بأن الجزائريين أكثر اعتدالا ، ولكنه يجهد نفسه للحصول لهم على المطالب التي قدمت الى الحكومة ، هذه المطالب التي يعتقد ان عدم الاستجابة لها مضر كثيرا بالأهالي ويدفعهم للاغترار بالمطالب المفرطة التي طالما حذرهم منها ، غير ان هذا الموقف من ابن جلول انتقده بشدة « حزب » جمعية العلماء والحزب الشيوعي • ولكن ابن جلول أدار وجهه عن العلماء والتفت نحو الطرقيين يحاول مساعدتهم له ، فأقام على شرفهم « زردته الكبرى » حيث رفعت الأيدي بالدعوات وقدمت مآدب لجميع الحاضرين ، وفى أثناء هذه الاجتماعات لوحظ قادة « ودادية الصليب النازي » Ligne de croix de feu) وقيامهم بحراسة الدكتور كحرس خاص •

وقد كان بعض رجال الطرق قدم مساعدته للدكتور ابن جلول بينما بقي آخرون فى الانتظار أو التردد ، وهكذا ، فبجانب الاجتماعات التي أقامها أعضاء المؤتمر الاسلامي ، فان الدكتور ابن جلول نظم اجتماعات ، هو الآخر ، بمدن : سكيكدة ، والقل ، والسمندو ، والحروش ، وعين مليلة ، وسطيف ، وبرج بوعريريج ، حيث حظي باستقبالات من شيعته ، وبسبب السمعة التي حصل عليها برئاسة المؤتمر الاسلامي • فقد قدر أن يحتفظ أثناء جولة دعايته على مكانة جد هامة ، خاصة عبر عمالـة قسنطينـة •

3 ـ جمعية العلماء :

ان الاجتماع السنوي لجمعية العلماء قد عقد بنادي الترقي ابتداء من يوم الأحد 27 الى يوم الأربعاء 30 سبتمبر ـ ايلول ـ 1936 م بمحضر

---

7 ـ المصدر السابق •

نحو ألفي عضو ما بين أعضاء عاملين ومؤيدين ، وقد تجدد مكتب الجمعية كما يلي :

الرئيس	عبد الحميد ابن باديس « من يسار الحزب » (8)
نائب الرئيس	البشير الابراهيمي
أمين عام	العربي التبسي
أمين المال	محمد بن منصور
مساعده	مبارك الميلي
مساعده	أبو اليقظان
مراقب	محمد خير الدين
أعضاء	الطيب العقبي ، يحيى حمودي ، بلقاسم بن حلوش ، على أولخيار ، عبد القادر بن زيان ، ناصر الدين ناصر .

ثم تذكر هذه النشرة السرية أن يوم أكتوبر — تشرين الأول — أقيمت محاضرة « وباقي النشرة مفقود » ه ا هـ .

8 — هكذا علقت النشرة بين قوسين ، وهي صفة يعتقدها المستعمرون في ابن باديس دون بقية أعضاء الجمعية .

نظـرة خاطفـة على أحداث الفترة

قد يبدو للباحث فى هذه الفترة ـ 1935 ـ 1937 م أنه لا يحسن أن يمر دون أن يستوعب شيئا عما وقع فيها من الانتفاضات الشعبية هنا وهناك ، بسبب ما ينزل على الشعب من ضغط ومن تجاهل لاحتياجاته الضرورية للحياة أمام الضائقة ذات الحدين : القهر السياسي ، والحاجة الاقتصادية وسوء الحالة الاجتماعية . فقد انفجرت تحركات شعبية فى كل مكان فى القطر الجزائري وفى فرنسا نفسها .

فهذا حزب الشعب الجزائري ، ومن قبله نجم الشمال الافريقي المنحل ، يعلن عن تحرك سياسي كبير سواء فى الجزائر أو فى فرنسا وحتى نحو المغرب العربي ، فقد اغتنم الحزب فرصة التجاوب مع دعوة الحزب الحر الدستوري التونسي الى اضراب عام ، فأعلن ـ تضامنا مع الشعبين التونسي والمغربي وضد الضغط الذي ينزل عليهما ، هما الآخران ـ أعلن فى جريدة الأمة نداء يقول :

« أيها التجار ، أيها الصناع ، أيها العمال ! استجيبوا كلكم فى كتلة واحدة لندائنا هذا ، فأغلقوا حوانيتكم ، وأوقفوا أعمالكم ، فالامبريالية الفرنسية بدأت تلعب بورقتها الأخيرة ، ولاشك ان كفاحنا أمام عزم هذه الامبريالية سيكون طويلا ، اننا فى بداية هذا الكفاح الذي لا يعرف مهادنة مع الامبيريالية . أسسوا جبهة موحدة للكفا حالتي يجب أن تجمع تونس والجزائر والمغرب الأقصى » .

وفى 20 نوفمبر 1937 دعا الحزب الى اضراب رمزي من الساعة 11 الى 12 احتجاجا على الأحكام العنصرية التي أصدرتها المحكمة الفرنسية باثنى عشر عاما سجنا على كل من مسيري حزب الشعب السادة : مصالي ،

مفدي زكريا ، خليفة بن عمار ، الاحول حسين ، موساوي رابح ، غرافة ابراهيم وعلي بن الأمين • بسبب أنهم ترشحوا للانتخابات البلدية •• ! وقد استجاب شعب الجزائر خاصة بحي القصبة بالعاصمة فأضرب فى الوقت المحدد ، برغم استعمال الشرطة الاستعمارية غاية الشدة ضد كل من استجاب الى النداء • وقد نشرت جريدة الأمة صورتين شمسيتين عن الاضراب الناجح • (1)

وهكذا نجد حركة الاضرابات والاعتصابات قد دعمت نواحي: الكويف «المنجم» قرب الحدود التونسية ، وسيدي بلعباس، و « ميرسى لاكومب » (Mercier La Combe) وغيرها • هذه الحوادث حركت من جديد الادارة الاستعمارية فقابلتها بأقصى العنف والشدة ، ونلمس ذلك من التقرير الآتية ترجمته جزئيا تحت عنوان « ضغط اجماعي » (2) •

« اذا كانت الحالة العامة أثناء شهر فبراير هادئة نسبيا عبر مجموع المستعمرة ، فان توترا فكريا بين الأهالي بدأ يظهر منذ أوائل الشهر الحالي ــ مارس 1937 ــ ثم أعقبت خواطر خطيرة ، خاصة بعمالتي وهران وقسنطينة • ان هذه الحوادث لها جذور تتعلق بمطالب اجتماعية أشاعت فى الأهالي حالة نفسية جريئة هجومية ضد القوات النظامية لحفظ الأمن »•

« ان هذه الحالة يجب أن تلفت النظر ، فلأول مرة يظهر سكان البادية الذين لا زالوا لحد الآن يتسمون بالخضوع والوداعة ولا يملكون أية ارادة للمقاومة خصوصا ضد قوات الأمن » •

« ان الجماهير الأهلية التي أخذت بلبها ــ بحذاقة ــ الأحزاب المتطرفة ، أصبحت فى غاية التشويش وأصبحت تتخذ المهرجين المعروفين من السياسيين « أصدقاء لها » وتأتمر بجميع أوامرهم ، وتارة الى حد الهيجان • واندفاعها هذا أحدث بكل سرعة حالة خطيرة أمام قوات الأمن •

1 ــ الحياة السياسية ، نقلا عن جريدة الأمة لسان حزب الشعب عدد شهر ديسمبر 1937 •

2 ــ تقرير رسمي عن الولاية برقم 38 ، بالمركز الجهوي للوثائق الوطنية بقسنطينة •

« ويلزم أن نعترف بالمناسبة أن حالة كثير من أقسام السكان الفقراء لا تعين على توازن الحالة » •

وهكذا يذهب التقرير فيذكر أن الخلاف الذي وقع بين الكولـون وعمالهم الأهالي أدى الى تمرد نحو أربعة آلاف (4000) فلاح جاءوا من سيدي بلعباس الى (ميرسى لاكومب) وهاجموا فى طريقهم معسكر الحرس المتنقل الذي أتي به ليرد الأمن الى نصابه » •

ثم يقول : وتأثرا بحوادث « المتلوى » بتونس ، فان عمال مناجم الكويف أثاروا حوادث خطيرة بعد ما تركوا أعمالهم دون أية اجراءات قانونية واندفع نحو ألف ومائتي عامل » « 1200 » يخربون خط السكة الحديدية ثم قصدوا المصنع الرئيسي للمنجم حيث تعرض لهم حراسه ولكنهم هاجموهم وجرحوا منهم سبعة دركيين • وحتى النجدة التي دعيت على جناح السرعة لم تتمكن من اخماد الفتنة ••• اهـ (3) •

وعندما نتتبع الحوادث أثناء هذه الفترة ، ونراجع الوثائق السرية لدوائر الشرطة الفرنسية ، نجد أن القلق عم جميع نواحي الوطن ، ولاعطاء نظرة عن هذه الحالة ننقل عن مجلة مركز الوثائق الوطني ـ عدد 6 ـ نتفا مختصرة عن بعض الحوادث التي نشرتها بعنوان « الحالة النفسية لأهالي شمال افريقيا سنة 1936 ـ 1939 » وهي صادرة عن المكتب الثاني للقيادة العليا (المنطقة 19) بقسنطينة •

---

3 ـ حوادث المتلوى خلاصتها : أن الشركة الفرنسية المسماة « شركة صفاقس قفصة » كانت تستغل مناجم الفوسفاط في الرديف ـ المتلوي ـ وكان عمالها تتمثل فيهم وحدة المغرب العربي ، وأثر ارتفاع أسعار المعيشة وعجز العمال عن تموين عائلاتهم ، وامتناع الشركة من الزيادة في الأجور ، قرروا اقامة اضراب عام وقدموا مطالبهم واحتلوا المركز لمنع العمال الفرنسيين المحظوظين من العمل ، في انتظار الاستجابة لمطالبهم العادلة .

بيد أن الشركة ـ وهي الآمر الناهي ـ طلبت من السلطة الاستعمارية فأمدتها بقوات من الدرك والحرس المتنقل ، حيث صبت هذه القوات ويلاتها على المعتصبين بدون أية شفقة أو رحمة ، وأسقطت عشرات من القتلى والجرحى ، ومن بينهم التونسي والليبي والجزائري والمغربي ، وبسبب ذلك قرر الشعب التونسي برمته اقامة اضراب عام .. وتضامنا مع اخوانهم العمال في المتلوى والرديف ، أقام العمال الجزائريون في « الكويف » القريبة من الحدود التونسية هذه المظاهرة الجريئة التي تشير اليها النشرة السرية .

1) عمليات القمع الدامية للاضرابات : ان الاضرابات المتتالية فى الفترة الماضية (جويلية – سبتمبر 1936) قد أدت فى كثير من الأحيان الى تدخل القوات الفرنسية .

2) سرقة الأسلحة : ان المسؤولين على كل المستويات كان لابد عليهم اظهار نشاط قوي لمعاقبة كل من أهملوا واجبهم حتى سرقت منهم الأسلحة من طرف الذين هم أعداء السلطة الفرنسية .

3) معارضة الجزائريين للقوات الفرنسية : لابد من الاشارة الى حدث خطير فى مناجم الونزة نتيجة عقوبة ضد عامل جزائري ، قام أكثر من ألفي عامل بالاضراب ، وفى نهاية الشهر قررت مجموعة من العمال استئناف العمل ولكن خلال يوم 20 أوت 1937 هاجم أربعمائة عامل (400) مقر دورية عسكرية فأضطرت هذه الأخيرة أن تطلق النار فأصيب اثنان من الأهالي بجروح . وفى سبتمبر 1937 بسبب القاء القبض على أحد الأهالي الذي شتم شرطيين فى قرية رجاص قرب قسنطينة ، هاجم مائتان (200) من الجزائريين مستعملين العصي ، الدورية العسكرية التي كلفت بايداع المعتدي السجن .

4) المنتخبون المسلمون وفكرة القومية : ان اتجاه فيدرالية المنتخبين المسلمين نحو فكرة القومية نستطيع أن نفسره بالنجاح الباهر لفكرة جمعية العلماء وحزب الشعب الجزائري فى ولاية قسنطينة ، هذا النجاح الذي لا يستطيع أن يحوزه « المنتخبون المسلمون » الا بالزيادة فى الروح الوطنية من طرفهم .

5) نشاط حزب الشعب الجزائري : هناك بعض المحاولات فيما يخص الدعاية لابد من ملاحظتها ازاء نشاط هذا الحزب ، ومن ذلك :

أ) تعليق الاعلانات وتوزيع المناشير فى الجزائر .

ب) اجتماع فرع عنابة .

جـ) توزيع مناشير مكتوبة بعبارات حادة فى تلمسان .

د) بيع بطاقات التضامن لصالح عائلات الأعضاء المسجونين حاليا .

ومن جهة أخرى فان اللجنة المركزية لهذا الحزب ـ نجم الشمال الافريقي ـ استطاعت أن تدخل الى الجزائر « منشورا اداريا » ولائحة داخلية جديدة لتظهر الجهود التي بذلها المسؤولون لاعادة تنظيم الحزب » (*) .

وتذكر هذه النشرة انه عثر أثناء تفتيش لمركز هذا الحزب فى مدينة سكيكدة على جرائد ومنشورات للحزب الحر الدستوري الجديد ، كما وجدت وثيقة تثبت ان حزب الشعب بعث بمبلغ ألفي فرنك (2000) اعانة للحزب الحر الدستوري الجديد وتثبت بذلك أن حزب الشعب لا زال يتابع نشاطه المضاد للسيادة الفرنسية ، سرا وان له علاقات متينة بالحزب الحر الدستوري التونسي » .

وفد آخر يتوجه الى باريس

وأمام هذه الأحداث المتفاقمة والحالة المتردية ، وبسبب تكاثر مؤامرات ومكائد ووشايات المستعمرين ، توجه وفد آخر الى باريس يوم الثالث مارس ـ آذار ـ 1937 وعلى رأسه الحكيم ابن جلول . وقد جمع هذا الوفد من كل العناصر التي تمثل سياسة التفاهم والمساواة مع الفرنسيين ، تمثيلا واسعا .

فمن النواب الماليين : ابن جلول ، عبد السلام طالب من تلمسان .

ومن النواب العماليين : ابن خلاف ، فرحات عباس ، الحكيم الأخضري والحكيم سعدان .

وعن المؤتمر الاسلامي : بوكردنه الصيدلي ، وبلحاج .

وعن العلماء المعتدلين والطرقيين : الشيخ الشريف الصائفي .

وعن النواب البلديين : توام شعبان ، وابن شريف حسين ، صراوي محمد الصالح ، قنيش عمار ، باشاغازهار ، عيسى الأعمش ، الحكيم ابن خليل ، الشاذلي والحكيم سيد قاره ومصطفاوي المحامي .

---

* ـ نشرة اخبارية شهر جانفي 1936 .

وعن الجماعات الدواريه ــ الريفية : آبو يوسف الشريف رئيس وحدة هذه الجماعات ، وابن العربي شناف رئيس جماعة دوارية .

وعن الجمعيات الاسلامية : الحكيم ابن سليمان .

وعن جمعية قدماء المحاربين : ابن قلعية بكير (4) .

وفى الرابع مارس 1937 أذاعت وزارة المستعمرات البلاغ التالي :

« استقبل م ــ موريس موتي وزير المستعمرات فى هذا المساء الساعة السابعة وفدا من النواب المسلمين الجزائريين على رأسه الدكتور ابن جلول وقد عبر أعضاء الوفد للوزير عن انعطافهم وانجذابهم نحوه ، وعن اخلاصهم نحو فرنسا ...

وفى تصريح ابن جلول يعلن عن ارادته فى الاندماج التام ويصرح انه فرنسي وسيبقى فرنسيا ، ولكن لا يرغب هو ولا مواطنوه أن تقاس الأمور فى الجزائر بمقياسين » .

وعند زيارة المسيو بول فور وزير الدولة الذي استقبل الوفد استقبالا حسنا صرح ابن جلول له عن اخلاص الأهالي المسلمين نحوه اخلاصا تاما ، واعترافهم بجميل الحزب الاشتراكي » .

وفى يوم السادس مارس أقامت اللجنة المتعهدة بتنظيم شؤون أهالي افريقيا الشمالية القاصدين باريس للاقامة ، مأدبة عشاء على شرف م ــ فيوليت و م ــ بيير غودان ، وأعضاء الوفد الاسلامي ، ورحب بالحضور رئيس اللجنة الأستاذ بهلول .

وفى 15 مارس عاد الوفد من باريس الى الجزائر بعدما طاف جميع زوايا باريس واتصل بأكبر هيئات وشخصيات بها . وبعد ما أقام يوم 12 مارس ندوة صحفية تكلم فيها ابن جلول وفرحات عباس وبلحاج ، وعبروا

---

4 ــ جريدة النجاح عدد 1965 يوم 7 مارس 1937 .

كلهم عن نفس الاتجاه : التمثيل فى البرلمان الفرنسي والاندماج فى فرنسا » (5) .

وكل ذلك بقصد انارة الرأي العام الفرنسي ، واطلاعه على الحقيقة التي يعمل لها النواب الجزائريون ! والتي شوهتها الدعاية الاستعمارية ، كما كان من واجبه أن يحيط علما حكومة الجبهة الشعبية بكل ما بيته ويبيته الكولون وأنصارهم سواء لمطالب الأمة الجزائرية المحقة ، أو لحكومة الجبهة الشعبية نفسها .

ولكن ... ، وبعد الزيارات والاستقبالات ، والجري هنا وهناك ، هل نحن فى حاجة الى أن نعطي نتيجة غير الوعود ؟ .. دائما الوعود ..!

وجمعية الزوايا والطرق الصوفية

واذا أردنا أن نستكمل جميع الاتجاهات أثناء هذه الفترة الثانية ، فلا مناص من ذكر شيء عن جانب الطرقيين أو « الحركة الدينية ذات التوجيه الصوفي والمحافظة على أصول « التشريع الاسلامي » : الكتاب والسنة ، والاجماع، والقياس على مذهبي الامامين الأشعري والماتريدي. وقد استقرت هذه الدعوة ، بعد اختفاء جمعية علماء السنة ، فى جمعية الزوايا والطرق الصوفية وأنصارها من رجال الدين الاسلامي التقليديين ومن العلماء المحافظين .

وأثناء هذه الأحداث التي تخللت الفترة بسبب قيام الحكومة الشعبية الفرنسية ، وعرض برنامج « بلوم فيوليت » لم تبق أية حركة من الحركات الجزائرية لم تنغمس فى جو هذه الأحداث ، سواء كانت سياسية أو دينية أو « مرابطية » .

ولقد كان من عادة أصحاب الطريقة الرحمانية ــ الخلوتية ــ اقامة وفد كل سنة لزيارة ضريح صاحب الطريقة الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن دفين مدينة الجزائر ، فكانت هذه السنة المعروفة ،

---

5 ــ نفس المصدر عدد 1968 .

التي كان يقوم بها شيخ الطريقة بقسنطينة الشيخ عبد الرحمن بن أحمد المعروف بباشتارزي ، نعمت المناسبة للدعوة الى اقامة مؤتمر ديني عام يحضره جميع رؤساء الزوايا والطرق الصوفية وأنصارهم ، فكان الوفاق وكانت الدعوة لانعقاد مؤتمر باسم « مؤتمر الزوايا ورؤساء الطرق الصوفية بتاريخ السابع فبراير 1937 م الموافق 26 ذي القعدة الحرام 1355 هـ . ونجد وصفا شاملا لهذا المؤتمر أو الاحتفال بقلم مكاتب جريدة النجاح بالعاصمة تحت عنوان : « مؤتمر ديني عظيم نختصر منه ما يلي :

فى صبيحة هذا اليوم بمحل واسع وطاهر .. بمقام سيدي محمد بن عبد الرحمن الولي الصالح الذي نشر العلم والدين الصحيح فى الربوع الافريقية ، وقع تجمع عظيم حضرته شخصيات عظيمة من جميع أطراف البلاد . وقد كان من الحضور الشيخ عبد الحي الكتاني وأربعة علماء معه من مدينة فاس بالمغرب الشقيق ، وحضره جميع رؤساء الزوايا فى القطر . وانطلق هذا التجمع من مقام سيدي محمد الى حديقة محي الدين حيث امتلأت على اتساعها بالمؤتمرين والزوار » .

ومن مرامي هذا المؤتمر ربط العلائق بين رؤساء الزوايا واتباع الطرقية ، ولأجل التعارف بين مختلف رجال هذه المؤسسات .. ولأجل التواصي بنشر العلم والدين ..

ويضيف الكاتب : حضرنا الاجتماع الطرقي وسمعنا الأحاديث والخطب التي دارت فيه وكانت كلها بعيدة عن السياسة والمجون .. ثم يقول : نعم طرق بعض الخطباء مواضيع سياسية يظهر أنهم مبعوثون من طرف بعض الندوات السياسية ، فقد تكلم أحد الخطباء عن مشروع فيوليت مصرحا أنه من أنصاره .. أما ممثلوا الزوايا فقد أجمعوا على التصريح بأن م ـ فيوليت صديق كبير للمسلمين ، وأن الوعود الحكومية قد فتحت بابا كبيرا لآمال المسلمين فهم يعلقون عليها كبير أملهم ..

ابتدأ الخطابة رئيس المؤتمر مصطفى القاسمي ثم الشيخ الشريف الصائغي (الهاملي) مدير مدرسة السلام بقشنطينة . وختم هذا الأخير

خطابه بقوله : « انه أشيع أننا أقمنا المؤتمر ضد برنامج فيوليت • اننا نؤكد وندقق أننا جميعا من أشياع هذا المشروع » • فنطق الحاضرون : نعم ، نعم ! •• (6) •

ويضيف الكاتب : ثم تكلم السادة : قدور الحلوي ، فالسيد عباس بن الهاشمي ، فالشيخ مصطفى ابن الحاج الصادق فالشيخ عبد المجيد بن ابراهيم الطولقي •

وفى اليوم الثاني ألقي الشيخ عبد الحي الكتاني درسا ثم تكلم السادة : أحمد بن بسام ثم عبد الرحمن ابن العقون ثم الشيخ الرابحي •

وهكذا يذهب المؤتمر الى غاية يوم الخميس مساء سابع ذي الحجة الموافق 18 فبراير حيث ختم بعد تلاوة المقررات • وكان من مقرراته تأسيس حزب ديني ، وألفت لدراسة هذا الموضوع لجنة من المشايخ : الحسيني مصطفى ، غلام الله محمد ، باش تارزي محمد الصغير » •

التبخر والتبلور :

هكذا تختم جهود مجموع الهيئات الجزائرية وتقف تقريبا كلها مع الاندماج فى العائلة الفرنسية بصفة أو بأخرى ، ويشاء الناس ويشاء الله فتغلبت مشيئة الله ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم • ويمضي الزمن وتتبلور النيات الحسنة منها والسيئة ، ثم يلعب اليأس القاتل لعبته اللازمة ، فقد انجلت هذه المجهودات من جهة والمؤامرات من جهة أخرى عن حادثتين فظيعتين قلبتا الوضع تماما •

1 — مجيء وكيل وزير الداخلية الفرنسي الجزائر ، أثناء وجود لجنة البحث فى الجزائر وتصريحه الذي نزل على الرأي العام الجزائري كصاعقة •

---

6 — الواقع لقد حوصر الطرقيون من أنصارهم المتفتحين ... وبالرغم من عدم وفاق الكثير منهم على البرنامج ، أولا للعقيدة ، ثانيا لكونه سياسة ، ثالثا لأن الكولون ضده ، رابعا لكونه سياسة المؤتمر الاسلامي ، وهي أشياء كلها اما يقدوها ، أو يرهبها الطرقيون ويبغضونها ، بالرغم من كل ذلك فقد خضعوا للامر الواقع وبقوا ساكتين حينما أجاب الجمهور : نعم .. نعم ، وكنت من الشاهدين .

2 ـ وقوع شقاق بين الدكتور ابن جلول ـ العمود الفقري فى هيئة المؤتمر الاسلامي ـ وجمعية العلماء قلبه النابض ، وبالتالي يتفتت التجمع الذي وقع فى « المؤتمر الاسلامي الجزائري » .

وهكذا سنعرف بعد هاتين الحادثتين عصرا جديدا من البلبلة والارتباك ثم انهيار كل الآمال مرة أخرى فى جدوى سياسة التقارب والتفاهم ، وتتفطن بعض القلوب الى التفكير فى الحكمة التي تقول : « ان الحقوق تؤخذ ولا تعطى » ولنبدأ ببيان الحادثة الأولى :

لجنة البحث البرلمانية وتصريح وكيل وزارة الداخلية

جاءت لجنة البحث البرلمانية التي وعدت بها الحكومة الشعبية الوفد الجزائري ، مدينة الجزائر ولكن عوض أن تجيء فى شهر أكتوبر أو نوفمبر 1936 ـ كما كان مقررا فى الوعد ـ تأخرت الى شهر مارس 1937 .

ففي يوم الثالث من شهر مارس ـ آذار ـ نزلت اللجنة البرلمانية مدينة الجزائر برئاسة النائب البرلماني (المرتنيكي) م ـ غرو زيللير من الاتحاد الراديكالي الاشتراكي ، ومعه تسعة أعضاء ، منهم أربعة من الحزب الاشتراكي (S.F.I.O.) وواحد آخر راديكالي اشتراكي ، وواحد شيوعي ، وواحد من كتلة الجمهوريين . ومن بينهم نائب عن مقاطعة (كوشنشيين) الهند الصينية سابقا ـ الفييتنام حاليا ـ ، وهو محايد . ونائب آخر عن مقاطعة (لاصوم) ويضاف لأعضاء الوفد أفراد مكتبه وهم ثلاثة ، والمترجمون وهم ثلاثة أيضا .

وقد أمرت هذه اللجنة ـ مسبقا ـ أن لا تقام لها أية احتفالات أو استقبالات ، حتى تؤدي مهمتها فى معزل عن العواطف وبعد استقبال بسيط بواسطة الشخصيات الرسمية من جهة وبعض أعضاء اللجنة التنفيذية للمؤتمر الاسلامي ، استقرت اللجنة بقصر النيابات المالية وشرعت حينا فى أعمالها بالاستماع لجميع الأطراف الأهلية والأروبية لتأخذ وجهات نظر كل المتساكنين ، وحتى مختلف الآراء الحزبية من كل الاتجاهات .

ويوم السابع من نفس الشهر توجه وفد اللجنة البرلمانية الى شرق القطر الجزائري ، بعد وداع وفد من أعضاء المؤتمر الاسلامي وذلك

بتقديم باقات ثلاث من الزهور بواسطة بنيات جزائريات ، والقاء كلمة كان لها حسن الأثر لدى أعضاء اللجنة •

وقصد الوفد الرسمي مدينة ثنية بني عيشه (منيرفيل) سابقا ثم تيزي وزو ثم أربعاء بني راتن ، واستمر وفد اللجنة البرلمانية يتنقل من مدينة الى مدينة ومن قرية الى قرية الى أن وصل قرب الحدود التونسية ، (مدينة سوق أهراس) •

ثم قفل راجعا يوم 19 منه الى عاصمة الجزائر حيث استأنف رحلته الى الغرب الجزائري ، ابتداء من مدينة الجزائر ، فبوفريك ، فالبليدة فالمدية ••• الى قرب الحدود المغربية « المملكة المغربية الشريفية » بقرية بني صـاف •

وفى كل مدينة وفى كل قرية يتصل الوفد بجميع الهيئات ، وكـانت اللجان التنفيذية للمؤتمر الاسلامي المنبثقة فى كل أنحاء البلاد مستعدة لاستقبال الوفد مزودة بنسخ من مطالب ورغائب الأمة لتزوده بها • ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، بل هناك لوائح ورسائل مفتوحة من مختلف الشخصيات الحرة والحزبية قدمت للوفد تشريح له جميع مناحي حياة الشعب الجزائري وحالته السيئة التي يتخبط فيها •

وحتى جريدة « النجاح » التي كانت تعتبر ادارية قد ساهمت فى البيان والتنوير ، فقد كتب مديرها المفضال الرجل الخير الأستاذ عبد الحفيظ بن الهاشمي افتتاحية بالعدد 1969 يقول فيها :

« حلت اللجنة المنتظرة فى هذه المدينة ـ قسنطينة ـ فوجب أن نقدم لها ما استقرت عليه المصلحة العامة واقتضته ضرورة الوطن ، وللوطن ضروريات جمة ومشاكل عدة يجب شرحها وبيانها بحكمة ••• وليس الغرض من ايفادها ـ اللجنة البرلمانية ـ الا لاسماع أصواتنا وابلاغ آلامنا وآمالنا الى أم الوطن » •

« وقد قلنا فى سالف ما كتبناه عن هذا الصدد ان برنامج فيوليت نقطة اتفاق بين جميع طبقات البلاد ما دام محترما لشأن الديانة ، ومعتبرا فى ذاته كاعطاء حقوق لهذا الوطن بدون شرط ولا قيد » •

« واللجنة قد تكون على علم من أن الدين الاسلامي لا يسوغ بحال من الأحوال أن ينحرف المسلم عن نظمه الدينية ، ومتى رفض دعائمها وقرر الانسلاخ من دائرة نفوذها عد أجنبيا عنها ، وذلك ما يأباه الشعب قاطبة ولا يرضى أن يعرب عنه زيد ولا عمرو فى هذا الموضوع . اذ الالتجاء الى الفتيا يكون فيما يعزب عن المسلم من المسائل الدقيقة الفرعية . وهذا هو الشعور الوطني العام المتفق عليه سكان هذا الوطن قاطبة » .

ويقول : ان الدين واللغة العربية ، والأمية والتجارة والفلاحة ، شأنها خطير فى بلاد الجزائر ، فليس للدين ولشرعه ما يجعله فى قرار مكين .. » ويمضي فيشرح الحالة السيئة لرجال الدين واللغة العربية التي كادت تموت . والأمية المتغلغلة فى دواويرنا ، والتجارة المنكودة ، والفلاحة قد خيبت الظنون ... »

ثم يختم : انها نكبات وأطوار حرجة يتقلب فيها الوطن من أزمان ، نرجو من هيئة اللجنة الباحثة أن تمعن النظر فيها ليتضح لديها ما يقاسيه السكان من مرير الحياة وضنك العيش وتفاقم الحياة من جهات عديدة ... » اهـ .

وقد رجع وفد اللجنة البرلمانية الى فرنسا وحقائبه مليئة باللوائح والعرائض ، وآذانه محوشة بالشكاوي والتظلمات ، وكان على اللجنة البرلمانية أن تطمئن الجزائريين ، وأن تعدهم خيرا وبركة ، وأن تزيل مخاوفهم التي أثارتها المعارضة القوية العمياء ! ولكن لسان الحال والواقع ينشد :

« واني وان أوعدته أو وعدته لمخلف موعدي ومنجز ايعادي »

ذلك لأنه ، بينما كانت اللجنة البرلمانية تجوب أنحاء الوطن وتسمع جميع الأطراف ، ثم تجمع لوائح المطالبة بالحقوق من مختلف فئات الشعب التي امتلأت يقينا وأجزيت أملا ، كانت كتلة المستعمرين تعمل فى جميع جهات النفوذ ، وهي أطول يدا وأوفر حظا ، ولو بعد اعتلاء الجبهة الشعبية منصة الحكم . ناهيك بعد هذا التحرك القوي ، ونجحت مساعي الكولون .

فاذا بوكيل وزير الداخلية المسيو أوبو (Aubeaud) يفاجيء الشعب ويفاجيء اللجنة نفسها بزيارة للجزائر ، قال انها استطلاعية ! وظن الجميع ان هذه الزيارة — حقا — استكمال للمهمة ، واهتمام زائد بأعمال اللجنة وبمطالب الشعب الجزائري المحقة . لكن ما راع الجميع الا والوزير أوبو يستعجل اللجنة ويفاجيء الرأي العام بالنتيجة المحيرة التي استخلصها — هو — وبقدرة قادر — فى مدة وجيزة تاركا بحث اللجنة الذي استمر أكثر من أسبوعين ، وكأنه بذلك يريد قطع خط الرجعة على اللجنة فى نتائج بحثها التي هي الحقيقة الواجب معرفتها والأخذ بها ، سواء بالنسبة للحكومة أو للبرلمان . فماذا استخلص الوزير الوكيل وماذا قال ؟؟ !

ما يقوي نفوذها ، ويقضي على حركة الهيجان فيها » (7) .
الادارية بها ، واذا لم تتخذ من التدابير الاستثنائية القاسية ما يقوى نفوذها ، ويقضي على حركة الهيجان فيها » (7) .

---

7 — الواقع أن استخلاص الوزير أو المسؤولين الفرنسيين بصفة عامة ، بحسب نظرتهم الاستعمارية وتمشيا مع المألوف قبل تلك الظروف وقبل مجيء حكومة الجبهة الشعبية استخلاص صحيح وحل وجيه ! — حسب العقلية الاستعمارية — .. (=) ذلك لأن السياسة التي كانت متبعة فى الجزائر هي كما يقول المثل الشعبي عندنا : « الخنق وسدان الفم » ومن أجل ذلك كانت كلمة « الحرية » و « الاستقلال » أو التشكي بالادارة المحلية بصراحة ، أشياء لا تصدر الا عن شبه المجانين . وفي هذه الظروف بالذات وعندما جاء حكم الجبهة الشعبية وفتحت قليلا من النوافذ ، وسمحت بشيء من حرية التعبير تنسم الشعب عبير الحرية وتكلم بما في ضميره وعن رغبته . ولم يكن هذا في حسبان الفرنسيين ولم تكن نفوسهم تسمح بهذا التهور .. للعبيد ! عندئذ لم يبق لدى الفرنسيين صبر .
وليس ببعيد أن يكون ذلك التصريح بوفاق من اللجنة ، كبحا لجماح الشعب الغرير!..
ولم الذهاب في الافتراضات وهذا الواقع يعطينا التفسير الصحيح . فبينما كانت لجنة البحث البرلمانية في الجزائر بل في مدينة تيزي وزو بالضبط ، وذلك يوم التاسع مارس — آذار — كانت ما أطلق عليه « لجنة البحر الابيض المتوسط العليا » تجتمع في باريس بقصر ماتينيون تحت رئاسة وزير الدولة م — فيوليت وبحضور م —م ايفون ديلبوس وزير الشؤون الخارجية ، وماريوس موتى وزير المستعمرات ، وفيينو كاهية وزير الخارجية . وكذا م—م استيغ وصارو رئيسا الوزارة سابقا ، وبول فور وزير الدولة ، وأوبو وكيل وزير الداخلية نفسه ، وجورج موك أمين عام رئاسة الوزراء ، ولوبو والى عموم الجزائر ، والجنرال نوغيس المقيم العام بالمغرب ، وجوليان سكرتير للجنة البحر الأبيض المتوسط العليا ، ورؤساء المصالح الكبرى ، وممثلو وزارة الحربية ، وممثلو المقيم العام بتونس ، وممثلو المندوب السامي في سورية .
قالت جريدة النجاح بالعدد 1967 : « وقد كان البحث يدور حول ربط المصالح والأجهزة التي تشتغل بمسائل المسلمين ربطا محكما ، وحول التيارات الفكرية التي تجري الآن بين مسلمي أفريقيا الشمالية وحتى القاطنين منهم بفرنسا » . أفلا يكون وكيل الداخلية أوبو قد خرج من هذا الاجتماع وبيده التعليمات التي صرح بها في الجزائر بعد أيام فقط !! ..

لقد كان لهذا التصريح المفاجيء وقع شديد على الفكر العام ، وتحقق به حتى المتفائلون والمقربون من الادارة أن الاستعمار الفرنسي لم يفهم بعد لغة التفاهم والتقارب ، ولو ببيع الضعيف نفسه وشرفه للقوى ! ولن يفهمها أبدا .

وكتبت الصحافة ، وتكلم الناس فى المشرق والمغرب ، ونصح الناصحون ولكن للاستعمار خطته . وكتب الشيخ الطيب العقبي تحت تأثير الصدمة، ومما قال :

« حقا لقد استغربنا كل الاستغراب صدور مثل هذا التصريح من وزير علاقة الجزائر به هي أقوى من علاقتها بغيره من الوزراء ، ولقد كان فى الحسبان أن الأخذ بالحيطة والحزم هو الذي حمل الوزير على القيام بهذه الرحلة فى هذا الوقت ، واللجنة لم تنته بعد من بحوثها . وقد يكون .. وقد ... ولكن هذه التصريحات التي سبقت أوانها هي التي قضت ، أو كادت تقضي على آمالنا وتذهب بما بقي لنا من أناة وصبر ، وصيرتنا لا نرى من وراء كل هذا الانتظار وهذا الصبر المضني سوى نتيجة واحدة وهي : انزال العذاب بنا ، ومضاعفة الويلات النازلة على رؤوسنا كلما طلبنا الرحمة أو رجونا التخفيف ... » .

ويمضي العقبي يقول ما ملخصه : ان الجزائر التي يطلب لها الوزير القوة والشدة ليست فى طور استعداد لثورة مسلحة وانما هي فى ثورة فكرية لها فيها كل الحق ، لأن الأمة الجزائرية قدمت لفرنسا القوية كل ما تملك من قوة ، بل كانت احدى قواتها ضد العدو الألماني ، فهي اذن تطلب أن تنال جزاءها من العدل والحق فقط . فلو كان الجزائريون أرادوا الثورة فلا يخافون ولا يرهبون الموت ، وحجتهم أنهم لم يرهبوا الموت فى الحرب بجانب فرنسا ، وهم غرباء ، فكيف يرهبونها وهم فى بلدهم !

ويختم العقبي : « اننا نرغب ونود أن تكون فرنسا فى كل وقت قوية ، ولكن بقوة الحق والعدل لا بقوة السيف والمدفع فقط .

« ونود أن تستعمل قوة فرنسا دائما ضد أعدائها لا ضد الضعفاء من أبنائها والذين هم من متممات قوتها وبعض أجزائها . فالى أين تذهب

ولمِ نتطلب القوة اذن يا مسيو أوبو (Aubeaud) ؟ وضد من تريد أن تستعمل الشدة ؟ وما هو الأمر الذي حملك على هذا الطلب السريع المستعجل ؟! فى هذا الوقت العصيب • ولجنة البحث لا تزال تبحث ، ومهمتها لم تنته بعد ؟! » (8) •

وهكذا تتبخر ــ تقريبا ــ كل الآمال التي علقت على سياسة التقرب من فرنسا بقبول برنامج فيوليت ، كما تبخرت قبلها الآمال التي علقت على لجنة « الوزير ريني » ورجع الوزير الثاني أوبو من الجزائر الى فرنسا يطلب القوة لقهر الجزائريين ، تماما كما فعل سلفه ريني •

ورجعت بعد أوبو أو (أوباند) اللجنة البرلمانية تندب حظها من جراء الغل الذي سبقها ، حيث مثلت أمام مجلس الأمة الفرنسي يوم 30 أفريل ــ نيسان ــ 1937 ليقوم رئيسها (لاغروزيللير) بعرض الحالة فى برودة ويأس فيقول : « لقد قام الوفد المكلف باقامة بحث فى الجزائر حول الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ولقد قضي فى هذه المهمة ما يقرب من الشهرين ولقد باشر أبحاثه بروح لا تشوبها رائحة التحيز ، فاستمع الشكايات من جميع طبقات المجتمع الجزائري ، من سياسية الى دينية الى اجتماعية ، وتقبل كراسات المطالب المضاة عن جدارة من طرف من يهمهم الأمر » •

« وقد طاف الوفد سائر المدن والقرى والمراكز ، وقابل سائر العناصر التي أفضت اليه برغائبها ومطالبها ••• الى أن يختم بقوله :

« وها هم المقررون يقومون لديكم اليوم ، بعد استراحة من وعثاء الأسفار ، بابداء النتيجة النهائية التي حصلت من هذا السفر » •

ثم يسدل الستار على تقارير اللجنة البرلمانية ليقوم مقامها تصريح أوبو •

وتقع الصدمة الكبرى ــ كما قدمنا ــ حتى للمتفائلين وذوي النيات السنة •• !

---

8 ــ البصائر ، عدد 64 يوم 11 صفر 1356 الموافق 23-4-1937 .

وتكلم الشيخ عبد الحميد ابن باديس أيضا فى محاضرة ألقاها بقصر الجمعيات الفرنسية بحاضرة تونس ، تحت اشراف جمعية الطلبة الجزائريين بتونس (9) ، فقال : « كانت مطالب الجزائر قبل انعقاد المؤتمر الجزائري الشهير مطالب متفرقة يقوم بها أفراد موزعون ، ولما تأسس المؤتمر الجزائري فى السنة الفارطة توجهت الأمة بمطالب عامة ـ سياسية واقتصادية وعلمية عربية قومية . ومطالب الجزائر لا تزال فى حيز الانتظار الى الآن ، كما لا تزال مطالب تونس فى حيز الانتظار ورحم الله من قال :

ونحن في الشرق والفصحى ذووا نسب
ونحن في الجرح والالام اخوان

وقد حدث شيء بعد ذلك وهو « مشروع فيوليت » الذي هو شيء واحد من المطالب التي قدمناها ... ولقد صعب تنفيذ هذا المشروع لما اشترطه المؤتمر من المحافظة على الصفة الشخصية الاسلامية العربية ، وها هو هذا البرنامج الآن فى مهب الرياح (10) .

ويضيف الشيخ باديس : وقد قبلت أكثرية الأمة مشروع فيوليت بالشرط المذكور ، وباعتباره أقل المطالب . أما الأقلية فقد أبت قبوله تماما (11) لأنها تخشى بعض الألاعيب التي لا تدري متى تكون . ونحن نحترم رأي هذه الأقلية ونؤمل بقاءها على رأيها ، وهي تطالب بالاستقلال . وأي انسان يا سادة لا يحب الاستقلال الذي هو أمر طبيعي فى وضعية الأمم .

---

9 ـ جريدة الزهرة التونسية عدد 22 ربيع الأول 1356 هـ ـ 1937 م .

10 ـ قوله «الصفة الشخصية الاسلامية العربية » هذا ربما من زيادة الجريدة فاثباته هنا على عهدتها أما المؤتمر الاسلامي لم يشترط الا « بقاء الأحوال الشخصية الاسلامية وهي مفسرة بالزواج والطلاق والميسرات . أما الجنسية فقد قبل المؤتمر أن تجري على الجزائريين « الجنسية الفرنسية » التي يشترطها البرنامج نزولا للدستور الفرنسي الذي لا يعطي الحقوق الفرنسية الا للفرنسي وان كان الشيخ باديس فرق بين الجنسية القومية والسياسية ومن هنا وقع الخلاف مع المعارضة كما أسلفنا .

11 ـ هذا ما يثبت راينا في التعليق السابق ، فلو كانت المطالب بشرط المحافظة على الشخصية وتعني الذاتية الاسلامية والجنسية العربية فليس من المعقول أن تقع معارضة ولو تحصل الشعب على قليل من كثير ، راجع مجلة الشهاب ، والبصائر ، وكراسة المطالب نفسها التي قدمها المؤتمر .

« أما موقف الحكومة التي أعطيناها ثقتنا من أول يوم فهو موقف الترتيث والتردد ، تشاهد المعارضة من الرجعيين أصحاب المال الأقوياء ، وتشاهد مطالب الجزائريين الضعفاء ، فتارة تعد ـ كما قال م ـ فيانو ـ وتارة تتوعد ـ كما قال أوبو ـ الذي يقول : اذا أردنا الاحتفاظ على الشمال الافريقي فلنحافظ على القوة .

وقد أخطأ فى ذلك ، ولو كانت الحكومة تقبل نصيحتي كانسان لنصحتها باستعمال الاحسان الذي يمكنها من المحافظة على صداقة هذا الشمال الافريقي .

دور الغليــان العــام

وهكذا تتفاقم الحالة ويحدث غليان كبير وعمومي ، بسبب تصريح الوزير أوبو ويقع ارتجاج كبير فى جميع الحركات والهيئات على اختلاف اتجاهاتها • وسواء منها الحركات الجزائرية القومية أو الاستعمارية •

فأما المستعمرون (الكولون) فقد كان تصريح الوزير بردا وسلاما على قلوبهم وتحققوا أن نفوذهم لازال بخير ولم يصب بأذى مهما تغيرت الظروف والحكومات ، فتحركوا تحركا آخر يريدون به الاجهاز على ما بقي من نفس فى الهيكل الوطني الجزائري ، فأرسلت الوفود وسطرت الاحتجاجات ، ورفعت بالنكير عقيرتهم ضد كل تحــرك جزائــري ــ أو لصالح الجزائري ولو من الحكومة ــ • وظهر الخصوم الألداء للشعب الجزائري بكل صراحة أمثال : (دوريو) رئيس الحزب الشعبي الفرنسي ، و (صوران) والراهب (لامبير) • وحتى أولئك الذين كانوا يظهرون عطفهم على الشعب الجزائري كالكاتب الشهير (جان ميليا) صاحب كتاب المصير المحزن للأهالي الجزائريين الذي كان أحد كتابين ظهرا فى أوائل الثلاثينات وثانيهما كتاب م ــ فيوليت : هل تعيش الجزائر ؟

فقد تراجع جان ميليا تراجع (غي موللي) سنة 1956 أثناء ثورة التحرير الجزائرية • لكن هذا تراجع تحت تأثير تساقط « الطماطم »

على رأسه (1) أما ـ ميليا فأعتقد ـ مع الأسف ـ أنه اقتنع بملء جيوبه من أموال (الكولون) التي كانت على استعداد لكل الطواريء !. وكتب جان ميليا سلسلة مقالات بجريدة ليكو دالجي الاستعمارية اليمينية المتطرفة ، سنعرف فحواها من رد م ـ فيوليت عليه فى الاستجواب الآتي :

« فى جريدة ليكو دالجي عدد غرة أفريل 1937 نجد استجوابا لوزير الدولة م ـ فيوليت من طرف مكاتب الجريدة المذكورة بباريس عن السوانح التي ربما استجدت عنده نحو مشروعه بعد سلسلة مقالات (جان ميليا) فأجابه فيوليت :

« نعم لقد رأيت الأفكار التي رأى صديقي جان ميليا من اللائق اطلاع قراء (ليكو دالجي) ـ صدى الجزائر ـ عليها وذلك فيما يتعلق بمشروع الحكومة . ولقد بث مسيو ميليا أفكاره فى عدد جسيم من الأعمدة الثقيلة بالجريدة . وظن أنه سيقضي علينا بما كتبه ، ولكنني أعتقد أن هذه المقالات الغريبة والغير منتظرة لم تلحق ضررا الا بنفس كاتبها لا غير .

---

1 ـ ان قضية تراجع غي موللي لها حكاية طريفة ، لقد كان غي موللي اشتراكيا متحمسا للعدالة والحرية والمساواة يوم أن كان على رأس الحزب الاشتراكي لا سيما وقد جاءت حملة الانتخابات الفرنسية 1956 وصرح وأعاد بأنه سيحل قضية الجزائر بالمفاوضة مع جبهة التحرير الجزائرية بعد ايقاف القتال ...

وجاءت الفرصة فنجح موللي في الانتخابات وأصبح رئيسا للحكومة ، وعزم على متابعة سياسة وعوده الانتخابية ـ أو هكذا أظهر ـ فعقد زيارة الى الجزائر ليوطىء للجنرال كاترو الذي عينه مقيما عاما بالجزائر ـ وليس واليا عاما ايذانا بتبديل السياسة الاستعمارية ـ ليوطئ له أكناف المستعمرين حتى يقوم بسياسة معقولة تأتي بالسلم وحقن الدماء . لكن المستعمرين جندوا جميع قواهم ، واغراءاتهم أيضا ، واعتصموا بسياستهم العنصرية المتحجرة ، ونزعوا بكل وقاحة الى التمرد والعصيان فقابلوا رئيس حكومتهم بما يقابل به الخسيس النذل الذي خرج عن طاعة سيده ، وأقاموا في وجهه مظاهرات صاخبة سقطت أثناءها على رأسه أمطار من حب « الطماطم » .

وكان ذلك درسا كافيا لرفيقه الجنرال كاترو فسارع الى الاستقالة أما الزعيم غي موللي فلم يفقد توازنه العقلي واكتشف تكتيكا جديدا لحفظ الشرف ، وعندما رجع الى فرنسا خاويا من الضمير ولكنه ملىء الوطاب ، صرح في اباء .. أنه لا يزال محافظا على تصريحه الذي ألقاه يوم التنصيب ولكن ... الجزائر فرنسية ! ورغم عدم نكران جنسيتها فانه يجب أن تبقى فرنسية ..
انظر التصريح والحكاية كاملة في كتابي « من وراء القضبان » .

واني جد متألم له من هذه الناحية ، لأنه طالما تولى النضال عن قضية المسلمين ودافع عنها بشجاعة ، ومن المؤلم حقا أن نراه اليوم ينضوي تحت لواء (دوريو) والراهب لمبير ، كأحد المتطوعين •• ثم يقول : « ليس الوقت ملائما •• » هذه هي الحجة الدائمة للرجعيين المعرقلين •

ويضيف فيوليت : أراد جان ميليا أن يبرهن بصفة طويلة على : « أن الوقت غير ملائم » وأراني مضطرا أن أجيب عن ذلك بأن هذه الكلمة ما هي الا حجة الرجعية فى كل وقت ، فهم يرجئون أعمال الاصلاح الى الغد ثم الى الذي يليه وهكذا الى أن تقع الكوارث الفادحة ! وعندئذ يندمون • على أن الأغراض أعمت الأبصار فلم تستطع النظر الى عواقب الأمور •• » •

وبعد أن يأتي ببسطة من تاريخ فرنسا ، فيذكر أولئك الذين وقفوا حجر عثرة ضد أفكار جورج ليغ وكليمانصو عند سن القانون العسكري الاجباري سنة 1917 م على المسلمين (2) وذكر رد فعل هؤلاء اذ ذاك لأن المعارضة أرادت واجبه على المسلمين دون حقوقه ، وقال المعارضون اذ ذاك : « ان الوقت غير ملائم » وبعد ما يذكر بخيبة لجنة البحث التي شكلها (طارديو) ويذكر بخيبة المسلمين أمام الوعود التي أعطيت لهم بعد احتفالات القرن يضيف م ـ فيوليت :

« يريد ميليا أن ينتظر رجوع الهدوء الفكري ، وانما هو يريد ايهامنا بذلك فقط ! لأننا لو رجعنا الى الموضوع بعد طول الانتظار لوقفت فى وجوهنا من جديد سائر القوى الرجعية المتظافرة ولعكرت صفو ذلك الهدو ثم قالت لنا من جديد : « انتظروا رجوع الهدو الفكري » فليس الوقت مناسبا » •

« ويمضي فيوليت : « أريد أن أبين لك جميع ما يختلج بفكري فى موضوع دقيق جدا ، أريد أن أبينه للناس ، انني لست من أصحاب الملية الضيقة ولا أزال أحتج ضد التضييق الذي تستعمله الادارة فى

---

2 ـ الذي هو معروف أن قرار التجنيد الاجباري للمسلمين صدر يوم الثالث فبراير 1912م وليس سنة 1917 •

منح التجنيس لطالبيه وأنا أعتقد أن لفرنسا قوة غريبة لادماج غيرها من العناصر فيها ، وأعلم كذلك أن هذه السياسة أحدثت فى الجزائر أعمالا باهرة » •

وبعد أن يضرب المثل باستيعاب فرنسا للعناصر الأجنبية التي على ضفاف البحر الأبيض من طليان واسبان وغيرهم ، وبعد شكر هذه العناصر يقول لها :

« ليس لهاته العناصر الجديدة حق الاعتراض على ما تمنحه فرنسا من حقوق للمسلمين الذين هم فرنسيون أبا عن جد منذ مائة عام وزيادة (3) ويضرب مثلا لذلك بالضيف المتطفل الذي يمنع الضيوف المدعوين من المائدة • أو ذلك الذي يقف بباب الدار مستعطفا فاذا أدخل الدار أخرج منها أهلها » •

ثم يضيف : نعم هنالك جماعة من المستعمرين ترفع بالاحتجاج والنكير عقيرتها ، أولئك هم المستعمرون الذين كان استنكر (الماريشال ليوتي) بعدما استنكر (جول فيري) مواقفهم ، لكن احتجاجهم هذا ليس بالأمر الجديد ، فلقد وجد (فيكتور شويلشير) نفس هذه الصعوبة عندما أعلن الغاء الاسترقاق ، وقالوا له عندئذ « ان الوقت غير ملائم » ثم قالوا ، كما يقول جان ميليا اليوم : ان هذا الأمر سوف يحدث فى الأفكار اضطرابا شديدا ! » •

ثم قال فيوليت : والذي يستخرج من هذه الحملة انما هو الفائدة الآتية : اذا صيرنا الأهالي رجالا مثل بقية ارجال فمن الواجب علينا حينئذ أن نعطيهم مقابل عملهم أجورا تسمح لهم بأن يعيشوا كما يعيش أولئك الرجال (4) •

---

3 – ان م – فيوليت يقصد المستوطنين وأنصارهم لأن أكثريتهم من الايطاليين والأسبان المتجنسين •

4 – مهما ارتفعت قيمة م – فيوليت في دفاعه عن الجزائريين فان مكانته لا تتعدى ، كفرنسي أصيل وطني ، أعطى الجزائريين حق العيش في كنف فرنسا وجنسيتها وهو ما عبر عنه صراحة سواء في كتابه هل تعيش الجزائر أو في برنامجه .

وبعد أن يضرب فيوليت مثلا آخر بتهييج العرب ضد اليهود سنة 1934 م بقصد صرف نظرهم عن حقوقهم وبؤسهم الى جهة لا يمس فيها المستعمرون بأي أذى ، وليختفوا اذن وراء دخان حرائقها ، يمضي فيعطي بسطة عن الانتخابات والتمثيل الأهلي الذي يطلبه المشروع ، ويبين فوائده للجميع على خلاف مشروع (دوريو) و (صوران) والراهب لمبير ، الذي يعطي حقا لانتخابات كتلة من المسلمين على حدة . ويذكر بما وقع قبل الثورة الفرنسية سنة 1789 م حينما وقف نواب الأشراف ونواب رجال الدين فى وجه نواب الشعب قائلين لهم : اذهبوا واجتمعوا وحدكم فنحن لا نتكلم معكم .

ويضيف فيوليت لميليا : « وأنت تعلم كيف انتهى أمر هذه السياسة ؟ وكيف أن حراب الجند لم تستطع أن تمنع جدران هذا النظام من الانهيار « ثم يختم : وهذا العزم موجود اليوم عند الأهالي وهو عزم راسخ متين » .

ولكن فيوليت فى النهاية يدعو الى الهدو فيقول : فلتفهم الجزائر كلها ولتتحقق أن مستقبلها انما هو السلام والثقة المتبادلة والوئام » (5).

وفى مؤتمر الحزب الراديكالي الذي انعقد يوم 30 أكتوبر 1937 م يرتقي منصة الخطابة المسيو « غسطنينو » النائب البرلماني الفرنسي عن الجزائر ليعلن فى صراحة وقحة واعتباط جنوني ، أنه توجد عناصر وطنية فى الجزائر ذات حماس جنوني ، ومنها حتى جمعية العلماء المسلمين . وذهب خطباء المؤتمر فى المبالغة حتى أنهم أظهروا أن الشمال الافريقي مقدم على ثورة مسلحة عارمة .

وترد صحيفة الجمعية « البصائر » ردا حاسما ومتأثرا فتقول : « اتهم م ـ غسطفينو جمعية العلماء ولم يستشهد على هذا الحكم بشيء من قرارات الجمعية وأعمالها وتصريحات رئيسها باسمها ، ولا بكتابة صحيفتها الناطقة بلسانها ، ولكنه أتى بعبارة منتزعة عما قبلها وعما بعدها

---

5 ـ البصائر ، عدد 62 يوم 9 أفريل 1937 مختصرا .

انتزاعا أبعدها عن مرماها وأخرجها عن معناها . وهي واردة فى جزء محرم ـ أفريل ـ سنة 1355 هـ من مجلة الشهاب للأستاذ عبد الحميد ابن باديس » .

هذه العبارات التي انتزعوها وانزعجوا منها هي : « الأمة الجزائرية الاسلامية ليست هي فرنسا ولا تريد أن تصير فرنسا » هذه هي الجملة التي أخذ منها ذلك الخطيب أن فى الجزائر وطنية ذات حماس جنوني .

وعرض بأنها تخدم عرش موسوليني وعرش هيتلر . وهذه هي الجملة التي هدته الى أن جمعية العلماء من عناصر تلك الوطنية . يا ضيعة المنطق ! ..

ويمضي صاحب المقال فيستلفت الأنظار الى أن هذه الجملة أخذت من مقال كتب بمجلة الشهاب بمناسبة تصريح بعض النواب المسلمين بانكار وجود الأمة الجزائرية بقصد اقناع الشعب بالاندماج للحصول على الحقوق بأسرع وقت ممكن . وغرض المجلة من الرد عليه تقرير ما أنكروا من الناحية العلمية ، واستحالة ما استسهلوا من الناحية العلمية . فعبرت عن الاستحالة بقولها : « ثم ان هذه الأمة الجزائرية الاسلامية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ولا تريد أن تصير فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت ، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد ، فى لغتها وفى دينها . لا تريد أن تندمج » ثم أعقب ذلك بقوله :

« ثم ان هذا الوطن الجزائري الاسلامي صديق لفرنسا مخلص ، واخلاصه اخلاص قلبي لا اخلاص ظاهري ، يخلص لها اخلاص الصديق لصديقه لا اخلاص التابع لمتبوعه ، فهو فى حالة السلام والأمن يطلب من فرنسا أن تحترم دينه ولغته .. الخ .

ويضيف صاحب المقال : هذه هي وطنية مجلة « الشهاب » مشروحة فى نفس الشهاب ، أو هي وطنية الأستاذ ابن باديس مفسرة بقلمه ليس فيها تأويل ، ولا تحريف ولا تبديل ، وطنية من يطلب من فرنسا أن

تحترم دينه ولغته ، وطنية من يتبرأ من الهيجان ، ويصرخ بالارتباط المتين بدولة الجمهورية ان هي أحسنت معاملته » .

« هل فى هذه الوطنية خطر على فرنسا ؟ هل فيها فائدة لعرش موسوليني أو عرش هيتلر ؟ لا .. كل ذلك لم يكن » (6) .

وبعد أن يبين الكاتب خطة جمعية العلماء وخطة رجالها ، ويلفت النظر الى مقال نشر بجريدة البصائر بعدد 30 أفريل 1937 م ، ونقلته جريدة الدفاع La Défense باللسان الفرنسي (7) يضيف : وبعد فقد تبين المقصود من الوطنية الاسلامية الجزائرية التي يؤمن بها الأستاذ عبد الحميد وتعترف بها جمعية العلماء ، واتضح أن لا خطر فيها على أصل السيادة الفرنسية ولا عداء فيها للجنس الفرنسي فلتحمل الفوارق التي بين الأمتين محمل اختلاف المباديء بين الحزبين من أمة . فاذا كان الراديكالي غير الاشتراكي وليس بينهما من العداوة ما يخشى معه أحد الفريقين من الآخر على سيادة الدولة فليكن الأمر كذلك فى مغايرة الأمة الجزائرية للأمة الفرنسية ..

وبعد أن يذكر أن فى الحكومة والأمة الفرنسية رجالا منصفين ، ولهم نكتب ونتوجه ، وأن فيها رجالا ينطوون على عداء للاسلام وبغض لأهله ، وفيها من يسيء الظن بغير جنسه فلا يثقون حتى بخيار هذا الجنس ، وهؤلاء هم خصوم الجزائر المسلمة العنيدون وأعداء فرنسا ، فما هم الا رواد مصالحهم الخاصة فلتشهر بهم الأمة الجزائرية المسلمة ، ولتحذرهم الطبقة الحاكمة ..

ويختم : قد استطعنا البيان فبينا ، وقدرنا على النصح فأمدينا . وما علينا الا أن ننتظر ما يكون بعد من أثر » (8) .

---

6 ـ نفس المصدر ، ع87ـ15 رمضان 1356هـالموافق 19 نوفمبر 1937 م .

7 ـ جريدة لاديفانس ، ع 9 ماي 1937 .

8 ـ البصائر ، عدد 87 .

وكتب فرحات عباس فى « ليل الاستعمار » : •• ان الحملة ضد الوطنية الجزائرية ، ولاحباط برنامج بلوم ـ فيوليت ، قد قادها ومونها أمثال : مورينو ، وديبرو ، وبورجو ، وسيكارد • وقد كانت حملة شديدة وجريئة لم يلبث البرنامج أن فشل بعدها ، وبالتالي تقهقرت حكومة « الجبهة الشعبية » مثل سائر الحكومات قبلها ـ أي الحكومات التي فكرت فى تحسين حالة الأهالي الجزائريين ـ تماما كما تفعل الآن ـ أثناء الثورة التحريرية ـ الصحافة الاستعمارية للابقاء على النظام الاستعماري والحيلولة دون أولئك الذين أرجلهم فوق أرضية صلبة لا تقاوم لأنهم طلاب حقوق الانسان فى الحرية والمساواة والكرامة الشخصية » •

وفي الاجتماع العام الثاني للمؤتمر الاسلامي

وانعقد الاجتماع العام الثاني للمؤتمر الاسلامي الجزائري بنادي الترقي يوم 4 جويلية ـ تموز ـ 1937 م ، وكان من مقرراته حملة شاملة ضد الحملات الاستعمارية ، ومنها ارسال برقيات احتجاج ، ومطالبة بتنفيذ الحقوق وبرنامج بلوم ـ فيوليت ، بواسطة جميع اللجان التنفيذية للمؤتمر ، المنبثة فى أنحاء الوطن •

استطراد :

كان اجتماع المؤتمر الثاني متواضعا كثيرا عن اجتماعه الأول ، بل انه كان محاطا بكثير من العراقيل والترددات ، لكن المسؤولين فى المؤتمر، اقتناعا باخلاص الجبهة الفرنسية الشعبية لحقوق الجزائريين ، وانجرارا فى الجو المتفائل ، خصوصا بعد انتصارات الجبهه الشعبية فى الانتخابات العامة ، أرادوا أن يزيدوا من قوة الجبهة ومتانتها ، فذهبوا يقيمون عبر الوطن الاحتفالات والاجتماعات ، يثيرون بها حماس الشعب • وكان مرور عام على المؤتمر قد قرب ، فقرر اقامة احتفالات بالمناسبة •

وقامت بالفعل احتفالات صاخبة بذكرى مرور عام على المؤتمر ، يوم السابع جوان ـ يونيو ـ 1937 م وجعلت الاحتفالات تحت رئاسة بلوم فيوليت الشرفية ، وتكلم فيها الخطباء والشعراء ، وشاركت حتى

بعض الشخصيات من الأحزاب اليسارية الفرنسية ، الأمر الذي أدى الى تسمية تلك المناسبة بالعيد الوطني •

وهكذا أقيم أيضا يوم الرابع جويلية ـ تموز ـ 1937 م اجتماع آخر للمؤتمر حيث أعلنت حملة كبرى من المطالب والاحتجاجات بقصد تحريك الحكومة والمسؤولين الفرنسيين وحملهم على قبول برنـامج فيوليت •

الا أن المعارضات المتعددة الجوانب والارتباكات التي حدثت للمسيرين بالذات كانت أفصحت عن تراجع ممض وعجز ظاهر عن المضي فى تحدي الظروف ، والمصابرة أمام الزعازع المختلفة •

« ان المؤتمر الثاني لم تكن له نجاحات مثل المؤتمر الأول ، فقد حورب بجدية من طرف حزب الشعب أيضا الى جانب الخلاف الداخلي ، فقد نشر مصالي الحاج وثيقة سرية تتعلق بعلاقات الحـزب الشيوعي المغرضة بالمؤتمر ، كما أن الدكتور ابن جلول القسنطيني لم يبق على وفاق مع المؤتمر ، خاصة بسبب علاقة هذا بالشيوعيين التي قيلت فيها الأقاويل » (9) •

وقد كانت اجتماعاته مضطربة مشوشة وساد الخلاف بين الحاضرين ، بينما كان حزب الشعب يهاجم المؤتمر حيث أنه منعه من الحضور ، وقال لأنه ليس بالمؤتمر الاسلامي الجزائري حقيقة وانما هو مؤتمر « الستالينيين ، والماصونيين والمتجنسين •

وكان هذا الموقف الصريح والمتشنج قد وضع المؤتمر وبالتالي القضية الوطنية على المحك ، وتصفه جريدة الأمة فتقول :

« ان المؤتمر الذي يسمى المؤتمر الاسلامي قد تجمع مدة يومين يكتنفه الخوف ، وختم تحت الصهيل والصفير ، وبالتالي استخفاف الشعب ، ان هذا المؤتمر ليس له من الاسلام الا الاسم ، لأننا حضرنا اجتماع

9 ـ الحياة السياسية ، طبع ش و ن ت محفوظ فداشي ص 310 ـ 313 •

أشخاص يتشاتمون ويتناقشون تحت الخوف والهلع ، لأن ضمائرهم غير مستريحة سواء أمام الله أو أمام الناس . وذلك خوفا من افتضاح لبوسهم الوسخ أمام الناس ، وخوفا من نقمة الشعب .

وازاء هذه الحالة لم يسمحوا بحضور المؤتمر الا لنحو مائة وخمسين شخصا ، ونحو الأربعين آخرين من ذوي الأيدي المدربة على التصفيق »،

وأمام الحاجة الملحة يضطر المسؤولون عن سير المؤتمر أن يجيبوا عن موقفهم أمام القضية الوطنية الكبرى بأنهم مقيدون بما حدده المؤتمر فى جلساته الرئيسية بعاصمة الجزائر .

وعن طرد حزب الشعب من الاجتماعات يجيبون : ان حزب الشعب كان دائما فى المعارضة ، فما كان طرده المؤسف من اجتماع 24 جانفي — يناير — 1937 م ، ووصف مناضليه من أحد خطباء المؤتمر بأنهم مناضلو الساعة الحادية عشرة ليلا « أي أولاد الحرام واللصوصية » الا لأنهم جاءوا لسد الطريق ، ولتخريب اجتماع كان هدفه تحقيق ارادة وحدة اسلامية من جميع العناصر بقصد تأييد برنامج يعتبر الخطوة الأولى فى سبيل مصلحة الجزائريين . وهذا ما جعله محاربا من طرف المستعمرين والديكتاتورية « الايديولوجية » .

وبرزت جريدة La Défense — الدفاع — لترد على المتخرصين بأن برنامج فيوليت انما حظي بقبول المؤتمر لأنه أول خطوة للاعتراف بالذاتية الجزائرية ، ومن أجل ذلك فقد اتهمنا — أصحاب المؤتمر الاسلامي — بالوطنية وذهبت « لاديفانص » تشرح جواب ابن باديس فيما قاله عن الوطن والوطنية وذهبت تتهم مصالي بأنه عميل (الكولون) والادارة بعثوه بقصد القضاء على المؤتمر الاسلامي والافساد عليه . كما اتهمت ابن جلول بسبب موقفه الغامض » (10) .

---

10 — لاديفانص 29 — 1 1937 .

ويذهب الحزب الشيوعي فى اقناع الوطنيين بجدية برنامج فيوليت وغلط نجم الشمال الافريقي فى حكمه على هذا البرنامج (12) •

وهكذا جميع الأحزاب اليسارية كانت تؤيد سياسة الجبهة الشعبية وأقامت عدة لقاءات ، ففي اجتماعها المشترك يوم 11 جانفي — يناير — 1937 حضر نحو الثمانية آلاف شخص (13) ، لسماع خطباء «السيفيو» والراديكال سوسياليست ، والراديكال ، وجمعية حقوق الانسان ، والشيوعيين والمؤتمر الاسلامي ، هذا الاجتماع الذي استخلصت منه مجلة (جون أفريك) بأن سياسة الاندماج الكلي قد افلست ، وأن الدولة يجب أن تخضع أمام الارادة الدينية فتقبل وجود موظفين فرنسيين ذوي اتجاهات دينية مختلفة •

فكل هذه الأحزاب تؤيد « الجبهة الشعبية وتحتج ضد الحملة المغرضة التي شنها رؤساء البلديات والمنظمات الفاشية بقصد احباط برنامج الحكومة وتفريق كلمة العمال الفرنسيين والأهالي • وتقول انها تفضل أن ترى بيد الأهالي الجزائري ورقة انتخاب أفضل من أن ترى بيده بندقية » (14) •

وهكذا تجيء اتحادية الطلاب الفرنسيين لتعلن هي الأخرى تأييدها لبرنامج الحكومة وتقبل بمبدأ الاندماج وترسل اشارة الخطر ، مدعية بأنه لو نخيب — نحن الفرنسيين — ظن المسلمين في هذه المرة الثالثة التي تضاف الى خيبتي 1919 و 1930 ، لاشك أننا نجرهم الى اعتناق الوطنية الاسلامية العربية التي لا تتوقع نتائجها » (15) •

« وهكذا يذهب رجال المؤتمر الاسلامي مواصلين نشاطهم معتمدين كثيرا على تأييد الجبهة الشعبية وعلى رجال اليسارية الفرنسية للحصول

---

12 — لاديفانصي 23-7-1937 •

13 — لالوت سوسيال ، نوفمبر 1936 •

14 — لاجيستيس 20-1-1937 •

15 — لاديفانصي 26 فبراير 1937 •

على نجاح البرنامج ، فهم يعددون الاجتماعات والاتصالات بمسيري الجبهة في الجزائر ، ويقيمون الاستقبالات لمسيريها بفرنسا حينما يأتون الجـزائر •

ففي يوم 16 أفريل ـ نيسان ـ 1937 أقيم حفل استقبال بنادي الترقي حضره رئيس اللجنة البرلمانية (لاغروزيللير) والنائب البرلماني للجزائر م ـ مارسال ريجي ، وجان سال حيث أكدوا كلهم على أهمية برنامج فيوليت من حيث أن الجزائر قطعة متممة لفرنسا ، ومن حيث لزوم ربط خط : باريس ـ الجزائر في مواجهة « المحور الحديدي » : روما ـ برلين •

ويضيف : وابن باديس وضع أمله في الجبهة الشعبية والعقبي أكد ارتباط العرب بفرنسا » (16) •

ولم يبق معارض من جميع المنظمات الاسلامية الا النجم ثم حزب الشعب الجزائري الذي وصف البرنامج « بقطعة عظم » قدمت لأهالي الجزائر ليقرضوها مقابل ما سينزل عليهم من ضغوط (مقوننة) أي بصفتهم فرنسيين ولكن لا حق لهم الا في الارهاق •• ويمضي المقال ليبين بأن قضية « الجنسية » لأية أمة ليست رباط رقبة ينزع حيث يشاء ويوضع متى يشاء • ذلك لأن جنسيتنا ـ قبل كل شيء ـ هي : ماضينا ، هي تاريخنـا ، عوائدنا ، تراثنا ، ذكرياتنا • هي : ألفتنـا وضميرنا ، فهي كل شيء تتكون منه (انيتنا) ذاتيتنا ، ولهذا لا يمكن أن نفرغ جنسيتنا من محتواها بمجرد قرار اختياري من ارادتنا • انه لا يمكن لنا أن نبيت ثم نصبح غير عرب ولا قبائل ، لنكون فرنسيين بقدرة قادر » (17) •

وكتبت جريدة « الميدان » تحت عنـوان : حاربوها بسلاحها ، وقاتلوها بنفس العزيمة والقوة وأنا الكفيل بأنها ستضطر الى الخضوع•

---

16 ـ لاديفانصي 26 فبراير 1937 •

17 ـ الحياة السياسية نقلا عن جريدة الأمة 10 ماي 1937 •

نعم ان حركة الكولون ضدنا اليوم قوية ولكن قوتها لا تتعادل الآن مع ما يؤيد حركتنا من عدالة وعقل ، فاذا رغبت الأمة الجزائرية فى وضع حد لغطرسة الكولون وارغامهم على التفكير والتفاهم فما علينا الا أن تقابلهم بنفس السلاح ونفس القوة ونفس العزيمة .. » .

« لقد حصلنا من الحكومة الحاضرة على وعود ، كما حصلنا من الحكومة السالفة ، ولكن هل تبرهن الحكومة الحاضرة عن حسن نيتها ، وقوة سلطتها ؟ فترى لخصومنا الكولون أنها فوقهم ، وتتصرف كما تريد لا كما يريدون . فترضى أمة عظيمة فى الجزائر المخلصة . أم تقف أمامهم موقف غيرها من الحكومات السالفة ــ وهذا ما كان بالفعل ــ فتغضب أمة الجزائر المسلمة التي ان غضبت فى هاته المرة فلن تعود من المخلصين وقاتل الله الكولون ! » (18) .

وهكذا يذهب الأخذ والرد بين الشخصيات والهيئات ، فكل الهيئات الجزائرية ــ تقريبا ــ كانت فى جانب البرنامج مع اشتراط الأحوال الشخصية طبعا . ماعدا حزب الشعب أو شخصيات دينية قليلة فانها كانت بصفة أو بأخرى ضده ، وما عدا الشيوعيين فانهم كانوا فى جانبه بدون شرط أو قيد .

كما كانت ــ من ناحية أخرى ــ كل الهيئات والشخصيات الفرنسية ، ما عدا بعض اليسار الحاكم أو المتعاطفين ، ضد البرنامج كليا . حتى أولئك التقدميون الذين كانوا فى جانب حقوق المسلمين كأمثال (جان ميليا) كما تقدم بيانه .

وهكذا يسقط برنامج فيوليت تحت ضربات اليمين الفرنسي ومكائد الكولون وأنصارهم ، وتنتهي آمال المنظمات الجزائرية المتفائلة الى خيبة مريرة مرة أخرى .

---

18 ــ جريدة الميدان عدد 15 شوال 1356 هـ الموافق 19ـ12ـ1937 م ومن الجدير أن نلاحظ أن هذه الجريدة تعتبر كلسان حال ابن جلول خصيصا وان كانت تصدر بادارة السيد حسن الوارزقي .

وجاءت نهاية التجربة الحاسمة من جهة ، وإذ كانت من أخرى ربطت الماضي بالحاضر والمستقبل ، ويكبح غلـواء المنتظرين من الاستعمار خيرا . اذ بينما تنتهي التجربة بخيبة سياسة المؤتمر الاسلامي وما علق عليه من الآمال الطوال ، لاسيما وقد صادفت تجربة الفترة وجـود « الجبهة الشعبية الفرنسية » على رأس الحكم ، والتي قدمت من الوعود وأعطت من الآمال الشيء الكثير للمقتنعين بسياسة الاندماج .

وكل ذلك بسبب جمود سياسة اليمين الفرنسي وصلابة « الكولون » اللتين جعلتا جميع المشاريع تنهار . وانتهى بذلك تجمع المؤتمر الاسلامي الى التصدع ، بينما يقود كل ذلك الى خيبة مؤلمة ، وتتفجر الحالة على واقع : أن الحياة اذا دبت فى الشعوب لا تخمدها ولا توقفها أية قـوة .

ففي الوقت بالذات ــ وبعد ما قضت أيضا الحكومة الفرنسية بحل نجم الشمال الافريقي نهائيا ــ ظهرت على هذه الانقاض حركة شابة ثورية بمعنى الكلمة ، جاءت لتتحدى الصلف الاستعماري ، وتربط كفاح الشعب الماضي بالحاضر والمستقبل ، تلك هي حركة « حزب الشعب الجزائري » Le P.P.A. التي ظهرت مباشرة بعد التصدع الذي يمكن أن نعبر عنه بالتصدع العام .

التصـــدع

بالرغم من الانتفاضة الواعية ــ أو التي تظهر على الأقل واعية ــ والتي عمت جميع الأوساط الشعبية ، ان بصفة أو بأخرى ، فقد كان رد الفعل الاستعماري أعتى من أن تطاوله كثيرا انتفاضة لا تسندها أية قوة مادية . فتحت ضربات المكائد والمؤامرات والارهاب الاداري ، والتي ختمت بتصريح وكيل وزارة الداخلية (أوبو) الشديد الوطأة ، تحت كل هذه الضغوط بدأ يتصدع الصرح ، الذي بنـاه المؤتمر الاسلامي ، من جوانبه . وظهر فى الهيئات والشخصيات التي كانت عمدة هذا الصرح نوع تصادم فى الأفكار ، وذلك اما بسبب ضعف فى روح المقاومة ، أو بسبب الارهاق الاداري أو التعصب للفكرة أو غير ذلك..

ولم تقتصر هذه الظاهرة على بنية المؤتمر بل تعدتها حتى الى جمعية العلماء وجمعية النواب • فمن ناحية كنا نرى سوء التفاهم بدأ يظهر بين المؤتمر الاسلامي ورئيسه الدكتور ابن جلول بسبب حصول نفور بينه وبين جمعية العلماء ، كما سيأتي بيانه ان شاء الله • ومن ناحية أخرى نرى القطيعة تحدث فى جمعية العلماء نفسها باستقالة الشيخ الطيب العقبي من ادارتها بكيفية صارخة سنذكر منها شيئا فيما بعد •

كما بدأ الجفاء يتسرب بين أعضاء جمعية النواب أنفسهم الذين كان الأمل معقودا عليهم بالدرجة الأولى ، وبدأ الجو يتجهم فى أعين المتفائلين والمنتظرين الحلول السريعة بطريق التفاهم للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية ثم السياسية ، بحسب الثقة التي كانت معقودة على تفهم حكـومة « الواجهة الشعبية الفرنسية » •

ان هذه الخلافات ، وخاصة خلاف الدكتور ابن جلول مع جمعية العلماء هي الحادثة التي كانت ثانية الحادثتين اللتين أدتا الى تفتت التجمع التاريخي فى المؤتمر الاسلامي •

فالى أي مدى سيتطور هذا الخلاف ؟ ذلك ما سنقف عليه فيما يـلي :

الحـادثة الثانية

عفوا لقد التهمتني الحوادث المتسلسلة فانسجمت معها متنكبا عن أكبر حادثة سبقت لجنة البحث البرلمانية ، وتصريح (آوبو) تلك هي حادثة اختلاف ابن جلول مع جمعية العلماء بعد تآلف طويل ، وتصدع الوحدة التي تألفت فى المؤتمر الاسلامي الجزائري ، وتطور هذا الخلاف الأخوي الى أسوأ العواقب .

ولكي نلم بشيء أقرب الى الحقيقة بالنسبة للحادثة ، يحسن أولا ــ أن نرجع نصيبا الى الوراء أي الى صيف سنة 1936 أي بعد رجوع وفد المؤتمر الاسلامي الأول من فرنسا ، ووقوع حادثة اغتيال الشيخ كحول ، واتهام جمعية العلماء فى شخص العقبي وعباس التركي .

ثانيا ــ عملا بما كنت التزمت به من أخذ الحقائق من مظانها يجب أن نأخذ خلاصة الحادثة عن الشيخ عبد الحميد ابن باديس نفسه الذي كان يعتبر الكل فى الكل لدى ابن جلول ، وذلك من خلال بيانه الذي نشره تحت عنوان : « ما لقيته الجمعية من ابن جلول » والذي صدره بقوله تعالى : « ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه ــ الآية (1) .

يقول الشيخ باديس : « حقا ان الزردة التي أقامها الدكتور بقسنطينة وترأسها ودعا اليها ، ونشر عنها المقالات الطويلة أياما متوالية فى جريدة لاديبيش اليومية La Dépêche de Constantine لمتكر طريف وحادث عجيب شغل

---

1 ــ كتاب قال الشيخ الرئيس لمحمد طاهر فضلاء ، ص 129 نقلا عن البصائر ، عدد 43 يوم 13 نوفمبر 1936 .

الناس بما فيه من نكر وما فيه من طرافة حتى كاد ينسيهم كل ما أتى به الدكتور من أعمال ضارة وما سلكه من سبل معوجة •

فلربما حسب قوم أن الزردة هي كل ما تنقمه الجمعية عليه ، ولربما استكثر قوم هذه النقمة على أمر حقير ، اذ ليس بالخطير (2) ولكن الحقيقة خلاف هذا الظن ووراء هذا الحسبان ، وليس من النصح أن تبقى الحقيقة مكتومة عن الناس ، ففي بقائها مكتومة الحيرة والاضطراب والضلال ، وفى بيانها الهدو والاطمئنان وانارة السبيل للعالمين • وها نحن نبينها فى الكلمات التالية مكشوفة دون أي تقبيح أو تحسين حتى يحكم القراء بأنفسهم حكما غير متأثرين فيه الا بالحقيقة المجردة » •

ويقول الشيخ باديس تحت عنوان : كيف كنا معا ؟

« لقد كانت الجمعية مضطهدة من الحكومة ومعاكسة فى أعمالها من أول نشأتها • ويذكر أن ذلك بسبب حركتها العلمية الناهضة المنهضة — ثم يضيف :

« فلما جاءت الحركة السياسية وتقدم رجال أحرار للنيابة عن الأمة ، وكان رجال الجمعية بمحض ارادتهم مع النواب الأحرار فى أكثر الدوائر• لما كان هذا كله — زادت نقمة الحكومة على الجمعية واعتقدت تأييد الجمعية للنواب الأحرار ، ونسبت يقظة الأمة وحسن اختيارها •• الى ما بثته فيها الجمعية من حياة » •

ويمضي الشيخ باديس فيبين أن الحكومة والصحافة الاستعمارية من يومذاك أخذت تقرن اسم الجمعية بهـؤلاء النواب وتخصها بالشطر الأكبر عندما تؤدي أو تكيد • ثم يقول :

« ومن العجيب أن الدكتور كان — دون غيره — ينفس عن الجمعية هذا البلاء ولكنه يحسدها ويكره أن تنشر سمعتها فى الصحف وأن يكون للمنتمين اليها ذلك الأثر فى فوز النواب الأحرار •• وكان كل هذا يبلغنا عن الدكتور ، وكنا لا نلقي له بالا ، حرصا على اتفاق الكلمة ••• وبقينا كذلك الى أن جاء المؤتمر — الذي بـذل كل جهده في

---

2 — لهذه الزردة حكاية طريفة ولواحق أكثر طرافة سنلخصها فيما بعد ان شاء الله •

عرقلته ـ وأبى الله الا أن يتمه ، فقدمناه رئيسا عليه وعلى رئاسة اللجنة التنفيذية (3) .

وبعد رجوع الوفد من فرنسا وقفل هو ورئيس الجمعية الى قسنطينة وخرجت البلدة كلها للقائهما فى يوم مشهود خطب رئيس الجمعية وقال : « ثقوا بالله ـ يخاطب الجموع الحاضرة ـ ثم بأنفسكم ثم برئيس المؤتمر .. وكنا ـ علم الله ـ الى غاية ذلك اليوم ، وبعد ذلك اليوم عاقدين العزم على العمل معه فى ظل المؤتمر الى غاية ما نستطيع » .

وتحت عنوان : كيف افترقنا ؟ يذكر الشيخ أن حادثة الاغتيال هي التي طارت بعقل الرجل وصدرت منه اتهامات للجمعية ما صدرت من أعدائها . ثم لما ألقي القبض على الشيخ العقبي صار يعمل على الايقاع بالجمعية ، وطار الى باريس يحمل تصريحاته التي نشرها بجريدة (مارساي ماتان) Marseille Matin والتي لم يقل مثلها مجتمعة أحد من أعداء الجمعية » .

« وأثناء ذهاب وفدنا للمرة الثانية حاول السيدان طاهرات وابن الحاج اللذين كانا عضوين فى الوفد أن يحملا الدكتور على التكذيب فوعد ولكن مضت الأيام ولم يكذب « ما نشر بجريدة مارساي ماتان » وطلبنا منه بواسطة جريدة الجمعية ـ البصائر ـ وانتظرنا .. وجاء الاجتماع العام للجمعية وقررنا بالاجماع ـ الا الأستاذ العقبي ـ القرار الذي نشر بعدد 39 من البصائر مع تعليق التنفيذ لمدة ثمانية أيام دون أن يكذب » (4) .

وكاتبه اثر تلك الجلسة الأستاذ العقبي بصفة خاصة فلم يستجب ، فنفذ قرار الاجتماع العام واعتبر منذ ذلك اليوم ضدا من أضداد

---

3 ـ هذا يفيد أن المؤتمر الاسلامي كان ثمرة جهود ابن باديس أو جمعية العلماء وحدها دون ابن جلول خلاف ما نقلناه قبل حسبما كان مشتهرا أن أصل فكرة المؤتمر فكرة سياسية وتزعمها ابن جلول على رأس جمعية النواب . **راجع صفحة 449 ـ ج 1 مسوده .**

4 ـ وجدت بجريدة النجاح عدد 30ـ9ـ1936 تكذيبا مقتضبا لابن جلول يقول فيه : ان جريدة (مارساى ماتان) التي قرأتها بمزيد الامعان أثر رجوعي من فرنسا نشرت حديثا لي تحدثته مع صديق ، وقد وردت فيها بعض الأخطاء والأغلاط في هذا الحديث الذي حرك البعض من أصدقائي ، أن يعلق بفكرهم سوى ما نشرته بالبلاغين اللذين نشرتهما صحافة فرنسا وصحافة الجزائر ، ذينك البلاغين الممضين بامضائي .

الجمعية حتى لا يكون لكلامه قيمة ، سواء عند الحكومة أو عند الناس » •

وتحت عنوان : « طعنة من الخلف في أخطر الأوقات » :

يتهم القرار ابن جلول بأنه أمضى تصريحا خطيرا ضد الجمعية حرر له من طرف الادارة بمناسبة ادخال الشيخ العقبي السجن • وكان ذلك الامضاء فاتحة خير له ! •• وفتحت له الأبواب فى كل الادارات ، وصار يتلقاه « البريفي » ــ عامل العمالة ــ ويداعبه حتى من نافذة سيارته (صالي دوكتور) ويصبح الدكتور أحد أو أكبر الخصوم مع ما أعد لمحاربة الجمعية من جمعيات وصحف ، ونـواب كآلات مسخرة •• » •

« •• ولقد كنا على اطلاع بحنقه على الجمعية وعزمه على البطش بها منذ أن عقد اجتماعا لجمعيته وكان من النواب الحاضرين رجل ذو شخصية ولم يعجبه الموقف وأخبرنا • كما علمنا بواسطة أعضاء الوفد الثاني الذين التقينا بهم فى باريس ، ومع ذلك لم نكن نلتفت لأفعاله ولم نكن نلزمه بتكذيبها لو أنها لم تكن فى ظروف صعبة •• » •

ويقول : « لم تزد الجمعية من يوم أيست من رجوعه عن طعنته لهـا ــ على أن أعلنت أمره للأمة وتركت الحكم عليه لها ، ولقد شاء الله أن يكون حكم الأمة عليه سريعا فحكمت باسقاطه من رئاسة مؤتمرها » •

ويمضي ابن باديس يبين بأنه رغم محاولاته مع لجان المؤتمر ليحملها على التراجع عن اسقاطه ، فدعاها الى اجتماع بسطيف فلم يفلح ، ثم دعاها الى اجتماع بالعاصمة ولكنه باء بالخيبة ، ثم يختم البيان :

وبعد فهل أدرك الدكتور حقيقة أمره وشعر بغضب الأمة عليه ؟ فأخذ يتراجع عن غيه ويتدارك من خطته ليعود الى بعض مقامه عند قومه ؟ أم هو لا يزال جادا فى سيره حتى يصل من منحدره الى النهاية » •

انتهى ملخصا من كتاب « قال الشيخ الرئيس « لفضلاء »

***

الزردة الكبرى

كما كنت وعدث بتلخيص حكاية الزردة التي أقامها الدكتور ابن جلول يوم 11 أكتوبر 1936 ، فاني أقدم للتاريخ حكاينها دون تحيز ـ كما هو شأني في هذا الكتاب ـ • فبعد رجوع وفد المؤتمر من باريس يوم السابع والعشرين جويليه (يوليو) 1936 يحمل ـ في الواقع ـ الخيبة كما تقدم بيانه ، ظهر نوع حفاء بين ابن جلول وأعضاء جمعية العلماء ، وخاصة الشيخ باديس ، وكان كلا الطرفين يحمل الآخر مسؤولية فشل المهمـــة •

ثم بحدوث اغتيال الشيخ كحول زاد الجفاء ، ولعبت الظنون • ولما ألقي القبض على الشيخ الطيب العقبي وضح تنافر سافر بين الطرفين ، لا سيما ، وابن جلول ورفاقه من جمعية النواب بدأوا يشعرون أن العلماء قد اندفعوا يتدخلون في السياسة تدخلا سافرا ، وصدرت منهم تصاريح ما عهد بمثلها من جمعية العلماء المسلمين الدينية ، المسالمة المرتبطة بفرنسا ••• معهم !

وبدأ ابن جلول نفسه يشعر بانحراف في الجمعية عن الخطة التي كانت محل اتفاق نظر • ومن أجل اتفاق النظر هذا كان أيد جمعية العلمـــاء المسلمين ضد جمعية علماء السنة والطرقيين • فلما حصلت النفرة ، أو انحرفت الجمعية ، في نظره ، أراد أن يعرب عن غضبه عن الجمعية ـ أو تبرئة منها ـ فقام « بالزردة الكبرى » التي تعرب عن تقربه مـــن « المرابطين » والطرقيين •

والزردة (5) عند الطرقيين عبارة عن تجمع سنوي أو « موسمي » كبير لأهل الناحية بقيادة المريدين « الأخوان » تقام فيه أفراح ، وعبادات • ويطعم فيه الطعام ، وتوزع فيه الصدقات على الفقراء والمساكين ، تقربا الى الله وطلبا لرحمته لينزل عليهم الأمطار ويزيل عنهم القحط وبطول

---

5 ـ الزردة في اللغة مفردة ماخوذة من زرد او ازدرد يزدرد أي بلع اللقمة او بلعها باختناق وبسرعة وهو ما يقع عادة في هذه «الزرد» جمع زردة .

الزمن صارت تحدث فى هذه التجمعات بدع وخرافات واختلاطات لا تقرها الشريعة الاسلامية .

أما زردة ابن جلول فقد كانت بالمعنى الحقيقي « زردة سياسية » أعرب فيها عن تنصله من جمعية العلماء ـ التي صارت وطنية ـ وأعرب عن تقربه من الادارة ، أو بمعنى آخر فهو لا زال على سياسته المعروفة ولم يحد عنها بسبب المؤتمر الاسلامي .

وقد تقدمت هذه الزردة دعاية واسعة فى الجرائد العربية والفرنسية ، وأثناء اجتماعات عامة وخاصة ، وكان يومها يوما مشهودا بالمقبرة الكبرى بمدينة قسنطينة .

وقد تقدم ذلك موقف جديد من ابن جلول فى خطبة تاريخية ، استحسنه بعض وكرهه آخرون حتى بعض زملائه النواب . وانطلقت الألسنة بالمدح والذم . وفيما يلي أنقل ما به الحاجة من مقالات نشرت بجريدة « لاديبيش دو كونسطانتين » La Dépêche de Constantine (6) .

« عقد الدكتور ابن جلول يوم الأحد 27 سبتمبر ـ ايلول 1936 على الساعة الرابعة بعد الزوال ، اجتماعا بالصنوبر « فوق محطة القطار » حضره نحو العشرين ألفا ، وخطب خطبة دفع فيها الشبه التي وجهت عليه من طرف خصومه ، ثم انتقل الى تنبيه العامة الى أن واجب السياسة الأهلية يقضي بالابتعاد عن الأحزاب بقدر الامكان ، وعلى الأقل أن لا يحرض المنخرط العامة على الاقتداء به ... وقال : ان أهم ما تتمسك به السياسة الأهلية هو أن نبقى متمسكين بأحوالنا الشخصية وديانتنا الاسلامية ، مع احترامنا للحكومة والحكام . ثم أعقبه الدكتور اسماعيل الأخضري نائب قالمة ، وابن جامع نائب بلدي بقالمة أيضا .

ولما تم الاجتماع حمل ابن جلول على الأعناق فى شبه مظاهرة ... وفى الاجتماع عرض ابن جلول اقتراحين :

---

6 ـ تعريب جريدة النجاح عدد 1905 ، 30 سبتمبر 1936 .

1 ــ توجيه برقية الى الحكومة الفرنسية بالاعراب عن الولاء والطاعة جاء فيها : « اجتمع سكان قسنطينة فى هذا اليوم فى عدد عشرين ألفا وعزموا على توجيه تشكراتهم الحارة الى الحكومة الفرنسية على حسن التفاتها ومراعاتها لهم ، وهم يثقون ويرجون بفارغ الصبر الوصول الى الاصلاحات التي طلبوها ووقع الوعد بانجازها » .

2 ــ برقية أخرى الى الوالي العام بالقطر الجزائري مفادها : « أن السكان المسلمين بقسنطينة الذين اجتمعوا فى عشرين ألفا بغابة الصنوبر يوجهون الى السيد الوالي العام لوبو (Le Beau) اعترافهم بجميله وثقتهم به على ما أولاهم من المراعاة وحسن الالتفات » (7) .

ومما اقترح في هذا الاجتماع اقتراح للنائب رحموني محمد يقول : أن لا تتدخل الأحزاب في مطالبنا الا بصفة اعانتنا دون ارادة التأثير علينا بأفكارها ، والا فاننا نحاربها » .

واقترح النائب محمد الصالح أمزيان : تأسيس جمعيات اسلامية عوض الأحزاب السياسية وذلك مثل : « تعاهد المنتخبين ــ بفتح الخاء ــ أو « الشبان الخضر المسلمين » أو « جيوش النبي الخضراء » وذلك أحسن وسيلة للاتصال بين المسلمين » (8) .

وجاء بجريدة «لاديبيش» تحت عنوان : « الزردة الكبرى بكدية سيدي عاتي » :

لم تشهد قسنطينة منذ سنة 1886 زردة أو مظاهرة جمعت ما يزيد على خمسين ألفا (50000) من رجال ونساء وأطفال ، كالزردة التي جرت يومي السبت والأحد 10 ، 11 أكتوبر 1936 ، ففي عشية السبت

---

7 ــ النجاح ، عدد 1911 .

8 ــ انها لاقتراحات تدل اما على طيبة نفسية او على سذاجة في فهم العقلية الاستعمارية .

أسرجت المقبرة بالأنوار الكهربائية ونصبت مكبرات الصوت وضربت الخيام ونصبت « الطناجر » ، وقد وقعت حركة ذهاب واياب كبرى بين المدينة والمقبرة .

واذ يدخل الداخل المقبرة يرى جماعات ، جماعات ملتفة اما حول خيمة واما حول مكبر الصوت ، وكانت هذه تذيع قصائد المديح وآيات الذكر الحكيم في سائر أنحاء المقبرة ، ويقدر عدد من غشي المقبرة في هذه الليلة بثلاثين ألفا .

وصبيحة الأحد انعقد موكب أمام الجامع الكبير شارك فيه الاخوان والمقاديم ومشائخ الطرق الصوفية ، وتلاميذ الكتاتيب القرآنية . وكان هذا الموكب يضم نحو العشرين ألفا ، ثم توجه الى المقبرة حاملا الرايات التي كانت تصفقها الرياح ، والأذكار تتصاعد الى عنان السماء وتتخللها نغمات « الزرنة » وأصداء البنادير .

وبعد أن يعطي الكاتب وصفا شاملا للاحتفال ، بما جرى فيه من قراءة ودعوات وأناشيد ، وما قدم من اطعام للفقراء والمساكين يقول : وحوالي الساعة الحادية عشرة قدم السلك الاداري وهو يتركب من السيد (بوفي) عامل العمالة وم ـ لياقر شيخ المدينة ، وأعضاء المجلس البلدي ، والجنرال روشار وياوره الخاص .

وقد تلقاهم بمدخل المقبرة الدكتور ابن جلول والسيد صالح أمزيان والشيخ المفتي ومشايخ الطرق الصوفية والمقاديم ، فطافوا بهم المقبرة وأطلعوهم على جوانب الحفلة ، وحوالي الساعة الثانية عشرة انصرفوا الى المدينة راجعين (9) .

لقد سبق أن قلت قد تقدمت هذه الزردة دعاية واسعة وكتبت مقالات في مختلف الصحافة الجزائرية ، ولكي أعطي نظرة عن هذه الحملة أنقل فيما يلي شدرات ، أو وخزات مما قيل وكتب :

---

9 ـ النجاح ، عدد 911ـ14 اكتوبر 1936 .

جاء في جريدة النجاح عدد 1906 ــ 1936/10/2 نقلا عن لاديبيش القسنطينية الاستعمارية : اجتمعت «لجنة المساكين» (10) أمس في مركزها العادي تحت رئاسة الدكتور ابن جلول ، واجابة لرغبة سكان قسنطينة التي أبدوها آونة المظاهرة ــ الاجتماع ــ التي أقيمت بغابة الصنوبر يوم الأحد الأخير ، وقع العزم على اقامة زردة كبرى بالمقبرة الاسلامية ..

وفي العادة أن تسبق يوم الزردة أفراح دينية ، وهي عادة قسنطينية قديمة ، انما الأزمة الضاربة اضطرت الناس الى تناسيها ... وبعد أن ينوه بالرجال الذين قاموا بتحضيرها ، يذكر شيئا من مقال نشر قبل يبين أغراض الزردة الحميدة وفوائدها ، والأفراح التي كانت تقام فيها ومشاركة المتبرعين لاقامتها ... الخ .

وفي العدد 1908 من النجاح نشرت بيانات تاريخية عن الزردة ، وبأنها عادة محبوبة لدى السكان ، ويذكر سبب أحداثها أول مرة في التاريخ ، وهو تكريم الوالي الصالح «سيدي عاتي» الذي سميت المقبرة باسمه « مقبرة كدية سيدي عاتي » : ومن أجل كل ذلك فالجريدة تتوقع اقبالا عظيما ونجاحا كبيرا لهذه الزردة .

ويتدخل رئيس تحرير النجاح الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي ، وهو رجل من خيرة الناس ، بافتتاحية بعنوان : اجتنبوا كلكم هذه الأحزاب ويلاحقها بمقال آخر يدعو الى العمل بـ « لا افراط ولا تفريط » ويضرب مثلا بالرسول صلى الله عليه وسلم في أخذه دائما بالوسط ، فالتوسط في الأمور سفينة النجاح . ثم يدعو لعدم التفرق ، فالأحزاب سبب للنزاع والتفرق . ولا تنازعوا فتفشلوا ...

وهكذا تنفصل عن هذه الحملة « الخرافية الزردوية » حملة أخرى يمكن أن نسميها « اصلاحية علامية » تنديدا بالرجل ، لتقابلها ردود فعل جلولية أيضا .

---

10 ــ هذه الجمعية من منشآت ابن جلول الاجتماعية وينفصل عنها « ميتم سيدي مبروك » .

وقد قرأنا من الحملات الاصلاحية فيما تقدم شيئا غير قليل . ومن الحملات ضد ابن جلول هذه القصيدة الهزلية التي نشرت بجريدة « النديم » التونسية بامضاء «مهذار» أثبت منها ما يلي :

خلق الله للحروب رجالا ورجالا لقصعة من ثريد
والى زردة ابن جلول لما قال هيا لزردتي يا مريدي
اتبعوني الى القبور فاني سوف القي من الكلام المفيد
هذه زردتي طعام لذيذ او لم تاخذوا براي السديد ؟!
فكلوا واشربوا ولا تخذلوني فرجائي ان تتبعوا كالعبيد
قلت يايها الحكيم تمهل واعدني ان لم تكن بالعنيد

الى أن يقول :

كنت بالامس بينهم كحبيب وخطيبا وسائرا كالرشيد
فلم اليوم انت تبعد عنهم وتنادي بزردة من بعيد ؟
. . . . (12)

ونجد مقالا بجريدة الميدان تحت عنوان « زعيم الجزائر الدكتور ابن جلول فى نظر التونسيين » نقتطف منه ما يلي :

« تكاثرت الأقاويل فى مساعي هذا الحكيم ، فهناك من يقول انه الرجل الفرد الناهض بأمته والسالك بها سبيل الرشاد سواء فى حياتها العلمية التي أسس لها مدارس قرآنية بغالب الجهات التي كانت تجهل العربية من أصلها ، مثل مدرسة السلام التي يديرها أحد عظماء خريجي المعهد الزيتوني المعمور من قدماء تلامذة المدرسة الخلدونية المشهورة بعاصمة تونس ألا وهو الأستاذ الشيخ محمد الشريف بن الطاهر الصائغي شريف النسب ...

وبعد أن يعدد أعمال الدكتور فى الحقول العلمية والسياسية والاقتصادية يقول: أما من يقول بأنه خائن أو حكومي فان كانت الأولى فلماذا يا ترى؟

---

11 ـ النجاح ، عدد 1908-1910 .

12 ـ هذه الابيات نقلتها عن صديق لي في قسنطينة وهو الأخ الدراجي تليجان الخياط .

فان كانت لطلب المال فخدمته الحرة ـ الطب ـ تغنيه عن ذلك . وان كانت لطلب جاه فجاهه عند الحاكم والمحكوم عظيم . وان كانت الثانية فهو أدى بسياسة الحكومة التي يطلب منها طلب لين ورفق بعض حقوق صالحة بأمته فى هذا العصر . والفاعل لمثل هذا اذا لم يشكر فلا يذم ... » (13) .

وعلى رأي بعض المطلعين اذ ذاك فان ابن جلول أراد أن يظهر تنصله الفعلي من جمعية العلماء التي أصبحت متهمة بالوطنية وتلك لعملية تكتيكية بقصد استجلاب النظر اليه من جهة ، ولا يناس الادارة والحكومة الفرنسية بآرائه المعتدلة من جهة أخرى . فتتحصل جمعية النواب على موافقة البرلمان الفرنسي على برنامج « بلوم ـ فيوليت » .

و ـ يضاف الى ذلك أشمئزاز ابن جلول من الشيوعيين الذين ظهروا فى المؤتمر الاسلامي كعضو بارز وقائد ، فاتخذ اليمين الفرنسي ذلك حجة على ان جميع الهيئات المشاركة فى المؤتمر قد انجرت فى طريق الشيوعية ، فما كان من ابن جلول الا أن يعلن تنصله أيضا من الشيوعية فى التصريح الآتي :

« لا أريد أن أخوض الآن فى التعاليم الشيوعية من حيث هي ، ولكنه لا يمكنني ابتداء من الآن أن أرضي بالشيوعية الموجودة ، ولا بسلوكها فى الجزائر ، وذلك أولا ـ لان موقف الماركسية العام مضاد لجميع الأديان ، ونحن فى الجزائر تتمسك بديننا الاسلامي وتفضله على كل سياسة . وثانيا ـ لأن الماركسية تؤيد « القومية الجزائرية المزعومة » ! التي لا وجود لها والتي تكون ، حسبما يظهر لأعيننا ، خطرا كبيرا على مطالبنا فاذا كانت الشيوعية صديقة للمسلمين حقيقة ... فان أحسن وسيلة لاقامة البرهان على هذه الصداقة أن تضع حدا لدعايتها بالقطر الجزائري ... » .

---

13 ـ صحيفة الميدان ، عدد 23 ، 19-12-1937 .

وبعد أن يبين ان الأغلبية العظمى من ستة ملايين نسمة من الأحسن أن تمكن لها الوسائل لتكون فى حالة تسمح لها بالدفاع عن نفسها وأن يعجل لها بالحماية والوقاية ، يقول :

« ان الوسيلة الحسنى والطريقة الوحيدة هي اجابة المطالب التي قدمها النواب المنتخبون بأنفسهم » •

ويقول : ان هذه الاصلاحات التي ستنال عن قريب تؤدي الى الحاق ستة ملايين من الفرنسيين المسلمين بالعائلة الفرنسية ، ويصح أن يقال حينئذ من الوجهة الدولية : ان سكان فرنسا 47 مليونا • وهذا أمر لاشك أنه سيستأصل جميع المطامع » (14) •

ولربما ومن أجل ذلك ظهر فرحات عباس ــ هو الآخر ــ الكاتب والخطيب المفوه لجمعية النواب القسنطينية بتصريحاته المثيرة بجريدة « لانطانط » (L'Entente) التي تذهب فى التقرب الى فرنسا حتى لحد انكار وجود الأمة الجزائرية وربط الجزائر بفرنسا الى الأبد •

هكذا تتباعد جمعية النواب من أصدقائها بقصد نجاح مطالبها ، ورغم ذلك ، وتحت ضغوط الكتلة الاستعمارية وحملة استقالة رؤساء البلديات فى الجزائر الذين يمثلون الركيزة الاستعمارية ، سقطت حكومة بلوم ــ حكومة الجبهة الشعبية ــ ورفض البرلمان الفرنسي برنامج بلوم ــ فيوليت الذي هو برنامج الحكومة الشعبية ، لأنه رأى فيه تساهلا كبيرا ــ رضوخا لرأي المستعمرين ــ نحو الأهالي الجزائريين ، تساهلا ربما يجرهم ويشجعهم على الانفصال عن فرنسا •• !

وكان لهذا الموقف المتعجرف استياء كبير ، لاسيما فى جمعية النواب التي تساهلت حتى لدرجة أسقطت سمعتها لدى الشعب ، فقام رد فعل كبير دعا بعده ابن جلول جميع النواب الأهالي الى الاستقالة من نياباتهم

---

14 ــ النجاح ، عدد 1900 يوم 18 سبتمبر 1936 بعنوان : وفد اسلامي جزائري ببناديس .

المختلفة احتجاجا على موقف البرلمان . وهاجم ابن جلول فى هذا الظرف الادارة الفرنسية هجوما عنيفا ليرد به ماء الوجه .

وقد استجابت لدعوة الاستقالة أغلبية من النواب قدرها بعض الكتاب بما يناهز أربعة آلاف نائب (4000) أكثريتها من القطاع القسنطيني لكن بعد تأكيدات من الحكومة بأن البرنامج سيبحث فى البرلمان ، رجع النواب عن استقالتهم أوائل سنة 1938 .

انما الخلاف بين الهيئات بقي يتفاقم وينتشر ، ونجد من ذلك فى جريدة الأمة عدد 11 مارس 1938 (لسان حال حزب الشعب) ما يلي :

« ان المؤتمر الاسلامي — فى 7 جوان 1936 — قدم برنامج مطالب الى الحكومة .. ويوم 26 جانفي — يناير — 1937 حل حزب النجم ، ولاشك أن هذا هو أول مطلب من مطالب المؤتمر ينفذ .. !

وتضيف الجريدة بسخرية : بعد تقديم برنامج المطالب الذي يتوافق مع برنامج فيوليت ، فالسطالينيون قاموا بحملة (طام — طام) كبرى وفى شهر مارس ذهب وفد المؤتمر الى باريس . والسطالينيون اعتقدوا بأنهم يمكن لهم الاتفاق مع « المرابطين » ، والراديكاليين ، و « عيساوه » والكاثوليك .. !

وتضيف الجريدة : وفى جويلية « تموز » 1937 اجتمع المؤتمر الثاني بنادي الترقي تحت حركة الشيوعيين ، فى حين أن رئيس المؤتمر قد استقال ولم يقع المؤتمر فى المستوى المرغوب ، بحيث يكون مشتملا على جميع الاتجاهات فى الجزائر .

وهكذا ضرب الخلاف حتى جمعية النواب نفسها ، فتقاعس عنها بعض الأعضاء ، منهم فرحات عباس الذي بدأ يظهر ولاءه لجمعية العلماء طامحا هو الآخر الى الاستقلال بحزب تحت زعامته . وهكذا يقع التصدع فى التجمع الذي وقع فى المؤتمر الاسلامي ثم التفتت النهائي .

لم يقتصر الخلاف على ضرب الهيئات فى اتحادها مع بعضها فحسب ، أو اقتصر على ضرب جمعية النواب بنجوم خلاف بين أعضائها ، بل تعدى الى جمعية العلماء المسلمين نفسها ، فانفصل عنها ، بكيفية صارخة الشيخ الطيب العقبي ، كما تقدمت الاشارة •

والماما بحادث التصدع فى جمعية العلماء ، نقل جدالا وقع بين العقبي ورئيس الجمعية الشيخ باديس ، وكثير من الأعضاء أثناء الاجتماع العام الذي وقع يوم 24 سبتمبر ــ أيلول ــ 1938 • فبعد خطاب الترحيب أو التقرير الأدبي من الرئيس ابن باديس ، وبعد قراءة التقرير المالي من طرف الشيخ مبارك الميلي ، الذي كان يقاطعه العقبي المرة بعد الأخرى طلب هذا أن يلقي كلمة بصفته عضوا اداريا ــ كما تقول الجريدة (15) فقال الرئيس : بعد قراءة التقريرين الأدبي والمالي انتهت مهمة المجلس الاداري القديم فمن كانت له كلمة فليتقدم لالقائها كعضو عامل • وبعد قراءة رسائل وبرقيات بواسطة الشيخ العربي التبسي ، الذي قاطعه العقبي أيضا بقوله ، كيف تريد أن تتكلم وقد عزلك • ــ يريد الرئيس • قلت وبعد قراءة رسائل وبرقيات وقف الشيخ الطيب العقبي فقــال :

أيها الاخوان ! بالأمس حشروني بين الخطباء ، وما كنت أريد الكلام واليوم كنت أريد أن أتكلم كعضو اداري ولكن الرئيس عزلني فأنا أسجل احتجاجي • سأقول لكم كلمة ليست كدرس علمي وانما هي فى صميم جمعية العلماء وعلاقتي بها « ؟ ! » جمعية العلماء لم تكن العقبي وانما كونها العقبي وأمثاله بالمباديء والدعوة •

لقد كنا نعمل فرادى حتى هبت سانحة رحمة فكان تأسيس جمعية العلماء في الجزائر وفي هذه المدينة **التي هي فرنسيـة رغم انف كل واحد وكل مكابر منذ مائة عام ، فرنسية خاضعة**

---

15 ــ البصائر ع 135 يوم 20 شعبان 1357 هـ الموافق 14 اكتوبر 1938 م •

لقوة فرنسا ولقوانين فرنسا كيفما شاءت « ولتشهدوا أيها الجواسيس الرسميون وغير الرسميين !! » (16) .

« تأسست جمعية العلماء علمية دينية لا غير ولكن أعداءها كثرت أصنافهم وتنوعت مكائدهم واتحدت مقاصدهم فى القضاء على الجمعية . فأولوا بعض اجراءاتها بما هي بريئة من مقصدها وبعيدة عن ارادتها ، ولكن كنت – دائما – معارضا لها ، وفى اعتقادي ان البلاء قد انصب على جمعية العلماء من بعض اجراءاتها ، أولها المضادون لها بصور غير لائقة ، وكم كنت أتألم لمثل هذه الاجراءات ، وكم كنت أحذر وأنذر – فانني أعلم كثيرا مما لا يعلمون – » .

ولكنها كانت تقع رغم أنفي لأن الأغلبية كانت على خلاف رأي ، وأخيرا فانني أصرح بأنني ما عدت أحتمل مثلها . وقد قام بسبب ذلك خلاف بيني وبين الأعضاء وقد اجتهدت أن أقنعهم برأي ولكن لم أستطع .

وتعلق الجريدة – بين جرتين – : وهنا طلب منه الأستاذ ابن باديس ، وأيده كل أعضاء المجلس ، شرح نقطة الخلاف ولكنه قال أن ذلك ليس باستطاعته الآن ، وانه يؤجل الى عشية الأحد . واستمر على الكلام » :

« وأصرح لكم – أيضا – بأنني لا أستطيع الاستمرار على العضوية فى الجمعية ، وأنه لا يقبل انتخابهم له بحال من الأحوال » .

وتضيف الجريدة : وهنا قام لغط من السامعين وقام له شيخ ذو لحية وهيئة وقورة وقال : « عار عليك يا شيخ ! عار عليك الفرار ، عار عليك الانهزام » وزاد تأكيد الأستاذ والأعضاء بشرح نقطة الخلاف وأيدهم في هذه المرة حتى الأعضاء العاملون .

والظن ان الشيخ أخذه غضب شديد اذ ذاك ، لأنه صار يقسم جزافا . أنه لن يقبل العضوية وانه لو انتخب لما تردد فى الاستقالة على لسان الجرائد .

---

16 – تعلق جريدة البصائر فتقول : لا نذكر هاته العبارة في حديث الشيخ الطيب ، وقد تكون تعليقا من الكاتب ، أو تصريحا بتلويح .

ولما كثر الالحاح بشرح الخلاف فاه بقوله : انني لا أستطيع أن أتكلم فى نقطة دام جدالنا فيها من الساعة الخامسة الى الساعة الثامنة . أما اذا واعدتموني بالحضور الساعة السابعة مساء الأحد فاني سأكشف لكم « فضائحها » فى ثلاث أو أربع ساعات . فوقع لغط من الجميع » .

وتضيف الجريدة : قام على اثره الأستاذ ابن باديس وقال : أما أنا فاني أستطيع كشف هذه الفضائح من الآن : « جاءت الايعازات من جهات « باش نقول كلام » أي لنقول كلام المتملقين ونشاركهم فى تقديم فروض الطاعة ، وعبارات الود والاستسلام ، فى الوقت الذي نحن فيه غير ثائريين ولا عاصين ، ولقد قلت وكررت مرارا لاخواني انني لا أستطيع حشر نفسي فى زمرة هذه الفئة . ان ضميري يأبى هذا ، انه لا يطاوعني وأنا أرى الأمة فيما هي فيه : العلم يطارد والدين يحارب فالمساجد موصدة والمدارس مغلقة والتعليم يخنق ـ أن أتملق مع المتملقين ، وأطبل وأزمر مع المطبلين والمزمرين . هذا شيء لا أستطيعه ولو بقطع رأسي » .

فقام الشيخ العقبي من بعده واستهل الكلام بنفي التملق عن نفسه ولعن المتملقين ، وتبرأ فى عبارة غير لائقة : أن يكون « .... » لغيره . ثم حذر الجمع وهول عليهم أن يصيبهم مثل ما أصاب قوم تونس وقوم المغرب . وقال : « ان رأسه هو معرض للخطر وأنه سيحاكم أمام مجلس (الكوركريمنال) مجلس الجنايات . وانه يخاف على نفسه وأولاده » .

وبعد أن يصرح العقبي ان البرقية موعز بها من طرف أحبابنا وليس فيها ما يخل بالشرف ، تقول الجريدة : أحرجه الأستاذ العربي التبسي بسؤال هو : لقد أبى ابن باديس امضاء البرقية فبعثنا اليك لتمضيها ولكنك أبيت حتى الحضور ... وأجبت انني لا أتحمل المسؤولية . فأنت اذن تعلم أن هناك مسؤولية وماذا تريد من التخلي عنها والقائها على عاتق غيرك ؟ ... » .

ثم تذكر « البصائر » كلمة ألقاها الشيخ عبد الحميد خلاصتها : « اننا لسنا فرنسا ولكننا مع فرنسا ولسنا ضدها ، وليس ضد أي جنس بشري . فالاسلام هو الذي يقودنا فى عدم العداوة لأي أحد ، ولكن لن

نكون آلة فى يد أي أحد أجنبي ... لقد كتبنا مرارا وخطبنا اننا لسنا ضد فرنسا ولكن ليس بايعاز أحد ... » .

وتضيف الجريدة : ثم جاء دور العمودي وأيد نظرية العقبي وقال أنه أول مضحي وأول منكوب لجمعية العلماء ولا أزال أخدمها . وقال : حقيقة ان هناك ايعازات بارسال البرقية ولكن من البقية الباقية من أحبابنا الفرنسيين ثم قرأ نص البرقية وقال انكم ترون أن أغلبها فى صفة احتجاج ...

وقام صخب كبير ونهض العقبي فقال مدافعا عن نفسه مثل الكلام المتقدم، ثم قال : انني أدعوكم عشية الأحد الساعة السابعة مساء لأكشف لكم فضائح . فتعالت الأصوات من كل جهة : « لا ... لا ... لا نريد أن نسمع ... عند ذلك قال فى يأس وقنوط : اذن فسأتكلم فى الجرائد ، أو أخرج عددا من جريدتي « الاصلاح » (17) .

جمعية العلماء على مائدة التشريح (18)

وفى فترة الجفاء الذي وقع بين ابن جلول والشيخ باديس ، بصفه خاصة ، وجمعية العلماء بصفة عامة كتبت صحيفة الميدان تحت العنوان أعلاه مقالة طويلة شديدة اللهجة ، قبيحة الألفاظ ، أنقل منها ما يلي بمعناه لا بألفاظه .

« لا يؤلمنا اليوم أن ننشر للأمة الاسلامية فضيحة جمعية العلماء التي أتت من أعمال المخالفات باسم الدين ، ما يشوه وجه الاسلام الشريف . ونعني بالفضيحة غير التي نشرت بالبصائر لسان حال الجمعية بعدد 88

---

17 ـ لقد بينت الحوادث بعد أن الشيخ العقبي ـ سامحه الله ـ أفشلته حادثة الاعتقال والمحاكمة ولم يستطيع أن يتحمل بعد ذلك ، ولو قسطا صغيرا ، من ضغط الادارة الفرنسية الاستعمارية ، وسيأتي لنا ذكر حادثة وقعت لوفد كنت أحد أعضائه كان حادثه في مسألة الانضمام الى التجمع الذي وقع في حركة « أحباب البيان والحرية » وقد ذهب الوفد اليه يستفسره عن عدم حضور المؤتمر ، وذلك سنة 1945 كما سيأتي لنا في ابانه ان شاء الله .

18 ـ جريدة الميدان عدد 23 ـ 19 ديسمبر 9137 ـ أذكر بأن جريدة الميدان هي في الأصل لابن جلول ولكن تصدر باسم الوارزقي .

فى شخص (الجنان) ، ولكن نعني الفضيحة الكبرى التي جعلت الأمة الاسلامية العربية كلها فى الجزائر تتبرأ من الجمعية زارعة الفتن وأصل كل شقاق وخلاف وبلاء ...

وبعد ما ذكر الكاتب أعمال الجمعية « السيئة » المتمثلة فى أعضائها ، وهزوء الأمة قاطبة بها ، أردف : فقد تأسست الجمعية منذ سنتين ، ولعدم النضوج ... لم تعرف ما تفعل ، فعوض أن تعمل للاصلاح الذي تدعيه عملت للافساد ... ويذكر خلافها مع الطرقيين واساءتها اليهم ثم يقول :

« وبعد انهزامها وانفضاض الأمة من حولها أدارت وجهها الآخر وتمسكت بأذيال نواب الأمة الأحرار علها تسترد ما أضاعت من سمعة واعتبار ، وأرادت أن تستغل أيضا سمعة زعيم الأمة الوحيد الدكتور ابن جلول فضربت على الوتر الذي تهواه الأمة قاطبة ، وهو تأييد حركة زعيم الأمة الوحيد الدكتور ابن جلول ، فسارت معه تؤيده وتظهر له من العطف والولاء ما لو انخدع به لوقع فيما لا تحمد عقباه . ولكن الزعيم الجليل أكبر من أن يخدعه قوم ... موتورون ... وعندما أيقنوا أن لا سبيل الى استغلال سمعة ... ابن جلول وجعله يعمل تحت نفوذهم ... ثم جاءت مناسبات أطلع فيها على خفايا أثيمة ... فألقى بهم الى الأرض ... وشعروا بالهزيمة والخيبة أيضا ... فعمدوا الى محاربة الدكتور ورموه بكل نقيصة ووصفوه بالخيانة والخبث ... حتى كتب رئيس الجمعية فى شهابه يصف الزعيم المقدام بالجبان الرعديد الذي يتخلى عن الأمة فى أوقات الشدة . وأنه لحمق ... اذ الانس والجن وجميع المخلوقات يشهدون أن الدكتور محمد الصالح ابن جلول أشجع رجل فى الأمة الجزائرية فى هذا العصر ، وحتى رئيس جمعية العلماء يشهد بهذا ، وقد خطب بنادي الاتحاد يوم عاد من باريس فقال بصوت عال :

يا اخواني هل تثقون بي ؟ ... ثقوا بالله ثم برئيسكم ابن جلول الفحل الصنديد الذي لا يقاوم . وأخذ يعدد أعماله ويذكر شجاعته واقدامه النادر ، ثم ما لبثنا أن قرأنا الشهاب فوجدنا رئيس جمعية ... العلماء يزيل بيسراه ما خطته يمناه ... » اهـ .

اما حركة نجم الشمال الافريقي

هاته الحركة التي حلتها حكومة الجبهة الشعبية فى مفتتح سنة 1937 كما تقدم وقام على أنقاضها « حزب الشعب الجزائري » فانهما لم يتدخلا فى هذا النزاع ولكنهما مضيا فى خطتهما المبنية على المطالبة بالحرية والاستقلال للجزائر ، ورفض كل حل يؤدي الى اندماجها واندثار شخصيتها الاسلامية العربية ، هذه السياسة التي كانت جميع الهيئات والشخصيات الجزائرية تعتبرها خيالية وقلة نضوج ، بل تنعت أصحابها بالمجانين ! فكانت كلها تناصبها العداء ، ولو ظاهرا فى أحسن تقدير ، لما يحيط بمن اتهم بها من خطر .

والطرقيون ايضا في :

مؤتمر جامعة اتحاد الزوايا والطرق الصوفية

ولكي نحيط بمجمل الحوادث فى هذه الفترة القلقة ونستكمل الكلام فيها عن حركة الطرقية ، يجب أن نشرح أيضا بعض الجوانب الاخرى عن هذه الحركة التي لها أتباعها وخطتها ، ولها قيمتها وخطورتها على كل حال . بما انضم لهذه الحركة من أتباع وأنصار من المحافظين ، والطبقة الثرية ، وبعض كبار الموظفين المسلمين .

وقد تقدم أن أشرنا الى أن هذه الحركة الدينية المناهضة لجمعية العلماء المسلمين ، بصفتها التقليدية ثم باعتبارها خليفة « جمعية علماء السنة » كانت قاطعت هي الأخرى المؤتمر الاسلامي وحاربته ، وان كانت موافقة مبدئيا على برنامج فيوليت كما تقدم بيانه ، فهذه الحركة كانت قابلت رجوع وفد المؤتمر الاسلامي من فرنسا خائبا ، ثم وقوع التصدع بين رئيسه ابن جلول وجمعية العلماء بارتياح كبير ، ووجدتها فرصة مواتية لنجاح دعوتها ضد جمعية العلماء ... الملحدة ... المدجلة باسم « الاصلاح الديني » لتهديم الدين ، وبالعلم لمجرد الظهور . و لانتزاع الحظوة الشعبية بقصد انتزاع القيادة الدينية من أصحابها التقليديين ، حبا للسيطرة وجمع الأموال ... !

وهكذا نشطت حركة أثناء سنة 1937 لجمع الأنصار من جديد على نطاق واسع ، وعقدت كما تقدم ــ مؤتمرها الثاني عام 1937 . وما ان حل شهر ربيع الأول عام 1358 هـ ــ 1939 م حتى عقدت مؤتمرها الثالث باسم « جامعة اتحاد الزوايا والطرق الصوفية » وحضرته شخصيات كبرى من الوطن ومن خارج الوطن ، مثل المحدث الكبير الشيخ عبد الحي الكتاني ، ومولاي حامد الادريسي والأستاذ عبد الكبير من المغرب الشقيق ، ومثل الشيخ العلامة الأستاذ الفاضل ابن عاشور ، والشيخ التبريزي بن عزوز من تونس الشقيقة والسيد أمين حسنين من مصر . ورؤساء الزوايا ومشائخ العلم والشريعة من قضاة ومفتيين وأساتذة ومرشدين . وموظفين كبار من باش أغوات وقياد ... الخ كما حضر ممثلو الصحافة القطرية . حتى طأطلق عليه بعضهم « مؤتمر الشمال الافريقي » مثلما أطلق عليه أضدادهم « لمؤتمر الاستعماري » .

وانعقد المؤتمر تحت رئاسة الشيخ مصطفى القاسمي ، رئيس زاوية الهامل ، الفعلية ورئاسة الشيخين عبد الحي الكتاني والفاضل ابن عاشور الشرفية . ورغم هجوم جمعية العلماء بمناشيرها وجرائدها ... متهمة المؤتمر بأنه أقيم بأموال « الكولون » وتحت سلطتهم ، فقد كان خطباؤه أكثر تعقلا وخلاف ما كان متوقعا من هجوم على جمعية العلماء بالمثل وأكثر . فقد ضرب خطباء المؤتمر ــ الا القليل ــ ، وقد يكون هذا لخطة مرسومة ــ على وتيرة واحدة فى الدعوة الى الاتحاد ونبذ الشقاق .

ومما جاء فى خطاب للشيخ أبى عبد الله البوعبدلي شيخ زاوية (أرزيو) بطيوه ناحية وهران ، وقد بعثه بصيغة رسالة ، وألقي عنه بالنيابة وكان من أبلغ الخطب التي ألقيت فى المؤتمر :

...« أما بعد فانني أهدي التحيات المباركة الطيبة محفوفة بكل اجلال واحترام الى المحترم الجليل سيادة الشيخ مصطفى القاسمي رئيس جامعة المعاهد الدينية وشيوخ الزوايا ، باعتبار مولويته رئيسا وواسطة عقد ذلك الفريق الثمين . ثم أحي فى شخصه جميع رجال الجامعة الأجلاء .. خصوصا الأقطار الشقيقة الممثلة فى ذلكم المحفل الرهيب ...

وبعد أن يعتذر عن الحضور بسبب عجزه ومرضه يقول : فأرجو أن يوفق رجال العمل أن يعملوا فى محيط الاسلام الشامل كل طائفة من طوائفه وكل فريق ، بعد طرح ما خيل لهم الوهم أنه فوارق ومميزات خصوصا فليس الظرف ظرف تحيز طائفي ، ونقد جزئيات أعمال ، ما دامت بحيث يصح لموصوفها أن يقول الله ربي والاسلام ديني ومحمد صلى الله عليه وسلم قدوتي •

« فالظروف تحتم على الأمة تمتين ربط الأخوة وتوثيق عرى التعاون واحكام بناء التناصر ، لا أمام جيش واحد ، بل مجابهة جيوش كثيرة متباينة أساليب الحروب ، أشدها بأسا خميس الجهل العرمرم الملقي على الأمة بكلاكله يجوس خلال الديار ، يتخطف أبطال القوم ويجردهم من ملابس مجدهم الأمثل ، مجرعا لهم من رحيق الهوان ما يتجرعه المرء ولا يكاد يسيغه •• » •

وبعد أن يذكر الأسباب التي ضيـع بها المسلمون عزهم كما مثل (بالأرناأوط) الذين فقدوا عزتهم هم والعثمانيون الذين تحاربوا على الانفصال والتفرق يضيف :

« أما آن لنا أن نتعظ ونترك قبيح التجافي وممقوت الشقاق ؟ • يأبى الشرع وتأبى المروءة وعوالي الهمم أن ترى طائفتان يربطهما من روابط الايمان والاسلام والقومية والعوائد واللغة والوطن ، ما يعجز الليالي والأيام عن فصمهما ، تتلذذ الواحدة منهما بشقاق الأخرى •

« يأبى الشرع وتأبى المروءة وعوالي الهمم وتأبى الظروف أن يستمر انشقاق الأمة ، يتفنن الفريق منها فى الصاق النقائص بالآخر بعد الامعان فى تجريده ما استطاع من كل فضيلة وتصويره أمام الهازيء بالفريقين فى صورة غير انسان ••

والخطاب طويل وغني بالمواعظ ، ويفيض بمعالم الاخلاص والوطنية والصلاح (19) •

---

19 — جريدة الرشاد عدد 42 يوم 2 ربيع الثاني 1358 الموافق 22 ماي 1939 •

ومما ألقي فى المؤتمر خطاب وقصيدة للمرحوم الشيخ حسن أبي الحبال مفتي مدينة بجاية اذ ذاك • فبعد أن يبين أنه يحب الاصلاح وليس بمصلح وانه صوفي وليس بطرقي يشرح فيقول :

ولقد تتبعت سيرة جماعة من الصوفية فكان من أخص مميزاتهم المحافظة على السنن ومحاربة البدع • وهذا القاسمي — وهو رئيس جماعة الطرق — يصرح هو وخطباء حفله بوجوب الدعوة الى الاصلاح ومحاربة المنكر فهذا ما جعلني أحب الاصلاح الحقيقي الذي لا يخالف ظاهره باطنه ، فأعلاه مثمر وأسفله مغدوق •

وأما كوني غير طرقي فذلك لأن أقواما سلكت بنيات الطرق وترهاتها وأسمتها طريقا ، فأصبح التصوف عندهم عبارة عن أمور أتحاشى ذكرها لا يخفي أمرها ولا يحتقر شرها ، فيجب الاعتراف بضلالهم والانكار عليهم والرجوع بهم الى الجادة •

وأما كوني غير اصلاحي أيصا فالمعنى الذي أعتقده دخلاء العلم من سوء الظن بالمؤمنين وهتك الأعراض بالأغراض وتفريق كلمة المسلمين بالمسائل الخلافية •• فهو فى الحقيقة افساد ؛ وتسميته اصلاحا من تسمية الأضداد •• ثم يقول : فذلك ما جعلني غير طرقي ، وهذا ما جعلني غير اصلاحي • ثم يأتي بالأبيات التالية من قصيدة له طويلة قال أنها بلغت أكثر من خمسمائة بيت ومنها :

على انني مهمـا جمعت مبالغـا	فـحكمي عـلى مجموعهم لا اعمـم
ففي الأرض من اهل التصوف معشر	بهـم يصـلح الله الانـام ويرحـم
وفي الارض من اهل العلوم ائمـة	لارشادهـم وجـه الحقيقة يبسـم
تعلمـت الحـق الصريح وعلمـت	وكـانت مثـالا يقتـدي فيقـوم
هـم زينـوا الدنيا باحسن سيـرة	وهـم عطـروا ارجاءها فهي تنسم
((اولئك آباءى فجئنـي بمثلهـم))	والا فما الدعـوى التي لا تسلـم
فما كنت للاصـلاح ضدا وانمـا	اعـادي فسادا لقبوه فاوهمـوا
وما كنت ضـدا للتصـوف انه	طـريق ـ ورب العـالمين ـ مقـوم

... الخ ... الخ •

وبعد أن يلوح باتهامات وانتقادات لجمعية العلماء المسلمين يقول : « اخواني ! لقد جرأني على هذا الخطاب بأسلوبه الذي سمعتم اعتقادي أولا أنه حق ، وعلمي أن الدعوة الى الاعتدال فكرة اختمرت فى البلاد بعد نزاع طويل • وان الباطل البين قد يصارع الحق الصريح ولكنه لا يثبت بين يديه القويتين بالواقع وفطرة النفوس عليه » •

« واذا كان الخصام بين قوتين مشوبتين بحق وباطل طال عمره واتسع خطره ، فليعترف كل بما له وما عليه وليتق الله ربه فانه سيقف بين يديه •

« ولقد كنت أرسلت نصيحة الى السيد عمر اسماعيل عند شروعه فى تأسيس « جمعية العلماء المسلمين » ونظمت مضمونها فى « نبراس الحقيقة » (20) كما أرسلت أخرى الى رئيس هذا المؤتمر الأستاذ القاسمي يوم تأسيس « جمعية الطرق » (21) قلت فيها ، بعد الديباجة :

« والذي أوصي به نفسي ، وأنتم كنفسي أن يكون السعي لله والكدح فى دائرة تقواه فكل شيء هالك الا وجهه • وقد قال تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين • وقد علمتم ما حل بهذه الأمة سابقا من رؤوس ضالة ، ورتوت زالة يتناطحون وهم فى المجازر ، ويترامحون وهم فى المقابر • يقرأون القرآن ولا يفهمون ، ويفهمون ولا يعتبرون ، ويعتبرون ولا يعبرون • انا لله وانا اليه راجعون » •

ومما ألقي فى هذا المؤتمر خطابي الآتي ، بعد خطاب من شاب مغربي وقصيدة بليغة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين • أيها الاخوان الأعزاء أحييكم تحية أخ مخلص ومحب ملاطف ، طارت به الأشواق ، وهزته الذكريات ء

---

20 ـ نبراس الحقيقة هو عنوان الميمية الطويلة التي أشرنا اليها آنفا •

21 ـ جمعية الطرق الصوفية اسست بقسنطينة يوم الرابع فبراير 1937 م بعد عقد اجتماع عام بالزاوية التيجانية الشهيرة بقسنطينة ، وبعد ثلاثة ايام من التأسيس عقد مؤتمر الزوايا ورؤساء الطرق الصوفية (الأول) بمدينة الجزائر •

أتقدم أمامكم كخطيب فى هذا المؤتمر العظيم ، وفى دورته الثالثة المزدهرة مستمنحا رضاكم مستمطرا من الله الاعانة والسداد ... أتقدم كخطيب فى أفخم مؤتمر وفى أعظم موقف حفت به نجوم من سماء الهداية ، وينابيع من العرفان .

أعزائي لئن تجاسرت على الوقوف أمامكم كخطيب فليس لثقة بنفسي أنها تحيط ببعض ما أحطتم به من درر النصائح ونير التوجيهات وجليل المواعظ ؛ وليس لأرشدكم لشيء أو أشياء غابت عنكم أو قصرتم عنها ، لا .. لا .. ورب الكعبة وانما هي الأشواق بما فيها من دوافع الآلام ، والآمال والأماني تنقاد بصاحبها الى حيث تتراءى له الصعاب سهلة المنال مذللة الأنقياد .

وقد أردت أن أتكلم هذه المرة عن ناحية هي من صميم رسالة هذه الجمعية الدينية ، وهي ناحية ربما يتراءى للبعض ان علمها استقر لدى القريب والبعيد ولكن تكرر الحوادث وكثرة المشاهدات يدلاتنا على أنه لا زال هناك فى بعض الأفكار نوع غموض فيها ، بما ينشر ويذاع هنا وهناك بألسنة وأقلام حاد بها هواها عن سواء السبيل ، تلك هي خطة هذه الجمعية (الجامعة) ومباديها ومقاصدها ، فأبينها على ما عرفتها ؛ حسب طاقتي وطبق معلوماتي التي أرجو أن لا تكون قاصرة أو متحيزة .

ثم أتساءل عن مدى تطبيقها بالنسبة للجميع ، وخاصة بالنسبة لروادها المحترمين .

ان « جامعة اتحاد الزوايا والطرق الصوفية » ، على ما أعلم ، ليست هي بالجمعية السياسية التي تدافع عن الحقوق السياسية للشعب وتؤلف الأحزاب وتقدم البرامج وتبعث البعثات والوفود لتدافع لدى الدولة الحاكمة المتسلطة عن منوبيها ، لا ... فتلك مواطن لها أربابها وهيئاتها الحزبية السياسية . وانما هي جمعية دينية ثقافية تعليمية . وهذا ما يرجي منها .

واذا قلت انها جمعية دينية فليس معنى ذلك أنها جمعية صلاة وأذكار وأدعية فقط ، كما يتبادر لأذهان بعض قاصري الافهام ، أو يفسر من بعض

ذوي الأغراض السيئة ، بل ما تلك الا وسائل تربوية ومقدمات سامية النتائج ، وأسس لا يتزعزع ما بني عليها ، بل هي واجبات تهذب النفوس وتقودها الى نبراس الحقيقة ، والى تذوق الطعم اللذيذ للهداية الاسلامية ، فتصفو النفوس من كدرات الأنانية الشوهاء ، وتتخلص من عبودية شهواتها وأغراضها السافلة . وكل ذلك لتنطبع بطابع الكمال والعرفان، فلا تخطو الا حيث المصلحة الاسلامية العامة التي يرضاها الله ... « ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا » ص .

ثم أضيف : فهذه الجمعية الدينية نرى من واجبها الديني تأييد كل حركة ، مهما كان نوعها أو نسبتها ، ما دام مرماها المصلحة العامة والنهوض بالمجتمع الاسلامي فى دائرة القواعد الدينية والقوانين الاجتماعية الوضعية . وطبعا أوامر الدولة الحاكمة فى غير تملق أو اجحاف برغبات شعبها الشرعية ، وحدود دينه المقدسة . وهذه هي الحكمة التي تتدرع بها هذه الجامعة حتى تؤدي واجباتها التي التزمت بها أمام الله والشعب ، فى مأمن مما يعرقل سيرها فى ميدان الثقافة الدينية والتعليم والتربية ...

سادتي ، أيها الاخوة الكرام ! لا أختم هذه الكلمة دون أن أضع بين أيديكم بعض الاقتراحات أراها من صميم رسالة هذه الجامعة الدينية العلمية ، لأنها تتعلق بوسيلة عظيمة من وسائل المحافظة على الدين الاسلامي وتعاليمه السامية ، تلك هي مشكلة اللغة العربية ، هذه اللغة التي تعيش غريبة فى وطنها ، مهجورة من ذويها وأهلها ، محاربة من أعدائها ، وأتيقن انكم تشاركونني الرأي بأن الذي يحفظ هذه اللغة وينشرها فى عصرنا المتقدم ، هي المدارس والمعاهد العلمية ، وأتحقق كما تتحققون أن فراغ الوطن من هذه المدارس والمعاهد النظامية أمر لا يحتاج الى دليل ، وان وجدت فقليل منها النافع والمثمر ...

وبعد أن أبين الوسائل التي تجعل المدرسة نافعة مثمرة أختم بما يلي :

وبعد فاذا أردتم ـ سادتي ـ خدمة أمتكم خدمة صادقة فعالة مثمرة فعليكم بتعليمها وبمحاربة الجهل محاربة فعالة بتكثير الدروس الارشادية

التثقيفية للعامة ، وبانشاء المدارس النظامية للناشئة ، وعليكم بتعليم لغة الضاد التي أنتم أهلها وذووها ، وتلقينها الكهول والشبان ، وليكن العمل بعزيمة ونظام وثبات • وهذا أجل عمل وأفضله ، فى عصرنا الحاضر ، يجب على جامعتنا المحترمة تقديمه لشعبنا على كل عمل آخر مهما كان جليلا •

هيا بني وطني نسـعى لمنفعـة عظمى لها في سبيل الخير تاصيل
وهي المعارف فاسرعـوا لجنتهـا فالجهل عـار وشقوة وتضليل (22)

والسلام عليكم ورحمة الله ..

***

شيء عن هذه الحركة

واذا كانت هذه الحركة الجديدة للطرقيين هي الوارثة لجمعية علماء السنة « فمن المفيد أن نتعرف قليلا على حالة العلاقة بين الهيئتين ومن ثم التعرف على تشابه الموقفين ازاء الأحداث والزعازع المهولة • فقد لا يخفى على المتتبع للأحداث التاريخية ان المؤسسين والأعضاء والأنصار الذين وجدناهم فى « جمعية علماء السنة ، هم نفس المؤسسين والأعضاء والأنصار الذين وجدناهم فى « جامعة الزوايا والطرق الصوفية » ومن ثم فـان مؤتمري الطرقيين سنة 1937 وسنة 1939 لم يكونا الا مواصلة لمواقف جمعية علماء السنة ازاء حركة (مطالب الحقوق) التي امتدت مع التاريخ ، وحمى وطيسها بعد ظهور برنامج م ــ فيوليت •

فبعد ذلك الموقف الذي كان من جمعية علماء السنة ، وقد كان فى جانب تأييد مشروع فيوليت ، لم يظهر بعد أي نشاط من الجمعيـة ، باستثناء عدم اشتراكها فى المؤتمر الاسلامي ، وذلك فى رأي نظرا لشيئين : أولهما ــ المعارضة الداخلية فى الجمعية للمشروع لنظرة دينية صرفة ، من جهة وعدم تحمس أكثرية الأعضاء للمشروع ، من جهة خأرى • وانما أتخذوا موقف التأييد جريا مع التيار الشعبي الذي كان يرى أن كل من لم يؤيد المشروع فهو خائن أو عميل للاستعمار ــ حتى ان « نجم الشمال الافريقي » اتهم بذلك بسبب معارضته للمشروع •

22 ــ الرشاد نفس العدد .

ثانيا ـ خمود حركة الجمعية وظهور جمعية أخرى هي « جمعية الطرق الصوفية » ثم « جامعة اتحاد الزوايا والطرق الصوفية » وهاتان الهيئتان بقيتا سلبيتين نحو المشروع ، أولا ـ لنظرة حزبية حيث أن مشروع فيوليت صار سياسة « المؤتمر الاسلامي » ، ثانيا ـ اتضاح نية الادارة المحلية التي كانت تحت سيطرة المستعمرين فى معارضتها للبرنامج ، واعتبارها كل من يؤيده فهو ضد فرنسا ... !

ومن الحقيقة التاريخية ان الطرقيين لحد ذلك اليوم لا زالوا يتمتعون بنظرة خاصة ، سواء فى نظر الشعب أو فى نظر الحكومة الفرنسية ، فمن الناحية الشعبية لا زال لهم المكان الخاص والمحترم ، ولا زالوا يعتبرون الرؤساء الدينيين فى القطر الجزائري كله . فزواياهم التي كانت منذ العصور القديمة ولا زالت ، الملجأ الوحيد للفقير والمحروم ، وطالب العلم والمعرفة لم تبرح تتمتع بالمقام الأول ، بالرغم من ظهور بعض المؤسسات النظامية والدروس العلمية المتفتحة لجمعية العلماء المسلمين ، ورؤساؤها لا يزال لهم مقام القيادة الاجتماعية والدينية ، وحالتهم المادية الحسنة ومركزهم الاجتماعي ، وبسلطتهم الروحية وحتى الزمنية لا زالت تؤهلهم للنفع والضر اذا أردوا .

وهذه الوضعية نفسها هي التي جعلت هؤلاء محط تركيز الادارة الفرنسية ، ووجهة ضغطها حتى تجعلهم فى جانبها كحجة قوية تربح بها دعوى : ان الشعب الجزائري لا يعرف طريقا لهذه المطالب السياسية ، وبالتالي فهو لا يعرف برنامج فيوليت ولا غيره ، فهو لا يطالب الا بالخبز . ولا يطالب أبدا بحقوق تجعله « ضد فرنسا » (Anti-français) (23) وانما المشوشون من النواب (الشباب) جمعية النواب ، ومن ورائهم جمعية العلماء المسلمين ، هم الذين أقاموا ضجة المطالب السياسية .. الخ .

وأمام هذه الوضعية بقيت ـ فى النهاية ـ جمعية الطرق ، وجامعة اتحاد الزوايا والطرق الصوفية . وكذ ارجال الدين الموظفون فى المناصب

---

23 ـ لا يخفي ان المستعمر في الجزائر كان يرى أن سعادة فرنسا في سعادته وأن سلطته المطلقة العمياء بأنانيته الشوهاء هي الشرط الأساسي لبقاء فرنسا في الجزائر .

الدينية ، كل هؤلاء بقوا خارج المعركة السياسية • ـ أو على الأقل غير متحمسين لها • حتى ان اجتماع مؤتمر الطرقيين اتهم بأنه عقد لمعارضة برنامج فيوليت • وبالفعل فان الادارة بالولاية العامة حاولت ذلك لدى رؤساء الزوايا بواسطة غير متهمة لديهم ، وانتشرت الاشاعة ، ولكن المؤتمر كذبها كما تقدم لنا قريبا •

تراجع ابن جلول في اجتماع عام

وفى ظني أن هذه الوضعية المربكة للطرقيين ، ثم ما لاحظه الدكتور ابن جلول ـ برغم تحسين علاقته بهم ـ فانهم لم يولوه كل التأييد فى مواقفه السياسية أو الانتخابية ، هل لارتباطهم المتين مع أتباعهم وأصدقائهم من النواب الذين كانوا ينعتون بالاداريين ، أو اللاحزبيين الذين كان الحزبيون يلمزونهم بـ « بني وي ••• وي » أو لأن سياسته التي كانت تعتبر جريئة فى عين الادارة الاستعمارية لم تتناسب مع وضعيتهم التي ذكرناها آنفا ، أو تباعدا من السياسة ، فما لبث ـ اذن ـ ابن جلول أن رجع الى أنصاره الأوائل بمناسبة انتخابات شهر أكتوبر 1938 ، ودعا الى اجتماع عام بقسنطينة ضم أغلب الهيئات والمؤسسات الجزائرية ، من اسلامية بحتة ، واسلامية فرنسية ! يسارية ، ـ كما عبرت مجلة الشهاب ـ وطالب فى هذا الاجتماع بتوحيد الجهود أمام التحديات الاستعمارية (الكولونية) وألقيت فى هذا الاجتماع عدة خطب دارت كلها حول توحيد الجهود والعمل المشترك فى سبيل القضية الجزائرية التي فشلت أو كادت تفشل بخيبة مشروع « بلوم فيوليت » أمام البرلمان وسقوط الحكومة الشعبية ، حكومة ليون بلوم • كما طالب بالتعاهد على الكفاح فى سبيل القضية مهما كانت الصعوبات والمثبطات •

وقد كان ذلك الاجتماع فاتحة عهد جديد بين جمعية النواب بزعيمها الدكتور ابن جلول وخطيبها المفوه الصيدليَ فرحات عباس من جهة وجمعية العلماء المسلمين من جهة أخرى • وأمام هذا التحالف الجديد بدأ الناس يشعرون بحلول الوئام من جديد بين ابن جلول والعلماء ، ورجوع الجفاء بينه وبين الطرقيين ، وظهرت جريدة « لانطانط » (الوفاق) فى عدد من شهر أفريل 1939 م تحمل هجوما على مؤتمر « اتحاد الزوايا والطرق

الصوفية » الذي عقد بعاصمة الجزائر فى شهر ربيع الأول عام 1358 هـ الموافق لشهر أفريل 1939 م فردت عليها جريدة « الرشاد » لسان حال هذا الاتحاد بمقال طويل ننقل منه فيما يلي ما يعطينا ضوءا عما آلت اليه وضعية « جمعية النواب القسنطينية » سواء بالنسبة للطرقيين أو للمصلحين • تقول الرشاد تحت عنوان : (24) •

حول جريدة ((لانطانط)) وبعض المندسين في حزبها ! ••

« قرأنا العدد الأخير من صحيفة « لانطانط » القسنطينية الفرنسية اللسان ، وأطلعنا فيها على ما لا يدعو الى الغرابة بحال فى نظر من يعرف ما هي غاية « لانطانط » وغاية مسيريها ، وهدف مديرها السيد ابن جلول ومحررها السيد عباس ! ••

« وقد اتفق الاثنان معا ، هذه المرة فقط ! على القيام بحملة ضد الطرق الصوفية والطرقيين ومؤتمرها الجليل الرائع ، ذلك المؤتمر الافريقي العلمي الديني • وهذا الدور الجديد منهما أحسن بكثير من ذلك الدور المعروف عنهما الذي كانا يمثلانه فى مثل هذه الظروف ••• ـ يقصد ظروف الانتخابات ـ •

وتضيف الرشاد : وأنهما لم يأتيا فى الواقع بجديد ، اذ أن العموم يعرفون أن الانتخابات الجزائرية الأهلية حان وقتها أو كاد ، وعرفوا أن لابد من مشاهدة طلائع « الشانطاج » تتقدم جيش المستميتين فى سبيل الحصول ، فقط ، على مقاعد النيابات الوثيرة ! ••• » •

وبعد أن تفسر الشانطاج بأنه يشبه الألعاب البهلوانية ، وذلك بايفاد الوفود الى باريس والى « المريخ » وادعاء كسب أعضاء البرلمان وجعلهم فى الجيوب ، وكسب ملائكة السمـاء والأرض ، وارسال البرقيات والاتصالات بعظماء فرنسا •• تضيف : ومن الأسف أنه ظلت هذه الأمة المسلمة الجزائرية المسكينة نهبا مقسما بين هؤلاء المهرجين •• » •

24 ـ جريدة الرشاد عدد 42 تاريخ 20 ربيع الثاني 1358 الموافق 22 مايو 1939 •

وبعد أن تذكر ما يعد به هؤلاء المهرجون كل مرة من وعود عرقوبية وأفلاطونية ، وأنه بطول الزمن عرفتهم الأمة ونبذتهم نبذ النواة ، بل انها كفرت بهم وعرفت أن همهم الوحيد هو ابتزاز ورقة الانتخابات ثم لا شيء ، كما عرفوا هم بالفعل أن الأمة قد فاقت وأنها صارت لا تثق الا بما يأتي من مأتاه الطبيعي وبدون ملاكمة .. (دبزة) وبدون اتخاذ سلاليم من الدين ورجال الدين الاسلام والمسلمين .. تضيف الجريدة :

« ونعود فنقول : لا غرابة مما نشرته (لانطانط) ومن تهجماتها مادام السبب معروفا ، كما أنه لا عجب اذا أخذنا نسمع من الآن بأن مسيو « لاكروزيللير » مثلا حضر فى الساعة الفلاية فى مكتب ابن جلول، وأن مسيو « فيوليت » تناول الفطور مع هذا وذاك ، وابن باديس عقد معاهدة مع السيد ابن جلول بمحضر لاكروزيللير مثلا . وان الحقوق التامة الغير المنقوصة ما بقي لانجازها سوى خمسة عشر يوما حسب الاتفاق الواقع منذ سنة 1935 — 1936 — 1937 — 1938 — 1939 على هذا الشرط وهو تدشين تلك الحقوق المقدسة المذكورة « فى الفردوس .. » فى يوم 30 ماي 1939 م الذي هو آخر أجل .

هذا ما يقوله أبطال انتخابات السنة القادمة سنة 1940 ، وهذا ما نقول بصفة عامة ، ولا نعتقد أن هناك ما يستوجب الاستثناء والشذوذ لأن هذا الوضع هو ما طبعت عليه وعجنت به طينة أبطال الانتخابات المحترمين » .

وتمضي الجريدة : « أما السيد عباس المكلف من قبل الحزب بموالاة المصلحين فانه أحد أولئك الأبطال ، ان لم يكن فى طالعتهم ! ، يبدو هذا بوضوح منذ أطلق عليه اسم البطل ، وبما يدبجه يراعه الجموح دائما آونة بعد أخرى ، وقد سرنا ما صرح به هذه المرة بأنه مسلم ! » .

وبعد سؤال الجريدة التهكمي عن نوع الاسلام الذي يعلنه عباس ، فلربما يكون من نوع « الجواز » لمنطقة الانتخابات وهو يعلم أن الاسلام أقوال وأعمال مشهودة وركوع وسجود لله وحده ، وليس

لدوائر الانتخابات المسؤولة ، ولسد الفراغ من الجيوب .. ثم ترجع للكلام عن ابن خلول فتقول :

« أما السيد ابن جلول فقد كنا نفضل غض الطرف عن مواقفه المعروفة فى النواحي المذكورة راجين له اما التوبة بشرط الاقلاع وعدم العودة الى ذلك التظاهر المصطنع المزري بقيمة الرجل ، ومن اقتناص أوراق الانتخابات بتلك الوسائل التي صارت مكشوفة ومعلومة عند العامة فضلا عن الخاصة .. » .

ثم يتهمه صاحب المقال بارتكاب تمثيليات مخزية لو ارتكبها غيره لوصف بالخيانة ، ومع ذلك فقد كانوا حسنوا فيه الظن ـ الطرفين ـ لما رأوه يسلك بعض المسالك أظهر فيها أنه ربما رجع الى الصواب بعد التجارب العديدة . ولكن ما بالطبع لا يتخلف ، أي طبيعة الجري وراء شراء الأصوات (25) .

وتضيف : « وهكذا شاءت ورقة الانتخابات المقدسة ، شاءت أن يعقد أبطال (لانطانط) محالفة مع أبطال جمعية العلماء ! وأن يحل الوداد محل الجفاء الطويل ظاهرا ، وريثما تنتهي عملية الانتخاب . على أن كلا الطرفين يدعي الانخداع بالآخر ، وذلك نظير انخداع أحد النشالين بالآخر . فى حين أن كلا منهما تسرب بيده الى انتشال حافظة نقود زميله .. هذا من جهة ومن جهة أخرى شاءت ورقة الانتخاب أن يحاول أبطال (لانطانط) اتخاذ انتقاد طبقة من رجال الدين والجامعة ومؤتمرهم سلما لمحاولة ارضاء جماعة باديس ، وبعبارة أوضح لمحاولة كسب أوراق هذه الجماعة وقول كلمة الخير فيهم » .

ثم يقول : « وهذا مغزى اجتماع قطبي الرحا .. فى مكتب السيد ابن جلول ، وهذا ما دعا باديس الى دعوة عظيمين من عظماء رؤساء الزوايا بالحاح الى مناصبة العداء لاخوانهم من أقطاب رجال الدين

---

25 ـ الغالب انه يقصد رجوعه الى التفاهم مع الطرقيين بعد سوء علاقته مع ابن باديس وجمعية العلماء .

والجامعة .. ولكن هؤلاء العظماء ، مثلنا جميعا ، يعرفون كل شيء .. فهم أجل من أن ينخدعوا .

ثم يذكر أن محاولتهم ، بتهجمهم على جامعة الزوايا والطرق الصوفية بسبب نجاح مؤتمرها الباهر ، لا ينال من عقيدة الأمة نحوها أي شيء ، لأن انجذاب الأمة نحو الجامعة نابع من ايمانها وعقيدتها الراسخة ، ومن اليقين الصادق . وما كان فى مقدورهم أن يزيلوا هذه العقيدة ويستلبوا هذا النفوذ العظيم من قلوب الأمة .. » اهـ .

خـلاصـة عن هذا العهد

1925 – 1939

ان هذا العهد غني كثيرا بالأحداث والتغيرات ، ومليء بالمفاجـآت الأخاذة حتى بالعقول الراجحة ، ذلك لأنه عهد « تمخض عنيف » ولد فيه شيء جديد وشديد ! ولأنه عهد اختبار للقوات الحية في البلاد ، وتمحيص الجيد من الخبيث منها ، وبالتالي ارهاص لقيام نظام سياسي جديد غير متردد ولا مساوم .

وبالفعل فقد رأت الجزائر في هذا العهد الممتد من سنة 1925 من الفترة الأولى الى ما بعد دخول الفترة الثانية 1936 بكثير ما لم تره أثناء قرن كامل منذ الاحتلال الفرنسي ، اذا استثنينا تلك الثورات المسلحة الشجاعة التي كان يحمل أصحابها قوة الايمان والغيرة الوطنية دون أن يسندهم نظام أو شمولية . وذلك ما يجعلنا نطنب في الكلام ونستزيد من الحوادث لنستخلص منها نوع الوضعية الجديدة أو نتعرف على المولود الجديد بجميع أطواره حتى يمكن لنا دراسته وجعله في المكان اللائق به ، كي نترك للأجيال القادمة نظرة صحيحة بدون اجحاف لأية ناحية ، أو انجذاب لواحدة دون أخرى .

وبما أن دراسة هذا العهد لا زالت تتطلب تركيزا واحاطة أكثـر ، وتتطلب نفسا طويلا ، فلنتركه قليلا ريثما نعود اليه ، وقد توفرت لدينا معلومات عن جوانب أخرى . فلنختم الكلام ــ اذن ــ مؤقتا عن حركتي « جمعية العلماء » و « جمعية النواب ــ عبورا بحركة الطرقيين والمحافظين ــ بارتسامات عن الشيخ عبد الحميد ابن باديس رحمه الله ، أرجو أن

أصادف فيها كبد الحقيقة ثم أعمد الى درس الحالة العامة فى الشمال الافريقي ، أو بعبارة مستجدة (المغرب العربي) ، أثناء العهد نفسه .

لقد كانت للشيخ باديس ، فى هذه الفترة ، أو بالأحرى من سنة 1925 الى سنة 1939 م ، تجربة قاسية من جهة ، وخصبة من جهة أخرى ، تلك هي تجربته السياسية . فالشيخ كما نعرفه ويعرفه معاصروه ، فيما قبل العشرينات وفى العشرينات أيضا كان منقطعا انقطاعا كليا للتربية والتعليم والارشاد . أي كان مهتما ببناء جيل جديد وترميم الجيل القديم ، ولم يكن يتعاطى السياسة بمعناها الحقيقي الا بصفة الرجل المسالم المتغاضي ، وان كان له طموح سياسي غامض، تظهر فورته أحيانا فتجعله ينشيء صحافة وبطرق بعض المجالات الا أنه سرعان ما يرجعه وقاره العلمي أو حكمته التربوية الى ميدانه الذي يعتقد انه خلق له لا لغيره ، وهو ميدان التعليم والتربيــة .

بيد ان سلسلة الحوادث وصهر الظلم الاستعماري ، لا سيما بعــد الاحتفالات القرنية ، جعلتا ابن باديس يئن تحت الوقع ويتململ من ألم الظلم والارهاق الاستعماري وبخاصة بعد أن جرفت حوادث العنصرية والأنانية الاستعمارية كل شيء للجزائري ، ونعدت الى دينــه ولغتــه ووضعيته الاسلامية الخاصة ، فالتفت يمينا وشمالا وفكر وقدر فاقتنع ـ أو حاول أن يقنع نفسه ـ بأن هذا الظلم لم يكن مصدره من فرنسا الأصلية ، ذات التاريخ الماجد وصاحبة شعار « الحرية والمساواة والأخوة » فعزم أن يتجه الى الأصل متشكيا ، متخطيا الفرع . واستبدل شعار « الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء » الذي كان يصدر به الشهاب الجريدة ، وعوضه بـ « الحق والعدل والمؤاخاة فى اعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات » في الشهاب المجـلة ؟ مقتنعا بأن هذا الظلم انما مصدره الادارة المحلية التي يسيطر عليها (الكولون) فى الجزائر ، وأكثرهم متفرنسون من أسبان ، وايطاليين ، وكورس وغيرهم . ووجد كتلة من السياسيين الشبان يشاطرونه هذا الرأي فبدأ يميل الى مشاركتهم ـ ولو بصفة شبه سرية متواضعة أولا ـ فى سياستهم التي كانت تعتبر مجددة .

وذهب ابن باديس يشجع ابن جلول بتأييده فى حركة « جمعية النواب » أو اتحادية جمعية النواب المسلمين بقسنطينة التي كان يرأسها هذا الأخير ووجهت العرائض ، وأوفدت الوفود ميممة شطر فرنسا « الأم » التي كانت الآمال معقودة عليها وحدها ، والتي لازالت محل ثقة الجميع ، وذلك بقصد تنوير الفكر العام فيها أولا حتى يطلع على حقيقة ما يجري فى الجزائر من مظالم سياسية واقتصادية واجتماعية ، وظنوا أنهم ـ لامحالة ـ سينتصرون بصفة أو بأخرى على المستعمرين الذين ثبت عنهم لدى الجميع أنهم يفضلون مصالحهم الخاصة على مصالح فرنسا ، مهما كانت الظروف ، فهم فى الواقع لا يريدون الخير لفرنسا الأصيلة ولا لسمعتها .

ومما زاد اخواننا هؤلاء تشجيعا أن وجدوا من بين الفرنسيين أنفسهم من يمالئهم على هذه الفكرة ـ فكرة طلب الحقوق ـ ولكن بشرط الاندماج فى الأمة الفرنسية ، جريا على الدستور الفرنسي الذي ينص على أنه « لا يحصل على حقوق الفرنسي الا الحائز على الجنسية الفرنسية « فما وسعهم الا القبول ولكن بشرط الابقاء على الحالة الشخصية للمسلمين ، وتحققوا وتحقق الممالئون ، أو الأحرار من الفرنسيين أنهم سيحرزون على خطوة هامة فى طريق التقارب الجزائري الفرنسي ، وذلك بواسطة برنامج فيوليت الذي أصبح بعد برنامج الحكومة سنة 1936 عندما تولت الجبهة الشعبية الحكم فى فرنسا .

حتى أن الشيخ ابن باديس ، حينما قابل ليون بلوم وفد « المؤتمر الاسلامي » قال لهذا الأخير أثناء المقابلة : أحببت أن أصارح كبير الوزراء بالعاقبة السيئة التي تكون بسبب خيبة الأمة الجزائرية فى مطالبها هذه المرة اذا خابت ، قال فقلت له بحضور الوفد كله ، والمترجم هو رئيس الوفد ـ ابن جلول ـ : ان الأمة الجزائرية المتألمة ، ليس ألمها ضد جنس ولا ضد دين ولا ضد فرنسا . وانما ألمها ضد الظلم ، ولهذا لما جاءت الحكومة الشعبية وتوسمت فيها الحرية والعدالة أعطتها كل ثقتها وأعلنت سرورها بها وأرسلت هذا الوفد . فاذا رجعنا اليها ببعض من مطالبها زادت ثقتها واذا رجعنا بأيدينا فارغة لنعكس ذلك الفرح

وحصل على انعكاسه ضرر عظيم يستغله أضدادنا وأضدادكم « فأجابه باندهاش : كيف ترجعون بأيديكم فارغة وأنا أشتغل وحبيبي فيوليط من الآن فى مطالبكم » ، فقال : م ــ فيوليط : قبل الأحد ينجز العمل » (1) •

غير أن الجبهة الاستعمارية ، سواء عصبة الكولون فى الجزائر أو أصحاب المصالح والعنصرية فى فرنسا ، كانوا أقوى بنية وأمتن عدة ، فكسروا الجبهة الشعبية ، وتبخرت أمام كبريائهم وتعصبهم الأعمى كل الآمال ، واتضح أن الفرنسيين كلهم ــ ماعدا القليل ــ لا يضمرون للجزائريين أي خير ، بل همهم الوحيد هو استغـلال خيرات وطنهم وتسخيرهم فى أغراضهم وأنانيتهم كالعبيد ! •

على أن أنانية الفرنسي وحبه لنفسه واستعلاءه يضرب بها المثـل ، فيحكى أن أحد الفرنسيين عاش مغتربا فى أسبانيا مدة أربعين عاما ولم يتعلم كلمة واحدة من لغة الأسبان ، فلما سئل عن عدم تعلمه الأسبانية قال : ان الاسبانيين بلداء لدرجة فظيعة ، فقد عشت بينهم أربعين عاما ولم يتعلموا مني اللغة الفرنسية » ! ••

وهكذا بدأ ابن باديس يشعر بالخيبة المريرة وتحقق بنفسه مدى نكبة أمته بالاحتلال الفرنسي اللئيم • ولكن وقاره وتعقله ومنطقيته من جهة ، وضغط أبيه وأسرته وأصدقائها من جهة أخرى يأخذان به ، أمـــام التهجمات الاستعمارية الى الاغراق فى الشرح والتفسير لمقاصد الشعب الجزائري السلمية المحقة ، والأهداف جمعية العلماء النبيلة ، بغية اقناع الخصوم فيقول مما يقول :

« وبعد فماذا ينقم علينا الناقمون ؟ أينقمون علينا تأسيس جمعية دينية اسلامية تهذيبية تعين فرنسا على تهذيب الشعب ، ورفع مستواه الى الدرجة اللائقة بسمعة فرنسا ومدنية فرنسا وتربيتها للشعوب •• ويقول : لا •• لا أخالكم تنظرون ولا تتأملون فان الأثرة المستولية

1 ــ الشهاب ج 7 ــ م 12 انظر كتاب فضلاء «قال الرئيس» .

على النفوس حجاب كثيف يحول دون رؤية الحقائق كما هي ، ويحول دون رؤية مصلحة فرنسا الحقيقية نفسها » •

ويذهب لغاية أن يقول : « كونوا كما تشاءون أيها السادة فلكم – وأنتم تمثلون ما تمثلون – كل احترامنا • وظنوا بنا ما تشاءون فانا على بصيرة من أمرنا ويقين من استقامة خطتنا ونبل غايتنا • ومهما تبدلت اعتقاداتنا فى أناس بتبدل معاملاتهم لنا فلن تتبدل ثقتنا بفرنسا وقانونها » (2) •

وهكذا بقيت الحالة تتطور أمام جمود الفرنسيين على الاستعمار وبقي ابن باديس يتطور ازاءها الى أن توجه وفد المؤتمر الاسلامي الى فرنسا مملوءا بكل ثقة فى أبناء فرنسا « الأم » وكان باديس عضوا من أعضائه البارزين ، ولكنه أصيب بخيبة حتى من أبناء فرنسا «الأصلية» ورجع « بخفي حنين » وبدأنا نرى من باديس بعض المواقف السياسية الصرفة ، والتصاريح الجريئة التي يرسلها مزيجا بالمرارة ، ممهورة بالنصح والارشاد لحكام فرنسا ، ولكن الفرنسيين ماضون فى خطتهم الاستعمارية لا يؤثر عليهم مؤثر ولا تلويهم موعظة ، فيندفع باديس ، تحت ضغوط الحوادث يصرخ فى الشعب : « أيتها الأمة الكريمة ، أيها النواب الكرام ! اليوم – وقد يئسنا من غيرنا – يجب أن نثق بأنفسنا • اليوم – وقد تجوهلت قيمتنا – يجب أن نعرف نحن قيمتنا • اليوم – وقد خرست الأفواه عن اجابة مطالبنا – يجب أن نقول نحن كلمتنا ••

ويضيف ابن باديس : حرام على عزتنا القومية وشرفنا الاسلامي أن نبقى نترامى على أبواب برلمان أمة ترى ، أو تري أكثريتها • ذلك كثيرا علينا • – النيابة فى البرلمان – • ويسمعنا كثير منها فى شخصيتنا الاسلامية ما يمس كرامتنا ويجرح أعز شيء لدينا » •

« لندع الأمة الفرنسية ترى (رأيها) فى برلمانها ولنتمسك عن ايمان وأمل بشخصيتنا •• » (3) •

---

2 – جريدة الشريعة ، العدد الأول تاريخ 22 ربيع الأول 1352 هـ الموافق 17–7–1937 :

3 – الشهاب ج 7 – م 12 سبتمبر 1937 •

وتذهب الحوادث فى تفاقم لزرع اليأس فى نفوس المتفائلين والواثقين ، وتظهر نية الفرنسيين السيئة واحتقارهم للشعب الجزائري احتقارا فظيعا بما فيه نوابه وشخصياته ، فيتفاقم الجرح فى ضمير ابن باديس الحساس، حتى انه يندفع لأول مرة ليصرخ :

« ان الفكرة التي تدعو الى استقلال الجزائر ، والتخلي عن كل سياسة تؤدي الى الاندماج ، تؤمل بقاءها ، ونحن نحترم هذا الرأي •• ثم يقول : وأي انسان أيها السادة لا يحب الاستقلال ؟ •• » (4) .

وكل هذه المواقف من ابن باديس ارهاصات تدل على أنه فى طريق التخلي عن فكرته الخاطئة ، سيما وورعه وتقواه يأبيان عليه أن يلاقي ربه بخطيئته التاريخية ، فما ان جاءت لجنة التحقيق البرلمانية ، وتبعها تصريح أوبو المتقدم الذكر ، وقبل مقابلة دالادي الآتية الذكر ، حتى غلق ابن باديس آخر نافذة نحو فرنسا ، واتجه نحو الحقيقة التي لقي بها ربه موفور الكرامة ناصع الحجة ، تائبا توبة نصوحا رحم الله ابن باديس •

فأنشأ قصيدته المعروفة التي صار بعضها نشيدا ينشد فى المناسبات الدينية والوطنية ، وهو نشيد :

شعب الجزائر مسلم ، والى العروبة ينتسب •• الخ وسنثبت القصيدة كاملة فيما بعد •

وهكذا تجيء آخر محاولة من أعضاء المؤتمر الاسلامي وتطلب منه المشاركة بالحاح فلم يقصر باديس فى الذهاب مع المتفائلين « الذين لازالوا لم ييأسوا من عدالة فرنسا » الى النهاية • أو ربما اغتنمها فرصة أخرى للانتقام مباشرة من أكبر شخصية : شخصية رئيس الوزراء (دالادي) الذي كان صارحهم ، وهو وزير فى الحكومة الشعبية ، بمعارضته للمطالب الجزائرية • فقد شارك باديس فى وفد المؤتمر الاسلامي الذي ذهب الى فرنسا سنة 1938 برئاسة فرحات عباس :

---

4 – جريدة الزهرة ، راجع صفحتي 75–76 من هذا الجزء .

واقتبله رئيس الحكومة اذ ذاك ورئيس الحزب الراديكالي الاشتراكي المسيو دالادي ، وكانت نهاية المقابلة ، بالنسبة لباديس ، أن أجاب ـ أو انتقم ـ من شخص دالادي (Daladier) بقوله : « لا توجد أية قوة أكبر من قوة الله « ان قضيتنا عادلة وسنواصل الدفاع عنها أمام وضد الجميع » •

وذلك جوابا لقول دالادي المتعجرف المهدد بقوة فرنسا صاحبة المدفع القوي •• !

وهكذا يبتدىء عبد الحميد بن محمد المصطفى ابن باديس سنة 1925 مسالما رصينا ، بل مواليا ضعيفا ، فيتكلم بلغة المسالم الرصين ويخاطب بضراعة الموالي الضعيف فينشر فى جريدة الشهاب خطابا يوجهه لوزير الداخلية الفرنسي محتجا أو متوجعا من توقيف « جريدة المنتقد » ، وينتهي سنة 1938 زعيما ثائرا ، وخصما عنيدا ، فيتكلم بلغة المستبسل المهيج ، ويخاطب المستعمرين بقوة صاحب الحق بالصوت المجلجل • وهذا بعد التجربة الطويلة والترويض المتواصل لكبرياء وقناة المستعمر التي لا ، ولن تلين ، ولن تخضع الا للقوة • وكان ابن باديس فى الموقفين عظيما ، وكان ابن باديس فى الحالتين رجلا شهما • رحمه الله وأسكنه فسيح جناته مع الشهداء والصالحين •

وفيما يلي كلا المقالين للتنظير ، وكلا الفكرتين للاعتبار • قال فى الأولى (5) « ••• فنحن يا سعادة الوزير ، بكل احترام للحكومة والقانون نرفع لكم احتجاجنا على هذا التوقيف مع عدم سؤالنا ولا سماع حجتنا واعتذارنا ، ولا تعريفنا على الأقل بسبب التوقيف لنكون منه ومن مثله على حذر وبصيرة •

وانا بهذه المناسبة نقدم لكم بيانا تاما لخطتنا ومقاصدنا ليكون لنا كوثيقة رسمية فى وزارتكم الجليلة • فنصرح :

---

5 ـ ج الشهاب ، عدد 2 يوم 19 نوفمبر 1925 م •

أولا ــ بأننا ما أسسنا مشروعنا ــ جريدة المنتقد ــ الا على مبادىء فرنسا الديمقراطية التي برهنا كجميع الجزائـريين ، على اخلاصنا لها وتعلقنا بها ٠

ثانيا ــ بأننا لما كنا نعتبر فرنسا دولتنا ونعتبر أنفسنا أبناءها نـرى أن من حقوقنا أن ننال جميع ما يناله جميع أبنائها ٠

ثالثا ــ اننا نرى من واجبنا أن ندعو الأمة الجزائرية للقيام بواجبهـا نحو دولتها ، كذلك نرى من واجبنا أن ننبه الدولة الى حقوق ومصالح الجزائريين ٠

رابعا ــ اننا اذا دافعنا أشخاصا أو أحزابا عن مصالحنا فان ذلك لا يكون منا الا خاصا بهم ما دمنا مختلفين فى رأي أو مصلحة ولا يجوز بحال أن يفهم من ذلك اننا معارضون لفرنسا التي هي للجميع ، فان الحكومة يجب أن تكون فى نظر كل أحد ، وأن تبقى هي فى نفسها فوق الأشخاص والأحزاب ٠٠٠ »

وقال فى الثانية : (6)

« أيتها الأمة الكريمة ، أيها النواب الكرام اليوم وقد أيسنا من غيرنا يجب أن نثق بأنفسنا ٠ اليوم وقد تجوهلت قيمتنا يجب أن نعرف نحن قيمتنا ٠ اليوم وقد خرست الأفواه عن اجابة مطالبنا يجب أن نقول نحن كلمتنا ٠ اليوم وقد اتحد ماضي الاستعمار وحاضره علينا يجب أن تتحد صفوفنا ٠٠٠ ويضيف ابن باديس :

« حرام على عزتنا القومية وشرفنا الاسلامي أن نبقى نترامى على أبواب برلمان أمة ترى ، أو ترى أكثريتها ذلك كثيرا عليها ٠٠٠ ! ويسمعنا كثير منها فى شخصيتها الاسلامية ما يمس كرامتنا ويجرح أعز شيء لدينا ٠ لندع الأمة الفرنسية ترى رأيها فى برلمانها ولنتمسك ــ عن ايمان وأمل ــ بشخصيتنا ، ولنطالب بالمساواة التامة فى جميع الحقوق فى وطننا ٠ وأولها المساواة فى المجالس النيابية » ٠

---

6 ــ مجلة الشهاب ج 7 ، م 13 شهر سبتمبر 1937 ٠

وبعد أن يدعو النواب الى مقاطعة المجالس النيابية ولا يرجعوا اليها الا متى كانت المساواة فيها • وبعد أن يدعو الأمة الجزائرية الى تناسي الحزازات والخلافات يختم :

« برهنوا لفرنسا أنكم كما وقفتم معها فى الحرب صفا واحدا تدافعون عنها ، تقفون فى السلم صفا واحدا تدافعون الأنانيين منها الذين هم مثل أعدائها •

هذا ، وأنا كمسلم جزائري ، قد أديت الواجب الثاني من واجباتي فى الوقت الحاضر • والله المستعان على القيام ببقيتها • وعليكم السلام ورحمة الله من أخيكم : عبد الحميد ابن باديس •

قصيدة شعب الجزائر مسلم

وهكذا نختم هذه الخلاصة بالقصيدة التي أشرنا اليها آنفا ، وقد كانت مناسبة القائها الاحتفال بذكرى المولد النبوي كما ذكرت مجلة الشهاب فى جزء 4 مجلد 13 بتاريخ ربيع الثاني 1356 هـ الموافق 11 جوان ـ حزيران ـ 1937 م .

نص القصيدة :

حييت يا جمـــع الأدب ورقيت سامية الـــرتب
ووقيت شـــر الكـــائد ين ذوي الدسائس والشغب
ومنحت في العليـــاء مـــا تسمـــو اليـــه مـن ارب
احييت مـولـــد مـن بـه حيي الانـــام عـلى حقب
احييت مولده بمـــا يبري النفوس من الوصب
بالعـــلم والآداب والأ خـــلاق في نشء عجـــب
نشء عـلى الاســلام اس بنـاته فـــد انتصب
نشء بحب محمـــد غـــذاه اشيـــاخ نجب
فبـه اقتـدى في سيـره واليـــه بالحـق انتسب
وعـلى القـلوب الخافقـا ت اليـــه رايتـه نصـب
بالروح يفـديها ومـــا يفـري النفوس من النشب
وبخلقـــه يحمي حمـــا هـا او ببـارقـة القضـب
حتى يعـــود لقـــومه من عزهـــم مـــا قد ذهب
ويرى الجـــزائر رجعـــت حـــق الحيـاة المستلـب
يـا نشء يـا ذخـر الجـزا ئـر في الشدائد والكـرب

صدحت بلابله الفصا   ح فعم مجمعنا الطرب (1)

واذقتنا طعما من الفصحى الذ من الضرب (2)

واريت للابصار ما   قد قررته كل الكتب

شعب الجزائر مسلم   والى العروبة ينتسب

من قال حاد عن اصله   او قال مات فقد كذب

اورام ادماجا له   رام المحال من الطلب

يا نشء انت رجاؤنا (3)   وبك الصباح قد اقترب (4)

خذ للحياة سلاحها   وخض الخطوب ولا تهب

وارفع منار العدل والا   حسان واصدم من غصب

وأذق نفوس الظالمين السم يمزج بالرهب

واقلع جذور الخائنين فمنهم كل العطب

واهزز نفوس الجامدين فربما حيي الخشب

يا قوم هذا نشؤكم   والى المعالي قد وثب

كونوا له يكن لكم   والى الامام ابنا وأب (5)

نحن الالى عرف الزما   ن قديمنا الجم الحسب

ومعين ذاك المجد في   نسل العروبة ما نضب

وقد انتبهنا للحيا   ة آخذين لها الأهب

لنحل مركزنا الذي   بين الأنام لنا وجب

فنزيد في هذا الورى   عضوا شريفا منتخب

ندعو الى الحسنى ونو   لي أهلها منا الرغب

من كان يبغي ودنا   فعلى الكرامة والرحب

او كان يبغي ذلنا   فله المهانة والحرب

---

1 ـ صدحت بلابله أي صاح شباب الكشافة بالنشيد .

2 ـ الضرب بفتح الراء العسل الجيد الأبيض .

3 ـ بريد (كشافة الرجاء) .

4 ـ بريد (كشافة الصباح) .

5 ـ «يكن» لكم . هكذا في الأصل ، ولعله «فيكن» لكم . ليستقيم الوزن .

هـذا نظـام حيـاتنـا   بالنـور خـط وباللهب

هـذا لـكم عهـدي به   حتى اوسد في التـرب

فـاذا هلكت فصيحتـي   تحيـا الجزائر والعـرب !

عبد الحميد ابن باديس

نظـرة على المغرب العربي في الثلاثينات

لكي نتعرف على الحالة فى الجزائر أثناء هذه الفترة بصفة أدق ، وليمكن لنا مقارنة الأوضاع الداخلية بالأوضاع العالمية ، أو شبه العالمية ، يجب أن نلم قليلا بحالة الأوضاع فى المغرب العربي على الأقل ، أي المملكة المغربية الشريفية ، والايالة التونسية ، والجمهورية ـ أو الجماهيرية العربية الليبية ، والجمهورية الجزائرية • أو ما كان يسمى خلال الاحتلال :

« المروك » مراكش • والايالة التونسية • وطرابلس وبرقه و (لالجيري) (Algérie) القطر الجزائري • ولم تكن يومئذ الجمهورية الاسلامية الموريطانية ـ أي بهذا الاسم ـ بل كانت مستعمرة فرنسية أيضا باسم (Mauritanie) بينما كانت الصحراء الغربية تحت الاحتلال الأسباني وتسمى « الساقية الحمراء » ذلك لأن هذه الأقطار كلها ـ أو على وجه التحديد باستثناء ليبيا التي كانت تحت الاحتلال الايطالي ، فى بعض الحالات ـ عاشت نفس الوضعية ، واكتوت بنفس عقلية النار الاستعمارية • وظروفها ووضعيتها الجغرافية والاجتماعية واحدة ، والدولة المستعمرة واحدة • فى حين كان الاتجاه والأمل والألم واحد ، ومن ثم كان تشابه كبير فى وسائل الكفاح ، واشتراك فى أكثر الأحيان فى الغرم الثقيل ، أو الغنم القليل !

ولئن كانت الجزائر أول ضحية للاحتلال الأجنبي ، ومنيت بالاستعمار المباشر ، وباستيطان المحتلين البلاد الجزائرية أستيطانا مبنيا على اذابة العنصر الأهلي والقضاء عليه بجميع مقوماته ، وتجريد شعبها من أخصب أراضيه ، واقصائه عن الادارة والوظيف ، واحتكار المحتلين لجميع الموارد الاقتصادية •

وفى النهاية طمعوا فى تنصيره وتجريده من أمجاده الدينية والحضارية ، وبسبب كل ذلك كان الضرر بالجزائريين أشد ، وكانت مقاومتهم أطول وأعنف ، وخسائرهم أثقل وأربى •

ويكفي أن مقاومة الاحتلال التي دامت سبعة عشر عاما ذهبت تقريبا بنصف الشعب الجزائري اذ ذاك — أي نحو ميلوني نسمة — وثورة التحرير استلزمت سبع سنوات ونصف من حرب استعمارية ابادية قضت على مليون ونصف من الأنفس ، فضلا عن المشوهين والمعطوبين ، قلت لئن كان كل هذا بالنسبة للجزائر — التي صار اخواننا المشارقة يدعونها « بلاد المليون ونصف شهيد — فان تونس والمغرب لم يكونا بمنجاة من آثار الاحتلال الفرنسي وأساليبه المرهقة ، وعنصريته المذلة • وسنتكلم ، باختصار ، عن ظروف هذه الأقطار الشقيقة واحدا ، واحدا •

1 — المغـرب :

المغرب الأقصى (Maroc) أو السلطنة المغربية الشريفية ، فبالرغم من أن فرنسا جاءت المغرب الأقصى بمقتضى اتفاقية دولية لحماية « دولة مستقلة » فهي ما لبثت أن أنشأت جالية كبيرة من المزارعين واقتطعت لهم أراضي ، وأقامت شيئا فشيئا ادارة للحكم المباشر ، وكثر موظفوها تبعا لذلك أمام تقلص الموظفين المغاربة الى أن صاروا يكونون كتلة كبرى مسيطرة •

هذا زيادة على التجار والخبراء والصحافيين ، ورجال الأعمال والسياسة ، والجيش ••• الخ الأمر الذي أدى بالحكومة الى تكوين مجالس نيابية خاصة بالمحتلين « الحامين » فى الوقت الذي لم يتمتع سكان البلاد الأصليون بأي تمثيل ، بينما كانت الصلاحيات التي تركت للسلطان تنتقص من أطرافها شيئا فشيئا حتى صار — تقريبا — كل شيء تحت اشراف المقيم العام الفرنسي (المسيو ليوطي) يومئذ •

ولم يكتف المستعمرون بذلك بل عمدوا الى تقسيم الشعب المغربي نفسه ، على أساس من العنصرية المفتعلة ، فأقاموا « الظهير البربري »

الذي ينتزع تقريبا ربع الشعب المغربي 25 ٪ من سلطة المخزن « الادارة الوطنية » ليضعه تحت السلطة المباشرة للادارة الفرنسية •

وللظهير ــ أي القرار ــ البربري حكاية طويلة بدأت سنة 1914 ضعيفة مجهولة للخواص ، وانتشر أوارها وتفاقم خطبه اسنة 1930 حيث التقت ــ التقاء المجرم بأخيه ــ مع حكاية سياسة الاندماج فى الجزائر ، ومضيا جنبا لجنب بمضاعفاتهما والتواآتهما •

وقد اتخذت قصة « الظهير البربري » صبغة عالمية اسلامية ، وأحدثت مقاومة عنيفة فى الداخل والخارج ، قابلها الفرنسيون بالشدة تـارة وبالمراوغة أخرى •

تماما كما وقع أمام قضية « المقاومة المسلحة » فما أن انكشفت نية الفرنسيين والأسبان السيئة حتى تفجرت المقاومة هنا وهناك ، وكانت أعنفها ، وأكثرها نظاما ووطأة مقاومة البطل الريفي عبد الكريم الخطابي ثم ابنه محمد الذي اضطلع بالأمر بعد وفاة أبيه منذ سنة 1921 ، وأظهر هذا من حسن الاستعداد والنظام والثبات ما أعطاه صفة الزعامة •

وأمام انتصاراته الهائلة على الأسبان فى الريف المغربي وتوجهه جنوبا نحو منطقة نفوذ فرنسا فقد خشيت هذه من سطوته ، فبيتت له مكيدة مزدوجة الحدين : حد داخلي مع أتباع الطريقة « الدرقاوية » ، وحد خارجي وهو التفاهم مع أسبانيا •

فأما جانبها الداخلي فقد كانت فرنسا تعلم أن محمدا الخطابي كان على خلاف مع رؤساء أتبـاع الطريقة الصوفية الدرقاوية ، فأمدتهم بالعتاد والسلاح ، وأغرتهم باثارة القلاقل والاضطرابات فى منطقة محمد الخطابي التي حررها من الأسبان ، وما حل يوم الثالث عشر (13) أفريل (نيسان) 1925 حتى وقع الحادث المنتظر وبدأ القتال بين الخطابي وفرنسا ، ولما اتسع القتال ورأت فرنسا حسن تنظيم وقوة عند المقاومين تحت قيادة الخطابي ، ولم تؤثر عليه الأحداث الداخلية ، على خلاف

ما رأته وعرفته من مقاومات الجهات الأخرى من المغرب ، آل بها الأمر الى التفاهم مع أسبانيا العدوة .

وبالرغم مما تتوفر عليه الدولتان الكبريان من سلاح وعتاد وتنظيم ، فقد صمدت قوات الخطابي طيلة سنة كاملة ، أي من 1925 الى 1926 وألحقت بالدولتين خسائر كبرى .

ولم تكن مرحلة المقاومة المسلحة بعد قد انتهت حتى أخذت المقاومة السياسية طريقها الواضح ، وكانت حملة « الظهير البربري » عود ثقاب الحركة السياسية الوطنية ، ذلك لأن قضية الظهير اتخذت شكلا دينيا ـ كما هو الواقع ـ وعم الاستياء جميع العالم الاسلامي ، وقامت ضجة كبرى سواء فى البربر ـ أو ما يطلق عليهم الاستعمار البربر ـ أنفسهم والمغاربة ، أو فى المسلمين فى كافة أقطارهم ، ضد هذا التنصير الاجباري .

وأمام هذا التحرك العالمي تراجعت ـ ظاهريا ـ حكومة الحماية واستطاع الشباب المغربي أن يصدر مجلة « المغرب العربي » سنة 1932 (للكتلة المراكشية للعمل) ، ومجلة « أطلس » . وكانت الكتلة مجرد جمعية للعمال تطالب بتحسين الحالة الاجتماعية ، على غرار ما بدأت به حركة « نجم الشمال الأفريقي » سنة 1926 ، ثم تطورت الى شبه حزب سنة 1934 وذلك بعد زيارة السلطان محمد الخامس مدينة فاس حيث منعته سلطة الحماية من الصلاة فى جامع القرويين بدعوى أن هذا الجامع مركز لنشاط الكتلة الغير المرغوب فيها ، وأن صلاته فى الجامع تعتبر تشجيعا للكتلة .

ولا يخفى أن أول منطقة ظهرت فيها المقاومة ضد الحماية ، وبعد أيام فقط من امضاء صك الحماية ، هي منطقة ومدينة فاس العامرة التاريخية ، ثم وسعت نشاطها فى الجماهير الشعبية ونادت بالولاء للسلطان . ومن ثم تتج انسجام بين الحركة الوطنية والسلطان محمد الخامس ، وتقدمت ببرنامج لحكومة فرنسا تطالب فيه بفتح باب الوظائف للمغاربة ، وبفصل السلطة القضائية عن السلطة الادارية ـ أي سلطة الحماية ـ وبتأسيس مجالس نيابية للمغاربة ، مثلما هو موجود للجالية

الفرنسية ، ولكن بشرط بقاء السلطتين التشريعية والتنفيذية للسلطان حسب النظام القديم • وتطالب الحركة فى البرنامج بمطالب اقتصادية وثقافية واجتماعية •• الخ •

وبصفة عامة فقد كان هذا البرنامج يشبه لحد بعيد برنامج « نجم الشمال الأفريقي » فى أول نشأته ، وقبل أن يبتعد عن الحزب الشيوعي الفرنسي ، وينادي باستقلال الشمال الأفريقي كله •

ونذكر أنه تقدم لنا فى هذا الكتاب أن جماعة من المغاربة والتونسيين، مثل الزعيم علال الفاسي من المغرب ، والشاذلي خير الله من تونس ، وغيرهما ، كانوا شاركوا فى حركة النجم بصفة أو بأخرى • ومنهم من ذهب مع مصالي رئيس الحركة الى مؤتمر (بروكسيل) سنة 1927 مثل الشاذلي خير الله من تونس • وقد قدم الى هذا المؤتمر برنامج يذهب حتى الى المطالبة باستقلال الشمال الأفريقي كله •

بيد أن اتصال المغاربة والتونسيين بالنجم لم يدم طويلا ، وصار كل واحد يعمل على شاكلته (1) •

على أن اخواننا التونسيين والمغاربة كانوا يشعرون أن قضيتهم أخف بكثير من قضية الجزائريين ، فشتان بين مستعمرة احتلت بالقوة وألحقت نهائيا بممتلكات الدولة المحتلة ، وبين محمية تساندها قوانين دولية ومعاهدات ثنائية ، وتتمتع بحكومة وطنية قائمة •• أو هذا ما كان يعتقده اخواننا ، ولو هو خلاف الواقع •

ولربما أخذت عليهم المظاهر التي كانت تبديها الحكومة الفرنسية فى نوع من التساهل ، كموقفها ازاء الكتلة المغربية من جهة ، حينما وعدتها بالنظر فى برنامجها الاصلاحي وقبول التفاوض عليه • بينما لم تقابل أي مطلب من مطالب الجزائريين الا بالاعراض ، وتارة بالقهر والارهاق •

---

1 ـ كتاب المغرب العربي للعقاد ، ملخصا ، ص 387–392 •

وهكذا تذهب الكتلة الوطنية المغربية فى نشاطها وجهادها ، بالرغم من مضايقات المقيم العام (بيروطون) الذي كان يظهر أنه أشد من سابقيه ، حتى اذ جاءت « الجبهة الشعبية الفرنسية » الى الحكم سنة 1936 وجدنا الحركة ــ كسائر حركات المغرب العربي ــ تنسجم معها وتعلق عليها جميع آمالها ، وكان أول تجاوب من الجبهة مع الكتلة هو فصل (بيروطون) وتعويضه بالجنرال « نيقوس » (Negus) وقد سمح هذا بشيء من الحرية للكتلة فأسست لجنة مؤقتة برئاسة علال الفاسي وتعيين محمد الوزاني أمينا عاما لها ، غير أن الوزاني انسحب بعد وأسس حزب الشعب ، فعوضته الكتـــلة الوطنية بالسيد أحمد بلافريج واستمرت فى نشاط مرموق ، وكانت خطتها ــ على خلاف الوزاني المقتنع بالنظريات الغربية ــ اسلامية عربية متأثرة بفكرة رئيسها علال الفاسي الوطني المسلم الصميم الذي أخذ عن الشيخين الجليلين : أبي شعيب الدكالي ، ومحمد بن العربي العلوي اللذين بدآ أول حركة وطنية مبنية على المذهب السلفي الاسلامي فى المغرب •

ونظرا لنشاطها الوطني الصميم فقد أقلقت المقيم العام نيقوس فحلها سنة 1937 • ولكن علال الفاسي أعاد تشكيلها تحت اسم : « الحزب الوطني » بيد أن الاستعمار الفرنسي كعادته فى الجزائر وتونس ، زاد فحل الحزب الوطني يوم 25 أكتوبر 1937 ، وشرد أعضاءه وأبعد رئيسه علال الفاسي الى « الغابون » من سنة 1937 الى سنة 1946 •

وأثناء هذه الفترة قام حزبان آخران فى المنطقة الخليفية « الريف » (2) هما حزبا « الاصلاح » بزعامة الطريس ، وحزب « الوحدة المغربية » بزعامة المكي الناصري • ووجد هؤلاء مندوحة للعمل بسبب تنافـــس أسبانيا مع فرنسا وسوء العلاقة بينهما • وزاد المناضلون فى حزب الكتلة فأسسوا « حزب الاستقلال » الذي سيلعب دورا هاما فى استقلال المغرب ، برئاسة علال الفاسي وهو فى منفاه •

---

2 ــ كانت منطقة الريف التي تحت الحكم الاسباني تسمى «المنطقة الخليفية» سبب أن حاكمها الوطني يمثل خليفة السلطان ويحكم باسمه .

وذلك أثناء عقد مؤتمر بتاريخ 11 جانفي ــ يناير ــ 1944 وطالب هذا الحزب بالاستقلال الكامل الناجز وسقوط الحماية • بينما أسس الوزاني هو الآخر حزب « الشورى والاستقلال » •

والشيء البارز فى الحركة الوطنية المغربية على العموم أن تعدد أحزابها لم يقدها الى الخلاف أمام حق المغاربة المغتصب من الاستعمار ، بل فانهم عند اللزوم يواجهون الادارة الاستعمارية بنفس الموقف ونفس الحماس • على خلاف ما وقع فى تونس مثلا وحتى فى الجزائر بعض الأحيان ، وأرى ان الفضل فى هذا التجمع المشكور يرجع الى الملك محمد الخامس ، رحمه الله ، ؟ فلقد كانت مواقفه الوطنية النادرة الوجود لا تترك لهيئة أو شخصية مجالا للخلاف • والناس ــ كما يقول المثل ــ على دين ملوكهم •

2 ــ تونس ــ او الايالة التونسية :

أما تونس أو « الأيالة التونسية » كما كانت تسمى زمن الحماية ، وحتى أيام حكم الأتراك ، فلم تكن باسعد حظا من شقيقتها الجزائر والمغرب ، فالحماية التي فرضت عليها سنة 1881 كانت نتيجة تحرشات مقصودة ومؤامرات دولية مبيتة •

فبالرغم من خضوع الباي محمود ورضوخه لتهديدات فرنسا فأعطاها جميع التعهدات بالغاء الاتاوات التي كان البحارة التونسيون يأخذونها من أسطول فرنسا مقابل المرور بالبحر الأبيض ، وبالغاء استرقاق المسيحيين الذي اشترطته فرنسا ، وذلك على خلاف ما فعل داي الجزائر الذي لم يرضخ اذ ذاك لتهديدات الفرنسيين وهذا حوالي عام 1919 م •

وبالرغم من التنازلات التي قدمها بايات تونس ، بعد ذلك الوقت الى فرنسا ، حتى انه بلغ بالباي حسين أن يمالىء فرنسا على احتلال الجزائر • وبالرغم من كل ذلك وأكثر فقد عزمت فرنسا أثناء حكم « جول فيري » على احتلال تونس ، وأتت بقصة ــ كقصة المروحة الجزائرية ــ وهي قصة « قبيلة الكرميين » الذين زعمت فرنسا انها لم تدخل تونس لا لاخضاعهم واعانة سمو الباي • وذلك برغم أنف هذا الباي !

فما حل يوم 24 أفريل ـ نيسان ـ 1881 م حتى دخلت القوات الفرنسية الحدود التونسية آتية من القطر الجزائري الذي كان تحت السيطرة الفرنسية حينئذ • وأمام المقاومة الضعيفة التي أمر بها الباي محمد الصادق، فما جاء يوم 11 ماي ـ ايار ـ حتى كانت القوات الفرنسية بمدينة تونس نفسها ، وكان قائد الحملة الجنرال (بريار) أمام قصر باردو ، يحمل نص المعاهدة التي حضرها (جول فيري) الطرف الواحد وقدمها الى الباي محمد الصادق ليمضيها فى ظرف خمس ساعات ليحقن دمه ودم الشعب التونسي ، فما كان من محمد الصادق باي الا أن أمضاها تحت ضغط القوات الفرنسية المحيطة بالقصر ، وخيانة أخيه الطيب • (3)

وعلى خلاف الجزائر والمغرب الأقصى فان المقاومة فى تونس كانت ضعيفة جدا بحيث لم تدم أكثر من شهرين أو ثلاثة واستقر الأمر للاستعمار الفرنسي ليضيف الى المعاهدة الأولى : معاهدة باردو ـ معاهدة أخرى عرفت بمعاهدة « المرسي » • هاته المعاهدة التي متنت الاحتلال وأعطت قوة أخرى للادارة الفرنسية ، وذهبت هذه الادارة ، بامتداد الزمن ، تنشر نفوذها السياسي والاقتصادي شيئا فشيئا الى أن انقلبت الحماية الى استعمار رسمي بجميع مؤهلاته ، فحجزت الأراضي الشاسعة التونسية وسميت « أملاك الدولة الفرنسية » ، واستولت الادارة على الأوقاف الاسلامية الخيرية ـ كما فعلت فى الجزائر ـ واستبدت بمصادر الثروة المعدنية ، فضلا عن الصناعة والتجارة وغيرهما •

وهكذا تدفقت اعداد المهاجرين من فرنسا وايطاليا ومالطة لتنفق عليهم هذه الخيرات ولتوزع عليهم الأراضي التونسية على غرار قانون استرالي كان أنشيء من أجل الأراضي الخالية الغير المملوكة فى استراليا بعد اكتشافها ••• !

ويقضي هذا القانون ، بمجرد تصريح من المستولي على الأرض بحيازتها وتسجيلها فى سجل خاص ، لتصبح له ملكا فى المستقبل •

---

3 ـ المرجع السابق ، ص 204 •

وتدرجت الادارة الفرنسية تضيق على التوسيين أهل البلاد وتفتح المجالات للمهاجرين الأجانب وتفضلهم على الأهالي حتى وقعت « حادثة الجلاز » .

والجلاز مقبرة كبرى بضاحية مدينة تونس ، أرادت الادارة الاستعمارية مسحها وتحديدها بقصد أخذ بقية الأراضي المحيطة بها واعطائها للمستوطنين . فقامت قيامة التونسيين وتعرضوا فى مظاهرة كبرى لموظفي الادارة الذين جاءوا لمسح المقبرة والأراضي المحيطة بها التي كانت أوقفت عليها من لدن المحسنين . ولكن الادارة تعرضت لهذه المظاهرة السلمية بقوة الجيش ، وبكل شدة ، ووقع عشرات الموتى ومئات الجرحى من التونسيين . واغتنمت السلطة الفرنسية الفرصة لتعلن الأحكام العرفية التي بقيت مصلتة على رؤوس الأهالي من سنة 1911 الى سنة 1921 م (4) .

ولكن الظلم مرتعه وخيم ، والضغط لا يولد الا الانفجار فقد كان حادث الجلاز ومضاعفاته فاتحة عهد جديد يمكن أن نعتبره عهد بدء « الحركة القومية الدستورية » التي سيكون لها الدور الرئيسي فى تحرير البلاد . لقد ظهرت كتلة المثقفين فى الخارج ومنهم علي أبو شوشة الذي أسس جريدة « الحاضرة » واستطاع أن يجمع حولها كتلة قوية تحمل فكرة قومية اسلامية تحررية ، وكان من هؤلاء البشير صفر ، وعمر أبو حاجب ، وعلي البقلاتي . ثم الشيخ عبد العزيي الثعالبي الذي سيلعب دورا كبيرا فى الحركة القومية التونسية التحررية .

وقد تعززت بهذه الحركة الجديدة حركة سابقة هي « حزب تونس الفتاة » الذي أسسه المحامي علي باش حامبه (5) . لمعارضة سياسة

---

4 – المغرب العربي ، ص 348 – طالع كتاب حياة كفاح ، الجزء الأول لأحمد توفيق المدني ففيه تفصيل عن الحادث .

5 – تأسس هذا الحزب سنة 1908 م ومن اسمه يمكن أن نأخذ معنى التحرك الذي وقع في البلاد العربية بسبب ظهور حزب «تركيا الفتاة» فعرب المشرق كانوا تخيلوا في هذا الحزب التركي شؤما ، أما عرب المغرب فقد كانوا لا يزالون يعلقون أملا على تركيا اذ ذاك .

الحماية فى ارادة تجنيس اليهود التونسيين بالجنسية الفرنسية ، كما وقع فى الجزائر تجنيس اليهود بقرار « كريميو » الشهير .

ومضت السياسة الفرنسية فى طريقها الاستعماري المرسوم ، حتى أثناء الحرب العالمية الأولى ، وبعد توقف الحرب قامت فى تونس كسائر أقطار العالم ، حركة مطالبة للحقوق بالعرائض والكتابة فى الجرائد التي لأولما ارتفع عنها الحصار بسبب الحرب ، وبارسال الوفود الى فرنسا ...

كان على رأس هذه الحركة جماعة من الرعيل الأول منهم أحمد الصافي وعبد العزيز الثعالبي ومحمد بن عمار ومحمد الرياحي وحموده المستيري وعلى كاهية ، وغيرهم . وقد أوفد عبد العزيز الثعالبي الذي بدأ نجمه يتألق فحل بروما حيث قدم الى الرئيس ويلسوز الامريكي عريضة باسم « الحزب الحر التونسي » تطالب بالحرية والاستقلال للشعب التونسي . ثم الى باريس حيث استقر مع اخوانه من الزعماء العرب ، حاملا معه الأمل الذي يحمله كل زعماء الشعوب المستعمرة اذ ذاك ، بالحظوة بشروط ويلسون الشهيرة لكن لم يكن حظه مع فرنسا أحسن من حظ الأمير خالد الزعيم الجزائري وغيره فلم يجد بدا من كتابة رسالة الى اخوانه فى الحركة ، وذلك فى شهر فيفري ــ شباط ــ 1920 م يخبرهم بعدم جدوى شروط ويلسون ، ويستحثهم على الاعتماد على النفس بالكفاح والمثابرة والجهاد لزمن طويل ، واقترح أن تسمى حركتهم السياسية « الحزب الحر الدستوري التونسي » .

وأقيم الحزب بأعضائه ولجنته التنفيذية العليا وببرنامجه السياسي الذي يعتبر فى الحقيقة متواضعا ، اذ اقتصر يومئذ على المطالبة بتنفيذ بنود الحماية الحقيقية ، واقامة الدستور التونسي الذي يعطي حكم الايالة للتونسيين أربابها تحت اشراف وحماية فرنسا الخارجية ، كما هو منطوق ومفهوم معاهدة عام 1881 م (6) .

---

6 ــ حياة كفاح ، توفيق المدني ، ص 713 ، ج 1 .

وعمد هذا الحزب الى العمل على تنوير الرأي العام بالكتابة تارة وبالاحتجاج أخرى ، وبتنظيم الشعب التونسي فى صفوف الحزب على أساس المطالبة بقيام حكم دستوري فى البلاد .

وأحسن ما قام به الثعالبي هو كتابه الشهير « تونس الشهيدة » الذي نزلت الحقائق المسطرة فيه على رأس الاستعمار الفرنسي كالصاعقة ، كما أنه زرع بذور الحياة فى الشعب التونسي وكهرب الوسط الوطني ، فتفجر الشعب فى مظاهرات بنادي بسقوط الحماية .

الا أن الحكومة الفرنسية عمدت الى القاء القبض ، فى قلب باريس ، على الزعيم الثعالبي وساقته الى الثكنة العسكرية فى تونس مكبلا بالحديد، تنفيذا لرغبة المقيم العام الذي أدعى ، كذبا وبهتانا : ان الداي مغتاض من معاملة فرنسا مع رعيته مباشرة ، ومن أجل ذلك فان حكومة الجمهورية الفرنسية ليس لها شأن مع الحزب ولا تعترف الا بسلطة الباي ولا تتفاهم الا معـه » .

لكن ، وهل نحن فى حاجة الى الاستدلال على أن العقيدة اذا تمكنت أمة لا يمكن أن تخمد تحت عوامل القوة أبدا ؟ بل ان هذه تزيدها اشتعالا وعنادا ، فامام تفاقم حركة الحزب الحر الدستوري وانتشارها عبر مختلف جهات الوطن ، وقد أظهر الباي محمد الناصر تأييده للحركة أو عطفه على الثعالبي رئيس الحركة ، فقد استقدمت الحكومة الفرنسيـة المسيـو (لوسيان سان) ليكون على رأس الاقامة العامة ، وليستعمل خبرتـه وشدته ضد هذه الحركة القومية التي ما فتئت تتزايد !

جاءت زيارة رئيس الجمهورية الفرنسية لتونس التي صرح أثناءها بأن فرنسا « تنوي بقاء ارتباط تونس بفرنسا الى الأبد » فقامت حملة عنيفة من الحزب الدستوري ضد هذا التصريح (7) وأيدها الباي محمد الناصر

---

7 – في جريدة «العصر الجديد» عدد 127 تاريخ 3 مارس 1923 ، أثناء الكلام عن خيانة فرنسا لوعودها أثناء الحرب ، ما يأتي : « ... وبعد هذا وذاك سلكت –فرنسا– سبيلا غير هذين – خيانة العهد والكيد للحركة – وارادت أن تبث سياسة جديدة في التونسيين ، فقد قال في شهر أفريل الماضي رئيس الجمهورية عند زيارته : « ان حظوظ تونس مرتبطة بحظوظ فرنسا الى الأبد » وبعد ذلك أخذت تسلك سياسة الاستبداد مع القوة من غير مبالاة ..

رحمه الله الذي دخل منذ ذلك الحين فى صراع مع فرنسا الحامية أدى به الى الاستقالة ، وحدث استياء عظيم ، بسبب هذه الاستقالة ، من الشعب الا أن موت محمد الناصر المفاجيء ، والذي بقي الى الآن سرا مجهولا ، وقيام الباي محمد الحبيب الذي كان منقادا للادارة الفرنسية فوقع على الاجراءات التي امتنع من توقيعها محمد الناصر وأدت به الى الاستقالة ، كل هذا حال دون وقوع أي حادث •

ومرت الأيام ــ فى نظر الفرنسيين ــ بسلام ، ومضت الادارة الفرنسية فى تعسفها وتجاهل مطالب التونسيين ، واستصدار قرارات من الباي المغلول جلها ضد المصلحة الوطنية التونسية ، حتى ان الاقامة العامة والمتوطنين أدى بهم الغرور سنة 1931 م الى الاحتفال بمرور نصف قرن على احتلال تونس « المحمية » تأسيا بزملائهم فى الجزائر « المستعمرة » !•

كل هذه الأعمال الاستفزازية أدت بكتلة الشباب المثقف ثقافة افرنسية الى الانضمام لصف القدماء فى الحزب الدستوري بنوع أو بآخر من النضال ، وأسسوا جريدة « العمل التونسي » تحت رئاسة تحرير الحبيب بورقيبة الشاب الطموح والمتحمس ، ولكنه حماس العلماء ، فذهبت هاته الجريدة تكتب فى مسائل اجتماعية واقتصادية ، ضاربة صفحا عن المسائل السياسية •

وبالرغم من عدم رضاء مؤسسي الحزب القدامى على خطة الجريدة فقد قدروا أن ينسجموا ــ ولو الى حين ــ أمام الخطر الاستعماري مع هؤلاء الشباب ، ودعوا الى مؤتمر انعقد فى الثاني عشر من شهر ماي ــ أيار ــ 1933 م وأصبح محرروا جريدة العمل أعضاء فى اللجنة التنفيذية للحزب •

وعلى رأي الدكتور صلاح العقاد فى كتابه « المغرب العربي » فان هؤلاء الشبان بنشاطهم وسياستهم الاصلاحية استطاعوا أن يجلبوا كثيرا من آراء أعضاء الحزب القدامى ، وان أغضبوا من ناحية أخرى غيرهم • وكان اغضابهم هذا مزدوجا ، فمن ناحية أغضبوا الادارة بنشاطاتهم وببعض نجاحاتهم فى مطالبهم ، فعمدت الى حل الحزب رأسا • ومن ناحية أخرى

أغضبوا رئيس الحزب وأعضاءه المؤسسين الأوائل الذين يعتنقون فكرة الاستقلال التام •

ولئن امتدت فترة الاتحاد فى الحزب مدة على هذه الحال الغير المنسجمة فكريا ، فقد آل الأمر فى النهاية الى الانفصال ، وظهرت كتلتان أو منبران فى الحزب : « اللجنة التنفيذية » وهي عبارة عن الحـزب القديـم • و « الديوان السياسي » وهو عبارة عن الحزب الجديد ، ولكن كلا المنبرين بقيا يحتفظان بنفس الاسم للحزب وهو : الحزب الحر الدستوري ملحوقا بالاسم الجديد •

ومبدأ ظهور الانقسام نهائيا هو مؤتمر أو « اجتماع » قصر هلال الذي انعقد فى شهر مارس 1934 بدعوة الشباب ولم يحضره القدماء ، فأعلن المجتمعون فصل هؤلاء وأطلقوا منذ ذلك اليوم اسم « الحزب الحر الدستوري الديوان السياسي » برئاسة الدكتور الماطري وكتابة الحبيب بورقيبة •

ولم يستسلم أعضاء الحزب القدامى فبقوا يعملون باسم « الحزب الحر الدستوري اللجنة التنفيذية » • بيد أنه ، وبسبب غياب زعيم الحزب الشيخ عبد العزيز الثعالبي فى المنفى وبعض أعضائه البارزين خمدت حركة اللجنة التنفيذية نوعا ما ••• بينما نشطت حركة حزب الشباب « الديوان السياسي » وبالرغم من برنامجه الجديد المتواضع والذي لم يتعد مطالب اصلاحية اجتماعية فى ظاهره ، فقد صادف تجاوبا كبيرا لدى الجماهير الشعبية التي كانت متعطشة لتحسين حالتها الاجتماعية بكل صفـة ، واستطاع الحزب الجديد ، بفضل التأييد الشعبي ، أن يلعب الدور النهائي فى الحصول على الاستقلال بزعامة المجاهد الحبيب بورقيبة وبفضـل الظروف المناسبة • واستطاع قبل ذلك أن يتخطى كل العقبات الكأداء ، والمؤامرات ، والمحن التي لم تقتصر على أعضاء الحزب بل تعدت الى أن عمت الشعب التونسي بأسره وزلزلت جوانبه •

وهكذا ذهب التوتر فى الايالة التونسية فى تزايد مستمر ، فما من تحرك وطني الا تقابله الادارة الاستعمارية بالنار والحديد والمكائد •

وأثناء سنة 1933 م تدرجت الادارة ـ تماما مثلما فعلت فى الجزائر والمغرب ـ فأثارت مشكلة التجنيس ، بايعاز من مستوطني الجزائر من رؤوس الاستعمار ، وعلى رأسهم « مورينو » شيخ مدينة قسنطينة والنائب البرلماني لمقاطعتها ، فوعده وزير الخارجية أن يستحث الادارة الفرنسية فى تونس لتشهر حملة (مكيدة) لفائدة التجنيس .

وشاع هذا الخبر الذي أثار ضجة فى الشعب التونسي وشاءت الأقدار أن يموت أحد المتجنسين ، فاغتنمت ادارة الحماية الفرصة وأعلنت أن المتجنس بالجنسية الفرنسية من المسلمين يجوز دفنه بمقابر المسلمين ، على خلاف ما حكمت به الشريعة الاسلامية . ولجأ التونسيون الى علماء مصر مستفتين فأفتوهم بأن المتجنس بجنسية أجنبية يعد ـ شرعا ـ مرتدا كافرا ، فلا يجوز دفنه فى مقابر المسلمين ، كما لا يجوز الصلاة عليه ، ولا يرث ولا يورث ... ولكن الادارة الفرنسية قابلت ذلك باستصدار فتوى من بعض علماء تونس تحت الضغط والاكراه ، تخالف فتوى المصريين والحقيقة الشرعية .

وحدث بعد ذلك أن مات أحد المتجنسين فتجمهر الشعب أمام داره فى الشوارع المحيطة ليمنع دفنه فى مقبرة المسلمين بمدينة تونس ولكن الادارة هجمت على الجميع بشرطتها وجيشها مدججين بالسلاح الخفيف والثقيل وأسقطوا خلقا كثيرا قتلى وجرحى . وكان للادارة ما أرادت ، فدفن المتجنس بالمقبرة الاسلامية تحت الحراب .

وماتت حليلة رئيس جمعية المتجنسين المدعو عبد القادر القبائلي فدفنت بقوة الجند فى مقبرة « الجلاز » . وعندئذ عم الاستياء وانتشر التذمر فى جميع أنحاء الايالة ، وأعلن طلبة « جامع الزيتونة » وفروعه وطلبة المدرسة الخلدونية ، الاضراب العام .

وجاء دور الصحافة الاستعمارية والمستوطنين ليصوروا الحالة فى تونس وكأنها ثورة عارمة ستقضي عليهم وعلى وجود فرنسا فى هذا القطر فاستصدرت الادارة قرارا شبيه قرار « Reigner » الذي استصدره

المستوطنون فى الجزائر • بل يعتبر أشد منه نظرا للفرق بين « المحمية » الدولة المستقلة داخليا والمستعمرة الملحقة بالدولة المستعمرة •

وجاء دور القمع والزجر تنفيذا للقرار المذكور بالسجون والمنافي ـ دون محاكمة أو بعد محاكمة صورية لرجال الحركة الوطنية ، وبتعطيل الجرائد الوطنية مثل النهضة اليومية ، والوزير ، والعصر الجديد ، ومرشد الأمة ، وأفريقيا • وذهب « منصرون » المقيم العام فى خطته الى النهاية المحزنة والمخزية ، وانتهى دون انتهائها •

وجاء دور « بيروطون » ليشمر عن عضلاته هو الآخر ، فبدل أن يظهر نوعا من التسامح الذي ربما يعقبه التفاهم بسبب هدوء الأفكار واستتباب السلام ، أو « الاستسلام » وقف فى « المجلس الكبير التونسي » ليعلن أنه لا ••• ولن يتخذ وسائل التسامح تجاه المبعدين الا اذا ركعوا بين يديه ملتزمين بعدم الرجوع الى أية حركة سياسية والى أي نشاط ، خاصة منهم أعضاء الحزب الذي كان حل رسميا وهم السادة : الماطري والحبيب بورقيبة ومحمد بورقيبة وغيرهم • ومعنى ذلك ان المقيم بيروطون يريد أن يجعل من القطر التونسي مقبرة لا ينطق فيها واحد بكلمة حياة ! •

وجاءت الحكم « الجبهة الشعبية الفرنسية » (Le Front Populaire) وأمل التونسيون تبديل السياسة القمعية ، ولكن المقيم العام بيروطون مضى فى تجاهله للواقع التونسي الأليم ، ومضت الحركة الشعبية تتفاقم ، وأمتد اضراب طلبة الجامع الأعظم وفروعه لغاية منتصف عام 1936 ، فاستقدمت الحكومة الفرنسية ـ كمقيم عام ـ المسيو « أرمان ڤيون » وجاء هذا فوعد بسياسة المشاركة الصادقة واجابة رغـائب التونسيين المعقولـة •

وأول عمل قام به هو ارضاء الطلبة فى مطالبهم ، ثم عمد الى تسريح بعض المبعدين السياسيين وغلق منفى « برج لوبوف » الذي وصفته الجرائد « بجهنم الدنيا » ولكنه أبقى زعماء الحركة الثمانية تحت الاقامة الجبرية بقابس وجربه وهم السادة : محمود الماطري ، محي الدين القليبي ، الطاهر صفر ، البحري ڤيڤة ، صالح ابن يوسف ، الحبيب بورقيبة ،

محمد بوزويتة • وذلك ــ حسب دعواه ــ ريثما يجري معهم محادثة طويلة • وبعد هذه المحادثة نشر المقيم بلاغا جاء فيه :

« ان المقيم العام أكد لهم بأنه لا يريد أن يرى فى المستقبل سياسة « هيجان » ! •• الا أنه عازم على تنفيذ سياسة الحماية بحذافيرها ، ويضيف البلاغ : وأجابه الدكتور الماطري على لسان الجميع : أنهم لن يسلكوا أبدا سياسة الهيجان ، وانهم لم يهاجموا مبدأ الحماية بل قصارى مطلبهم الاحراز على الحقوق التي يطلبها التونسيون » (8) •

فترة قيام الحكومة الشعبية الفرنسية

ما ان ظهرت حكومة الجبهة الشعبية فى فرنسا بسياستها التحررية ــ نوعا ما ــ حتى هبت جميع الحركات الوطنية فى المغرب العربي تطالب بحقوق شعوبها المهضومة ، وتعرب عن آمالها فى الحياة الكريمة •

وقد تكلمنا باسهاب عن حركة الجزائر المقصودة بالذات ، ونريد أن نشير قليلا بالمناسبة لما وقع أثناء هذه الفترة فى القطرين الشقيقين : تونس والمغرب الأقصى •

ففي تونس ، وقد تقدم ان المقيم العام ڤيون (Guyon) ، وعد بسياسة المشاركة الصادقة وأمر بتسريح المعتقلين السياسيين ، فما أن رأى الزعماء التونسيون نور الحرية الشخصية حتى استأنفوا نشاطهم كبقية اخوانهم فى الجزائر والمغرب متوجهين بآمالهم ورغبات شعبهم نحو باريس حيث حكومة الجبهة الشعبية معقد آمال المضطهدين يومئذ • وقد سافر بعض الزعماء ــ كمقدمة وفد ــ يحملون برنامج اصلاحات سياسية وادارية وعدلية وثقافية واقتصادية • وتصف مجلة الشهاب هذا البرنامج بقولها :

« ولو ان فرنسا قبلت هذا البرنامج ــ وهو كما ترى معتدل ومقبول وبسيط ــ وهو دون الخطوة الأولى لتحقيق الغاية التونسية ، لخرجت

---

8 ــ الشهاب ، ج ــ 3 م 12 جوان 1936 .

تونس من أزمتها الحالية ••• ثم تختم المجلة : انما هل تحقق فرنسا ـ ولو كانت شعبية ـ هذه الآمال ؟ • (9)

أما المغرب الأقصى ـ وقد قدمت شيئا من كفاحه ـ فقد اغتنم رجال « الكتلة الوطنية » هم الآخرون فرصة قيام الحكومة الشعبية وقدموا لها مطالبهم العديدة • ويصفها الشهاب بالمطالب التي حرروها بدقة وامعان جديرين بالاعجاب ، ولم يغادروا فيها صغيرة ولا كبيرة من نواحي الاصلاح الا أحصوها ••• وقديما اشتهر اخواننا بالمهارة السياسية والاحراز على القدح المعلى فى الميدان الديبلوماسي ••• » •

وأختم هذه الخلاصة عن المغرب العربي بما ختمت به مجلة الشهاب فى المقال السابق ، اعطاء لبعض النور عن تفكير تلك الفترة نحو سياسة فرنسا فى هذا الشمال :

••• « الشمال الافريقي كله متجه اليوم بآماله نحو حكومة فرنسا الشعبية ، فان خيبت فرنسا هذه الآمال ، فان الزمان سيحققها على كل حال • » •

وانها لنظرة بصيرة من الشهاب ، فان فرنسا لم تحقق شيئا من آمال هذه الشعوب ، على اختلاف حكوماتها ، وجمهورياتها • وانما الزمان والظروف وبفضل كفاح شعوب هذا الشمال ، قد حققت أمنيات شعوبه فى الحرية والاستقلال برغم ارادة فرنسا ، فولدت من جديد : المملكة المغربية ، فالجمهورية التونسية ، ثم الجمهورية الجزائرية • وباءت فرنسا بالخسارتين : خسارة هذه الأوطان ، وخسارة أبنائها وأموالها فى حروب استعمارية دامت نحو أحدعشر عاما ، ثم خسارة محبة هذه الشعوب • والله فى خلقه شؤون •

3 ـ ليبيا وعمر المختار :

أما ما كان يعبر عنه بـ « طرابلس وبرقة » ليبيا الحالية أو « الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية » (10) فقد أخرت الكلام عن كفاحها ،

---

9 ـ راجع مجلة الشهاب ج 4 ـ م 12 جويلية 1936 م •

10 ـ اسم عجيب ـ والله ـ ومتعب ؟..

منفصلا عن كفاح الأقطار الشقيقة الثلاثة ، نظرا لاجتماع هذه تحت استعمار واحد ، واختلافها ـ ليبيا ـ فى الوضعية • هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان نكبة ليبيا بالاحتلال الايطالي ، سواء ملكيته أو فاشيته ، لم تبلغها أية نكبة فى الشمال الافريقي •

وجهاد اخواننا الليبيين ، ابتداء من ادريس ألسنوسي وعمر المختار الى سليمان الباروني وبشير السعداوي وغيرهم ، لم يبلغه أي جهاد بطول مدته وثقل نكباته ، وفى صبره واحتماله برغم ضعفه وظروفه القاسية التي كانت ظروف أيام عنفوان الاستعمار العالمي الأروبي •

بيد أنه ، ومراعاة لمقصدنا فى هذا الكتاب وهو تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ، وليس غيرها ، يؤسفني أن أقتصر ـ كما اقتصرت على خلاصة للاحداث بالنسبة للمغرب الأقصى وتونس ـ على خلاصة عن قضية ليبيا •

واذا كان ولابد من ذكر هذه الخلاصة عن ليبيا ـ طرابلس وبرقه ـ فلا أحسن عندي من نقل بعض من مقال لأمير البيان فقيـد العروبـة والاسلام شكيب أرسلان ، وشيء من رسالة للزعيم المجاهد الطرابلسي بشير السعداوي • فهما يصوران نكبة اخواننا الليبيين بالاحتلال الايطالي ـ البليد الجبان ـ أصدق تصوير •

فمقال شكيب أرسلان كان أرسله لجريدة « الجهاد » المصرية بتاريخ 30 سبتمبر ـ ايلول ـ 1931 م بمناسبة استشهاد بطل ليبيا بدون منازع الشهيد عمر المختار ، وأنقل منه ما يلي :

« ••• أما ان الشهيد عمر المختار هو من أعظم رجال هذا العصر وممن تتزين بسيرته صحائف التاريخ العام فلا يمارى فى ذلك أحد عنده ذرة من الانصاف ، منذ شنت ايطاليا غارتها الغادرة على هذا القطر الطرابلسي السيء البخت ، أي منذ عشرين سنة تامة ، عمر المختار واقف فى وجهها بل واقف وقفة الأسد ، وفى مقدمة المجاهدين » •

« عشرون سنة مرت على غارة الطليان على طرابلس وبرقه وعمر المختار متقلد سلاحه يناضل عن وطنه ودينه نضالا نادر المثال يقاوم بوسائلـه

القليلة الضئيلة وفى وطن محصور من كل الجهات ، دولة عدد سكانها 42 مليونا وعندها من الاعتاد الحربية ما لا يقل عن اعتاد أكبر دولـة فى العالـم » .

« كم وقعة شهد عمر المختار فى هذه العشرين سنة فى جهاده للطليان ؟ الجواب على هذا متعذر وربما يعرف ذلك المجاهدون من أهل وطنه وربما لا يعرفونه كله لأن المجاهدين قد يعرفون شيئا من مواقعه فى مكـان ويجهلون غيرها فى مكان آخر . والسابقون الأولون منهم قد استشهدوا أو ماتوا فلم يعرفوا ماذا فعل عمر المختار من بعدهم . واللاحقون المحدثون قد عرفوا وقائعه الأخيرة ولم يعرفوا وقائعه السابقة وهو قد كان دائما على قدم الجهاد لا ملل ولا فتور ولا وهن ولا عجز » .

ويمضي شكيب فيقول : ولقد روى مراسل جريدة « الطان »(Le temps) الذي انفذته هذه الجريدة عمدا ـ خصيصا ـ الى بنغازي منذ نحو شهرين ليوافيها بأخبار عمر المختار . انه منذ عشرين سنة لم يخل يوما واحدا من جهاد فى الطليان ، وانه قد تجاوز الثمانين وهو لا يزال يقضي أكثر وقته على ظهر حصانه » .

ويقول : فعمر المختار هو من أعظم رجال هذا العصر ومن أكبر أبطال الاسلام بلا نزاع . ولا مندوحة من تدوين سيرته وتقييد ما يمكن تذكره من وقائعه التي تفوت الحصر وذلك فى كتاب خاص موسوم باسمه ينشر فى جميع العالم الاسلامي فتتلقى منه الناشئة الاسلامية الدروس اللازمة لها فى البسالة والصبر والثبات والاخلاص وسائر الأخلاق العظام التي لا يصعد المسلمون الى الذروة ، بعد هذا الانحدار الذي انحدروه ، الا بها ... » .

ويضيف المجاهد شكيب : عرفته يوم كنت فى جهاد طرابلس سنة 1911 ميلادية وقتئذ فى معسكر « أنور » فى عين منصور بظاهر درنه . وكان الشهيد اذ ذاك من جملة مشائخ الزوايا الناهضين القائمين بأمر الجهاد لكنه كان مشارا اليه من بينهم بالبنان فى شدة اقدامه وسعة بصيرته بأمور

الحرب ، وكان أكثر تعويل السيد السنوسي عليه فى مباشرة الكرائـه واقتحام لظى الوقائع • رحمه الله وجزاه عن الاسلام خيرا » •

ويضيف أرسلان : ولم تقع بيني وبينه مكاتبة ولا مرة الا منذ أشهر بعد أن كتبت تلك المقالة التي كتبتها عن فظائع الطليان فى طرابلس وبرقه ، وأحدث نشرها فى الخافقين ما أحدث من التأثير ، وأفهمت دول الاستعمار أن الاسلام حي لم يمت ، وان الآمال التي عندهم فى القضاء النهائي عليه بعيدة عن أن تتحقق أو لن تتحقق أبدا ، فيظهر أن السيد عمر المختار أطلع على تلك المقالة فشفت غليله كما شفت غليل الأكثرين وبعث الي بالكتاب الآتي :

« ••• بعد السلام الأتم والرضوان الشامل الأعم ورحمة الله وبركاته ، قد قرأنا ما دبجه يراعكم السيال عن فظائع الطليان وما اقترفته أيديهم الأثيمة من الظلم والعدوان بهذه الديار ، فانني وعموم اخواني المجاهدين نقدم لسامي مقامكم خالص الشكر وعظيم الممنونية وكل ما ذكرتموه عما اقترفته أيدي الايطاليين هو قليل من كثير وقد اقتصدتم كثيرا • وأما لو يذكر للعالم كل ما يقع من الايطاليين لا تجد آذانا تسمع لما يرونه من استحالة وقوعه •

والحقيقة ، والله وملائكته شهود أنه صحيح وأننا فى الدفاع عن أوطاننا ودينا صامدون وعلى الله فى نصرنا متوكلون • وقد قال تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » •

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، 20 ذي الحجة سنة 1349 هـ •

الختم : عمر المختار (11)

أما كتاب السعداوي الذي وصفه صاحب جريدة (الوفاق) محمد السعيد الزاهري ، بسعادة المجاهد الطرابلسي الكبير الأستاذ بشير

---

11 – الشهاب ج 11 – م 7 نفامبر 1931 .

السعداوي وكيل المكتب العربي القومي بدمشق ورئيس جمعية الدفاع عن طرابلس برقه ، فانه يقول :

« حضرة الأستاذ الفاضل السيد محمد السعيد الزاهري المحترم استقبل العالم العربي صدور جريدتكم « الوفاق » الغراء بارتياح عظيم بالنظر لما لكم من مكانة وطنية سامية لدى الناطقين بالضاد ...

وبعد أن يشكره على الجهود التي يبذلها عن حرب الريف المغربي ويهيب به الى الاستزادة من التشهير بفظائع الايطاليين يقول :

« ... فالنكبات والفواجع التي نزلت وما زالت تنزل بهم — أهل طرابلس وبرقه — من جراء طغيان السياسة الايطالية الاستعمارية قد وصلت الى درجة لم يصل اليها بلد من البلدان المغلوبة على أمرها . وان جمعية الدفاع عن طرابلس برقه ، قد اتخذ لها غرفة فى المكتب العربي القومي وهي لا تزال تناضل عن حقوق ذلك البلد العربي المنكوب ... !

دمشق 12 افريل 1938 (12)

وحدة المغرب العربي التي فرضتها الأحداث والتاريخ

الواقع ان عقد الثلاثينات كان فترة تحرك تاريخي من شعوب المغرب العربي ، كما كان ظرف تنكيل بهذه الشعوب من جانب الاستعمار أو « الاستدمار ! » الفرنسي ، وتجاهل فظيع لأمانيها بل ولكرامتها وشرفها .

ولئن لم يكن تحرك هذه الشعوب منفصلا عن التطور العالمي الذي حدث بعد الحرب العالمية الأولى (1914 — 1918) كما لم يكن الا نتيجة لما سبقه من اعداد وتوجيه منذ انتهاء الحرب وأثناء العشرينات ، فانه أثناء الثلاثينات قد اتخذ شكلا جديا وجديدا كل الجدة بتنظيماته الحزبية على غرار الأحزاب العصرية ، وشموليته بالتفاف الجماهير حول هذه الأحزاب من جهة ، وانتشار وعي جديد أيضا سواء فى الميدان الديني والتعليمي والثقافي أو فى الميدان السياسي والنضالي . وهذا النظام وهذا الوعي

---

12 — جريدة الوفاق عدد 5 تاريخ 28-4-1938 .

هما اللذان هزا كيان المستعمرين وراحوا يبنون الأسوار ويقيمون السدود أمام رياح الحياة العاتية •

والشيء الهام الذي فاتني أن أذكره قبلا هو أن وضعية هذ االشمال الافريقي ، أو ان شئت هذا « المغرب العربي » واحدة ، وأن ما أصاب أو يصيب أحد أجزائه سيصيب ــ ان عاجلا أو آجلا ــ الأجزاء الأخرى •

فاحتلال الجزائر سنة 1830 م قد كان نذير سو ءلبقية الأجزاء الثلاثة ، فسقطت تونس عام 1881 م ، واجتيحت طرابلس وبرقه عام 1911 م ثم المغرب الأقصى سنة 1912 •

وهكذا نجد التاريخ يعيد نفسه ، فعندما تحرر أول جزء من هذا المغرب لحقت الأجزاء الأخرى ، فكان استقلال ليبيا « الاتحادية » فى ديسمبر ــ كانون الأول ــ 1951 م ، وكان استقلال المغرب الأقصى فى الثاني مارس ــ آذار ــ 1956 ، وكان استقلال تونس التام يوم 17 مارس ــ آذار ــ 1956 بعد الحكم الذاتي الذي حصلت عليه فى جوان ــ يونيو ــ 1955 م

وأخيرا ، وبعد جهاد طويل وشاق ، ولكنه كما قال الدكتور صلاح العقاد : « كانت ثور ةالجزائر نافعة لجيرانها اذ كانت سببا فى زوال الاعتراض فى اعطاء الاستقلال لتونس والمغرب ••• ويقول : وهو مثل جديد يضاف الى الأمثلة العديدة التي ذكرناها آنفا عن مدى انتفاع تونس ومراكش بالثورة الجزائرية » (13) •

وبعد تضحية مليون ونصف من الشهداء كان استقلال الجزائر تاما يوم الخامس جويلية ــ يوليو ــ 1962 ، بعد عملية استفتاء شكلية • فلله الحمد والمنــة •

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير •

صدق الله العظيم

---

13 ــ المغرب العربي ، ص 454 .

حزب الشعب الجزائري

لم تكن تلك المضايقات بل « الحراب » لحركة نجم الشمال الافريقي الا ارهاصا لميلاد حركة ، صقلتها التجارب ، وأهلتها الامتحانات تحت لوافح العذاب والسجون والمنافي ، لتكون أكثر تنظيما ، وأشد صلابة ، وأمتن عودا ، وأكثر تركيزا •

فقد كان حل حركة النجم الأخير يوم السادس والعشرين من شهر جانفي ـ يناير ـ 1937 (1) نهاية لاسم « النجم » الذي تفتت تحت سياط الادارة الفرنسية منذ 1929 الى نهاية 1936 ـ الى عدة نجمات ولكنه لم يكن نهاية لمبادئه وأهدافه ، فقد كانت ارادة زعيمه الحاج مصالي ثابتة ، وصادفته فرصة غليان الحركات الوطنية كلها بالمغرب العربي ، أثناء حكم الجبهة الشعبية الفرنسية ، حيث كانت هذه الحركات تتسابق لتقديم المطالب وايفاد الوفود ، فأعلن يوم الحادي عشر من شهر مارس ـ آذار ـ 1937 م قيام « حزب الشعب الجزائري » (2) على نفس مبادىء وأهداف النجم ، ولكن حزب الشعب كان أكثر تنظيما وأوسع انتشارا خاصة بقلب الوطن الجزائري •

ولأول مرة تظهر حركة مصالي فى حزب الشعب حركة وطنية جزائرية صرفة ، فالتجارب والظروف التي قاستها حركته والدروس التي أملتها

---

1 ـ يقول ف ـ تريبي فى كتاب (L'autopsie) ان حل النجم وقع بدفع من الحزب الشيوعي ، وبعد تحامل كاتبه العام علي بوقرط على مصالي واتهامه بتأييد المستعمرين الفاشيست في معارضته سياسة الاندماج .

2 ـ من حسنات الاستعمار الغربي انه يترك الحرية لانشاء الاحزاب والجمعيات لمجرد تقديم طلب للادارة لولا انه يسلبها ـ اذا لم ترق له ـ بكل سهولة وحتى خارج قوانينه لا سيما في المستعمرات .

القوانين الاستعمارية والمصالح الاقليمية التي قد أظهرت ان الجزائر ـ وهي مستعمرة ملحقة رأسا (بأم الوطن) فرنسا ـ لا يمكن أن تتكلم باسم المغرب وتونس المحميتين .

فهذه الأحوال كلها جعلت الحركة الوطنية فى الجزائر تتجه ، بنظرة تكتيكية ، نحو التخصص ، أو الوطنية الضيقة مرغمة وليست مختارة ، ولكنها لم تنس أبدا أن تعرب فى كل مناسبة عن ارتباطها المتين بأقطار المغرب العربي ثم بأقطار العروبة والاسلام . وهذا ما يجعلنا منذ الآن نطلق على حزبي الشعب وانتصار الحريات الديمقراطية « الحركة الوطنية الثوريـة » .

فأما اطلاق اسم الحركة الوطنية فنظرا لما اشتهرت به فى أوساط الشعب تبعا لاطلاق الادارة الاستعمارية التي كانت تطلق على الحزب اسمـه المختصر فى حروف (P.P.A.) تهدد الموصوف، به ، وتطلق على مناضليه (Les Nationalistes) الوطنيين .

أما زيادة كلمة « الثورية » فهي بيان لخطة الحزب عن بقية الحركات الأخرى الجزائرية التي من الواضح اشتراكها فى الوطنية ولو كانت فى سياستها اصلاحية أو كانت دينية ثقافية .

وقد نبهني لهذا الاحتراز أحد الأصدقاء فى الأردن الشقيق حينما قرأ كتابي « من وراء القضبان » فى طبعته الأولى ، وقد كنت على سجيتي أطلق على حزب الشعب وخليفته « انتصار الحريات الديمقراطية » (الحركة الوطنية) فقال لي : هل لا توجد في الجزائر حركة وطنية أخرى غير حزب الشعب ؟ . ومن ثم كان تعليقي على هذه الملاحظة فى الطبعة الثانية للكتاب المذكور .

تأسست « الحركة الوطنية الثورية » بقيادة حزب الشعب الجزائري (Parti du peuple algérien) متكونة من نفس أعضاء نجم الشمال الافريقي المنحل ، الذين ينعتون « أصدقاء جريدة الأمة » متبنية نفس مطالبه السياسية والاجتماعية . ولكن الجديد فيها هو انتزاع هـذه الأفكار ، أو هذه البذرة ، من غربتها أو من « منفاها » وراء البحار ف

فرنسا وضمن المهجر مع المهاجرين الجزائريين وقليل من المغاربة والتونسيين ، وارجاعها الى حقلها الطبيعي الذي يؤهلها للنمو ويأخذ بيدها الى التطور والانتشار بين جماهيرها المؤمنة المتطلعة الى نور الحرية ، ووضعها بين أحضان أهلها وذويها الأكثر رعاية لها وحدبا عليها •

نعم ، كان الاعلان عن ميلاد الحزب يوم الحادي عشر (11) مارس — آذار — 1937 فى باريس ، وكان أعضاء مكتبه كذلك ، الا أنه ما ان مر وقت قصير واستقر مصالي فى الجزائر ، حتى انتقل الحزب نهائيا للوطن ، وانما اتخذ منذئذ مركزه الباريسي فرعا له فى أروبا •

ولقد كانت فكرة الحرية والاستقلال التام — كهدف — هي المسيطرة على جميع مطالبه ، خاصة بعد فشل حركة المطالبة بالحقوق ، وهي العمود الفقري لنشاط مناضلي الحزب على قاعدة : « ان الحقوق تؤخذ ولا تعطي » و « ان ارادة الشعب من ارادة الله وارادة الله لا تقاوم » •

ومن هنا كان هذا هو شعار جريدة الشعب التي هي لسان حال الحزب • وبما أن تلك الظروف كانت لا تتحمل مثل هذا المطلب الخطير ، والأفكار كانت غير ناضجة التفكير فى مثل هذا التطور السريع ! فقد ارتأى الحزب أن يتخذ — كخطوة أولى — عملية « ترويض » أو «تليين» لقبول أو للاستئناس بكلمتي الحرية والاستقلال ، ثم جر الأطراف ، شيئا فشيئا ، الى الايمان بهما كحل طبيعي ولازم بين الشعوب المستعمرة والدول المستعمرة • مع الاعتماد لذلك على أسلوب الدعاية الجريئة فى وسط الجماهير التي هي أقرب للتأثر ، دون تخطيط لأسلوبية واقعية أو طريقة محددة لتحقيق الحرية والاستقلال ، فكانت الفترة — اذن — فترة تهييج للعواطف الحادة ، واثارة للأفكار الهامدة •

النظام الداخلي لحزب الشعب الجزائري

ولكي يكون العمل منتظما والمسؤولية محددة لكل مناضل ، فقد أقام الحزب نظاما داخليا منذ تأسيسه ، يكون كدستور لكل مناضل • ويحسن أن نثبته فيما يلي :

المقـــدمة :

لازالة كل غموض يمكن أن يتسرب لفروعنا ، وللوقوف بالخصوص أمام الاضطهاد الضاري الذي ينزل علينا فى هذا الوقت ، فان اللجنة الادارية قررت تحرير هذا القانون الداخلي الذي ، منذ الآن ، يكون مثالا لجميع فروع الحزب وللمنظمة التي تعكسه بكل تدقيق ، ولكل النظام القاعدي المنتسب للحزب •

ان هذا القانون الداخلي من شأنه أن يبدد كل ارتباك أو تردد ، ويحدد لكل لجنة ولكل واحد واجبه ، وفى الوقت نفسه يبين لكل واحد مسؤوليته • انه حرر بروح من الانصاف والنزاهة وبفكر ديمقراطي، فلذا يجب أن يكون طريقا موجها لكل فروعنا نحو مستقبل أحسن •

اللجنة الفرعية :

ان هذه اللجنة مكونة من أعضاء يكون كل واحد منهم تحت ادارته خلية من أحد عشر عضوا ، وكل لجنة فرعية محددة بأحد عشر عضوا فاذا جاوزت تؤسس لجنة أخرى من الزائد (3) •

تتركب اللجنة الفرعية من : 1 ـ رئيس ، 1 ـ كاتب ، 1 ـ أمين مال ، 1 ـ نائب كاتب ، 1 ـ نائب أمين مال • والبقية أعضاء مستشارون •

دور اللجنة :

الدعاية المرضية ـ اكتتاب المشتركين ـ استخلاص الاشتراكات •
وكل لجنة يجب أن تخضع لقرارات : « لجنة المسؤولين
أن هذه اللجنة يجب أن تجتمع دوريا مرة فى الأسبوع ، وفى تاريخ محدد » •

---

3 ـ لقد استعملت هنا الاطلاقات الهيكلية للحزب مترجمة عن الوثيقة حسبما أثبتها المؤلف وطبقا للنظام الأول للحزب قبل تطوره ، وسيأتي لنا النظام الهيكلي الكامل •

دور رئيس الخلية :

لا يمكن أن يكون رئيس خلية الا من عمل في صفوف الحزب ثلاثة شهور على الأقل • على أن يكون هو المسؤول كليا عن الخلية التي عين فيها ، فهو المؤول على جميع (طوابع الاشتراك) وعلى استدعاء أعضاء خليته عند اجتماع عام للفرع ، وهو الذي يقيم الاجتماعات الخاصة للخلية ، وكل رئيس خلية ملزم بجميع أكثر المعلومات عن أعضاء خليته ، ويجب أن يتزود بدفتر صغير يسجل فيه حساباته بكل وضوح ، ويسجل أرقام بطاقات الأعضاء وعناوينهم ، وكل المعلومات التي تهم خليته •

على أن دوره لا يقتصر على هذا بل يتعدى أيضا الى العمل على تجنيد أعضاء جدد ، فهذا من مهامه الرئيسية •

أما دور التجنيد للقسم (Division) فهو يتكفل به ويسيره لجان الفـرع •

دور مسؤولي الفروع :

ان الرئيس مسؤول عن تسيير فرعه تسييرا منتظما ، وعلى السهر عن نشاطه • أما أمين الفرع فيلزمه التزود بدفتر يثبت فيه الحسابات بكل وضوح • أما الكاتب فملزم أيضا باتخاذ دفتر يسجل فيه محضر الجلسات •

لجنة المسؤولين :

تتركب من أمين المال وكاتب ورئيس كل فرع ، ومن المكتب بتمامه • في آخر كل شهر على مسؤول كل فرع التقدم ببيان عن الحالة المالية وعن النشاط العام لفرعه الخاص ، الى لجنة المسؤولين •

خصوصيات لجنة المسؤولين :

هي ، بصفة خاصة ، القيام عند اللزوم بالدعاية الداخلية ، وبتحضير برامج الملتقيات (Meetings) وبطبع المنشورات التي تعمل على نشر وتنمية

فكرتنا الحزبية داخل الوطن ، ولهذه اللجنة صوت استشاري فيما يتعلق بالمالية ، وعليها اقامة اجتماع دوري مرة فى الأسبوع وفى كل اجتماع يعين أحد الأعضاء لرئاسة الجلسة • وعلى الكاتب تحرير محضر الجلسة •

المكتب :

يتركب المكتب من تسعة أعضاء : رئيس ، كاتب ، نائبه ، أمين مال ، نائبه ، والبقية أعضاء مستشارون •

خصوصيات هذا المكتب :

1 ـ المراسلات ، الادارة العامة « للفرع » ، اللوائح السياسة ، الدعاية الخارجية ، مبادرة كل تحويل أو تغيير ، الاتصالات مع اتحادية وهران » (4) •

ان هذا النظام الداخلي للحزب قد اتخذ سنة 1937 أي سنة تأسيسه ، الا أن ظروف العمل والتسيير طورت شيئا فشيئا النظام كما سنذكر ذلك عند بيان النظام الهيكلي لحركة الانتصار •

أما برنامجه السياسي فقد بقي تقريبا متمشيا على برنامج النجم كما أشرنا اليه آنفا ، والواقع أن العمل الحزبي أثناء هذه الفترة كان مبنيا على الاثارة وتهييج الأفكار كما تقدم قريبا •

ولئن كان زعماء الحزب اتخذوا هذا المسلك ، على ما فيه من خطر حتى على أرواحهم ، مقتنعين بضرورة البداية به ـ فان أغلب المفكرين والسياسيين الجزائريين ـ اذ ذاك ـ اتهموهم بالجنون ، واللامعقولية والفجاجة فى التفكير •

أما المستعمرون وأذنابهم فينسبون الى مناضلي الحزب اللصوصية والتحايل على جلب الأموال من البلهاء والمغرورين •• ليسدوا بذلك حاجتهم من الفقر والاحتجاج ••

---

4 ـ نقلا عن تقرير فى محافظة تلمسان المركزية .

تقول الكاتبة الأمريكية (جوان غيلسبي) : « وكانت الحركة الوطنية الجزائرية فى الخمسة عشر عاما الأولى من وجودها قبل عام 1940 قد مرت تحت زعامة مصالي فى تطورات مهمة وكبيرة ، فقد تخلت عن ارتباطاتها الأولى مع الحزب الشيوعي الفرنسي ، محتفظة بتشكيلاته التنظيمية ... وتخلت أيضا ، ولو لفترة مؤقتـة ، عن ارتباطاتها مع الحركات الأخرى فى شمال افريقيا فى النضال المشترك ضد فرنسا من أجل الاستقلال . وكان القرار بتأليف حزب الشعب على أسس جزائرية صرفة ، عملا تكتيكيا ، أملته الفروض القانونية ...

وتقول : وكان الحزب قد تطور أيضا من حركة تحصر جهودها فى تحسين أحوال العمال الجزائريين ، الى حركة ناشطة على نطاق أوسع فى الجزائر نفسها ، تطالب باستقلال البلاد ..

وتمضي الكاتبة : وفى هذا المجال توجه التهم والانتقادات الى مصالي وحزبه بالتصلب والعنـــاد والارتجالية والافتقار الى العقيدة العميقة الصافية (5) وقد تعكس هذه العيوب أيضا المستوى الخفيض لمناضلي الحزب وأوضاعهم الاقتصادية السيئة وافتقارهم الى التعليم .

ثم تضيف الكاتبة : لكن الفضل فى ادخال فكرة الاستقلال يرجع الى حزب النجمة وحزب الشعب ، وهي الفكرة التي غدت حجر الزاوية في التطور السياسي التالي لدى الجزائريين » (6) .

نجـاح مـزدوج

كان لظهور الحركة الوطنية الثورية ، بصفة شرعية وفى داخل الوطن هزه مزدوجة التأثير ، وكان من جراء هذا التأثير نجاح مزدوج للحركة .

أجل ، لقد كان لظهور الحركة بالعمل الشرعي القانوني فى داخل القطر الجزائري هزة فرح وتفاؤل وأمل فى الوسط الشعبي المتعطش للكفاح ، وبخاصة بعد تلك الخيبات المتتالية لحركة المطالبة بالحقوق ،

---

5 ـ لاشراف : الوطنية الجزائرية ، ص 251 .

6 ـ الجزائر الثائرة ، ص 60 .

وظهور المستعمرين بحقيقتهم العنصرية المقيتة ، وعداوتهم الصريحة للأهالي ، كما كان ــ بالنسبة للمستعمرين ــ وحتى بعض المواطنين ، هزة عنيفة أفقدتهم السيطرة على عقولهم وأقضت مضاجعهم •

وكان فى كلا الهزتين تأثير كبير لنشاط أدى الى نجاح مرموق للحركة ، وكان هذا النجاح غير منتظر ! •

قد يبدو هنا تساؤل محق عن هذه الازدواجية الغريبة والتي تبدو فى ظاهرها بعيدة عن الانسجام ، ويكون من واجبنا أن ننير هذا الغموض المحيط بها ، فنعطي بعضا من الشرح لأسبابها العميقة •

أسست « الحركة الوطنية الثورية » من جديد تحت اسم « حزب الشعب الجزائري » على أنقاض « نجم الشمال الافريقي » المنحل ، وقد اتخذ أعضاؤه منذ البداية حيطة أمام الظلم الاستعماري ، فللحزب أعضاء رسميون مصرح بأسمائهم للادارة ومنهم رئيسه أحمد مصالي ، والحسين الأحوال ، وأحمد مزغنه ، وخليفه بن عمار ، ومفدي زكريا •• وأعضاء مسيرون ولكنهم مجهولون لدى الادارة ، وحتى لدى الكثير من مناضلي الحزب • ويندرج الأعضاء الأولون وبعض من المعنيين من الأعضاء المجهولين فى « المكتب التنفيذي » أو « المكتب السياسي » ويندرج بقية الأعضاء فى اللجنة المركزية التي تعتبر الهيئة التشريعية والاستشارية للحزب • بينما ينتشر الأعضاء العاملون والمناضلون فى خلايا وتجمعات جهوية فى هيكل هرمي من القاعدة الى القمة •

كانت الظروف التي أتي بها حكم الجبهة الشعبية الفرنسية مكنت جميع الحركات القومية الجزائرية من التحرك بصفة أو بأخرى ، ومكنت ــ كما تقدم ــ الحاج مصالي من الرجوع الى الوطن وتأسيس حزب الشعب بصفة شرعية ، وبدأ نشاطه عبر أنحاء الوطن ، وأصدر الحزب جريدته « الشعب » يوم أوت ــ آب ــ ثم جريدة « البرلمان الجزائري » زيادة على جريدة « الأمة » التي كانت تطبع فى فرنسا وانتشارها فى الوطن محدود •

وانبهر الشعب لهذا المظهر الذي لم يكن يحلم به ، فقد ظل المناضلون فى هذه الحركة منذ عام 1927 لا يعملون تقريبا ، الا فى الظلام وبصفة غير قانونية ، وهم من أجل ذلك معرضون دائمـــا لمخاطر الاعتقال والاستنطاق ، والتعذيب لأدنى سبب ، أو بغير سبب ! كما ظل زعماء الحركة منقطعين فى فرنسا وكان أكثرهم مجهولا لدى المناضلين ، ناهيك لدى الشعب • فلما أصبح المناضلون يعملون جهارا وبصفة قانونية اعتقد الشعب أن فترة الامتحان قد مرت ، وان نجم الفرج قد انبثق • لكن ــ ودار لقمان على حالها بالنسبة للاستعمار الفرنسي ــ فلم يطل الحال بنشاط الحزب كثيرا ، فما لبث مصالي أن ألقي عليه القبض يوم 27 أوت ــ آب ــ 1937 م ثم ألقي القبض أيضا على بعض أعضائه الاداريين (7) •

واتفق أن جاءت حملة الانتخابات البلدية فرشح الحزب سبعة من أعضائه ، ومنهم المعتقلون وعلى رأسهم أحمد مصالي ، واندفع المناضلون يغتنمون فرصة الحملة الانتخابية ، فنشروا بكل وضوح مباديء الحزب وأهدافه ، وانتشرت كلمتا « الحرية والاستقلال » فى كنف الدعاية الانتخابية ، فحلت لدى الشعب كالماء العذب القراح فى المزارع الذاوية ، فاستوت على سوقها وتفتحت أزهارها ، وامتدت أغصانها نامية متطلعة • وهذا هو النجاح الأول ! •

وساءت المستعمرين هذه المظاهر التي لم يكن لهم بها عهد منذ زمن طويل ، بل منذ وجدوا على أديم الجزائر ، فلم يطيقوا صبرا ، ورأوا فى هذه النغمة الجديدة ــ نغمة الحرية التي لا يمكن ــ فى نظرهم ــ أن يعرفها الشعب الجزائري أو يتذوقها ، لاسيما وقد وضعته القوة بعد حكم القدر تحت سيطرتهم • واندفعوا يصرخون ويولولون منددين بهذه الحركة المجرمة •• التي تحرض الشعب ــ المستسلم المتخاذل ــ بفضل تجهيلهم له وتفقيرهم ، على أعمال العنف والتشويش ضد الأمن وضد سيادة الدولة الفرنسية • وأعلنوا حملة قمعية ضد المناضلين وطالبوا

---

7 ــ عندما القي القبض على الجماعة دعي الرزقي كحاله من فرع باريس لتسيير الحزب في الجزائر ، فالقي عليه القبض هو الآخر وتوفي بالسجن سنة 1939 •

بالحكم على مصالي وأعوانه بأقسى العقوبات : فكان لهم ما أرادوا ، وحكم على هؤلاء ، بالسجن لمدة عامين وتجريدهم من الحقوق المدنية بتمهة التحريض ضد الأمن الداخلي والخارجي للدولة ، والعمل ضد « السيادة الفرنسية » وكان غرض المستعمرين ذا حدين :

1 ـ القضاء على الحركة الوطنية الثورية فى مهدها •

2 ـ الحيلولة دون نجاح أعضائها فى الانتخابات حتى لا تنتشر سمعتهم • لكن ماذا وقع ؟

لقد كان موقف اعتقال الادارة والحكم القاسي على مصالي وأصحابه وما تبعهما من ضغوط وقهر للمناضلين ، سببا كبيرا لانتشار اسم حزب الشعب فى الجرائد وفى جميع الأوساط الادارية والشعبية ، وبالتالي كان دعاية غير منتظرة لاشهار أسماء وشخصيات المترشحين المعتقلين ، منهم ـ وان لم ينجحوا ـ فقد بلغوا نجاحا باهرا فى اكتساب عدد كبير من الأصوات لم يكن متوقعا الحصول عليها والحزب لازال جديدا وعديم السمعة ، وأعضاؤه المرشحون معتقلون (8) بل لقد جعل هذا الموقف المغرض نحو أعضاء حزب الشعب ، دون سائر الأحزاب الأخرى، جعل حتى البعض من المعارضين من الجزائريين يعطفون عليهم وينضمون الى صفوفهم ، ناهيك أن مصالي رئيس الحزب ، وهو لايزال سجينا أثناء الدورة الأولى لانتخابات 17 أكتوبر العمالية الجزئية نال 3450 صوتا (9) بينما لم تنل أكبر شخصية من ستة مترشحين سوى 771 صوتا • ولكن الادارة لها الكلمة الأخيرة فى الموضوع • وهذا هو النجاح الثاني •

---

8 ـ في كتاب الحياة السياسية ص 308 أن المعدل الذي حصلت عليه قائمة حزب الشعب في الانتخابات البلدية عام 1937 بلغت 320 صوتا من بين ثلاث قوائم مترشحة ومن 2340 صوتا مسجلا .

9 ـ فى كتاب M.N.A. الوثائقي اثبت ان معتقل حزب الشعب حصل على 4000 صوتا في هذا الانتخاب .

من تقرير للشرطة السرية (*)

ويمكن أن تتفهم الوضعية أكثر حينما نعرف شيئا عن جانب السلطة الاستعمارية ازاء هذه الأحداث فى تقرير لها عن تلك الفترة ، يقول التقرير السري :

« ••• أما حزب الشعب الجزائري فانه يواصل ـ فى خفاء وتصامم ـ حملته الجريئة ضد السيادة الفرنسية • وحسب معلومات وصلتنا فان هذا الحزب عازم فى أوائل هذا الشهر أن يقيم مظاهرات : ـ غلق المتاجر ، تجمعات مناضليه الذين يفدون اليها من الداخل ـ وذلك بقصد الاحتجاج ضد ما يمكن أن يصدر من أحكام ضد مصالي وأتباعه فى هذا اليوم » •

« وبالفعل فانه بفضل قوات الأمن الرهيبة لم يقع أي حادث يذكر فى هذا اليوم وهو الرابع نوفمبر 1937 وقد حكم فيه على مصالي ومفدي زكريا والأحول حسين وخليفة بن عمار وموساوي رابح بعامين سجنا ، وحكم على غرافه ابراهيم وابن الأمين علي بسنة واحدة سجنا ، وكلهم حكم عليهم أيضا بالحرمان من الحقوق المدنية والوطنية والسياسية » (10)

« هكذا وفى 20 نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ فان هذا الحزب دعا التجار الأهالي فى مدينة الجزائر الى غلق حوانيتهم مدة ساعة واحدة اضرابا رمزيا لتسريح رؤوس الحزب المحكوم عليهم ، لكن هذه التظاهرة قد خابت كليا » •

« وفى نفس اليوم قد وقعت حركة من نفس النوع بمدينة تلمسان حيث استجاب بعض التجار الى دعوة الحزب •

---

* ـ تقرير رسمي مسجل برقم 32 بالمركز الوطني الوثائقي بقسنطينة •

10 ـ بعدما نشرت جريدة الأمة لأبي اليقظان خبر الحكم على مصالي وجماعته ، وشنعت بهذا الحكم الظالم ، قالت ، قال الشاعر الحكيم :

قالت الضفدع قولا فسرته الحكماء
في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء

« أما فى عمالة قسنطينة فقد أقام الحزب اجتماعات فى بسكرة وفى عنابة حضرها عدة مئات من الأهالي • ففي عنابة بالخصوص تكلم بعض الخطباء بلهجة جريئة ما سموه « الأمة الأجنبية » التي تدعي بأنها جاءت القطر الجزائري بقصد تمدين أهاليه ••• » •

« أما فى بسكرة فقد أسست لجنة للحزب ، كما وزعت صور فوتوغرافية لمصالي انتشرت بصفة واسعة فى كل أنحاء المدينة ، وفى كل صورة كتب عليها : المجاهد العزيز الباسل العظيم مصالي الحاج رئيس حزب الشعب الجزائري السجين فى « بربروس » • وفى أسفل الصورة كتب ما يلي :

« لو أن الشبيبة الاسلامية كلها فعلت مثله ، لتحرر الاسلام منذ زمن بعيد » ــ شكيب أرسلان (11) •

فعلا ــ لم تمض قضية اعتقال رجال الحزب ، دون قيام حركة احتجاجات عمت أرجاء الوطن ، خاصة بالكتابة على الجدران وتوزيع المناشير • وتبع ذلك ــ بالطبع ــ حملة اعتقالات أخرى أواخر 1937 وأوائل 1938 م زجت بكثير من المناضلين فى غياهب السجون ، لكن لم يدم وقت طويل حتى أفرج عنهم وبقي مصالي وزملاؤه يتقاضون العامين المحكوم بهما ثم أفرج عنهم سنة 1939 م ، فاستأنفوا نشاطهم حسب ظروف الحزب الغامضة ، فأسسوا لجنة من خمسة أعضاء سميت « اللجنة العليا » على أن يكون العمل سريا ، وتكون هذه اللجنة الخلية الأولى كنموذج لبقية هيكل الحزب •

لكن ما أن لبثوا أسبوعا واحدا حتى ألقي القبض على مصالي وبعض أعضائه ، وأخذ حسين الأحول للجندية ، بعد صدور الأمر بحل الحزب رسميا بسبب قيام الحرب العالمية الثانية ، وذلك يوم 29 سبتمبر 1939 • ودخلت الحركة فى عهد « السرية التامة » •

لا يفوتني هنا أن أشير الى حادثة هامة فى حياة الحزب كانت سببا فى مزيد من انتشاره فى ربوع الوطن ، وتغلغل مباديه بين الأوساط

---

11 ــ هذه جملة من رسالة بعث بها شكيب أرسلان شكر فيها وطنية مصالي •

الشعبية ، ذلك انه ألقى القبض يوم 25 فيفري ـ شباط ـ 1938 على المناضل الرزقي كحال هو الآخر وقد كان استقر فى مدينة الجزائر منذ اعتقال مصالي وجماعته 1937 ، ليتولى تسيير الحزب ، فمات فى شهر أفريل 1939 بالسجن ، وقد كان الرزقي مناضلا فى نجم الشمال منذ 1932، وهو بعد ذلك عضو فى المكتب السياسي ورئيس اللجنة المركزية ، وأمين مال جريدة الأمة ، فأقام له المناضلون جنازة فى مشهد عظيم حضره نحو (15000) رجالا ونساء ، وقد سار موكب الجنازة فى شوارع العاصمة نحو مقبرة سيدي محمد مشيعا بزغردة النساء المناضلات وبالنشيد الوطني الذي ألفه الشاعر الكبير والوطني الصميم مفدي زكريا رحمه الله وغفر له . كان ألفه خصيصا لحزب النجم سنة 1936 .

من اناشيد الحزب :

وبهذه المناسبة يقتضيني التاريخ أن أثبت نص هذا النشيد الذي طالما جلجلت به الأصوات فى المنافي والسجون ، وفى الأعراس والمآتم ، وفى الاجتماعات والاحتفالات الحزبية .

يقول زكريا على لسان مناضلي الحزب :

فداء الجزائر روحي ومالي — الا فى سبيل الحرية
فليحى (حزب الاستقلال) — و (نجم شمال افريقيه)
وليحيى شباب الشعب الغالي — مثال الفدا والوطنيه (*)
ولتحيى الجزائر مثل الهلال — ولتحيى فيها العربيه

سلاما سلاما ارض الجدود — سلاما مهد معالينا
فانت في الكون دار الخلود — غرامك صار لنا دينا
فانا حولك مثل الجنود — لسان هواك يناجينا
سنرعى حقك مثل الأسود — ولو قبضوا بترافينا

---

* ـ في الأصل الأول :
وليحيي زعيم الشعب مصالي — مثال الفدا والوطنية

سرى بالروح دم الفاتحين   فاذكى فيها معاني الفدا
نخوض الكون مع الخائضين   ولا نرتد ولو بالردى
ونعلي الصرخة في الصارخين   ننادي العزة والسؤددا
فلسنا نرضى مع العالمين   حياة نبقى بها اعبدا

فلسنا نرضي الامتزاجا   ولسنا نرضي التجنيسا
ولسنا نرضي الاندماجا   ولا نرتد فرنسيسا (12)
رضينا بالاسلام تاجا   كفى الجهال تدنيسا
فكل من يبغي اعوجاجا   رجمناه كابليسا

خلقنا بحكم الهوى اخوة   فتبت يدا كل من فرقا !
نريد حياة لنا حرة   كفانا ، كفى من حياة الشقا
خلقنا لهذا الورى سادة   ونجم الهدى عندنا اشرقا
بلادي ، يمينا مقدسة   سنرعى عهدك طول البقا

الا في طريق الهدى سعينا   الا في سبيل العلا والجهاد
ليسطع بافق السما نجمنا   ويلقي الروعة في كل نادي
فها هو ذاك اللوا معلنا   حملناه ذا اليوم فوق الفؤاد
وها هو (احمد) يحدو بنا   وهاهو جبريل فينا ينادي (13)
الا في سبيل الاستقلال   الا في سبيل الحرية !!

ولنفس الشاعر النشيد الآتي الذي طالما غنى به مناضلو الحزب (14) :

اعصفي يا رياح   واقصفي يارعود !
واثخني يا جراح   واحدقي يا قيود
نحن قوم اباة   ليس فينا جبان

---

12 ـ سياسة ذلك العهد .

13 ـ المراد به الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم .

14 ـ نظم بسجن بربروس يوم 29 نوفمبر 1937 .

قــد سئمنـا الحيـاة في الشقـا والهـوان
لا نمـل الكفـاح لا نمـل الجهـاد
في سبيـل البـلاد
ادخلـونا السجـون جرعـونا المنـون
ليس فينـا خـؤون ينثني او يهـون

اجلـدوا .. عذبـوا ..
واشنقـوا .. واصلبـوا ..
واحرقـوا .. واخربـوا .. !
نحـن لا نرهـب .. !!
لا نمل الكفاح .. لا نمل الجهاد
فى سبيـل البـلاد

كلنـا للعـلى .. كلنـا للرهـان
نحن نسل الألى .. شيـدوا القيروان !
نحن نفـدي الجزائر .. بالنفوس والدما
شعبنا عش وفاخـر .. وارفع العلمـا !
لا نمل الكفـاح .. لا نمل الجهـاد
فى سبيـل البـلاد !

وفى هزيمة فرنسا سنة 1940 ، أمام الحملة الهيتلرية ، وبعد قيام نظام حكومة « فيشي » (15) برئاسة المشير (الماريشال) بيتان عرض هذا على مصالي الولاء لحكومته فرفض ، فحوكم هو وزملاؤه بواسطة المحكمة العسكرية فحكمت عليهم بستة عشر عاما سجنا مع الأشغال الشاقة وبالتجريد من الحقوق المدنية والسياسية ، وبعشرين سنة ابعادا ، وبثلاثين 30٠000٠000 مليونا فرنكا تغريما ٠

كان صدور الحكم بهذه المحكمة يوم 28 مارس ـ آذار ـ 1941 م ٠

15 ـ اطلق اسم (حكومة فيشي) على حكم الماريشال بيتان أثناء الاحتلال الالماني ، لان العاصمة باريس كانت تحت الاحتلال ، فاتخذت مدينة (فيشي) السياحية كعاصمة عوضا عن باريس .

بسبب هذه الأحكام القاسية على زعماء الحزب قامت حركة احتجاج من المناضلين عبر الوطن ، فواجهتهم موجة أخرى من الاعتقالات أصيب فيها أحد الأعضاء الناشطين وهو الأخ أحمد بوده فاقتيد الى الجندية الفرنسية لكن لم يلبث طويلا حتى أحيل الى المعتقل فى « جنين بورزق »•

وتذكر الكاتبة غيليسبي : « وقد ظل حزب الشعب قائما على الرغم من الاعتقالات المتكررة والواسعة النطاق ، والاجراءات التعسفية ، وعلى الرغم من مصادرة صحفه • مما يدل دلالة واضحة على قـوة فكـرة الاستقلال •• » •

وتضيف الكاتبة : وعندما كان مناضلوا الحزب يتقدمون بمطالب معينة كانوا يستخدمون فى ذلك تعابير عمال اليسار الفرنسي ، ولكن بعـد عـام 1941 م ضاعت الآمال التي كان مناضلو الحزب يعلقونها على الحصول على العون من اليسار الفرنسي لحركتهم القومية ، وغدا شبان الحزب أكثر تأثرا بفكرة انهيار فرنسا من عام 1940 منهم بفكرة التعاون معها » (16) •

وكتب الشلقاني عن مصالي كتابة شبه تحليلية ، بلهجة أقرب الى اليسارية فيقول : •• ويبدأ مصالي فى الاتجاه الى اليمين شيئا فشيئا بعد انتقاله الى الجزائر وفقدانه للطبقة العاملة فى فرنسا ، بسبب تباعده من الحزب الشيوعي •• فهو يشجع الاتجاهات العنصرية ويتفق مع الفاشيين فى موقفهم من اليهود •• ثم هو ينشر فى جريدة « حزب الجبهة الاجتماعية Le Front Social الفاشية ، ويتكلم عن الاستقلال كهدف ، فى حين تخفت حدة مطالبه الاجتماعية » •

ويضيف : ويكتب عنه هنري غاسطون فيتساءل عما اذا كان من غير الممكن التفاهم والتقريب بينه وبين حـزب (لوفرون سوسيال الفرنسي) يبدو لنا أن هذا الاستعداد عند مصالي للانحراف نحو اليمين باسم الوطنية المتطرفة هو الذي يفسر لنا كيف أنه اليوم الشخص

---

16 — الجزائر الثائرة ، ص 61 .

الوحيد فى الجزائر الذي يحارب جبهة التحرير باسم الوطنية أيضا بواسطة حزب الحركة الوطنية (M.N.A.) (17) •

وبعد أن يتعرض الكاتب لحل « جمعية نجم الشمال افريقي » يطلب من طرف الحاكم العام فى الجزائر ، ولذهاب مصالي الى فرنسا لينشر هناك « حزب الشعب الجزائري » يجد تأييدا عند انشاء الحزب من الفاشيين ، يقول : وينشط الحزب فى تنظيم العمال فى باريس وليون والأورون ، ويعود مصالي الى الجزائر فيدخل لأول مرة الانتخابات البلدية ويفوز أنصاره بسبع الأصوات •• ثم تقبض عليه الادارة الفرنسية من جديد ••

ويختم الكاتب : وبالرغم من أن حزبه مهاجم من جمعية العلماء ومن جمعية النواب المسلمين ومن الشيوعيين ، فانهم جميعا يدافعون عنه ويحتجون على القبض عليه » (18) •

---

17 ـ انبه الى ان كتاب الشلقاني كتبه اثناء ثورة التحرير الجزائرية •

18 ـ ثورة الجزائر ، ص 188 •

حزب الشعب وبقية الهيئات الجـزائرية

فى الواقع أن خطة حزب الشعب الجزائري لم تكن لترضي جميع الهيئات والأحزاب الجزائرية ، سواء منها الدينية والسياسية ، ذلك لأن خطته الثورية « الانفصالية » كانت حاجزا منيـعا بينه وبينها ، فالأحزاب السياسية الاصلاحية كجمعية النواب بفروعها الثلاثة ، والأحزاب الخاصة ، ان صح التعبير كالشخصيات المنتمية لبعض الأحزاب الفرنسية، عن عقيدة أو خوفا من الحكومة ، باللامعقولية ، والفجاجة فى الرأي والجنون •• الخ ، وان كانت لا تتهمه بالخيانة كما تفعل مع بعضها ، اما تحسبا لشعبيته عند الجماهير ، أو نظرا لمحاربته من لدن المستعمرين، أو لغير ذلك • بل ان البعض كان ينظر القائمين بهاته الحركة بمنظار المجاهدين لما لها من فضل فى احياء أو المحافظة على الطريق التي خطها الأوائل فوق أديم الجزائر ضمن الأصالة العربية الاسلامية ، برغـم الأخطار والشدائد التي تساور مناضليها وتلازم حياتهم اليومية • كما اعترف بهذا السيد فرحات عباس ، بعد مرور الزمن وقيام ثورة التحرير بفضل مناضلي هذه الحركة وثباتهم (1) •

« أما جمعية العلماء المسلمين » باستثناء الشيخ عبدالحميد بن باديس أو الابراهيمي ، فى بعض الأحيان ، فقد كانت تناصب العداء للحزب وتتهمه بالبعد عن الاسلام والقرب من الالحاد ، وبكراهيته للثقـافة والمثقفين ، بل ان بعض أعضائها يرمي رئيسها بممالأة المستعمرين والمشي فى ركابهم ، لاسيما بعد تعرضه لمطالب المؤتمر الاسلامي الشهير • وبالتالي فالجمعية ترى فى الحزب الحركة الجاهلة المتمردة على العلم والعلماء ،

---

1 – أنظر ليل الاستعمار ، ص 137–138 •

وترى فى مصالي السياسي المحتال وترميه « بالمرابطية السياسية » ، والصائد فى الماء العكر ، والناشر للأحقاد والفرقة بين المسلمين •

وبالمقابل فان « حزب الشعب » كان يرى أن جمعية العلماء قد سلكت غير طريق الاسلام وأصبحت معولا لهدم العقيدة السلمية فى الجزائر باسم الاسلام الصحيح ، والكتاب والسنة ، لاسيما بعد انجرافها فى مهوى السياسة الاندماجية ، وتأييدها لجمعية النواب والحركة الاندماجية التي انحرفت بالجمعية انحرافا خطيرا ومزدوجا (2) •

1 ـ ابتعادها عن مهمتها الأساسية وهي نشر مبادىء الاسلام الصحيحة والثقافة الاسلامية بعيدا عن التحزبات ، ودون ممالأة أو خوف ، شأن المرشد المجاهد فى سبيل اعلاء كلمة الاسلام • وأفضل الجهاد كلمة حق أمام سلطان جائر » •

ـ انضمامها لصف الأحزاب السياسية التي تعمل ضد العقيدة الاسلامية ، خاصة اشتراكها أو قيادتها للمؤتمر الاسلامي بجانب الاندماجيين والشيوعيين والمتجنسين بالجنسية الفرنسية ، فى حين محاربتها لحزب الشعب الذي هو فى الحقيقة الحركة الدؤوبة العاملة لما ترمي اليه الجمعية من هدف • وهو الالتزام بما تدعو اليه العقيدة الاسلامية من الاحتفاظ بالجنسية العربية الاسلامية للجزائر ، والمحافظة على الرابطة المتينة التاريخية بين الجزائر وأخواتها فى العالم العربي والاسلامي •

وقد يحسن أن لا نقف عند هذا الحد الذي قد يبدو للبعض تحكما فرديا لا دليل عليه ، فينبغي اذن أن ننقل بعض المهاترات التي كانت تتداول فى صحف الهيئتين ، لنتبين على ضوئها مصداق ما ذهبنا اليه ، ليس لانحياز وانما رضوخا لتاريخ سطر بيد أصحابه •

---

2 ـ مما يعتذر به أن الجمعية قصدت باشتراكها في هذه السياسة الحد من الانحراف نحو سياسة اليسار الفرنسي التي كادت تؤدي ـ لولا جمود المستعمرين ـ الى القضاء على الذاتية الجزائرية عن رضى واختيار من الجزائريين •

1 ـ فى جريدة الدفاع كتب بعنوان : « آخر انذار للوطني مصالي ، ونداء لحزب الشعب » (3) .

« .. اننا آسفون حيث نرى كل نداءاتنا للوحدة وكل تنازلاتنا ومسامحاتنا ، وكل التضحيات التي قدمناها فى سبيل تلطيف الجـو والوفـاق ، كانت كلها اعتبـرت من مستعيري الوطنية الاستفزازيين المشهورين والمتصيدين دائما فى الماء العكر ، اعتبروا ذلك منا علامة ضعف وحجة على جبننا وقصورنا ..

ثم يقول : منذ زمن طويل ، منذ اثبتنا برنامجنا وعملنا ، قلق المناضل الكـ .. كـ .. بير الشاف مصالي ، الذي أمضى بضع أسابيع فى سجن (لاصانتي) بفرنسا ، وعد نفسه بهذا كأنه كان ضحية القضية الجزائرية . اننا قد اعتبرنا منذ زمن بعيد هذا الرجل ، ولكن اليوم فقط ظهر على حقيقته ، وهو الذي كشف نفسه ، وبهذا فقد قررنا نحن قرارا لا رجعة فيه وهو : « ربط مصالي بوتد المذنبين » .

ثم يضيف : بأن الرجل قد نجـح منذ سنين بفضـل ديماغوجيته وشانطاجه وبفضل « دروشته السياسية » ، وقد اغتر بعض الشباب واجتمع حوله انتهيازيون جهلاء . على أن مصالي يعتبر رقم واحد الذي يقف دائما فى صف الأعداء الكولون والحكومة .. ! ويعطي مثالا لذلك « معارضته للمؤتمر الاسلامي » .

وفى نفس العدد من الجريدة بعنوان : « نجم الشمال الافريقي ونحن » يقول : « رغم تخالفنا فى الوسائل والعمل والتفكير ، فقد كنا دائما ندافع ونحترم هذا الحزب الذي عذب رئيسه كثيرا وصادفته العراقيل الكبيرة ، ذلك لأنه تجمعنا واياه قضية واحدة هي الدفاع ضد الضغط وعن الحـرية الشخصية والصحافة . بيد أنه عند تأسيس « المؤتمر الاسلامي » وجدنا الخندق قد اتسع كثيرا بيننا ، سواء مع النجم بالأمس أو مع حزب الشعب اليوم .

---

3 ـ الدفاع ، عدد 16 جويلية 1937 م .

وبالرغم من أنه بقي ـ تقريبا ـ وحده فى الوقت ضد المؤتمر وضد برنامج فيوليت ، فاننا لم نشأ أن نحكم عليه ، واعتبرناها نظرية لصاحبها لما امتنع عن التصويت على مطالب المؤتمر الا أن عدم التصويت فى المجال السياسي لا يعتبر اشهار حرب •

« ان عواطفنا وعقولنا التي هي أوسع تحتم علينا ألا نجاري أو نعادي الذين بقوا خارج حركتنا والذين لا يقاسموننا أفكارنا وتصوراتنا ، لو أنهم وقفوا عند هذا الحد ، ولكن لا ليعلنوا علينا حربا ويحاولوا الوقوف فى طريق كفاحنا بسبب أنهم يعملون فى فلكهم الأجل خيال غير نافع » •

« وقد عز علينا أن ندخل فى حرب مع أخوة أشقاء مناضلين مثلنا من أجل رشاد شعبنا ورفعه من الحضيض ، والعمل على تحسين حالته الى حالة انسانية • فهذه أشياء تحتمنا لأن نوجه نداءنا الى اخواننا فى حزب الشعب أن يتخلوا عن هذه المواقف التي تؤدي الى الشقاق •• اننا كلنا أمام حالة حرجة وحاسمة توجب علينا التفاهم والاتفاق • انها الكلمة الأخيرة لحزب الشعب » •

التوقيع : جماعة من المؤتمر الاسلامي

ـ بالمقابل نجد فى « جريدة الأمة » عدد فاتح أوت 1937 بعنوان :

جواب للعمودي عن ندائه المنشور في الدفاع
بتاريخ 16 جويلية الأخير

« ان أعضاء فرع قالمة لحزب الشعب الجزائري المجتمعين يوم 20 جويلية ـ تموز ـ حيث استمعوا الى تقرير لمبعوثنا عن اجتماع المؤتمر الاسلامي الذي انعقد بالجزائر أيام 9 ـ 10 ـ 11 ـ 12 ـ جويلية ـ تموز ـ الأخير يحتجون ضد المقالين اللذين نشرا بجريدة الدفاع ، أحدهما انذار •• والآخر نداء الى حزب الشعب ، ويأسفون لهذا النوع من البهتـان ، الذي بالدرجة الأولى ، يثيره الشيوعيون وجاويشهم (الشاوش) الأمين العمودي ، وكل نقالي البضائع من المساعدين • وكلمة السر عندهم هي :

« أمام قوة حزب الشعب المتزايدة دائما يتحتم علينا محاولة تفتيته » بشيئين اثنين . وذلك من جهة ، بالحط من قيمة شخصية مصالي . ومن أخرى وضع كل الوسائل فى سبيل جلب عطف مناضليه » .

غير أن الحيلة اكتشفت بفضل العمودي نفسه ، وقد بدأنا نتحقق ما كنا نتردد فيه وهو احتماؤهم « بالستالينيين » الذين ينادون : ليسقط قرار ريني . ولكنهم في آن واحد ينتخبون على خطة : (أوغيست بروني) ويذهب المقال فيقول :

« انه لمن حسن الحظ أن لم يكتب عن الحزب رجل ذو قيمة وانما كتب العمودي الذي لو أنه راجع مقالاته لوجد نفسه أبعد ما يكون عن صفة صحافي ، ولوجد أن كلامه يتناقض مع بعضه . ولذا فليهنأ العمودي بأن مناضلي الحزب الذين اجتمعوا فى قالمة كلهم مع رئيسهم مصالي ويجددون له ثقتهم الكاملة كمثل سائر المناضلين » .

التوقيع : جلول احمد عن فرع قالمه

المبدأ قبل المجاملة

لقد كانت مواقف « الحركة الوطنية الثورية » سواء وقت نجم الشمال الأفريقي أو وقت حزب الشعب الجزائري ، حيال جمعية العلماء ، مواقف تحرص على المبدأ وتفضله على المجاملة ، وتقدم ما تعتقده من مصلحة الأمة على مصلحة الأشخاص والهيئات ، ومن أجل ذلك نجد مواقفها تارة تشتد وأخرى ترتخي ، وآونة تهاجم وأخرى تهادن ، تمشيا مع مواقف الجمعية فى سياستها وليس تبعا لمواقف أشخاصها نحوها الا فى بعض الحالات ، ومن هذا ما نجده فى مقال طويل نشر بجريدة الحزب « الأمة » بعنوان : (4)

---

4 ـ عدد 44 نوفمبر 1936 م .

نقتطف منه ما يلي :

« .. وفى كل اجتماعاتنا منذ تأسيس الحزب (10 سنوات) كنا نطالب بمسائل دينية ، وندافع عن الاسلام ، ولا أحد يقدر أن ينكر علينا هذه الأعمال ، وليس له أن يعطينا دروسا فى الموضوع ..

ويذهب المقال : ان الحزب كان دائما فى جانب الدين ودافع عن العقبي حين ألقي عليه القبض ، وعندما خرج من السجن ذهب وفد لتهنئته في بيته . ان حزب النجم ليس كابن جلول يحرم السياسة على العلماء ... فنحن نتركهم يتكلمون بحرية عن السياسة ولكن بشرط أن يعاملونا بالمثل .

ولقد حضرنا اجتماع الثاني أوت 1936 وكان العقبي وقف ضد مصالي حينما أراد أن يعطي فكرة الحزب ، وأعطيناه الحق فى المعارضة غير أننا لا نعطيه الحق أن يمنعنا من التكلم فلكل حرية الكلام . وقد أعجبنا بالشيخ باديس والابراهيمي اللذين لم ينبسا ببنت شفة حينما كان يتكلم مصالي . وهو موقف يشكران عليه بل انهما كانا غير راضيين على اللاعدالة التي ارتكبت ازاء زملينا مصالي . كذلك ان العقبي عند اختتامه الجلسة قد شكر جميع المتكلمين من ممثلي الأحزاب ، وحتى شكيكن المتجنس وعميل الاستعمار ولكن لم يذكر حزب النجم بكلمة .

ويذكر أنه منذ سنتين فى سينما الماجيستيك كان العقبي تكلم وقال : « ان هذه الأرض والشمس والهواء فرنسية » فله الحرية أن يتكلم ما يريد ولكن كان لنا الحق أن نرد عليه ونبين للشعب غلطه ولو انه عالم . لأننا لا نريد للشعب أن يتخذ من الشخصية معبودا ، فالناس كلهم معرضون للخطأ فالانتقاد النزيه واجب لبناء وطننا على أسس سليمة . ثم استشهد الكاتب بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه » من رأي منكم فى اعوجاجا فليقومني » .

ويضيف : ان اجتماع الثاني أوت الذي كان لنا بعد اجتماعات عبر الوطن تكلمنا فيها بصراحة وأعطينا نظريتنا بأننا ان كنا نوافق على كراسة

المطالب التي قدمها المؤتمر الاسلامي ، فاننا لا نوافق على النيابة فى البرلمان الفرنسي والحاق وطننا بوطن أجنبي ، ولئن كانت جمعية العلماء اتخذت موقفا مغايرا فلها حريتها كما لنا حريتنا • وعلى كل حال وفى النهاية الكلمة للشعب » • ا هـ

وأمام هذا التراشق بين الهيئتين الوطنيتين تفاقمت عوامل الجفاء بينهما وأصبحت الجمعية تضيق الخناق حتى على المعامين فى مدارسها ، فتفصل كل من رأت فيه ميلا لحزب الشعب ، وذهبت الى حد أن جعلت رجال الحزب فى صف واحد مع الطرقيين ــ غرمائها الأصليين ــ ثم أوجبت على كل (مشبوه) ممن ينتسب لسلك التعليم بمدارسها امضاء التزام بمحاربة من يعادي الجمعية أو احدى شخصياتها • (5) أما الطلبة فكثيرا ما طردوا من المعهد بسبب انتسابهم للحزب •

لجنة التعليم والشؤون الدينية

لأسباب عديدة يأتي بيانها وأمام هذه التدابير من جانب جمعية العلماء ، قام الحزب بانشاء « لجنة التعليم والشئون الدينية » ولتأسيس هذه اللجنة سوابق وأسباب بدأت تظهر وتفرض نفسها أثناء الثلاثينات حينما بدأ مناضلو الحزب ينشئون المدارس ويبعثون البعثات للتعليم •

ويحدثنا عن ذلك الأخ المناضل الكبير السيد أحمد بوده رئيس هذه اللجنة وعضو اللجنة الادارية فى الحزب فيقول : لقد كان من الطبيعي أن يكون من بين مناضلي الحزب معلمون وطلبة ورجال يهتمون بشؤون الدين والثقافة الاسلامية ، فكان من واجب الحزب أن يتولى شؤونهم ، كمنظمة شعبية لها أتباع •

---

5 ــ هذا نص الالتزام بالمعنى منقولا عن أحد المعلمين المشبوهين ، يلتزم فيه المعلم بما يلي :

1 ــ أن أتبرأ من كل ما نشر في الماضي أو ينشر في الحاضر أو المستقبل مما يمس بشخصية من شخصيات الجمعية الخاصة أو الاجتماعية العامة ، أو ما يمس بالجمعية •

2 ــ ان أعادي كل من يعادي جمعية العلماء من الهيئات والأشخاص • • •

3 ــ ان اطيع لجنة التعليم العليا دون لدد •

ولما تطور الوضع وصار من أتباع الحزب اعداد متزايدة من المعلمين ورجال الثقافة والدين ، ومن الطلبة فى الداخل والخارج ، زيادة على المدارس الابتدائية التي انتشرت عبر أنحاء الوطن حتى بلغت أكثر من خمسين مدرسة . أمام هذا الوضع كان على الحزب أن ينشيء لذلك منظمة خاصة تتحمل أعباء هذه الحركة الثقافية الهامة ، التي بقيت تتوسع فكانت « لجنة التعليم والشؤون الدينية » .

ويضيف بوده : لقد عرضت الفكرة على الحزب فى وقت متأخر وذلك أثناء انعقاد لجنته المركزية بمدينة عين الدفلة سنة 1948 م وفى جلستها بمدينة البليدة ، حيث قرر اقامة تنظيم عام للحزب بتأسيس لجان ذات اختصاص فى شؤون الحزب المختلفة ، أنشئت « لجنة التعليم والشؤون الدينية » .

لقد كانت مدينة قسنطينة ـ بعد القرار الرسمي فى البليدة ـ منطلقا لهذه اللجنة باقامة أول اجتماع لها برئاسة الأخ أحمد بوده وعضوية السادة : الحاج محمد أبي القاسم زيناي البيضاوي ، ومحمد بن العابد الجلالي رحمهما الله وعضوية محمد محفوظي وعبد الحفيظ بدري ، والزبير دقسي رحمه الله وعبد الرحمن ابن العقون ...

وسيأتي لنا ان هذه اللجنة كان لها دور ومحاولات مع جمعية العلماء المسلمين لجمع الكلمة ، دون جدوى . ونشط المناضلون ومن ورائهم الشعب لتأسيس المساجد والمدارس فى مختلف نواحي الوطن ، أولا ـ ليدحضوا دعوى ضدية الحزب للعلم والثقافة ، ثانيا ـ كما تقدم ليأوي اليها المعلمون والمرشدون الوطنيون وكذا الطلبة المناضلون فى الحركة .

أما المحافظون والطرقيون

واذا كانت هناك هيئة أكثر بعدا من حزب الشعب ـ على الأقل ظاهرا ـ فهي الجماعات والمنظمات الطرقية والمحافظة ، الا أن الظروف والحوادث المتلاحقة جعلتها تقترب منه ولو خفية ـ ويقترب منها شيئا فشيئا ـ . فالاتفاق العفوي على معارضة المؤتمر الاسلامي كان من جملة الحوادث

التي قربت بين الاسمين وقربت بين مجموع الهيئتين • وحادثة اغتيال الامام كحول ، واعتقال العقبي ، تدوول فيهما اتهام الجانبين • كما ان معاداة الطرقيين والمحافظين لجمعية العلماء والأحزاب السياسية الاخرى جعلتهم لا يضمرون حقدا على الحزب ، بل تارة تضطرهم لتأييده ولو سرا • وبالتالي فان خيبة بقية الأحزاب فى الآمال التي كانت عقدتها على حكومة الجبهة الشعبية وبرنامج بلوم فيوليت فى سياسة المساواة والاندماج ، قد ظهرت كانتصار للحركة الوطنية ـ حزب الشعب ـ وللطرقيين وأنصارهم ، من حيث وجهة نظرهما المشتركة ، وان كان كل على طريقته •

وهكذا شاءت الأقدار والظروف أن تجمع بين الهيئتين دون رغبة منهما ، فكراهة المحافظين والطرقيين لجمعية العلماء حملتهم على التودد لحزب الشعب ، على ما يتحققون من خطر ، فقد صارحني ـ اذ ذاك ـ شخصيا كثير من الطرقيين وأتباعهم بهذه الحقيقة ، وقد تمثلت عمليا فى كثير من المواقف •

لقد كان الطلبة من مناضلي الحركة الوطنية الثورية يجدون مكانا فى المعهد الكتاني بقسنطينة ولا يجدونه فى معهد ابن باديس ، بل ان طلاب المعهد الكتاني كان جلهم ـ أو كلهم ـ ينتسبون الى الحركة ويقيمون فيه اجتماعاتهم النظالية ، وينشرون دعاياتهم بالخطب والمناشير داخل جدرانه • حتى أن بعض طلبة معهد ابن باديس كانوا يحضرون بعض الاجتماعات الدعائية وأدى ذلك الى نزاعنا مع المسؤولين •

واني أشهد بكل ما تقدم شهادة صادقة للتاريخ والحقيقة ، لأنني كنت المشرف الوحيد على هذا الجانب السياسي نحو طلبة المعهد الكتاني • وامتد العمل وتسربت الأخبار حتى أن الادارة الاستعمارية تنبهت لهذا النشاط وأنذرت مدير المعهد المتظاهر بولائه للادارة والمتهم أو المعروف بها •

لقد كان المعهد الكتاني تابعا مباشرة لزاوية « ابن الحملاوي » التي هي بوادي سقان جنوبي قسنطينة ـ وكان مدير المعهد الأديب الكاتب

السيد عبد العلي الأخضري ، وقيمه الشيخ الطيب الشاوي (الطرقي) يسيرانه تحت الاشراف المباشر للشيخ عمر بن عبد الرحمن بن الحملاوي رئيس الزاوية ، ماديا وأدبيا ونظاميا ، وكان الأستاذ عبد العلي الأخضري، بالدرجة الأولى ، مطلعا على نشاطنا ، أما الشيخ عمر فله علم بصفة اجمالية ، الا أن القيم الطيب الشاوي كان لا يعلم شيئا .

أما ابان الانتخابات التي يكثر فيها عادة نشاط الأحزاب والهيئات ، فقد شاهدنا كثيرا تأييد الطرقيين لمرشحي الحزب أو أصدقائه .

وقد خططت بنفسي وبمحضر الأخوين المولود مهري أمد الله فى حياته سندا للدعوة الاسلامية ، والحاج عمار ابن ظافر المناضل الاسلامي حقا رحمه الله تعالى ، وبمشاركة مقدم الطريقة الحملاوية صديقنا وزميلنا في الدراسة الشيخ عمر خليفاتي،خططنا مرارا مع الشيخ عمر بن الحملاوي نفسه رحمه الله خطة تأييد اتباع طريقته « الرحمانية » لمرشحي الحزب فى انتخابات « الجمعية الجزائرية »(Assemblée algérienne) والانتخابات العمومية .

كما لاحظ الذين حضروا مؤتمر « جامعة الزوايا والطرق الصوفية » سنة 1939 ، أنهم لم يسمعوا أية كلمة سوء نحو الحزب أو رجاله ، بينما سمعوا الكثير عن جمعية العلماء وعن جمعية النواب .

أمـا الحـزب الشيـــوعي

أما الحزب الشيوعي ، وان لم يكن له كبير أثر فى الجزائر ، نظرا الى أن الشعب الجزائري – لعراقته فى اسلاميته – يرى فيه الحزب الأبعد عن المسلمين من بقية الأحزاب الاستعمارية الأخرى ، فحزب الشعب يبتعد منه أكثر مما يبتعد من بقية الأحزاب ، ويراه بنفس المنظر الذي يراه الشعب . فهو لذلك كان خافت الصوت فى حقل جميع التحركات الوطنية ، ضعيف التأثير وعديم الثقة الشعبية .

وهذه الوضعية هي التي يحسها الحزب الشيوعي من جملة الأسباب التي جعلته أول من يسارع للتجمعات الجزائرية حيثما بدرت ، كما وقع

فى المؤتمر الاسلامي سنة 1936 الذي تمكن له أن يشارك فيه ويكون له صوت ظاهر • وكما شارك فى « الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها » سنة 1951 كما سيأتي بيانه فى وقته ان شاء الله •

لكن وزيادة على ما تقدم فان احتكاكه الطويل بالحركة الوطنية ، ومكائده لها المتواصلة يوجبان علي أن أذكر بعض أخباره •

ان الحزب الشيوعي ، سواء الفرنسي أو الجزائري — وهما عبارة عن شيء واحد — لم يكن فى وقت من الأوقات بالنسبة للجزائر الا مثل بقية الأحزاب الاستعمارية ، ويزيد عليها بشيء ، وهو استغلاله للطبقة الشغيلة الجاهلة لمجرد أغراضه الحزبية ، وهو الدافع الذي جعله يحرض العمال الشمال افريقيين فى فرنسا على انشاء « جمعية نجم الشمال الافريقي عام 1926 » فلما رأى منهم أعمالا لا تتفق مع أهدافه بدأ يكيد للجمعية ويحاربها حتى حلتها الادارة الفرنسية سنة 1929 • الأمر الذي أدى برجال النجم الى الابتعاد عنه بعد سنة واحدة فقط ، والاستقلال بأعمالهم الوطنية الصرفة لصالح شعوبهم وأوطانهم الشمال افريقية ، كما تقدم بيانه بتفصيل •

ومن ثم راح الحزب الشيوعي — عبر أعماله الانتهازية — يظهر فى أشكال مختلفة ، كما سنرى فى ثنايا هذا الكتاب ، فهو يقدم كلمة لصالح الحركة الوطنية الثورية ويدخل أنفه بمشاركتها فى بعض سياستها اذا رأى فى ذلك مصلحة ، ويتنكر بكل سهوله اذا رأى غير ذلك •

والواقع أن الحزب الشيوعي سواء الجزائري أو الفرنسي لم يكن يوما من الأيام فى جانب كفاح الشعب الجزائري للتخلص من الاستعمار والاحتلال ، بل كان دائما ضد أي انفصال عن فرنسا ابتداء من مناصبته العداء لحركة نجم الشمال الأفريقي الى يوم اعلان الثورة المسلحة ، مرورا بحوادث شهر ماي 1945 التي كانت فيها الطائرات الفرنسية تحت مسؤولية الوزير الشيوعي (تيون) ، وبأوامره تحصد جموع الجزائرين المتظاهرين للحرية ، فى قالمة وسطيف وخراطة وغيرها •

بل يمكن أن نثبت أن مثل هذه المواقف للحزب الشيوعي ليست خاصة بحزب الشعب فحسب ، بل عند اللــزوم تشمل كل الحركات القومية الجزائرية • ودليلي على هذا أن الحزب الشيوعي ـ كما قال أحد أعضائه البارزين ـ اذ ذاك ـ وهو السيد عمار وزقان : « ان الحزب ـ يوم كان فرعا اقليميا للحزب الشيوعي الفرنسي فى الجزائر ـ كان يعتبر هذه الحركة ـ يعني جمعية العلماء ـ منظمة برجوازية رجعية تحارب الشيوعية وتعمل على معاكسة العمل الثوري (للحزب الوطني الثوري) « منظمة الجماهير » التي تضم جميع المطالبين باستقلال الجزائر » (6) •

هذه هي وضعية حزب الشعب مع الأحزاب والهيئات الجزائرية ، فما هي وضعيته مع الأجهزة الاستعمارية ؟ فهذا ما نجمله فيما يلي :

حــزب الشعب والأجهـــزة الاستعمارية

انه يكفي لأن نعطي نظرة عن وضعية الحزب أمام الأجهزة الاستعمارية أن نستعرض موقفين اثنين: أولهما ـ موقف حكومة « الجبهة الشعبية »• وثانيهما ـ موقف جريدة لابريس ليبر وكــلاهما يعتبران من اليسار الديمقراطي • أما الأحزاب الفاشية وغيرها فيصدق عليها قول نحاتنا : « من جاء على أصله فلا سؤال عليه » •

1 – الجبهة الشعبية الفرنسية

جريدة الأمة لسان حال النجم تكتب تحت عنــوان : « الواجهة الشعبية فى الحكم ، ونجم الشمال الأفريقي يحرر » :

« •• ان النجم أول من قام فى صف الجبهة الشعبية وأيدها ، وخاصة يوم مظاهرات 14 جويلية ـ تموز ـ 1935 م حيث حضر نحو سبعة

---

6 ـ لا شك أن الذي يتابع وزغان في كتابه «الجهاد الأفضل» في تخليطه وتمويهاته وايحاءاته بل وحنينه للايديولوجية الشيوعية بعدما تخلى عن الحزب الشيوعي ، سيدرك أن الرجل لا يؤمن بجميع الأحزاب الجزائرية الا بالحزب الشيوعي ، فهو دائما يحشره في صف «الثوريين» أو الحركة الثورية ، وأعطاه الحق منطقيا حتى في رفضه الاشتراك في الثورة بجانب جبهة التحرير الوطني .

آلاف شمال افريقي حاملين علم ولوائح النجم ، منادين : حرروا أفريقيا الشمالية ـ لتسقط القوانين الخاصة ـ تحيا الحرية .. !

وقد حي الشعب الفرنسي بالتصفيق والهتاف لهذه الظاهرة وعليه فانه ابتداء من هذا اليوم فان قضية الشمال الافريقي تعتبر قد قدمت بصفة واضحة أمام الشعب الفرنسي ، وفى نفس المناسبة فقد تكلم مسيرو « النجم » وشرحوا الكوارث والمحن التي تنزل على الشمال الأفريقي وتقصم ظهر القضية الوطنية » .

وفى كل الساعات الخطيرة تجد « الجبهة الشعبية » « نجم الشمال الأفريقي » أمامها حتى ولو بتحمل الضغط على مناضلينا . فالشمال افريقيين كانوا دائما على رأس الكفاح ضد الفاشية والامبريالية الفرنسية . ولم يربطنا بالجبهة لا أرساليات النواب للبرلمان الفرنسي ولا غيرها .. وانما يربطنا بها الكفاح عن الحرية والديمقراطية ، وهذا الكفاح من أجل المعيشة لهذا الشعب ، ومن أجل التعليم ، ومن أجل الكرامة والشرف للشعب العربي فى الشمال الأفريقي .

وبالرغم مما حز فينا من مواقف بعض شخصيات الجبهة فاننا لم نعدم الشجاعة أبدا وذلك بمفعول تعطشنا للحرية ، فهي التي تقودنا وتحركنا دائما .

والحقيقة التي نريد قولها هي : أن النجم قد بعث بكراسة مطالبه للواجهة الشعبية قبل أن تنشر هذه برنامجها ، ورغم ذلك ، والذي ساءنا بمرارة ، فان الواجهة لم تأخذ بعين الاعتبار مطالبنا ! على أن الجبهة لم تزد فى عملها على أن بعثت لجنة بحث ! .. وهذا ما أحدث فينا خيبة أمل ! لأننا كنا ننتظر شيئا أكبر من هذا » (7) .

وفى مقال آخر بعدد 46 من صحيفة الأمة بتوقيع مصالي نفسه يتعجب فيه من حل الجبهة الشعبية لحزب النجم بينما أن هذا الحزب كان من أول المناصرين لها ويعتبر من المنظمات الشعبية » .

7 ـ الأمة ، ماي ـ جوان 1936 .

وفى مقال آخـر بنفس العدد ، وفى نشرة خاصة ، بتوقيع عيمش بعنوان : « انهم قد خانونا » :

« ان الجبهة الشعبية قد زورت ، ان الجبهة الشعبية قد ذبحت بواسطة أحد أعضائها بمساندة الشيوعيين •• » •

2 – (لابريس ليبر) الصحافة الحرة

كان مصالي الحاج ألقى خطابا فى اجتماع لحـزب الشعب بسينما « ديامان » يوم 12 جويلية – تموز – 1937 فنشرت جريدة (لابريس ليبر) خلاصته حسب خطتها ، فاستفزت الحاج مصالي فرد عليها بالمقال التالي الذي نشرته نفس الجريدة بعدد15 جويلية تحت عنوان : « القضية الأهلية » – الأستاذ مصالي يكتب لنا » :

تقول الجريدة : كنا نشرنا بجريدتنا مقالا يتعلق بالاجتماع الذي عقده حزب الشعب الجزائري بسينما (Diamant) وعلى اثر ذلك كاتبنا الأستاذ مصالي الحاج يقول : (8)

يوم 12 جوليت كان حزب الشعب الجزائري وجه نداء الى كافة المسلمين لحضور اجتماع عقده بسينما ديامان (بالجزائر العاصمة) أتى فيه على أحداث المؤتمر الاسلامي الجزائري الثاني ، وأسجل هنا أن الموضوع الأصلي الذي عقد من أجله هذا الاجتماع هو الكلام على المؤتمر خاصة وعلى سياسته وأدواره ، وموقف حزب الشعب ازاءه ، واحاطة العرب بكل ذلك فهما وبيانا • وليس أبدا موضوع اجتماعنا هذا يتعلق بالكلام على برنامج حزبنا السياسي وثقـافته ومطالبنا الاستعجالية •• وأنكم ذكرتم بجريدتكم أن مصالي أنكر كونه عدوا لفرنسا • وهذه حقيقة أشكركم كثيرا على تسجيلها •

– وفعلا لست عدوا لفرنسا ولم أكن ابدا كذلك ، ولي عدد كبير من الأصدقاء في الشعب الفرنسي – وانما انا عدو للاستعمار فى اي جهة كان ، وانا اعمل وادعو لتحرير الجزائر تحريرا تاما

---

8 – تعريب جريدة الأمة لأبي اليقظان ، عدد 131 يوم 7–8–1937 .

واعتقد ان هذه هي السياسة الرشيدة نظـرا الى ان البلاد الجـزائرية امة لها ماضيها المجيد ولسانها الـكريم ، ودينها الشريف .

اذن ، فان التحرير أمر طبيعي لا مناص منه ، ويجب أن يكون بتأييد من فرنسا الجمهورية نفسها ، وينتهي بارتباط شريف ومعقول بين هذين الشعبين العظيمين ، مثلما هو واقع مع سورية والعراق ومصر. وهذا ليس معناه أبدا أننا نحمل عداءة لفرنسا . وبأجلي بيان أن أفكارنا صريحة جدا واننا نريد أن يكون هذا التحرير لفائدة الشعبين معا ، ومع علاقات حسنة خالية من الأحقاد ضرورة أن هذه المطالب الغالية هي بطبيعتها جمهورية ديمقراطية بأتم معنى الكلمة ، ولأجل هذا يجب أن نلاقي تأييدا فعليا أمام الجمهورية الفرنسية » .

التوقيع : مصالي الحاج

وتعلق جريدة لابريس ليبر : « اننا نعتقد أن لا فائدة لنا فى اثبات أننا بعيدون جدا فى مشاركة مصالي الحاج أفكاره هذه . ونعتقد أن النهضة الجزائرية لاتزال فى مرحلتها الأولى ، وأن وظيفة فرنسا بهذه البلاد هي فى أول بدايتها . وكيفما كانت الحالة فقد عزمنا أن ننشر ما تقدم في بيان مصالي ونعتبر أن الموضوع أخذ حقه » .

التمـايز السـافر

من هذا العرض الشامل والمقارنة الصريحة بين الحركـات القومية الجزائرية نستخلص ولاشك أن التباعد فى الوسائل بدأ يتزايد منذ المؤتمر الاسلامي لاسيما بعد خيبة سياسة المؤتمر وسياسة الجبهة الشعبية الفرنسية . وهكذا تتميز الحركات الجزائرية كلها عن بعضها ، مرغمة تحت ضغط الحوادث من جهة ، ومن جراء الجمود الاستعماري المعروف من جهة أخرى . لاسيما بعد خيبتها بسقوط حكم الجبهة الشعبية باستقالة رئيسها ليون بلوم يوم 20 جوان ــ حزيران ــ 1937 تحت ضغط الحالة الاقتصادية التي وقعت بسببها الحكومة بين عاملين قويين ــ زيادة على عامل القضية الجزائرية : قوة الحركة العمالية والحزب

الشيوعي التي تريد تحسين حالة العمال ، وفوة الرأسمالية وأصحاب الشركات التي تسير فى خط مغاير وتريد جر حكومة الجبهة معها » (9) •

ثم أعقب ذلك رفض البرلمان برنامج هذه الجبهة الذي قدمته لترضية مطالب الأحزاب الجزائرية المتعاطفة معها وانتهى كل أمل سنة 1938 م •

سبق أن ذكرت بعض الوقائع المجملة عن خيبة كل الحركات القومية الجزائرية ، وعن بعض ردود فعلها ، ولكن كان كل ذلك فى ظلال بعض الآمال المعقودة ، وبمنأى عن اليأس النهائي مادامت حكومة الواجهة الشعبية قائمة ، والوفود تروح وتغتدي • لكن فما الذي وقع بعد سقوط الواجهة ، وخمود كل نشاط وحركة ؟ ذلك ما نعرفه فيما يلي :

فبعد انفصال الدكتور ابن جلول عن المؤتمر الاسلامي ــ أو فصله ــ بعد أول جولة ، واستقلاله بسياسة خاصة به ولكنها لم تنفك عن سياسة الاندماج والثقة بفرنسا ، التحق فرحات عباس هو الآخر سنة 1938 بعد الجولة الثانية مع المؤتمر • ولكن التجربة المريرة التي تجرعها من جراء سياسة الجمود الفرنسي أثناء « الحملةالاندماجية » جعلته يرجع الى الحقيقة التاريخية ويعلن انضمامه الى الشعب ، معربا عن خطئه التاريخي فى انكار وجود الأمة الجزائرية (التكتيكي) ، ومن ذلك اليوم اعتنق فكرة الحكم الذاتي للشعب الجزائري المتميز عن الشعب الفرنسي بأمجاده الدينية والحضارية ، وبجنسيته العربية : ولكن بنظرة « معقولية » كما رآها : فى ظل « الوحدة الفرنسية » وينشيء لذلك حزبا خاصا به كما سيأتي •

فأما اتحادية النواب

فأما اتحادية جمعية النواب بقسنطينة ــ بصفة عامة ــ فقد عمدت تحت تأثير وجوب رد الفعل الى اثارة نشاطات تظهر بها غضبها ضد الادارة الفرنسية ــ حتى المركزية ــ فى حركة دائبة ، من أهم جوانبها الدعوة الى الاستقالة التامة من جميع النيابات ، وذلك فى اجتماع

9 ــ النجاح ، عدد 2008 يوم 23-6-1937 .

مجلسها يوم 28 جويلية ـ تموز ـ 1937 وقد اتخذ فيه قرار نهائي بتنفيذ قرار الاستقالة الذي كان اتخذ فى اجتماع عام بتاريخ 27 ديسمبر 1936 ، وأرجيء تنفيذه فى انتظار وعود حكومية .

وبعد الاجتماع وجه الدكتور ابن جلول رئيس الاتحادية الرسالة التالية الى عامل عمالة (ولاية) قسنطينة ونصها :

« سيدي العامل انه ، بقرار من مجلس اتحادية النواب اتخذ فى 27 ديسمبر 1936 فى قسنطينة ، وعملا بهذا القرار وائتمارا بهذا الأمر أبعث اليكم باستقالتي من المجالس : البلدي ، والعمالي ، والمالي بقسنطينة » .

ثم يذكر السيد العامل باقتراحي 28 جويلية ـ تموز ـ و 27 ديسمبر ـ كانون الأول ـ 1936 م (10) .

وهكذا تذهب جريدة (لانطانط) تنشر أسماء المستقيلين فى أعدادها المتلاحقة الى أن بلغ عدد المستقيلين نحو أربعة آلاف .

ويكتب تقرير سري من المكتب الثاني رقم 32 بمركز الوثائق الوطني بقسنطينة فيقول : « ان اتحادية النواب المسلمين بقسنطينة ، بعد ما اتخذت قرارا فى موفي الشهر الأخير ، بمتابعة الاستقالة من النيابة ، زادت فبعثت وفدا الى باريس يتركب من الدكتور ابن جلول رئيس الاتحادية ، وقاضي عبد القادر رئيس اتحادية الفلاحين بعمالة قسنطينة .

وتفاقم أمر الاستقالة حتى بلغ عدد المستقيلين أكثر من أربعة آلاف نائب ، وانتشرت الدعاية فى جميع القطر وأحدثت رجة وطنية ، شعبية وحكومية . حتى ان الشعر تدخل ـ هو الآخر ـ فى القضية وجاء بعض الشعراء يخلدون الحادثة بقصائدهم ، ومن هذه القصائد الأبيات التالية من قصيدة نشرت بجريدة النجاح (11) .

---

10 ـ لانطاط ـ الوفاق ـ عدد 38 .

11 ـ النجاح ، عدد 2026 .

حـادث قد أتت به الأنبـاء ما له عنـدما بـدا اخفـاء

ان اهـل النيابة اليـوم فينا كـان منهـم تراجـع وانزواء

قرروا الـرفض للنيابة لكـن بـدوام تعـاهد الزمـلاء

وبتسليـم من يتوب عمومـا في جميـع البلاد قام النداء

تركـوا بعدها المقاعد خـلوا خلتهـا لـم تقـم بها فصحاء

ومجالس أصبحت شاغرات عـدمت صوتها بها الضعفـاء

رغبـوا في مطالب فتولـوا حيث لم يبدون لهـم أصفاء

وأقاويل قـد جرت حول هذا بعضها جيـد وبعض هبـاء

ثم يختـم :

هكذا ينصر التقـدم فاعجـب عصر علم نضاله استعفاء (*)

لقد آل الأمر الى اضرابات ومظاهرات ، وانقاد بقية النواب السياسيين طوعا أو كرها الى ما أصبح يدعى «الاحراز على الحقوق الفرنسية»دون التنازل عن الحالة الشخصية الاسلامية « وأصبح هؤلاء النواب الذين كانوا بالأمس دعاة التفرنس والتجنيس ، ينادون ضمن مطالبهم الفردية والجماعية باستقلال الدين الاسلامي عن الحكومة » مثـل الديانتـين المسيحية والموساوية ، وبادخال اللغة العربية اجباريا ضمـن المناهـج الدراسيـة . (12)

ولم يقف رد الفعل عند النطاق السياسي ، بل أرادت الاتحادية أن تبرهن للشعب بأنها ، ان كانت وقفت مواقف مشبوهة ، فى قضية طلب الحقوق وتنازلت حتى لقبول الاندماج فى العائلة الفرنسية ، فانما ذلك سياسة أوجبتها الظروف فى حينانها لازمة لسير قناة السياسة الاستعمارية ومجاراتها الى النهاية تعجيزا واحتجاجا . والا فرجال الاتحادية من أحفظ الناس على العقيدة الاسلامية ، والظاهر ان ذلك هو ما جعل عباس ينشر مقالا بجريدة (لانطانط) بعنوان : « حكام الجزائر ـ سيدي ميـو شيخ زاوية » :

---

* ـ لا يخفي أن القصيدة ، عندما يتتبعها القارىء يخرج منها مرتبكا أهي تخليد للحادث الجرىء ؟ أم انتقاد للموقف المائع ؟ ذلك لأن الوضع السياسي كان لا يسمح ـ خصوصا بالنسبة لجريدة النجاح الضالعة ـ بأكثر من اشارات . واذا ما قرأت بعض المقالات في الصحافة ، كما كتب عبد الرحمن غريب في جريدته الحارس ـ مقالا كله تنديد وتوبيخ للمستقيلين ، فضلنا التفسير الثاني .

12 ـ حياة كفاح ، ج 2 ، ص 186 .

يقول : « لا نريد أن نقوم هنا بعملية بليدة ترمي الوطن فى مشاغبات دينية ، لأننا لسنا بأهل لتفسير القرآن ، ولسنا من رجال هذا الميدان • ولكن بصفتي أحد المسلمين لم أخف يوما من الأيام محبتي وتقديري لرجال الدين ولا للرسالة القيمة التي يؤدونها فى حقل التربية الاجتماعية عبر جميع الوطن ضِد التعصب الأعمى ، والمحافظة الجامدة •

على أن الرجل السياسي ، من جهة أخرى ، فهو محروس بأن يكون تابعا لمدرسة وفكرة دينية ، بل حتى الى شخصية دينية •

وحركتنا السياسية الاصلاحية بقيت دائما خارج كل نزاع بين رجال الدين ، فالعلماء والطرقيون عندها كلهم أشخاص لهم قيمتهم فى خدمة قضية العقيدة الاسلامية ••• فاذا كنا فى هذه الجريدة أشداء فى بعض المواقف ازاء المرابطين فليس بقصد الحكم على الزوايا ولا على اتباعها وانما ـ فحسب ـ لتصرفات بعض المرابطين الذين يستغلون هذه الزوايا وسمعة أجدادهم من أجل سلطتهم الخاصة • على أن يكونوا ـ فوق ذلك ـ فى خدمة منافسينا فى الميدان السياسي من الجهلة الذين لا تتوفر فيهم أية مؤهلات ليقفوا فى طريق مجهوداتنا التي نبذلها لصالح القضية الوطنية » •

وبعد أن يتعرض لمؤتمر اتحاد الزوايا والطرق الصوفية الذي ريثما عقد تلك الأيام ويتهمه بأنه سار تحت تأثير وادارة (م ـ ميو) مدير الشؤون الأهلية فى الولاية العامة ، ينعى على تدخل هذا فى الشؤون الدينية الاسلامية ويشبهه (بموسيوليني) و (هيتلر) فى تغيير الأفكار بواسطة الديكتاتورية المقيتة • ثم يقول فى الختام :

« ••• لأن مديرنا قد استحال الى رئيس زاوية وشيخ اخوان وأصبح يدعي : « سيدي ميو » • (13)

وهكذا تذهب اتحادية النواب المسلمين فى قسنطينة ، فى مواقفها التي لم ترق للمستعمرين وأصبحوا ينادون بالويل والثبور ، حتى ان بعض

13 ـ لانطانط ، عدد 121 ـ 4 ماي 1939 م •

التقارير الرسمية تذهب لاتهام الاتحادية بالتخلي عن سياستها الأصلية المبنية على التفاهم والسير فى ظل فرنسا ، الى سياسة انفصالية أو شبه انفصالية ، فنجد فى نشرة اخبارية ادارية صدرت بشهر أكتوبر 1937 .. ان اتجاه نظرة (فيدرالية المنتخبين المسلمين) نحو مسألة « القومية » نستطيع أن نفسره بسبب النجاح الباهر الذي أحرزت عليه جمعية العلماء وحزب الشعب الجزائري فى ولاية قسنطينة ، هذا النجاح الذي لا يمكن أن يقف أمامه النـواب المنتخبون الا بالزيادة فى الروح الوطنية في حركتهم » .

هذا ومن المفيد أن نعيد الى الأذهان تلك المشاكسات التي وقعت بين الحركات الثلاث : جمعية الطرق ، وجمعية العلماء ، واتحادية النواب المسلمين ، واختلاف هذه فى شخص ابن جلول مع جمعية العلماء وتأييدها للطرقيين ــ لفترة ما ــ كما تقدم بيانه ، ثم تخليها عن الطرقيين ورجوعها الى جمعية العلماء وما حدث أثناء ذلك من تهجمات وتجهمات بين الأطراف . منها تصريح ابن جلول فى جريدة (مارساي ماتان) ضد جمعية العلماء » ورد ابن باديس عليه فى جريدة البصائر ردا شنيعا .

ومن أبرزها مهاجمة جريدة « لانطانط » لسان حال الاتحادية لمؤتمر جامعة اتحاد الزوايا والطرق الصوفية « الذي انعقد سنة 1939 ، ورد جريدة الرشاد لسان حال الجامعة على جمعية النواب ، ورميها « بجمعية ورقة الانتخاب » . الخ .

وفى تلك الجهومة التي انتشرت على محيـا « الحركـة السياسيـة الاصلاحية » ، وفى ذلك الظلام الدامس من جراء الخيبة التاريخية مع الجبهة الشعبية الفرنسية ــ ففي هذه الأجواء المقلقة ــ بدأت هذه الحركة تتلمس جوانب هذا الليل البهيم علها تجد مسلكا غير مسدود ، فتنقلب من هذا المضيق الخانق الى حيث تنجو من الاختناق النهائي ، ولم يكن التوفيق حليفها فى أكثر الأحيان .

خصوصا وان نشاطها الذي أعقب سقوط سياسة الجبهة الشعبية قد أثار ضدها ضجة كبرى لدى الكتلة الاستعمارية وأحدث فى أوساطها قلقا كبيرا أدى الى اتهام الاتحادية بالانضمام الى الوطنيين القوميين .

وأمام هذا القلق (الكولوني) والاداري من جهة ، لم يجد الدكتور ابن جلول بدا من أن يطمئن هذه الأطراف فيصرح أنه لم يزل ولن يزال على العهد مع سياسته المعروفة وهي « سياسة الوحدة بين الشعبين الجزائري والفرنسي والصداقة الودية التي تربط بين الشعبين الى الأبد •

ولكنه ـ من جهة أخرى ـ ، وأمام ارتباطاته « الزعامية » ، وحتى الانتخابية مع الشعب ، يندفع الى الدعوة لانشاء وحدة شعبية تضم سائر الاتجاهات ، وفى ذلك قوة أي قوة لمجابهة عوامل الخيبة • وهكذا نجد صحيفة « الميدان » التي تعتبر لسان حاله الخاص تكتب باسهاب فتقول تحت عنوان :

حي على الاتحاد والكفاح ! حي على الاجتماع
في ميدان واحد للنضال المثمر (14)

« ها هي مطالبنا التي قدمناها الى حكومة الواجهة الشعبية على أيدي رجالها المخلصين وانتظرنا تنفيذها أكثر من عام ، لم تنفذ ويظهر أن مآلها سلة المهملات ، وها هي جميع شؤوننا وحالاتنا غير مرضية ، وها هم نوابنا الأحرار ـ بعد الضربة التي صوبها لنا الأقوياء ـ يغضبون لكرامتهم وكرامة الأمة فيقدموا استعفاءاتهم من مناصب النيابة التي بدل أن تكون فى فائدتنا ، كانت وبالا علينا • وها نحن نرى أنفسنا قد جاوزنا الحد فى الافتراق والعداوة والابتعاد من بعضنا ، والتطاحن والتراشق بالسهام ، فمالنا اخواني ؟ ما لنا ! • »

« تجاوبوا يا رجال الوطن ، فلقد زغردت الجزائريات مجتمعات ، واذن المؤذنون فوق منارات الجزائر المسلمة : ان حي على الاتحاد والكفاح ! حي على الاجتماع فى ميدان واحد للنضال المثمر ! فلقد بلغ السيل الزبى ، وخاب الرجاء الا من الله القوي الكريم • فان الأعمال الفردية محكوم عليها بالخيبة ، والرغائب لا تنال الا بالاجتماع ، فالى الاجتماع! الى الاتحاد ! الى الوفاق ، الى التحابب ! •••

14 ـ جريدة الميدان ، عدد 8 يوم 8 أوت ـ أغسطس 1937 •

وفى العدد التاسع يكتب بالعنوان التالي :

الاتحاد الشعبي الجزائري (15)

يوم تأسيس حزب الاتحاد الشعبي الجزائري هو يوم العروبة والاسلام فى الجزائر ، فاما أن تنهض الجزائر المسلمة بعد هذه الكبوة واما أن تسقط أمام أعدائها الماكرين فى هوة ما لها من قرار » •

الى أن يقول : ونحن نريد عيشة مقرونة بالعز والسعادة لنعرف الظالمين والمفسدين كما نعرف الشيوعية اليهودية المبيدة وجبابرة الكولون ان هذه الجزائر المسلمة التي أرادوا مسخها ومحق أهلها وجعلهم وقودا لنيرانهم المقبلة (16) قد صعبت عليهم ، وسوف لا يقدرون على الوصول لغرضهم •

ان « حزب الاتحاد الشعبي الجزائري » سيكون للجزائريين المسلمين جميعا عرينا يأوون اليه •• فيجب أن يقبلوا عليه وأن ينخرطوا فيه وأن لا يترددوا فى تنفيذ أوامره •

ثم يقول : ويكفي الحكيم ابن جلول فخرا أن يكون أبا للأمة الجزائرية وزعيمها الوحيد الذي بعث فيها روح التوقان الى مخالبها (*) التي استحقتها بما قدمت من الخدمات والتضحيات •• » •

وهكذا نجد بجريدة « لانطانط » بعد حوالي عام من نشر البيان السابق نداءا يدعو الى الانضمام الى « الاتحاد الشعبي الجزائري » والحضور الى اجتماعاته (17) •

ومهما يكن فان منظمة الاتحاد الشعبي هذه لم يبرز لها على سطح السياسة الجزائرية كبير سمعة أو عمل ، مثلما وقع بعد لدعوة حزب

---

15 ـ نفس المصدر ، عدد 9 .

16 ـ لا شك أنه يقصد نيران الحرب الكونية التي ظهرت اماراتها ماثلة على الأبواب .

* ـ كذا في الأصل ، والظاهر أن المقصود (بالتوقان) الطموح و (بالمخالب) القوة فالمقال يظهر أنه مترجم .

17 ـ لانطانط ، عدد 83 يوم 28-8-1983 .

الشعب الى تأسيس « الجبهة الاسلامية الجزائرية » • أو على الأقل لم أتذكر شخصيا أعمالها ، وحينئذ فلنترك الكلام عن هذه المنظمة وعسى أن نرجع لها بعدما نحصل على شيء ذي بال يتعلق بها ، على أن نلقي نظرة قصيرة على الرجل الثاني فى اتحادية النواب القسنطينية وخطيبها المفوه الصيدلي فرحات عباس •

لقد كان طموح فرحات عباس وديناميكيته لا يسمحان له بالوقوف والجمود ، لأن فى الوقوف التأخر عن القافلة ، وفى الجمود التحجر فالموت المعنوي ، وهذا ما يرهبه عباس • فلما رأى أن سياسة الاندماج قد فشلت نهائيا بسبب أنها غير مقبولة لا من جانب الشعب الجزائري ، ولا من جانب الكولون ، ولا حتى من جانب الدولة المستعمرة ، تنصل هو الآخر عن المؤتمر الاسلامي ، وبدأ يعمل تارة بجانب ابن جلول ، وتارة فى ظل قناعاته التي ستسفر عن شيء جديد يخلصه من الجمود والتبعية ، الا أنه ــ وبالنظر لارتباطاته الشخصية ــ وبخاصة مع ابن باديس ، فقد ظل معه يستكمل مهمة المؤتمر خارجيا وان أعتذر عن المشاركة فيه نظاميا ، كما نقرأ فى الرسانة الآتية التي وجهها الى الأمين العام للمؤتمر ، يعتذر فيها عن عدم قبول العضوية وهذا نصها : (18)

سطيف 26 جويلية 1937

« سيدي وحبيبي الأمين العام بلحاج ، ان الصحافة نشرت تعييني كعضو عامل فى اللجنة التنفيذية للمؤتمر الاسلامي ، انني ممتن كثيرا لهذه الثقة التي أعطانيها المؤتمر ، واني أشكركم ، ولكن لا يمكن لي قبول هذه المسؤولية لأن مشاغلي كثيرة •

1 ــ النيابة فى جهتين ، وعملي فى اتحادية النواب وفى جريدة لانطانط ، وفى الاتحاد الشعبي الجزائري •

2 ــ ان القرار الذي أخذناه فى الجزائر يهدف الى تعاون جميع الهيئات ذات الهدف المشترك مع المؤتمر ، ولذا فاني أتمنى أن يكون

---

18 ــ المصدر السابق ، عدد 33–1937 م •

بين المؤتمر والاتحاد الشعبي تعاضد وتنسيق حتى يتوصلا لمجهوداتهما الى ايجاد دستور ديمقراطي وانساني للجزائر •• » •

الانفصـــام بين الزعيمين

وهنا يجب أن لا نهمل بعض الحوادث التي قلبت وضع الاتحادية والتي تعطينا ضوءا زائدا عن حركة عباس ازاء زميله الحكيم ابن جلول، فلقد أدى التباعد بينهما الى أن يستقل فرحات عباس تقريبا بالاتحاد الشعبي الذي أنشيء بينهما سنة 1937 ، وينشيء ابن جلول حركة أخرى تتناسب مع فكرته وهي : « التجمع الفرنسي الاسلامي » • على أن كلتي الحركتين لم يكن لهما أثر كبير ، لاسيما وقد باغتتهما الحرب العالمية عام 1939 •

وتتميما للموضوع نثبت فيما يلي بعض المعلومات عن الحركتين منقولة عن زعيميهما اللذين ـ فى الواقـع ـ لم يبعدا كثيرا عن بعضهمـا فى الوسائل والهدف • وان وصفهما بعض الكتاب الأروبيين بأنهما متعارضان فى التراتيب (Structures) التي يتوصلان بها الى خلق سياسة جديرة بنجاح مطالبهم •

أ ـ فرحات عباس كتب : « ان حزبنا الاتحاد الشعبي الجزائري » من أجل الاحراز على حقوق الرجل والمواطن ينادي كل أصدقاء القضية الأهلية • فان أول حركة للحزب هي احصاء جنوده من كل الذين يريدون :

1 ـ نظام مساواة حيث تنعدم محظوظية الطائفية ، والمنشأ والجنس•

2 ـ نظام اقتصادي يحقق العيش والحياة الفضلى للجميع •

3 ـ جزائر تكون مقاطعة فرنسية حقيقية مثلها مثل المقاطعات الفرنسية فى أم الوطن • هؤلاء كلهم عليهم أن يبعثوا لنا بمشاركتهم وأن يجيئوا لتمتين صفوفنا •

« ان الاشتراك فى الاتحاد الشعبي شيء واجب على كل جزائري بصفته رعية فرنسية ، ليطالب بالجنسية الفرنسية ، والثقافة الفرنسية ، والحريات الفرنسية • ان كل شيء حق لطبقة العمال فى فرنسا هو حق لنا هنا • ان خلاص الانسان الأهلي وتحريره ليس الا من عمل الانسان الأهلي » •

« وقد كتبت مرارا بأن مفتاح النجاح هو فى النظام والطاعة • ويتمثل ذلك فى قائد له رجال مضحون باذلون أنفسهم ، ومناضلون مخلصون • وهل بعد ذلك نحن فى حاجة الى أن نبين أن هؤلاء وأولئك يجب أن يكون هدفهم هو تربية الجماهير ، وتكوينها سياسيا ، والسير بها الى المشاركة فى الاقتصاد الوطني ، و فىهذه العملية فان الحزب عليه أن يقدم الاطارات حين تقدم الجماهير قوتها المعنوية والعددية » (19) •

وهكذا يذهب فرحات فى طريقه ، مبتعدا عن زعيمه أو زميله ابن جلول نهائيا ، حيث يمضي مع قناعاته المتطورة شيئا فشيئا ، خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية •

ولئن وصف الكاتب الفرنسي تريبيي (Tripier) حركة عباس بعدم الجدوى لأنها بنيت على شخصيته ، فلست موافقا له ، لان حركة عباس ، ابتداء من أعماله ونشاطاته فى « أحباب البيان والحرية » الى أن انشأ « الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري » كانت ذات منفعة تذكر • وفيما يلي ما قاله تربي : (20) •

« ان حركة عباس لم تبن على برنامج ولا على مبدأ وانما بنيت على شخص فرحات عباس » الذي شبهه الكاتب ببورقيبة وينعته بأنه يعتقد فى نفسه « أب الحركة الوطنية المعتدلة » والتي تعتمد المعقولية Réalisme ويقول : انه أسس سنة 1938 « الاتحاد الشعبي الجزائري » (*)

---

19 — كلودوجان فى (M.N.A.)

20 — تشريحية الحرب الجزائرية ، ص 15 •

* — الحقيقة أن الاتحاد الشعبي انشىء سنة 1937 وبواسطة اتحادية النواب برئاسة ابن جلول •

وأسس سنة 1944 « أحباب البيان والحرية » ، وأخيرا « الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري سنة 1946 الذي لم يحل رسميا الا عام 1956 » .

2 ـ الدكتور ابن جلول : نشر في جريدة (لانطانط الفرنسي الاسلامي) بتاريخ 25 أوت ـ آب 1938 البيان الآتي تحت عنوان :

التجمع الفرنسي الاسلامي الجزائري

« لقد أسس في القطر الجزائري بواسطة كل الجمعيات الفرنسية الاسلامية ، أو الاسلامية ، وهي جمعيات مشتركة فرنسية اسلامية ، وأحزاب سياسية ، ونقابات عمال وصناع ، أسس تجمع تمثلت فيه كل هذه الهيئات لتوحد مجهوداتها بهدف العمل للحصول على مطالب مشتركة ان هذا التجمع يسمى « التجمع الفرنسي الاسلامي الجزائري » .

« ان كل جمعية تشترك في هذا التجمع لها حق الاحتفاظ باستقلالها وشخصيتها الخاصة ، فالتجمع ليس من حقه أي اشراف ولا تدخل في الشؤون الداخلية للجمعية المشتركة » .

« ان التجمع قد حرر برنامجا متواضعا بمكن لكل الجمعيات أن تشارك فيه وأن تحدد الوسائل اللازمة في العمل لبلوغ هدفه . ان التجمع يتكون من الكتل الآتية :

1) نواب الاتحادية .

2) الفلاحين .

3) عمال الزراعة .

4) التجار .

5) عمال المدن .

6) الموظفين .

7) قدماء المحاربين .

8) العلمـاء .

9) الطـرقيين .

10) الجمعيـات .

11) الأحزاب السياسيـة .

12) النقابـات .

ويمضي البيان ليعطي النظام الهيكلي للمنظمة دون ذكر الأغـراض والأهداف ، فكأنه نظام داخلي للهيئة . (21)

اما جمعية العلماء المسلمين

فاما جمعية العلماء فقد بقيت ماضية فى ميدانها الاصلاحي التربوي الديني ، ومطالبها المتعلقة بفصل الدين الاسلامي عن الدولة . على أن نشاطها من خلال مشاركة بعض أعضائها فى تأييد بعـض المترشحـين للانتخابات بصفة عامة ، أو بتأييد جمعية النواب ، ومن خلال حركـة المؤتمر الاسلامي ، ثم ما لها من نشاطات ومقالات فى جرائدها أو فى مجلة الشهاب ، تلك النشاطات التي أظهرتها فى نظر المستعمرين انها خرجت عن دورها الديني ، التعليمـي التربـوي . كـل هـذا جعلهـا منظـورة بعين الحذر حتى لحد رميها « بالمنظمة الوطنية الانفصالية » فبدأت الادارة الاستعمارية تكيد لها وتحاربها حتى فيما يتعلق بحقلها الخاص وهـو الحقل الديني التربوي الصرف ، فأصدرت سنة 1938 قرارا عرف بقرار الثامن مارس ـ آذار ـ الذي وصف بأنه ضربة قتالة للدين الاسلامي ولكي لا نطيل فى الموضوع من أجل تفهم جوانب هذا القرار الخطير نشرع حينا فى نقل بعض الاحتجاجات التي نشرتها الجمعية أو النواب ، ومنها تتفهم وضعية القرار وتأثيره على الجمعية :

1) برقية شكوى واستنكار بعنوان : « يوم الثامن مارس يوم حزن وحداد على تعليم الاسلام ولغة الاسلام ! أما لهذا الظلم من منتهى ؟ أما لهذا الليل من آخر ؟! » ونصها :

---

21 ـ كلودجان نقلا عن «لانطانط الفرنسي الاسلامي» ع 85 .

« الى رئيس الوزارة الفرنسية م ـ دالادي ـ باريس يا جناب الوزير . الى اليوم وفى هذه الظروف ـ ما يزال التضييق متواليا ومتزايدا على التعليم الاسلامي . والمساجد محجرة ، وكثير من المدارس معطلة ، وكثير من الكتاتيب القرآنية مغلقة ، وكثير من المعلمين متابعون فى المحاكم ، ومئات الآلاف من أبنائنا مشردون فى الشوارع .

يمتثل الشيوخ للقانون فيطلبون رخص التعليم ويقدمون جميع اللوازم فلا يسمع لهم صوت 0 بل كثيرا ما نزعت الرخص من أيدي أصحابها . كل هذا من آثار قانون 8 مارس المطبق على التعليم الاسلامي تطبيقا جائرا مغرضا بمنع الرخص عن أهلها وينزعها منهم بينما التعليم الأجنبي ـ والأجنبي المعادي ـ يتمتع بكل حرية واحترام .

يا جناب الوزير انني فى هذا اليوم يوم 8 مارس ـ الذي هو من أسوأ الأيام فى تاريخ الاسلام بالجزائر ـ أرفع اليكم باسم الاسلام كلمة الاستنكار التام لهذه الحال ، وأقدم اليكم باسم المسلمين مر الشكوى من هذه المعاملة الخاصة التي تركت فى القلوب أسوأ الأثر وأوجع الآلام . راجيا منكم أن تتداركوا الأمر بما عرف عنكم من حكمة وبعد نظر ووزن الأحوال . لكم باحترام . (22)

عبد الحميد ابن باديس رئيس ج.ع.م.ج

2 ـ ويكتب فرحات عباس النائب البلدي والمالي مقالا طويلا بعنوان : « قانون 8 مارس ضربة قتالة للدين الاسلامي » نقتطف منه ما يلي :

« ... أقدم كدليل السكون الذي تلقت به الجزائر المسلمة قانون الثامن مارس 1938 م هذا القانون الذي يجعل التعليم العربي كالخيال وهو ضربة قتالة للدين الاسلامي ، ومع ذلك لم يشتغل به غير قليل من النواب وبعض « الميليتان » الدعاة » . (23)

---

22 ـ قال الشيخ الرئيس لفضلاء ، ص 335 نقلا عن البصائر ، عدد 156 يوم 10 ـ 3 ـ 1939 .

23 ـ راجع لانطانط 01 مارس 1939 .

3 ـ وتعلق جريدة البصائر : أي نعم قانون 8 مارس ضربة قتالة للدين الاسلامي ، ومن لا يعرف هذه الحقيقة ، ومن لا يحس بألمها المضاض ؟ ولكن يسرنا أن يقولها نائب من أبرز نوابنا مثقف ثقافة فرنسية عالية دون أن يكون له حظ من ثقافتنا . ليعلم رجال الحكومة هنا وهناك أن ما ترفع به جمعية العلماء عقيرتها وتكرر عليه احتجاجها وتوالي فيه كتابتها ، ليست تعبر فيه عن نفسها وحدها ، ولا هو أثر من آثار ثقافتنا العربية الاسلامية ولكنها تعبر عن رأي الأمة بأسرها ، وتعرب عن شعور جميع أبنائها حتى الذين تثقفوا بغير ثقافتها ويحسبهم الجاهل انهم بعيدون عنها » .

ويمضي التعليق فيرد عن كلمة السكون الآتية فى مقال عباس ، ويقول : كلا ... ثم كلا ! لقد اهتزت الجزائر له أيما اهتزاز ، وارتفعت أصوات الاحتجاج والاستنكار من جميع جهات القطر ... » (24) .

لقد أحدث قرار الثامن مارس 1938 ضجة كبرى بالاحتجاجات والشكايات ، وان لم تقع حوادث مثلما وقع أثناء سنة 1933 نظرا للظروف الحرجة . ومع ذلك لم تقصر الادارة فى متابعة رجال جمعية العلماء من مرشدين ومعلمين ، كما انها لم تقصر فى غلق الكتاتيب القرآنية والمدارس ، وحرمان أصحابها من اعطاء الرخص التي يطلبونها رضوخا للقانون ، وسوقهم الى الاستنطاق وتارة الى السجون الأمر الذي كاد يؤدي بالجمعية نفسها ، مما جعل رئيس الجمعية يصرح : اننا نريد المعاونة مع الادارة ولا نريد المعارضة الا اذا اضطررنا اليها اضطرارا » . (25)

لكن الادارة الاستعمارية تمضي فى تشددها وافتراءاتها التي تريد أن تظهر بها الشعب الجزائري ثائرا ضد السلطة بفضل دعاية الجمعية .

ومن المفيد أن نختم هذه النبذة التي تتعلق بجمعية العلماء بخلاصة من مقال كتبه م ـ تريبي فى كتابه (Autopsie de la guerre d'Algérie) فان هذا

---

24 ـ البصائر ع 157 مارس 1939 .

25 ـ راجع البصائر ، عدد 115 ، ماي 1938 .

المؤلف الفرنسي يتكلم عن جمعية العلماء ويطلق عليها الحركة الثانيـة بعد حزب الشعب ، ويقول انها حركة بدأت دينية ثقافية ثم تطورت الى حركة اصلاحية لتجديد الاسلام ، ثم الى حركة سياسية ، ويذكر محاربتها لأصحاب الطرق الصوفية لأنهم ـ عندها ـ كانوا فى تأييد الحكم الفرنسي دون أن يشعروا •

ويقول ان ابن باديس كان اتخذ سنة 1932 ، للشهاب الجزائري ، الشعارات الآتية : « الاسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا » (26)•

ويضيف الكاتب : وفى سنة 1936 تكلم ابن باديس وقال : الأمة الجزائرية ليست فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تريد أن تكون فرنسا • ثم يضيف : ان هذه الشعارات اتخذها ابن باديس من البلاد العربية ، وذكر السعودية ، والجامعة العربية ، والعراق ، وباكستان (27) •

وجامعة اتحاد الزوايا والطرق الصوفية

على أن الطرقيين وأنصارهم يظهرون من جديد ، بدعوة من المرحوم الشيخ الجليل مصطفى القاسمي رئيس زاوية الهامل الشهيرة فى « جامعة اتحاد الزوايا والطرق الصوفية » ليعقدوا مؤتمرا كبيرا سنة 1939 عبرت عنه جريدة « الرشاد » لسان حال المنظمة : بـ « مؤتمر الشمـال الأفريقي » بما حضره من شخصيات من أقطار الشمال الافريقي كلها ، وحتى من مصر والشام كما تقدم •

وتمضي هذه المنظمة كسابقتيها : جمعية علماء السنة وجمعية الطـرق الصوفية ، مناصبة أو مدافعة عداء جمعية العلماء المسلمين المنـافس الوحيد لهم فى افتكاك السلطة الروحية ، والقيادة الدينية الاسلامية فى الوطن •

---

26 ـ هذه الشعارات يدعى توفيق المدني انه أول من كتبها ، ويدعى حزب النجم انه ابتكرها بينما اشتهرت عن ابن باديس .

27 ـ كتاب تشريحية الحزب الجزائرية ـ تريبي .

وقد وجدت الادارة الاستعمارية بذلك منفذا للتعديل والتجريح والتحسين والتقبيح ، بتأييد هذه الهيئة وخذل الأخرى فتدخلت هذه المرة ادارة ومدير الشؤون الأهلية ورغبوا أن يجعلوا من هذا المؤتمر قوة تتكسر على أعتابها جبهة جمعية العلماء ، كما تكسرت على أعتاب قوة الرأسمالية الاستعمارية الجبهة الشعبية الفرنسية .

لا أقصد بهذا الكلام اتهام رجال الزوايا وأنصارهم بخدمة أغراض المستعمرين ، حاشا وكلا .. فهم كبقية رجال الأمة الجزائرية منهم القوي ومنهم الضعيف ، وفيهم المكافح وفيهم المنهزم . وتلك سنة الله فى جميع المجتمعات والشعوب . وانما هو الاستعمار وقوته ، الاستعمار ومغرياته وأساليبه فى تسخير الأشخاص والشعوب فى أغراضه السيئة .

لقد أطلعني الأخ الصديق الشيخ حسن الوارزقي على سر قال أنه لم يفض به لأحد غيري فيما يتعلق بهذا المؤتمر ، فقد بقي سرا مكتوما طيلة أربعين سنة ، ذلك أنه لما تفاقمت ردود الفعل من طرف جمعية العلماء أمام تفاقم محاربة الادارة لها فى خصوص التعليم والوعظ والارشاد ، وجاءت فرصة انعقاد هذا المؤتمر الموجه هو الآخر لمحاربة جمعية العلماء بمفعول التنافس على القيادة الدينية ، وجدت الادارة منفذا لتعمل منه عملها ، ووجدت من بعض المنتسبين للطرق الصوفية من السياسيين الذين همهم الوحيد هذه الحياة الادارية بما تزخر به من حظوة بالسلطة والنيابات فى مختلف المجالس ، فاستعملت نفوذها بواسطتهم .

وكان حسن الوارزقي من الذين وقع عليهم الاختيار ليقوم بالاتصال ببعض الشخصيات لاقناعها بالمشاركة والعمل فى المؤتمر فاستدعي لادارة الشؤون الأهلية بالولاية العامة ، وأجبر ـ كما أثبت لي ـ على العملية مكرها .

كان هذا العمل والسعي ، ورجال المؤتمر المسؤولون يجهلون كل شيء ، وخاصة رجال التصوف وعلى رأسهم الرجل الخير الشيخ مصطفى القاسمي الذي ترأس المؤتمر .

وهكذا ينعقد هذا المؤتمر ويقرر قراراته ويوجه مطالبه للدولة الفرنسية ومن بينها مطالب لا ترضى عنها جمعية العلماء ، لأنها تتعلق بابقاء السلطة الدينية تحت أيدي المحافظين والطرقيين ، وتضيق الخناق على الجمعية فى ميدان التسيير والوعظ والارشاد •

وبعد ذلك تأخذ هذه الجامعة طريقها المرسوم الذي يبقى على مكانة وسمعة رجال الزوايا التقليدية الى حين •

واخيرا حزب الشعب الجزائري

أما حزب الشعب أو « الحركة الوطنية الثورية » بصفة عامة ، فانه يمضي فى نشاطه الذي لا يرضي أحدا من السياسيين أو الدينيين ماعدا مناضليه أو الجماهير الشعبية • ثم ينتهي به المطاف الى الحل الرسمي يوم 29 سبتمبر ـ ايلول ـ 1939 ، والقاء القبض على زعمائه ، ويعود عمل مناضليه الى السرية التامة •

لقد فكر الحزب عام 1938 فى تحضير ثورة مسلحة بعد اليأس من نيل المطالب بالطرق السياسية السلمية ، وبروز علامات الحرب العالمية الثانية • قال لي الأخ أحمد بوده : « لقد كان جماعة من المناضلين يعملون فى فرنسا ، ومنهم الأخوة طالب محمد وعبدون محمود وفليته أحمد وعمار حمزه ، تمكنوا ـ بعد قرار من الحزب ـ من الاتصال بألمانيا الهيتليرية لتزودهم بالسلاح ووعدتهم بذلك الا أن الجوسسة الفرنسية أطلعت على المسعى وبدأت تضيق الخناق على العمال الجزائريين فلم يستطيعوا مواصلة السعي ولكنها لم تتوصل الى معرفة الأشخاص الساعين ولا على نسبتهم الحزبية •

وكان مصالي رئيس الحزب ـ اذ ذاك ـ فى سجن الحراش فبعث الى المكتب السياسي للحزب يأمر عزل هؤلاء الأشخاص عن الحزب • قال أحمد بوده : فذهبت اليه صحبة زوجته الى السجن لأطلب منه الرجوع عن رأيه فى طرد الاخوان ، وعزمت على اقناعه فقلت له ـ أي

برأي المكتب السياسي ـ ان هذا العمل يجب أن يزيد من تشجيعنا ، انه عمل سيكون لنا أنصارا فى الخارج ، خاصة بعد القاء القبض على الاخوان وان لم تنجح العملية • ويضيف : الى متى ونحن معزولون عن أي نصير ، نتلقى المصائب والكوارث وحدنا دون أي نصير لا فى الداخل ولا فى الخارج •• فأجاب مصالي الحاج :

« هذا شيء هام جدا وهذا ما قصدناه عند اتخاذ القرار ولكن اكتشاف الجماعة للاستعمار فى أول مسعاهم لا يسوغ معه بقاؤهم فى الحزب ، اذ بقاؤهم ـ مع ما ينجم عن اكتشافهم من قبض وتعذيب ، ربما يؤدي بالحزب الى الاضمحلال ، وخير لنا أن نخسر بعض المناضلين من أن نخسر النظام كله » •

وبعد أخذ ورد ـ يقول بوده ـ اقتنعت حقا برأيه وأبلغته المكتب فنفذه • ويضيف بوده : لكن من حسن الحظ أن الجماعة الذين اكتشف عملهم لم يكتشفوا بأشخاصهم فلم يصبهم أذى حتى قامت الحرب ، وحتى بعد قيام الحرب وحل الحزب والقاء القبض على المسيرين فما كان من الحزب ، عندما جدد نشاطه السري ، الا أن أرجعهم الى حظوة النضال وشرفه » •

حقا ان مجرى الحوادث والضغوط المتواصلة على الشعب وعلى الحزب من جهة ، والحالة الحرجة العالمية التي تنبيء بوقوع حرب ، من جهة أخرى : لم تترك مجالا للاطمئنان • كما ان خيبة الأحزاب والهيئات فى سياسة المطالب الاصلاحية الاندماجية جعلتها على استعداد لمراجعة سياستها ، ثم قادتها الى التمايز والتردد فالاختلاف ، كل ذلك جعل الحزب يفكر فى اغتنام هذه الفرص لجمع الكلمة على سياسة جزائرية صرفة تتفق ورغبات الشعب وأهدافه ، ولو فى المطالب المستعجلة وحسب مع بقاء كل على فكرته فى وسائل التحرر من نير الاستعمار ، فدعا الحزب الى تأسيس كتلة قوية باسم «الجبهة الاسلامية الجزائرية» فنشرت جريدة « البرلمان الجزائري » لسان حال نداء ، بعنوان :

لينتزع الشعب الجزائري حقوقه وحرياته يجب تاسيس كتـــلة قـــوية

الجبهة الاسلامية الجزائرية :

ان فكرة (الجبهة الاسلامية الجزائرية) التي أعلن عنها حزب الشعب الذي يرى أن الخطر كل الخطر فى تفكك القوات المكافحة من الشعب الجزائري ، ان هذه الفكرة لا زالت تظفر أكثر فأكثر وتنال جماهـير « وطن الجوع والعبودية » المؤمنة والتي هي ذات الضمير الخانق ...

حقيقة انه منذ صدور هذا البيان فى أول عدد صدر من هذه الجريدة والتشجيعات تأتينا من كل أنحاء الوطن ... (28)

ونجد محاولة أخرى للوفاق فى شهر يناير 1938 بمناسبـة اجتمـاع مشترك بين حزب الشعب وشباب المؤتمر الاسلامي جاء فيها : « نظرا للحوادث الداخلية والخارجية التي تحتم علينا الاسراع بوحدة الشعب الجزائري اللازمة ، ونظرا الى أن هذه الوحدة وهذا الوفاق ممكنان في برنامج مشترك يشتمل على مطالب مستعجلة تعبر عن أنفاس الهيئـات والأحزاب التي تمثل الرأي العام الوطني ، مع احترام السيرة والفكرة الخاصة لكل هيئة .

ان شباب المؤتمر والعلماء ، بصفتهم من المؤتمر الاسلامي من جهة ، وحزب الشعب الجزائري من جهة أخرى ، يلتزمان أمام الله وأمام الشعب الجزائري بتعيين ممثلين لهم لدراسة برنامج مشترك . هؤلاء الممثلون لكل الأطراف سيتخذون اسم « لجنة الوفاق » وهذه اللجنة تبحث وتحدد نقاط البرنامج بعمل واتفاق الجميع ، ثم تؤدي رسالتها وتكون مسؤولة أمام الشعب وليس غير الشعب » .

وتعلق جريدة الأمة (صحيفة حزب الشعب) على هذا البيان فتقول ما يلي :

---

28 – البرلمان الجزائري عدد 5 .

« انه يوجد فى برامج كل الهيئات الاسلامية الجزائرية نقط ومطالب مشتركة يمكن أن تكون نقطة انطلاق فى تحرير برنامج موحد للمطالب المستعجلة مع امكانية احتفاظ كل هيئة بفكرتها العقائدية » •

« ان تجمعا اسلاميا كبيرا سيكون فيه لا شك مكان لكل الآراء والاتجاهات ان هذا التجمع الشعبي سيتفق على هدف واحد : هو الكفاح ضد فاشية الأحزاب السياسية التي وقفت دائما ضد المطالب الجزائرية • فلماذا اذن لا يكون الوفاق للكفاح ضد هذا الاستعمار الوبيل ، من جميع المسلمين الذين يعملون باخلاص من أجل تخليص اخوانهم ؟ فيتجمعون حول برنامج مشترك •

« ان هذا هو الاتجاه الذي ـ وان تنكب عند المؤتمر الاسلامي ـ لازال الوقت فيه متسعا للرجوع اليه حتى يؤدي رسالته الحقيقية »(30)•

وهكذا يذهب حزب الشعب فى محاولاته فيقدم عرضا مشتملا على مطالب يمكن أن تتفق عليها جميع الاتجاهات ، وهي تمس بالفعل جميع الهيئات •

1) الغاء القانون الأهلي (لانديجينا) والاجراءات الخاصة بالأهالي والغاء قراري ريني (Reigner) ورولان (Rollin) وقانون الثامن مارس 9138 وقانون الغابات •

2) اعطاء الحريات الديمقراطية •

أ) حرية انشاء الجمعيات •

ب) حرية التعبير والصحافة الأهلية •

جـ) حق التصويت الموحد للمتساكنين جميعا سواء فى المجالس البلدية ، أو العمالية ، أو المالية •

3) حق توصل الجزائريين المسلمين الى كل الوظائف العليا التي يعبر عنها بالوظيف القيادي المدني والعسكري •

---

29 ـ M.N.A. كلود وجان ص 133 •

30 ـ نفس المصدر والصفحة •

4) الكفاح ضد البؤس والشقاء وذلك بتحديد أجور عادلة لكل العمال من كل الطوائف على قاعدة : « عمل مماثل له أجر مماثل » .

5) الغاء نظام (الخماسة) (*) وتبديله بنظام صغار الفلاحين ، وذلك باعطائهم أراضي أملاك الدولة أو الأراضي التي خصصت للاستعمار ، مع تسهيلات في القروض .

6) العمل ضد الجهل بواسطة التعليم الاجباري ، باللغتين العربية والفرنسية .

7) العفو العام عن المساجين والمعتقلين السياسيين ومنهم مساجين قضية قسنطينة » . (31)

وهكذا يتخذ حزب الشعب نشاطه عبر الوطن كله ويهتم كثيرا بالمنظمات الشبابية ، وبالنوادي والهيئات الاجتماعية ، والنقابات العمالية ، بحيث أنه ظهرت منظمات كثيرة كانت تعتبر ـ نظاميا ـ تابعة للحزب ، وان كانت لدى الادارة تنكر ذلك تفاديا من العقاب ، وذلك مثل « لجنة مساعدة ضحايا الاضطهاد التي كان يرأسها المناضلان سعد دحلب كأمين عام ، وعمار ابن التومي المحامي نائبا له . و « كجمعية النساء المسلمات » ، ونقابة العمال والتجار المسلمين « واتحاد الكشاف المسلم الجزائري » وجمعية طلاب الشمال الافريقي » .

ولكن الاستعمار وأجهزته بالمرصاد لكل نشاط يقوم به هذا الحزب ، فلقد بدأت التقارير تترى على الادارة من جهات الوطن تندد وتتخوف من نشاط الحزب ، وأنقل كنموذج تقريرا رسميا من بينها عن ولاية وهران فيما يلي : (32)

---

* ـ نظام الخماسة كان العمل جاريا به منذ أزمنة طويلة ، وهو اشراك عمال الأرض ، التي هي مخصصة لزراعة الحبوب ، مع المالك بخمس المنتوجات صافيا ومحررا من جميع المصاريف التي يجب أن تكون على حساب مالك الأرض .

31 ـ جريدة الأمة ، عدد 66 يوم 27 أوت 1938 .

32 ـ التقرير معلم برقم 680 ـ 13 بتاريخ 02 أوت 1937 ، (مجلة الوثائق الوطنية ، رقم 6) .

« ... ولقد اعتمد حزب الشعب الجزائري فى وهران لتطويره ، على استعمال الجمعيات الأدبية أو النوادي ، وذلك مثل « الاتحـاد الأدبي الاسلامي » بمستغانم ، و « نادي الرجاء » بتلمسان ، والشبيبة الأدبية الاسلامية بسيدي بلعباس ، و « نادي الايمان » بغليزان ... ثم يقول :

« ان هذه النوادي أو الجمعيات كانت ، بصفة عامة ، منشطة من قبل أعضاء من جمعية العلماء ، الذين هم فى الواقع مناضلون فى حزب الشعب الجزائري ، فلذلك استطاعوا أن يزرعوا روحا جديدة وعلاقات جديدة بين كل القوى ... » .

ثم يأتي التقرير بجدول يبين مواقع نفوذ حزب الشعب بولاية وهران. هكذا ، وأختم هذه النبذة عن حزب الشعب بخلاصة مما كتبه فيليب تريبي ، يقول الكاتب : (33)

« ... وفى سنة 1938 ، أي بعد أحد عشر سنة من تكوينه كان حزب مصالي يعد من المشتركين 2400 مناضلا ، وفى مجاله المحدود يومئذ لدى العمال المغتربين بفرنسا ، ثم بدأ يتوسع الى الجزائر فى تلك السنة ... » .

ثم يقول : أما مصالي الحاج فقد اندفع شخصيا فى تحوله الذي جعل من هذا المشوش العمالي بعد حرب 1939 — 1945 نوع « رجل نبي » وان أعقب ذلك — فى مجـال العمـل — أن تجـاوزه شبابه المنافسون ... » .

ويشرح الكاتب : « أن التحقيقات التالية التي وقعت بتواصل لبرنامجه السياسي .. تشهد ، وبفضل كل صبر وتحمل وجلد ، بفرض هدفه دون مراعاة لامكانات تلك الساعة . وفى شبه نوع عدم التقيد :

ففي سنة 1933 « الاستقلال التام للقطر الجزائري » « الانتخابات فى الصندوق الموحد لجمعية تأسيسية ، وتكون حكومة وطنية ثورية » على أن يشترك كل السكان الجزائريين فى الانتخابات « واللغة العربية

33 — كتاب : تشريحية الحرب الجزائرية ، ص 14 .

هي الرسمية » « وارجاع ملكية البنوك والمعادن وخطوط السكة الحديدية والمواني وجميع المصالح العمومية الى الدولة الجزائرية » •

وفى عام 1936 : برلمان جزائري فى القطر الجزائري ينتخب انتخابا موحدا بدون تفريق بين السكان تحت الرقابة الموحدة للشعب الجزائري، ومن جهة أخرى « كلمة السر » : استقلال الشمال الأفريقي •

وفى سنة 1946 : رفض كل نظام يوهب أو يمس به • والشيء الوحيد الذي يمكن قبوله هو ابتداء محادثات بين الحكومة الفرنسية ونواب جمعية جزائرية تأسيسية منتخبة بالاقتراع الموحد • يعني « جزائر لها السيادة مقدما » (34) •

وهكذا تنتهي هاته الفترة الحاسمة ، من بداية العهد الثاني بتبلور جميع الاتجاهات على محك صلابة (الكولون) وجمود السياسة الاستعمارية الفرنسية التي أنكرت كل حق للشعب الجزائري فى وطنه ، برغم الاحتلال الألماني والضعف الذي نزل بها ، بل أنكر حتى حق الحياة ــ مجرد الحياة ــ لهذا الشعب •

بيد أن هذا التبلور بالنسبة للحركات القومية الجزائرية لم يأت لها بشيء حاسم لاتحاد الوجهة اتحادا صريحا ومبدئيا ، بل بقيت المبادىء والأفكار متمايزة تمايزا بينا وان وحدت الأهداف عند الأكثر •

قال لي الشيخ عباس

عندما وصلت هنا وانجلت لي حالة التمايز بين الأحزاب والهيئات الجزائرية ، وقد كنت أعلم أن الأخ الصديق الأستاذ الكبير العباس ابن الشيخ الحسين رئيس المجلس الاسلامي الأعلى سابقا كان يجمع أثناء هذه الفترة بين النضال فى حزب الشعب وفى جمعية العلماء ، فتوجهت اليه وطلبت منه أن يفيدني كيف استطاع فى هذا الظرف الحرج:

---

34 ــ الواقع أن الكاتب يخلط نوعا ما فى مطالب الحزب .

1936 — 1938 م — أن يجمع بين الضدين ، أو بالأحرى بين هيئتين متمايزتين تمايزا صريحا فأجابني مشكورا :

« الواقع أنني كنت أعمل لحساب نجم الشمال الأفريقي منذ حوالي سنة 1931 ، وقد كنت طالبا بالقرويين بمدينة فاس ، وكانت الواسطة للعمل فى الحزب هو السيد محمد قنانش من تلمسان الذي كان يبعث لي جريدة الأمة لأوزعها على الطلبة الجزائريين الذين يدرسون بجامع القرويين بفاس ، واستمر الحال لغاية 1938 .

وأثناء هذه المدة حكم علي بالابعاد من فاس بسبب عملي مع « الكتلة الوطنية المغربية » قبل أن تنقسم على نفسها ، ثم لما انقسمت حوالي سنة 1936 حاولنا ، نحن الطلبة الجزائريين ، فيمن حاول من جميع الفئات اصلاح ذات البين فلم ننجح وتكون حزبان : حزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال ، فعملت اذن مع هذا الأخير لأسباب محلية.

وبعد النفي حللت بقرية « بني صاف » بالغرب الجزائري وكونت بها ناديا باسم الحركة الاصلاحية — جمعية العلماء — وبقيت بها نحو السنة ثم وقع ابعادي منها أيضا . والسبب فى هذا هو أننا شيعنا جنازة بدون ذكر ، على خلاف العادة ، الأمر الذي أثار السكان الذين لم يألفوا هذا المظهر ، وأصبحوا يتحرشون بنا ويضمرون الشر لهذه الحركة وبعد يومين من الحادثة اجتمع المرابطون الذين وفدوا على سوق القرية من البوادي وتنادوا الى اجتماع في المسجد حيث دعوا بالشر على كل من تعاون أو يتعاون مع « الباديسية » (جمعية العلماء) . يقول الشيخ عباس : واستغلت هذه الحادثة بجريدة « الوفاق » التي كان يصدرها المرحوم محمد السعيد الزاهري .

وهكذا وبعد الحكم علي بالابعاد ذهبت الى قسنطينة حيث بعثني الشيخ عبد الحميد باديس الى مدينة عنابة للاشراف على الحركة الاصلاحية فيها ، بالاضافة الى عملي فى حزب الشعب ، وبقيت فى مدينة عنابة من أواخر عام 1893 الى أواسط عام 1940 .

وساء بعد ذلك المقام بعنابة حيث كنت يوما آتيا منها الى قسنطينة وبينما أنا بمحطة القطار بها اذا بالشرطة الاستعمارية تقبض علي ، وبعد الاستنطاق أطلق سراحي مؤقتا الى أن حكمت علي محكمة قسنطينة بستة شهور سجنا وبغرامة مالية • وبعد الاستئناف برئت ساحتي ، فذهبت الى عزابة ، فقضيت بها نحو سنة كاملة دون أن ترخص لي الحكومة بالعمل سواء بمسجدها أو بمدرستها ، فرجعت الى قسنطينة ومنها ذهبت سنة 1943 الى قرية سيدي مزغيش بطلب من أهلها وتوليت الامامة والخطابة بمسجدها ، والتعليم بالمدرسة الى شهر أفريل ــ نيسان ــ ، بينما كنت على اتصال دائم بمدن وقرى المنظمة •

وحضرت يوما اجتماعا عاما لحزب الشعب وبعض الهيئات القومية بعنابة ، وألقيت فيه خطابا ، ولما سئلت من بعض الحضور : من زعيم الجزائر ؟ قلت بصوت جهوري : مصالي الحاج !

وأخيرا كنت يوما بمدينة سكيكدة فاذا بشرطتها تلقي علي القبض ، وتنقلوا بي من سجن سكيكدة الى سجن قسنطينة ثم الى الحراش فالاصنام وأخيرا الى معتقل « بوسوى » •

وفى طريقنا من سكيكدة الى قسنطينة كنا نجد فى كل محطة تجمهرات وتظاهرات شعبية احتجاجا • والسبب فى هذا ــ زيادة على تحرشات سابقة ، انني كنت ألقيت خطابا مثيرا بقسنطينة بمناسبة ذكرى وفاة الشيخ باديس ، وبمحضر كبار مسؤولي « أحباب البيان والحرية » •

وهنا سألته : لقد علمنا بعد ذلك أنك تخليت عن حزب الشعب فما السبب فى ذلك ؟

قال : لقد لاحظت وأنا بمعتقل بوسوى مع كثير من مسؤولي الحزب أن تصرفات بعضهم لا تعجبني ووقعت بيني وبينهم مشادات وخصومات متعددة ، ومما لاحظت لهم أن هذه التصرفات التي أراها ، تتنافى مع المبادىء الوطنية التي ندعو لها فى الحزب ، فلم يعجبهم ذلك وناصبوني العداء ومنذ ذلك اليوم تنحيت عن الحزب •

موازنة الأحزاب والهيئات الجزائرية رسميا

ويمكن أن نأخذ فكرة حقيقية ، أو تقرب من الحقيقة ، فى بعض الحالات ، من تقرير كتب الى والي ولاية قسنطينة (عامل العمالة) بمناسبة مباشرته لوظيفته الجديدة ، كتبه له مركز الاعلام وأبحاث الحالة السياسية لغاية 1940 يقول التقرير :

1 ـ المرابطون والعائلات الكبيرة :

ان نظام اتحاد المرابطين والعائلات الكبيرة ، بعد أن خدمنا أثناء الغزو ، أصبح الآن يخدمهم أكثر مما يخدمنا .

2 ـ الحزب الشيوعي الجزائري :

بالنسبة للمدن فان سنوات 1937 ـ 1938 بلغت فيها الشيوعية أوجها ، فبولاية قسنطينة توجد 28 خلية تحتوي على 300 عضو مسلم من العدد الاجمالي وهو 800 مشتركا ، لكن تأثير الشيوعيين على الأهالي لم يكن ذا أهمية حقيقية .

3 ـ المنتخبون والعلماء :

ليس من مصلحتنا اخماد هاتين الحركتين ، اذا فرضنا أنها عملية ممكنة ، ولكن بالعكس هو أن نتركهم كأداة للتنفيذ أقل خطورة من حزب الشعب الجزائري .

4 ـ حزب الشعب الجزائري :

من جهة أخرى ، ونظرا للخطة التي اتبعها حزب الشعب ، يظهر أن السياسة الوحيدة التي يمكن اتباعها تجاه هذا الحزب هي سياسة « استعمال القوة والشدة » ـ وبجعل خط تحت هذه العبارة .

ثم يضيف التقرير : على أن التقارير الشهرية من سنة 1937 الى سنة 1940 الصادرة عن مركز الاعلام والدراسات فى الجزائر ووهران ، تتكلم كثيرا عن مثول مناضلي ح ـ ش ـ ج أمام المحاكم الجنحية

وعن اتخاذ عقوبات ضد الحزب ، وحتى عن اعدام بعض مسيريه ، أي أنه قد استعملت كل أنواع الردع والقمع ضد هذا الحزب » (35) .

وهكذا يختم هذا العهد من الفترة الثانية بنهاية سياسة التودد من أجل الحقوق المشروطة بالفرنسة . بل بنهاية الذلة والخنوع التي أصقلت الأفكار ووجهت العقول لتتفطن الى قاعدة : « ان الحقـوق تؤخذ ولا تعطى » وان حياة سعيدة لأي شعب لا تتمكن بدون حرية ، لأن طبيعة الاستعمار قد حققت هذه الكلية . وكان ذلك في توقيت مضبوط مع نهاية عهد السيطرة بالحديد والنار .

اذ جاءت الحرب العالمية الثانية سنة 1939 التي أتت بضعف المستعمرين من جهة الا أنها كانت فرصتهم الذهبية من جهة أخرى ، لحل جميع الأحزاب السياسية وتضييق الخناق على الشعب واخماد كل نشـاط وطني . وتتجه الأنظار والنفوس الى المستقبل المجهول ! .

---

35 ـ مجلة مر كز الوثائق الوطني عدد 6 ص 49 ـ 50 .

الحرب العالمية الثانية

1939 – 1945

كان اعلان الحرب العالمية الثانية ، من طرف فرنسا على ألمانيا فى شهر سبتمبر 1939 (1) حدا فاصلا لكل نشاط سياسي فى الجزائر ، لاسيما النشاط الظاهر ، فخيم على الحقل الوطني السكون الثقيل الوطأة ، وانغلقت النفوس على الخوف والحذر .

فجمعية العلماء أوقفت صحافتها ، مثلما أوقف ابن باديس مجلة الشهاب تحسبا لما ربما تجبر عليه لنشر ما فى صالح فرنسا فى الحرب ، واعتقل بعض أعضائها ، وعلى رأسهم الشيخ البشير الابراهيمي نائب الرئيس ، ولكن الشيخ الطيب العقبي رأى أن يصدر جريدته «الاصلاح» مرة أخرى ، ولم يتخذ طريقة زميله ابن باديس ولا طريق الجمعية . ألأنها سياسته الخاصة ؟ أم لأنه قد استقال من المكتب الاداري لجمعية العلماء ؟ فهو اذن لا يتقيد بمواقفها . هذا ما لا يفيدنا فى شيء وانما ذكرناه لأنه كان محل تعليق من طرف الأستاذ توفيق المدني أدى الى مشادة بينه وبين بعض أعضاء الجمعية أو أنصارها (2) .

---

1 – فى ليل الاستعمار لعباس أن اعلان الحرب وقع يوم 29 سبتمبر على خلاف ما أعلن الوالي العام على القطر الجزائري كما يأتي قريبا أن الحرب أعلنت من فرنسا وبريطانيا يوم الثالث سبتمبر 1939 ، وظني أن فرحات يقصد الحرب مع فرنسا بينما الوالي يقصد بدايتها على كولون .

2 – راجع جريدة النصر ابتداء من 28 فبراير 1978 – أعداد 1984 – 1987 للاستاذ محمد الصالح رمضان مع الاستاذ توفيق المدني ، وطالع أيضا النصر ، عدد 1986 – 6 – 2 – 1978 وما قبله وبعده للاستاذ محمد طاهر فضلاء تحت عنوان : مناقشة الاستاذ توفيق المدني .

أما جمعية النواب المسلمين فقد نسيت جميع الأحقاد واندفعت تؤيد فرنسا بدون شرط أو قيد تجاوبا مع خطاب رئيس الجمهورية الفرنسية ، وامتثالا لنداء الوالي العام على القطر الجزائري الذي يقول فيه يوم الرابع سبتمبر : (3)

« يا سكان الجزائر ! منذ الأمس دخلت فرنسا وبريطانيا العظمى فى حالة الحرب مع ألمانيا . ان هيتلر رئيس الدولة الألمانية ، بتماديه على سياسة التباغض بين الأمم للتوصل بها الى جعل العالم أجمع تحت نير العبودية الألماني ، بعد ما هاجم منذ سنة النمسا وأضافها اليه ، ثم تشيكوسلوفاكيا ، بالرغم من العهود الصادرة منه ، قد أغار على بولونيا بكيفية وحشية » .

« ان الجمهورية الفرنسية وبريطانيا العظمى : تصميما على الدفاع عن استقلالهما وعن سامي فكرتهما فى نصرة الحق والحرية يدعوان جميع أولادهما لحفظ سلامة بلادهما . لقد وقع التجهز العام فى الجزائر على ما ينبغي من الترتيب والتدريب .

« انني أرى من واجبي أن أشكركم جميعا يا مواطني الأعزاء أروبيين ومسلمين على استجابتكم لنداء الوطن بهذه الغيرة وهذا الثبات .

ويضيف : ان الوطن الجزائري الذي هو الجزء الأهم من المملكة الفرنسية يجيب كله بالقبل لنبيل خطاب السيـد (لوبران) رئيس الجمهورية ، والسيد (ادوارد دلادي) رئيس ديوان الوزراء ويكون مثالا لوطن هادىء ذي عزم وامتثال باتحاد جميع أبنائه فى حب الوطن ، لتعش الجزائر الفرنسية ! لتعش الحرية ! » (4) .

---

3 – جاء فى محضر جلسة المجلس العمالي بتاريخ 19 أفريل 1939 التصريح التالي : « ان النواب العماليين الاهالي يحققون بكل افتخار ولاءهم وولاء السكان الاهالي الدائم وارادتهم الراسخة في أنهم سيهبون كرجل واحد عندما تقتضي الظروف للدفاع تحت العلم المثلث عن الحقـوق المقدسة والسيادة الكـاملة لأم الوطن فرنسا » .

4 – البلاغ ، عدد 470 – 15 سبتمبر 1939 .

يعلق الجنرال ديغول على اعلان فرنسا الحرب ضد ألمانيا فيقول :

« وفى الأول من سبتمبر ـ ايلول ـ راح هتلـر يلقي بثقلـه عـلى بولندة ـ بولونيا ـ ثم يقول : أما فرنسا فقد لعبت فى جميع هذه الفصـول التي تؤلـف مسرحية واحـدة ، دور الضحية التي تنتظر دورها •••

ثم يضيف : وعندما حذت الحكومة الفرنسية فى ايلول ـ سبتمبر ـ عام 1939 حذو الحكومة البريطانية ، وقررت الاشتراك فى الحرب التي بدأت فى بولندة ، لم يساورني الشك لحظة واحدة فى أنها فعلت ذلك ، وهي تتصور أننا ـ بالرغم من وجود حالة الحرب ـ لن نضطر الى خوض معركة شاملة ••• » (5) •

هذا ، ومن المدهش حقا ان رأينا أكثر أعضاء جمعية النواب حيوية ونشاطا وغيرة وطنية يعلنون ، بمجرد اعلان الحرب ، تطوعهم فى الجيش الفرنسي للدفاع عن الوطن الأم ••• فرنسا •

غير أن حزب الشعب الجزائري الذي كان مسيروه فى السجن يتقاضون السنتين المحكوم بها عليهم منذ عام 1937 ، بقى غامضا ، ولما خرج مسيروه من السجن لم يلبثوا أكثر من أسبوع حتى اعتقلوا من جديد • يضاف الى ذلك صدور الأمر بحل الحزب يوم 26 سبتمبر 1939 فقرر أن يعمل سرا الى حين ، بعد ما أوقفت جريدتاه الأمة والبرلمان •

وهكذا دخلت الجزائر فى غمرة الحرب مكرهة مسيرة تحت نير القوات الفرنسية ، مقدمة أبناءها وأموالها وولاءها الظاهري لكن الحرب الألمانية النازية كانت حربا خاطفة وشديدة الوقع ، فما لبثت فرنسا أن سقطت تحت الاحتلال الألماني سنة 1940 •

وقام نظام (فيشي) برئاسة المشير بيتان ، فعرض هذا على الحاج مصالي أن يصرح بالولاء لحكومته فأبى ، فحوكم هو وأعضاء الحزب

---

5 ـ مذكرات الجنرال ديغول ، ج 1 ـ ص 46 ـ 47 •

فحكمت عليهم المحكمة العسكرية بستة عشر عاما سجنا مع الأشغال الشاقة ، والتجريد من الحقوق المدنية ... الخ كما سبق تفصيله .

ويقول سعد الله أبو القاسم ـ نقلا عن « ساراسين » : « أما حكومة فيشي فقد حاولت فى أول الأمر أن تسلك سياسة الوفاق مع حـزب الشعب ، وعندما لم تنجح لجأت الى المعاملة القاسية لأعضائه ، فقد جرت اتصالات مرتين بمصالي ، احداهما فى نوفمبر 1940 والثانية فى شهر مارس 1941 لمحاولة التفاهم معه على أساس « التعاون » على قدم المساواة بين الفرنسيين والمسلمين بشرط أن يتخلى عن المطالبة بالاقتراع العام والبرلمان الجزائري وغيرها من مطالب الحزب الأساسية ، وعندما رفض هذا العرض قدم الى المحاكمة العسكرية » (6)

ومن المفيد أن تثبت هنا هذه المطالب التي سبق أن نشرها الحزب فى جوان ـ حزيران ـ 1939 فى جريدته البرلمان الجزائري قبل منعها من الصدور ، جاء فيها ما يلي :

« ثلاث كلمات سر (Trois mots d'ordre) تلخص المطالب : التصويت الموحد ـ البرلمان الجزائري ـ الترشيد .

1 ـ التصويت الموحد :

ان الشعب الجزائري ، فى الحالة الراهنة هيىء له نظام نيابة متخرجة بواسطة تصويت قاصر ـ قاصر كثيرا ـ برغم الفارق الكبير فى العدد ... انه نظام يبعد الجماهير التي تعاني من شراهة المستعمر ، ويحرمها من أحسن وسيلة للدفاع ، ان نوع هذا التصويت الذي يتجاهل أهم الحقوق اللازمة للحياة ، لهو أحق بالحكم عليه ، لأنه يمثل أول أسباب شقـاء الجزائري ، ولأنه غير عادل أيضا وضد كل القوانين الديمقراطية اذ قد جعل ـ فى حالة دناءة مؤلمة ـ شعبا كاملا يريد أن ينهض نحو التقـدم ونحو الحياة الفضلى .

---

6 ـ الحركة الوطنية ، سعد الله ، ج 3 ـ ص 194 .

« ان التصويت الموحد يمكن الشعب الجزائري من الاعراب عن ارادته ، ويجعل حدا لمجازفات كل المنتهزين لاستغلال شقائه .

2 ـ البرلمان الجزائري :

ان البرلمان الجزائري ـ واقعيا ـ موجود بعد ضمن المجالس النيابية المالية الجزائرية ، ولكنه بكيفية أبعد ما تكون عن الديمقراطية ، انها كيفية جعلت الأبواب مفتوحة لكل المظالم التي تنزل على السكان المسلمين سواء فى الميدان الاقتصادي أو المالي .

ففي هذه المنظمة يمثل السكان المسلمون بواسطة أقلية ضعيفة من النواب ، الأمر الذي جعل هاته المنظمة قلعة حصينة للمحظوظين المستعمرين .

ان كيفية التمثيل النيابي الحاضر آتية من تصويت مستمد من رجحان قوة مصلحة عدد من كبار المستعمرين . فلذا ، ولرد سمعة الشعب الفرنسي الديمقراطي ، يجب حذف هذا النظام ليترك المكان البرلمان جزائري على أساس « التصويت الموحد » .

3 ـ الترشيد والانعتاق :

ان سياسة الاندماج لم تكن الا سببا فى تزايد الاشكال فى أزمة القضية الجزائرية ، فترك هذه السياسة قد وجب وتعويضها بسياسة ترشيد وتحرير صار منذ الآن الوسيلة الوحيدة لتأسيس سيادة سلطة العدالة ، والتقدم ، والديمقراطية .

ان سياسة الترشيد هي وحدها التي ستقود السكان المسلمين نحو ميدان المشاركة فى تسيير الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى وطنهم .

ففي هذا الوقت الذي يريد فيه الشعب الجزائري بل يطالب بتطوير لا مفر منه ، فانه لمن العمى الحقيقي لعقل يريد ابقاءه تحت عبودية مؤبدة !

وهو من جهة أخرى – اذا أريد استغلال صبره الذي نفد أمام الوعود الفارغة والتي انتهت بدون أمل – هو جمود خطير وفظيع » •

أما استعمال سياسة الاضطهاد ضد الحركة الديمقراطية ، وان كان يهزها ، فهـو يفضي الى الفشل ، ويهيىء لمستقبل ثقيل بالمهددات ليس الا ... » •

« ان الشعب الفرنسي المرتبط جدا بالمبادىء الديمقراطية يجب أن يمد يده الأخوية الى الشعب الجزائري ، فانه من مصلحته ومن شريف سمعته أن يؤيده فى كفاحه ضد المحظوظية • ا هـ

الاحتـلال الألمـاني ونظـام فيشـي

كانت ليلة 25 جوان – حزيران – 1940 شؤما على الدولة الفرنسية العتيدة ثاني دولة فى العالم اذ ذاك • فقد انهارت قواتها العظمى أمـام القوات الألمانية انهيارا لم يتوقعه أحد فى العالم ، بحيث لم تتمكن من الوقوف أمام الهجوم الألماني أكثر من سبعة وثلاثين يوما ، فسقطت عاجزة ، ذليلة ، حقيرة • مثل من سبقها من الدول الصغرى كبلجيكا وهولندة واللوكسمبور ، فى حين تشتتت قواتها الهائلة تشتتا مريعا (8) •

فان البعض من قواتها أخذ أسيرا فى معركة (دانكيرك) (9) وغيرها ، والبعض الآخر فر هاربا الى الجزر البريطانية ، والقسم الثالث استسلم

---

8 – يقول ديغول فى مذكراته ج 1 ، ص 57 : ... وعادت الفرق الصاعقة السبع « الألمانية » فى الثامن عشر ماي – أيار – 1940 الى التجمع حول (سان كنتان) مستعدة للاندلاع اما الى باريس أو دنكيرك ، بعد أن عبرت (خط ماجينو) وحطمت قواعدنا وأبادت جيشا كاملا من جيوشنا ... ويذهب ديغول يصور الحالة الى حد أن يقول : « ويمكن القول أن الألمان تمكنوا فى غضون أسبوع واحد من تقـرير مصيرنا » .

وهكذا راح الجيش والدولة ، بل وفرنسا كلها ، تهبط على ذلك المنحدر الذي أوصلتنا اليه خطيئة مميتة لا تغتفر منذ أمد طويل ، وكان الهبوط بسرعة هائلة •

9 – لقد أشرت لواقعة دنكيرك فى قصيدة لي بالمناسبة مطلعها :

يـد الظلـم سيـف الخـد حائـر
قضت سنة القهـار فى الظلم شأنها — وعزم الرجال الصيد صرح مكابر
بأن جحـافل الضـلال وان طغت — وما الواحد القهار فى الحـكم عائر
فامسكت كجيش « دانيكرك » رهينة — وما هن من صـوارم الحـق باتـر
انظر القصيدة فى ديوان « اطوار » شعراء الجزائر . — جثـاة المفعـول النـزال ذواغـر

الى العدو تحت قيادة اللواء ــ الجنرال ــ ويغان ، ورئاسة المشير ــ المارشال بيتان • وجاء بيتان ليعلن صبيحة 25 يونيو 1940 ذلك الاستسلام فى خطاب موجه بالراديو ، ومما جاء فيه :

« انني اليوم أوجه الكلام اليكم أيها الفرنسيون بالتراب الفرنسي نفسه ، وفيما وراء البحار ، لأبين لكم أسباب الهدنتين اللتين عقدتا مع ألمانيا ثم ايطاليا ••• » •

وبعد أن يذكر أسباب الغلط الذي وقعت فيه فرنسا وحلفاؤها ، ويذكر تفوق ألمانيا تفوقا عسكريا لا يمكن الوقوف أمامه ، وفوق تفوق ألمانيا الساحق انضم اليه دخول ايطاليا الحرب حيث نشأت لفرنسا واجهة جديدة ما كانت فى الحسبان ، يعترف بيتان بأنه لم يكن أمام الحكومة الا أمران : فاما أن تبقى على عين المكان ــ أي فى التراب الفرنسي أو انها تركب البحر وتلوذ بالفرار ••• ويضيف :

« فتفاوضت فى ذلك وعزمت على البقاء فى فرنسا للاحتفاظ بوحدة أمتنا وثباتها أمام الخصم • وانما الواجب هو الحصول على هدنة مقبولة وذلك بنداء الخصم الى معنى الشرف والمعقولية •

« وقد عقدت الهدنة وانتهت المعركة « ثم يعلن بيتان ان هذا اليوم يوم حداد وطني » • (10)

وهكذا تنتصب لجان الاحتلال الألمانية والايطالية والتي دعيت « لجان الهدنة » فى جميع أنحاء الوطن الجزائري ، وطمع الشعب أن يجد لديها طريقا الى الحرية ولكن الرد دائما كان غير مشجع ، بل كان قتالا لكل الآمال التي كانت زرعتها اذاعة برلين لدى الشعوب المستضعفة ، لا سيما الجزائر التي أذاقها الاستعمار الفرنسي من ألوان الشقاء والحرمان ما جعلها تنظر الى هذه الحرب بأنها المنقذ الوحيد لها من الاستعمار ، فتلقت انتصار ألمانيا على فرنسا بالافراح والتهاليل ، واتخذت هزيمة فرنسا عام

---

10 ــ جريدة الاصلاح ، عدد 26 .

1940 انتصارا لقضيتها الوطنية ، وبداية عهد جديد سوف تتدرج فيه نحو الخلاص من العبودية لفرنسا ولاستعمارها الأناني البليد .

لكن هذه الآمال كلها تبخرت أمام السياسة التي سلكتها ألمانية مع المشير بيتان ، فقد اقتصرت على نصب لجان الهدنة ، كرمز للاحتلال والرقابة بينما تركت السلطة الفعلية بيد حكومة بيتان ، ولا سيما فى الجزائر ، مفضلة التخفيف من أعباء الحكم والرقابة اللتين جعلتهما بيد أمينة راضخة للاحتلال ، وذلك بقصد التفرغ لأعباء الحرب الطويلة المدى أو الحرب التي تجهل عاقبتها .

ولربما نجد تفسيرا صحيحا لهذا الموقف حينما نقرأ التحليل الذي أجاب به الفقيد شكيب أرسلان الأستاذ توفيق المدني عن رسالة وجهها اليه فى الموضوع ، واليكه فيما يلي :

« ... أولا ـ ان فون بنتروب يعتقد أن فض قضايا الاستعمار لا يكون الا عند نهاية الحرب أثناء « املاء معاهدة الصلح » والحرب فى أروبا لا تزال طويلة ، قاسية ، فاجعة .

ثانيا ـ أن ألمانيا تسعى لجذب عاطفة الفرنسيين وتود أن ينسوا انكسارهم وأن يربطوا قضيتهم بقضية ألمانيا ، وأن يبقوا صفا واحدا الى جانب « لافال » ضد المساعي التي يقوم بها (الجنرال ديغول) ومناداته يوم 14 جوان 1940 بالمقاومة ، وسعيه لجمع شمل فرنسا الحرة والزج بها من جديد الى جانب أعداء ألمانيا .

ثالثا ـ الأوفق لمصلحة ألمانيا هو أن تبقى المستعمرات الفرنسية خاضعة لحكومة فيشي التي يديرها لافال والتي هي خاضعة فى الحقيقة للدولة الألمانية ، فاخراج هذه المستعمرات عن المنطقة الفرنسية سيضعف حكومة لافال ويجعل دولة « فيشي » تتلاشى ، وتنجح دعاية ديغول .

رابعا ـ هو ينصح أحبابه بالشمال الأفريقي أن لا يحركوا ساكنا وأن يقبلوا الوضع الحاضر مؤقتا ، وأن يتصلوا بلجان الهدنة ـ الألمانيين ـ

عندما يحلون ببلادهم لربط الاتصال المباشر ، وأن ينتظروا نتيجة الحرب بهدوء » (11) .

هذا بقطع النظر عما انتشر فى جو سياسة « المحور » اذ ذاك فقد اتخذت هذه السياسة من القطر الجزائري قطعة مساومة فى سوق المبـادلات ، فالقطاع القسنطيني ، فى هذه السياسة المحورية ، سيضم لتونس ليكونا من حصة ايطاليا ، والقطاع الوهراني يعطي الى اسبانيا بينما يبقى الوسط تحت يد فرنسا . وهكذا ، وبواسطة هذه المصالحة ، تنفتح الطريق أمام ألمانيا الى افريقيا كلها (12) .

الى الحلفـــاء !

وهكذا تتجه الأنظار من جديد الى ناحية أخرى ظهرت جدتها وجديتها ، هي ورقة الحلفاء بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ، وبشروط الحلف (الأطلنطي) الذي ظهر أكثر جدية ، وأمتن بناء من شروط ويلسون بعد الحرب العالمية الأولى .

وقد طفت على سطح السياسة العالمية أمواج طاغية من دعاية « تحرير الأمم » وتقرير الشعوب لمصيرها ، والقضاء على الاستعمار الذي هو

---

11 – حياة كفاح ، ج 2 ، ص 335 .

12 – فى هذا التعليق أريد أن أعطي للقاريء نموذجا بسيطا لما كان يفكر به الشعب أثناء تلك الأحداث الهامة ، لقد كانت ألمانيا النازية فى عنفوان قوتها فى تلك الحرب وكانت بيدها مبادرة الهجوم ، وكانت قواتها بالقطر التونسي قريبة من الحدود الجزائرية ، بحيث ننتظر دخولها الفينة بعد الأخرى .

وقد كنا فى القرية جماعة نتجاذب أطراف الحديث كيف نستقبل دخول القوات الألمانية التي هي آتية لتحريرنا ....؟ ثم ماذا نفعل « بالكولون » المستعمرين الذين هم فى قريتنا ؟ فقال أحدهم : أما أنا فاتركوا لي (م – ج – ك) لأقضي عليه . وقال الآخر : أما أنا فسأتكلف بـ (م – ا –) وقال أكبرهم أ أما أنا فاتركوني مع سيدهم (م – أ – ج) . (=) وكان هذا مدير الشركة الجزائرية للاراضي . فقالوا له : وماذا تفعل به ؟ فقال لهم : سأحمل سلاحي وأقف أمام منزله لحراسته فلا أترك أحدا يقرب منه حتى أمنعه من القتل . وكان هذا المدير خبيثا وجبارا عنيدا ، ومستغلا للفلاحين الاهالي أبشع استغلال فلذا فهو كريه للجميع ، فتعجب الجميع من موقفه وقالوا : أفلا قلت أقطعه اربا اربا لتجعلوا منه شواء ، فقال لهم : ألا ترون فى قتل هذا الجبار اراحة له وشرفا يتمناه ؟ انني أود أن أبقي عليه حتى اذا خلص الأمر الى الشعب الجزائري آتي به هنا أمامكم ليخدم لي هذه الارض والحديقة ويكنس الكودي .

سبب الحروب ... وكانت الأخبار التي سبقت نزول الحلفاء تعطي الجزائريين أملا كبيرا فى تغيير الوضعية ، مهما كانت العقبات ، الى حالة أحسن حتى أثناء الحرب .

ومن ذلك ما حكاه الشيخ أحمد توفيق المدني فى مذكراته وهو أن ممثل أمريكا بالجزائر يريد تأسيس حكومة جزائرية . وأنقل من حكايته ما يلي :

« قرع الجرس فى مكتبي صباحا ، فرفعت آلة الهاتف واذا بالمتكلم هو الشيخ عبد الرحمن تشاندرلي القاضي الشرعي بمدينة الجزائر ، وبعد أن يعطي أوصافا للشيخ القاضي ويبين روابطه الأخوية معه يقول :

« قال لي القاضي : هنالك قضية خطيرة جدا أود مخاطبتك فيها سريعا ، سريعا ... ثم يقول : وما أن دخلت اليه حتى قام وأوصد باب مكتبه ثم سلم علي باختصار وقال : علمت من مصدر واسع الاطلاع عميقة ، أن الجيش الأمريكي سيصل قريبا الى الجزائر ، وسيحتل كامل الشمال الأفريقي . وأن ممثل أمريكا بالجزائر قد اتصل بأحد كبار أصحابنا وقال له : أنا مكلف من طرف القيادة الأمريكية بأن أعلمكم بالأمر ، على أن يبقى سرا بيننا وبعض الخواص ، وأن الأمريكيين يرغبون أن يشكل الجزائريون فيما بينهم حكومة مؤقتة تهتم بأمورهم خاصة ، وأن يشكل الأروبيون بالجزائر حكومة خاصة لهم تهتم بأمورهم ، وأن تكون بين الحكومتين لجنة اتصال لتسوية المشاكل ريثما تتم الحرب وتقع انتخابات عامة ، ويؤلف مجلس مشترك ، وعندئذ تتألف الحكومة الموحدة .

ويمضي الأستاذ توفيق : قلت للقاضي مشدوها : أرأيت هذا عندما كنت ذاهبا لبيتك ليلة الأمس (يعني تأثير السكر) ؟ قال لي مستنكرا وفى لهجة حادة : الجد جد والهلس هلس ، ولا خلط بين الاثنين القضية مستعجلة .. ثم يضيف له : وقد عرض علي هذا الأمر من الرئيس وأنا أعرضه عليك لتقبل أو ترد .

يقول توفيق : خلوت بنفسي نحو ربع ساعة أفكر وأقلب الأمر على جميع وجوهه وكانت لي فى القاضي ـ رغم سيرته الشخصية المنتقد ة ـ ثقة كبيرة ، ثم قلت له : قبل كل شيء أريد أن أعرف من هو الرئيس الذي تشير اليه ، ومن هو رئيس الحكومة الفرنسية ، ومن سيكون معنا فى الاجتماع ؟؟

قال لي فى غمرة من الحماس : مأا رئيس حكومتنا فهو السيد الكولونيل ابن داود . وأما رئيس الحكومة الفرنسية الجزائرية فهـو الجنـرال (فان هيك) وسيكون الأمر فى الاجتماع الأول قاصرا علينا نحـن الأربعة : الكولونيل وأنا وأنت والأمين العمودي ، ثم توسع الدائرة بعد الاختيار .

وبعد أن يذكر توفيق اجتماعهم الخاص والأشياء التي عرضت فيه ومنها اختيار أعضاء الحكومة ومجلس السينات ، وأن يقدم تأسيس الحكومة فى هذا اليوم ، كما قدمه الفرنسيون الى ممثل أمريكا ، على أن يحدد اجتماع لمجلس الحكومة ويلقي فيه بن داود رئيس حكومتنا الخطاب الذي سيلقيه بالفرنسية وألقيه أنا بالعربية ، يقول :

اجتمعنا فى الموعد المعين وكان يوم 26 أكتوبر من سنة 1942 ، وقرأ علينا بن داود نص الخطاب الذي سيلقيه وامتنع عن أي تنقيح لا لأنـه حدد مع الجماعة باتفاق وفى الأخير قبل ادخال جملة تطالب بتسريح المساجين والمبعدين والسياسيين .. .

وفى يوم 28 أكتوبر اجتمعنا (بالشاف) وسماه لويس السابع عشر . والشاف هو (فان هيك) رئيس الحكومة الفرنسية . ويذكر ان الجلسة كانت فارغة بل ما كانت الا لقاء سكيرين لحسو مختلف الكحول النادرة الوجود ، ثم افترق الجمع على أمل اللقاء فى « اليوم الكبير » .

ويستخلص توفيق من هذه الحادثة أنها لم تكن الا لعبة سياسية من ممثل أمريكا وفان هيك وجماعته ليهيئوا فى ظلها خطة نزول قوات الحلفاء وحتى يمكن لهم بسهولة التغلب على المقاومة .

ويختم توفيق : نزل الأمريكيون بسلاحهم وعتادهم ذلك اليوم على ساحل بلدة سانتوجين وما وراءها ــ أي الجهة الشمالية الغربية لمدينة الجزائر ــ كما نزلوا بعدد من المراكز الأخرى التي هيأتهم لهم ، فى دقة ونظام ، حركة (فان هيك) ... ومرت الأيام الأولى الثلاثة واستقر الوضع وخرج الناس الى أعمالهم تحت قصف الطائرات الألمانية (بالقنابل) وقصف الطائرات الأمريكية (بالمنشورات) التي تطمئن السكان ...

وبقينا ننتظر تأسيس الحكومة الجزائرية الاسلامية . ومن الغد اتصلت باشارة تليفونية من القاضي فذهبنا اليه ووجدنا العقيد ابن داود على حالة طبيعية حسنة كأن لم يحدث شيء ، فبادرناه جميعا ، أين الوعود ؟ كيف هي الحالة ؟ .. فأجابنا ببرودة » (13) .

« لقد وقع ما لم يكن فى الحسبان ، فقدوم الأميرال دارلان وتمكنه من الحاكمين المدني والعسكري (التابعين لسلطة فيشي) قد غير الحالة ، والأمريكيون يقرأون حسابا للرأي العام الفرنسي وللمقاومة الفرنسية ، ويودون أن يكون كل الفرنسيين معهم ضد الألمان ساعة الهجوم الأكبر ، لهذا فهم لا يرون الآن يغيروا فى الشمال الافريقي ساكنا وسيبقى كل شيء بيد الفرنسيين الى أن تنتهي الحرب . (14)

على كل انها مهزلة لعب فيها « الجنرال هيك » دوره وقد يكون هو وحده وجماعة من الاستعماريين العسكريين الذين لا ينتمون الى المقاومة ، الفرنسية . كما لم يكن من الجانب الجزائري الا أربعة أشخاص . وبقي أمرهم سرا مكتوما الى اليوم كما يقول توفيق، وليس هناك ممثل أمريكي ولا خطة أمريكية ، فلنترك الكلام اذن على هذه المهزلة ولنرجع الى الحقيقة التاريخية .

---

13 ــ لا عجب فى ذلك فقد يكون الكولونيل أحد الجماعة الفرنسيين الذين دبروا الخطة
مع (فان هيك) اذا عرفنا أن بن داود هذا كان أحد الاساطين الذين تعتمد عليهم
فرنسا فى الجزائر .

14 ــ حياة كفاح ، ص 346 ــ 347 ، ج 2 .

نزول الحلفاء بأرض الجزائر

فما ان نزل الحلفاء بأرض الجزائر يوم الثامن نوفمبر – تشرين الثاني – 1942 حتى تحركت الأحزاب الجزائرية من جديد . وقد صادف أن قائد الحملة (جيرو) الذي نزل بشعار رفع الأصبعين السبابة والوسطى اللتين تمثلان حرف كلمة (Victoire) بالفرنسية « النصر » قد استدعى جميع رجال الأحزاب الجزائرية وزعماءها وأعيان الشعب من فلاحين وتجار ونواب وغيرهم ، وطلب منهم أن يشاركوا فى المجهود الحربي ويساعدوا الحلفاء حتى اذا تم النصر المرغوب كانت الجزائر من جملة الأقطار التي ينالها حظها وافرا من غنيمة النصر المبين .

وكان هذا النداء مشوبا بروح ديمقراطية رآها القادة الجزائريون فرصة لأخذ تصريح رسمي عن الوضعية الجزائرية المنتظرة فى مقابل ما هي مقدمة عليه من التضحيات ، وطلبوا السماح لهم بعقد مؤتمر تؤخذ فيه آراء الأمة ، وتكون مهمته اعداد البرنامج المنتظر ، وتكون كلمة المؤتمر هي الحاسمة .

وكان المنتظر المصادقة على هذا الاقتراح ، لكن الحكومة الفرنسية فى الجزائر لم تر أن وقت المؤتمر قد حان ولم هاته المسألة أهمية ، طالبة منح الثقة فيها على كل اعتبار ، ملوحة الى أن الجزائر عليها الغرم وسوف يكون لها مغنم . وأن المصلحة الحربية تقتضي ارجاء كل شيء الى وقت آخر .

وأهم الواجبات الآن هو أن تفتح الجزائر صدرها لتلقي العتاد الحربي وأن يكون كل ما فيها من أموال ورجال تحت طلب الحلفاء وطوع أمرهم وتلك احدى نتائج اتفاقات الجنرال ديغول مع حكومة لندن ، وصادق القائد الأمريكي مع جيرو وعلى هذا الرأي (15) .

---

15 – جريدة الاسبوع التونسية ، عدد 38 يوم 23 – 12 – 1946 .

أول تحــرك جمــاعي

وها هو فرحات عباس بدوره يقص علينا حكاية أول تحرك جمـاعي تجاه (فرنسا ديغول) والحلفاء فيقول :

« أما من جهتنا ـ الجزائريين ـ فان القضية كانت شيئـا آخر ، لقد لاحظنا بكل حيرة ومرارة رد الفعل الفرنسي حينما فضل رئيسها بول رينو أن يعطي تونس والقطاع الشرقي من الجزائر الى ايطاليا مقابل حيادها فى الحرب ،كما أن المانيا أيضا وضعت الأرض الجزائرية موضع مساومة كما تقدم بيانه » .

ومن جهة أخرى رأينـا ، كما تقدم سنـة 1940 — 1941 كيف آن الفرنسين فى الجزائر تفجروا فرحا حينما أصدر بيتـان قانون استـرددا الجنسية الفرنسية من اليهود وجعلهم أهالي جزائريين وعلى رأسهم ايميل مورينو نائب وشيخ مدينة قسنطينة الذي كـان يفوز فى الانتخابـات بأصوات اليهود لمدة ربع قرن » .

« ان هذا التقلب من الفرنسين أبان لنا بكل صراحة أن الشجار الذي أثير فى الثلاثينات حول الحالة الشخصية فى اعطاء الحقوق للمسلمين لم يكن الا حجة خداع استعماري » .

وبعد أن يذكر فرحات تلك الدعايات السارة التي كانت توزعها اذاعات لندن وواشنطون وموسكو ، والتي كانت ساهمت فى تثقيف الجـاهير بأسيا وأفريقيا ، وجعلت الشعوب المستعمرة تطمع فى أخذ حقوقها والتمتع بشخصيتها ، فرفعوا رؤوسهم للمطالبة بهذه الحقوق ، يقول : وهذا ما يفسر تلك الحمى التي اكتسحت الجزائريين بمجرد مـا نزلت أمريكـا وانكلترا الأرض الجزائرية يوم 8 نوفمبر 1942 .

فبكل سرعة أخذت التشكيلات الجزائرية السيـاسية المعروفـة قبل الحرب تتجمع وتتفاهم من أجل تحضير برنامج عملي . فبعد ما وجه نداء

الى السلطات الفرنسية وبقي درن رد فان الزعماء الوطنيين حثوا على أول اجتماع ، وقد قرر فى هذا الاجتماع توجيه نداء جماعي الى السلطة الفرنسية . وقد جاء فى هذا النداء الذي وجهت منه نسخ حتى الى الحلفاء :

« ان ممثلي المسلمين الجزائريين ، شعورا منهم بالأحداث الخطيرة التي تشهدها بلادهم منذ 8 نوفمبر 1942 يتقدمون الى السلطات المسؤولة بالمذكرة التالية :

« ان الحرب بعد أن قلبت وجه كل القارات وضربت فرنسا التي هي شعلة الحضارة والثقافة ، ضربة قاضية ، تمتد اليوم الى الجزائر ... فاذا كانت هذه الحرب ، كما قال رئيس الولايات المتحدة الأمريكية حرب تحرير للشعوب والأفراد بدون تمييز لا بالعنصر أو بالدين ، فان المسلمين الجزائريين ينضمون بكل قواتهم وبكل تضحياتهم الى هذا الصراع التحريري وهم بذلك يضمنون التحرير السياسي لأنفسهم كما يضمنون تحرير فرنسا فى نفس الوقت .

« لكن من المفيد أن نذكر بأن السكان الذين يملثونهم هم فى الواقع مجردون من الحقوق والحريات الأساسية التي يتمتع بها كل السكان الآخرين فى هذه البلاد ، رغم التضحيات التي بذلوها والوعود الرسمية والعلنية التي أعطيت لهم فى عدة مناسبات » .

« لذلك فهم يطالبون ، قبل دعوة جماهير المسلمين للمشاركة فى أي مجهود للحرب ، بانعقاد ندوة تجمع المنتخبين والممثلين المؤهلين لكل المنظمات الاسلامية . والهدف من هذه الندوة وضع دستور سياسي واقتصادي واجتماعي للمسلمين الجزائريين .

« والواقع أن الشرط الوحيد الكفيل باعطاء المسلمين فى هذه البلاد الشعور العميق بواجباتهم الراهنة هو دستور قائم على العدل الاجتماعي » .

كتب فى 20 ديسمبر 1942 (*)

(*) ـ ح ـ و ـ ج سعد الله ، ص 289 ـ 290 نقلا عن بول ساراسين (الأزمة الجزائرية)

الا أن تجاهل السلطات الفرنسية التي لم تتنازل حتى رد مجاملة ، أثار في ضمير الزعماء الوطنيين رد فعل فحثوا على الاجتماع دون طلب اذن من السلطة الفرنسية ولكنهم أشعروا الممثل الأمريكي تحسبا لما سيقع • وكان عقد هذا الاجتماع بمكتب المحامي بومنجل بنهج فيالار بعاصمة الجزائر أثناء شهر ديسمبر 1942 ، وحضر الاجتماع الدكتور تامزالي رئيس الفرع القبائلي (16) بالمجلس المالي ، والدكتور الأمين دباغين ، وعسلة عضوا حزب الشعب الجزائري ، والشيخ التبسي وخير الدين وتوفيق المدني عن جمعية العلماء ، وابن جلول وفرحات عباس نائبان عماليان ، ومحمد الهادي جمام رئيس جمعية الطلبة المسلمين ، والدكتور سعدان النائب العمالي •

ان هذه الشخصيات الممثلة اتفقوا على المواقف المبدئية كما اتفقوا على اصدار وثيقة جديدة أسند تحريرها الي ـ يقول عباس ـ وعند رجوعي الى منزلي بمدينة سطيف كتبت « بيان الشعب الجزائري » (17) •

وها هو الشيخ توفيق المدني يعطينا شيئا من البيان فيقول : « خلال شهر ديسمبر 1942 أعلمني الصديق الكبير الأستاذ فرحات عباس بأن

---

16 ـ لقد كان الاستعمار الفرنسي ـ بنية خبيثة يفرق بين العرب والقبائل « زواوي » ويريد أن يثبت هذا التفريق في جميع المظاهر . فقد سئلت شخصيا في سجن بربروس عن فصيلتي فقلت أنا جزائري مسلم فانتهرني المسؤول وقال : قلث أعربي أم قبائلي ؟ أجب عن السؤال .

17 ـ 1 ـ تعليق لفرحات عباس يقول : يقال أن م بيرك (Berque) مدير الشؤون الاسلامية و م ـ روبير (R. Merphy) ممثل الولايات المتحدة الامريكية هما اللذان أوحيا هذا البيان . أبدا لم يكن هذا صحيحا فان الشخصيتين المذكورتين لم تعرفا شيئا عن البيان كغيرهما الا بعد تقديمه بصفة رسمية الى السلطات . وفوق ذلك فان هذه الوثيقة كانت لها سابقية في تقرير كنت قدمته في شهر أفريل 1941 للماريشال بيتــان .

ـ وأقول أنا : أن حزب الشعب الجزائري يدعى هو الآخر تقديم مذكرة الى الحلفاء ، زيادة على اتصالات سابقة قبل نزولهم ، وأن تلك المذكرة أصبحت تمثل ارضية « البيان الجزائري » بعد حذف وبتر بعض النقاط اعتبرت متغالية فلم يوافق عليها النواب وجمعية العلماء .

الجنرالين دارلان وجيرو وقد طلبا منه ومن مجموعة النواب أن يفكروا فى امتداد (فرنسا الحرة) بالرجال الجزائريين قصد المشاركة فى الحرب •

وبعد أن يذكر توفيق أن جيرو هذا قد كان دعاه هو الآخر وطلب منه نفس الشيء ، وأنه استقبله بصفته تونسيا دستوريا ، وأنه ــ أي توفيق ــ نصح جيرو أن يقدم شيئا بارزا للجزائريين حتى يتعاونوا مع فرنسا ، وأن جيرو عندما سمع هذا امتقع لونه وانتفخت أوداجه ، يقول :

« ففي شهر جانفي (يناير) من سنة 1943 اتفق الاخوان فرحات عباس والحكيم ابن جلول على الدعوة لعقد اجتماع سياسي تأسيسي يضم النخبة الصالحة من رجال الشعب الجزائري لكي يضع أسس مطالبه ورغائبه ، ويقول كلمته الصريحة فى شأن مستقبله ، وكنت مدعوا لحضور ذلك الاجتماع • وقد أشعر مسيو مورفي ممثل أمريكا بذلك اتقاء لما عسى أن تفعله فرنسا •

ففي مكتب الأستاذ بومنجل المحامي وفى قاعة فسيحة منه اجتمع فى الوقت المعين تحت رئاسة الأخ ابن جلول نحو الخمسين شخصية من ألمع رجال المجتمع السياسي الجزائري ووقعت المداولة صباحا ومساء فاتفق الجميع على أن يقع تحرير مذكرة عامة عن الوضعية الجزائرية ، وما تطالب به الجزائر بعد التطورات الأخيرة والحال الجديدة • وقدم أغلبنا للمكتب ورقات بها ما نراه من الرغائب التي تستجيب لما يفكر فيه الشعب ، وكانت ورقتي ••• يذكر فيها عشر نقاط تعطي بمجموع معناها العام « الاستقلال التام للجزائر » •

ثم يضيف توفيق ، واتفقنا باجماع على تكليف السيد الأستاذ فرحات عباس بأن يحرر عريضة عامة تشمل ما قيل فى المجلس وما سجل فى الأوراق ، على أن يعرضه علينا فى اجتماع مضيق (30 شخصا) فى أوائل شهر فبراير 1943 •

وانكب الأستاذ فرحات عباس على العمل بما عهد فيه من جد ونشاط وتضحية ، وحرر ذلك فى أكمل صورة ، وعليه مسحة من اعتدال • يقول

توفيق : قاومتها أثناء الاجتماع المضيق الذي انعقد بمكتب السيد الدكتور عبد النور تامزالي دون نتيجة ، وبعد أن قريء علينا « بيان الشعب الجزائري » فصادقنا عليه وأمضيناه » .

وبعد أن يذكر الأستاذ توفيق بعضا من بنود البيان ويحكي عن اعتقاله يوما كاملا بعد الاجتماع ، متهما بتعاونه مع المحور ، يرجع فيقول : « ولنعد الآن لذكر البيان ، ان نشره قد أثار زوبعة كأنها الاعصار : أما المسلمون ـ ما عدا رجال الشعب المصالي ـ فقد رأوا فيه فتحا مبينا ، وأروا أنه انبثاق عهد جديد ، وأما المستعمرون فقد رأوا فيه خطرا رهيبا وفاجعة منتظرة ... وأما الحكومة فقد أغمضت عيونها وأوصدت آذانها ولم تفه مؤقتا بكلمة عنه . » (18)

18 ـ حياة كفاح ، ص 364 ـ 374 .

نص البيـــان الجــزائري

واليك فيما يلي نقاط البيان ، ولطول النص لأخصه كما يلي عن فرحات عباس : (1)

ان هذا البيان يقدم أولا تقيما موضوعيا وشريفا لمدة مائة واثني عشر عاما من الاستعمار ، ثم يذكر بالماضي ويفصح عن رغبات شعبنا القومية بدون حقد ولا هوى ، وانما يعرض القضية الجزائرية بحقيقتهـا غداة الاحتلال بواسطة القوات الانكلو أمريكية .

ونعرب فيه أيضا عن أن هذا الاحتلال الــذي سيعزل المستعمـــرة الجزائرية عن أم الوطن ـ الوطن الفرنسي ـ قد كون بين فرنسي الجزائر سابقا حقيقيا الى السلطة سواء منهم : الجمهريون الديغوليون والملكيون ، والاسرائيليون ، كل كتلة من جهتها تحاول أن تعرب عن معاضدتها للحلفاء سهرا منها على الدفاع عن أغراضها الخاصة .

ومع هذا التحرك الشامل فان كل الكتل تجاهلت وجود ثمانية ملايين ونصف من الأهالي (8500 000) وازاء هذه الحالة فالجزائر المسلمة الخالية البال من هذا التسابق بقيت حذرة يقظة تنتظر قدرها واليوم فان ممثلي هذا القطر الجزائري يجيئون بصوت السكان الوحيد وهـم غير قادرين علي التخلص من الواجب الأكيد ، وهو تقديم قضية مستقبلهم ».

وبعد أن يحدد البيان مسؤولية كل واحد في هذا الظرف يذكـر بمبادىء القوميات ، ثم يقدم مطالب واضحة ودقيقة فيقول :

---

1 ـ أنظر النص كاملا فى M.N.A. كلود كولو وجان روبير ص 155 ـ 164 .

« ان الرئيس روزفلت فى تصريح له باسم الحلفاء قد أعطى ضمانا بأنه عند تنظيم العالم الجديد – يعني بعد الانتصار – فان حقوق جميع الشعوب كبيرها وصغيرها ستكون محترمة » •

وانطلاقا من هذا ولمتانة هذا التصريح فان الشعب الجزائري يطالب منذ اليوم ، حتى يتجنب كل تحريف أو سوء فهم ، وحتى يسد الطريق أمام النظريات أو الأطماع التي يمكن أن تلد غدا ، يطالب بما يلي :

أ – الحكم النهائي على الاستعمار يعني ضم أو استغلال شعب لشعب آخر ، لأن هذا الضم وأ الاستغلال ما هو الا صورة جماعية من الاستعباد الفردي العتيق ، ومن التسخير الذي تعوطى فى القرون الوسطى • كما هو من جهة أخرى أحد الأسباب الرئيسية للتطاحن والتباغض بين القوات الأهمية الكبرى •

ب – تنفيذ حق تقرير المصير بالنسبة لجميع الشعوب صغيرها وكبيرها •

جـ – تمكين الجزائر من دستور خاص يضمن :

1 – الحرية والمساواة التامتين لجميع سكانها بغير تفريق فى الجنسية والدين •

2 – الغاء الملكية الكبيرة بواسطة عملية اصلاح زراعي كبرى وتحسين حالة الغالبية الكبرى التي هي من عمال الزراعة •

3 – الاعتراف برسمية اللغة العربية بنفس الدرجة التي للغة الفرنسية •

4 – حرية الصحافة والجمعيات •

5 – مجانية التعليم واجباريته لجميع الأطفال من الجنسين (الذكور والاناث) •

6 – حرية الديانة لجميع السكان وتطبيق قانون فصل الدين عن الدولة بالنسبة للديانة الاسلامية •

7 ـ المشاركة حينا مشاركة فعلية للمسلمين الجزائريين فى حكومة بلادهم كما فعلت حكومة جلالة الملكة البريطانية والجنرال كاترو بسورية ، لأن هذه الحكومة هي وحدها التي يمكن لها تحقيق جو من الوحدة الصالحة الصافية التي تمكن الشعب الجزائري من مساهمته فى الكفاح المشترك .

8 ـ تحرير جميع المحكومين والمعتقلين السياسيين المنتسبين لأحزابهم الخاصة » . ا هـ

وقد كان هذا البيان صودق عليه يوم العاشر من فبراير ـ شباط ـ 1943 بالاجماع من طرف المثلين الحقيقيين للشعب الجزائري فى اجماع بمدينة الجزائر ، وبعد مجهودات جبارة تحصلنا على الامضاءات التالية : (2)

ولاية الجزائر :

1) السايح عبد القادر من الأصنام نائب عمالي ورئيس القسم العربي فى المجلس المالي .

2) عبد النور تامزالي من الجزائر نائب عمالي ورئيس القسم القبائلي فى المجلس المالي .

3) أحمد غريس نائب عمالي ومالي .

4) محفوظ بن تونس عين بسام نائب مالي .

5) مبارك علي بن علال القليعة نائب عمالي ومالي .

6) محمد خيار تيزي وزو نائب عمالي ومالي .

7) الشريف بن حبيلص ذراع الميزان نائب بالمجلس المالي .

8) فضيل روني الجزائر نائب عمالي .

9) زروق محي الدين الجزائر نائب عمالي .

2 ـ ليل الاستعمار ، ص 138-142 .

10) علي بومنجل محامي نائب بلدي سابقا •

11) المحامي عبد القادر حدو نائب بلدي سابقا •

12) الدكتور بشير عبد الوهاب من البليدة نائب عمالي •

13) الصيدلي عبد الرحمن بوكردنه من الجزائر مستشار وطني •

ولايــة وهــران :

1) عبد الله عباسه من مستغانم نائب عمالي ومالي •

2) المحامي عبد السلام طالب تلمسان نائب عمالي ومالي •

3) عدة شنتوف من معسكر نائب مالي •

4) بوسيف بن شيشه نائب مالي) ومستشار وطني) •

5) الحاج حسن باش تارزي من وهران نائب مالي ومستشار وطني •

ولايــة قسنطينة :

1) الدكتور ابن جلول من قسنطينة نائب عمالي ومالي •

2) محمد الشريف سيسبان محامي من باتنة مستشار وطني •

3) معمر غراب من عين البيضاء نائب مالي •

4) عبد المجيد أورابح من واد اميزور نائب عمالي ومالي •

5) علاوة تامزالي من بجاية نائب مالي •

6) خليل تامزالي من بجاية نائب مالي •

7) علاوة بن علي الشريف من آقبو نائب مالي •

8) فرحات عباس من سطيف نائب عمالي ومالي •

9) عبد الرحمن بن خلاف من جيجل نائب عمالي •

10) الدكتور سعدان أحمد من بسكرة نائب عمالي •

11) عبد القادر قاضي من باتنة رئيس جمعية الفلاحين •

هذه القائمة نقلتها من كتاب « الحركة الوطنية الجزائرية » الوثائقي لصاحبيه كلود كولو وجان روبير هانري ص 164 – 165 •

ونجد فى كتاب عباس « ليل الاستعمار » زيادة الأسماء التالية :

ابن تونس محفوظ نائب مالي – أورابح نائب مالي – عبد الكريم بو الصوف – لالوت محمد وهما نائبان ماليان – الشريف بو يوسف رئيس ودادية جماعة الدواوير – الأستاذ مصطفاي المحامي نائب شيخ مدينة سطيف – الدكتور أحمد فرنسيس ، والدكتور ابن خليل ، والمحامي غريب ، ومحمد الصالح عباس وهم نواب بلديون • ومفدي زكريا ، والأمين العمودي ، وشكيكن ، والدكتور السماتي ، والدكتور آيت أحمد ، والشيخ توفيق المدني ، وحافظ من قدماء المحاربين •

وفى 31 مارس – آذار – 1943 توجه الى الولاية العامة فى مدينة الجزائر ، وفد من السادة :

الحكيم ابن جلول ، السايح عبد القادر ، الحكيم تامزالي ، أورابح ، ابن علي الشريف ، الحكيم الأخضري ، فرحات عباس •

وقد استقبل الوفد الوالي العام على القطر الجزائري المسيو مارسيل بيروطون (M. Peyrouton) حيث قدم له « بيان الأمة الجزائرية » الذي يحمل مطالبها المبدئية ومن الغد سلم نسخا منه الى ممثلي : الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا العظمى ، وروسيا • وفى الوقت نفسه بعث منه نسخة الى لندن حيث يستقر الجنرال « ديغول » • وبعث نسخة أخرى الى القاهرة للحكومة المصرية • (3)

لقد كان استقبال الوالي العام الفرنسي للوفد حسنا ، وصرح بأنه يستقبل هذه الوثيقة – مبدئيا – كقانون أساسي لمستقبل الجزائر ، على أنه سيؤسس لجنة لتحرير برنامج « المطالب المستعجلة » الفورية والممكنة التحقيق •

---

3 – المرجع السابق ، ص 145 •

وبالفعل ، فبعد ثلاثة أيام ـ يقول عباس ـ أصدر الوالي العام أمرا بتأسيس لجنة تحت اسم « اللجنة الاسلامية لبحث المطالب الاقتصادية والاجتماعية » .

اللجنـة الاسلامـية الأولى

وقد اجتمعت اللجنة الاسلامية مرتين : الأولى ـ من 14 الـى 17 أبريل . والثانية ـ من 23 الى 26 جوان 1943 ، وبمحضر ممثل الحكومة الفرنسية م ـ ببرك (M. Berque) المدير العام للشئون الاسلامية بالولاية العامـة .

وقد حررت لائحة بالمطالب المرغوبة الفورية .. .وهي التي عرفت بعد « بملحق البيان الجزائري » .

وقد قسم هذا الملحق الى قسمين : قسم أهتم بالمطالب التي يؤجل تنفيذها الى ما بعد انتهاء الحرب ، واشتمل على ما يلي :

« عند انتهاء العمليات الحربية ستقام دولة جزائرية مجهزة بدستور حقيقي يحرر بواسطة مجلس تشريعي يتخرج بواسطة الاقتراع العام الموحد من طرف جميع سكان القطر الجزائري » .

والقسم الثاني يعالج المطالب التي توجبها الظروف ففي هذه الحالة يطالب الشعب الجزائري فرنسا أن تساعد الجزائر على تحقيق مستقبلها ».

يفسر لنا الأستاذ فرحات عباس هذا فيقول : ما هي هذه المطالب ؟ انني اقتصر للقاريء على ما كان منها غرض سياسي والذي هـو فى ملحق البيان :

« أ ـ المشاركة الفورية والفعلية لمثلي الجزائـر فى الحكـم والادارة الجزائرية . ويفسر هذا البند :

1) بتحويل الادارة الفرنسية البحثة بواسطة الولاية العامة الى حكومة جزائرية بوزراء ومديري وزارات وتتكـون مـن الجزائـريين

والفرنسيين على السواء ، ويبدل اسم الوالي العام بالسفير فى المحافظة العامة الفرنسية •

2) المساواة بين الفرنسين والمسلمين فى المجالس النيابية وغيرها •

3) مراجعة ادارة الحكم فى البادية وتطويرها الى بلديات تـامة حسب قانون البلدية عام 1884 •

4) مشاركة المسلمين فى جميع السلطات مع المساواة التامة مع الفرنسيين •

5) الغاء جميع القوانين الخاصة ، والعمل بالقانون المدني العام » •

ب ـ المساواة التامة مثل المساواة فى ضريبة الدم ، أي :

1) المساواة فى الجندية وفى كل ما يتعلق بها •

2) اعطاء العلم الجزائري للكتائب المسلمة بجانب العلم الفرنسي • وليكن فى علم السلطة العامة فان هذه الاجراءات ستكون مؤقتة وستنتهي عند تحرير فرنسا ••• » (4) •

وقد سلم تقرير أعمال اللجنة الى الوالي العام (كاترو) يوم 11 ـ 6 ـ 1943 بامضاء احدى وعشرين شخصية •

هذا ، وبالرغم من هذه التنازلات وهذه الارادة الحسنة من النواب الجزائريين ، فقد رمى الفرنسيون كل هذه المجهودات فى سلة المهملات ولم يقع أي رد عليها •

وخلف بيروطون فى الولاية العامة الجنرال كاترو المتحرر والذي كانت له مواقف مشكورة فى الهند الصينية وفى سورية • (*)

4ـ المرجع السابق ص 145ـ147 أنظر التفاصيل فى ليل الاستعمار وفى M.N.A. لكلود ، ص 165ـ170 •

* ـ فى نشرة لليومية الجزائرية ينعت كاترو بأنه الجلاد المعروف فى ســورية ببطشـه وجبروته وتعطشه للدماء •

وانتظر الجزائريون كاترو أن يفعل شيئا ولكنه لم يزد على أن استصدر قانونا بتكوين منصب « نائب رئيس بلدية مسلم » حيث كان هذا المنصب ممنوعا على الجزائري المسلم ، وقرر تنقيح قانون « جمعيات التحفظ الأهلية » وهي منظمة لمساعدة الفلاحين الأهالي .

وظهرت نية الفرنسيين جلية فى أنهم يريدون ابقاء ما كان على ما كان منذ الاحتلال سنة 1830 م ، وأن ما كان من تصاريح ووعود وانشاء لجان لبحث المطالب انما هو مجرد مناورات للاستهلاك وربح الوقت ، ولمخادعة الجزائريين وممثليهم .

وجاء الجنرال ديغول ليعلن فى خطابه يوم 12 ديسمبر 1943 عن نيته فى انشاء لجنة لبحث مطالب الجزائريين ، وكأن هذه المطالب لا زالت مجهولة وغير محددة أو مفهومة . وقد كان النواب الجزائريون قاموا عن مثل هذا الموقف برد فعل فامتنعوا من حضور جلسات المجلس المالي الذي انعقد يوم 23 سبتمبر 1943 ، وما كان من الحكومة الاستعمارية الا أن حلت القسم الأهلي من المجلس واعتقلت رئيسه السيد عبد القادر السائح ووضعته تحت الاقامة الجبرية ببني عباس ، واعتقلت فرحات عباس وأرسلته الى « تابلباله » جنوب القطاع الوهراني ، حيث وضع تحت الاقامة الجبرية أيضا .

وبعد قيام بعض المظاهرات احتجاجا على اعتقالها خاصة بالجزائر وسطيف وقسنطينة ، تراجع كاترو عن حل القسم الأهلي من المجلس وأمر بتسريح المعتقلين يوم 2 ديسمبر 1943 .

وقد ذكرني الأخ الأستاذ بن يوسف بن خده رئيس الحكومة المؤقتة آخر حرب التحرير بما يلي :

لقد كان من أسباب هذه المظاهرات ، زيادة على اعتقال فرحات عباس وعبد القادر السائح ، اعتقال جماعة أخرى ومنهم الأمين دباغين ، ومزغنة وابن خده ، وجماعة أخرى من شباب البليدة والجزائر العاصمة ، بسبب أنهم كانوا يدعون ضد التجند فى صفوف الجيش الفرنسي ، والدعوة الى الوقوف مع مطالب البيان الجزائري .

لقد وقعت مظاهرة عاصمة الجزائر فى يوم عيد الفطر بعد ما أقيمت صلاة العيد فى المساجد وخطب الخطباء ، ثم اندلعت مظاهرة كبرى بساحة العود ـ ساحة الشهداء الآن ـ وما جاورها وكان من بين المتظاهرين المحرضين : عبد المالك تمام ، وعمار بن تومي وغيرهما من الشباب الوطني ، نادوا فيها بتحرير المساجين وتمكين الشعب الجزائري من حقوقه وتقرير مصيره ، وبحقه فى الحرية ... » .

ويلاحظ فرحات عباس : ان كل هذه الأعمال كانت بهدف الكشف عن نوايا المستعمريين من جهة ، ولانارة الحلفاء معرفة مواقفهم من جهة أخرى .

انعكـــاس

هكذا ، وبعد تبلور النيات السيئة بالنسبة للفرنسيين وقيام كاترو بتأديب النواب كما تقدم ، كان تأثير ذلك انعكاسا على ناحيتين : فبينما أحدث فى صف النواب الجزائريين تصدعا تشتتوا بعده على ثلاث فرق : فريق اقتنع أن المجازفة فى هذا الطريق الشائك الذي لم يعهده فى حياته لا تأتي الا بالوبال فرجع الى قواعده المعتادة سالما ، وهم الذين كانوا يعبر عنهم : ببني نعم ... نعم » .

وقسم قتنع بأن لا سبيل الى التخلص من الاستعمار الا بطريق الاندماج ، والتحايل شيئا فشيئا مع مرور الزمن والظروف حتى التخلص بصفة أو بأخرى ، شأن الضعيف مع القوي ، وهو الدكتور ابن جلول ، ومؤيدة لوقت ما ... وهذه تقريبا نفس سياسة الحزب الشيوعي .

والفريق الثالث من النواب ثبت فى طريقه الذي اقتنع به منذ اللحظة الأولى ، وهو فرحات عباس ، فاندفع فى خطة « البيان الجزائري » التي استقرت فى سياسة المشاركة ، يعمل على اقناع أكثر ما يمكن من الشخصيات والأحزاب والهيئات على مواصلة العمل للاحراز على « المشاركة فى الوحدة الفرنسية » التي ظهرت فى بعض الأفكار عبارة عن تكريس الاستعمار بصفة قانونية ، وهم رجال حزب الشعب الجزائري .

والانعكاس الثاني وقع فى الحكومة الفرنسية المؤقتة ، فبعد تلك الضربة « الكاترونية » التي أدخلت السلاحف قشورها ، جاء الجنرال ديغول بخطابه التاريخي بقسنطينة يوم 12 ديسمبر — كانون الأول — 1943 الذي أحيا فيه أمل الجزائريين باعادة النظر فى مطالبهم المحقة بيد أن الجنرال ، بعد ما عين لجنة أخرى لبحث هذه الحقوق من جديد ، كما سيأتي بيانه تفصيلا ، أعلن عن رجعية لا قبل للشعب الجزائري بتحملها • فقد أعلن عن قرار السابع مارس 1944 كما سيأتي ، وراح يشمخ وكأنه قدم الأسد من أذنيه الى الشعب الجزائري • كما يقول المثل •

ولم تكن مواد هذا القرار الا عبارة عن محتوى « برنامج فيوليت » الذي فاته الزمن ، لأنه لم يكن الا عبارة عن اعطاء الجنسية الفرنسية لطائفة من الشعب الجزائري ، كما سنبينه فى محله ، وهو مأر كان رفضه الشعب الجزائري منذ سنة 1936 ، وفرنسا صاحبة المدفع القوي ، فجاء ديغول ليعيد المهزلة ، وقد انكسر المدفع وصارت فرنسا نفسها تحت الاحتلال وتحتاج لمن يحررها ولمن يعطيها حقوقها •

فماذا كان رد الفعل الجزائري ؟ ذلك ما سنتكلم عنه بعد أن نأتي ببسطة عن لعبة ديغول فى خطابه المشهور ، وقراره العجيب ! وما صاحب ذلك من أخذو ورد •

لجنة الاصلاحات الاسلامية الثانية

كانت بداية العمل للجنرال ديغول هي انشاء « لجنة الاصلاحات الاسلامية » التي أمر بتشكيلها يوم 19 أفريل 1943 ، وبعد أن تأسست هذه اللجنة الثانية التي أمر بها ديغول شرعت فى أعمالها ومكثت فى بحثها نحو ثلاثة شهور اقتبلت أثناءها زعماء الحركات الجزائرية ومنهم السادة : عبد القادر السايح وفرحات عباس ، أحمد مصالي ، محمد البشير الابراهيمي ، عمار وزغان ، وابراهيم بيوض • بصفتهم ممثلين للحركات الآتية حسب الترتيب : جمعية النواب والبيان الجزائري ، حزب الشعب ، جمعية العلماء ، الحزب الشيوعي فرع الجزائر ، الجالية الاباضية « أبناء وادي ميزاب » •

كان كل واحد من هؤلاء الزعماء استعد للاعراب عن فكرة حركته والتي يراها على نفس رغبات الشعب الجزائري بصفة أو بأخرى ، وتقدم الى اللجنة كل واحد منهم تقرير مكتوب وممهور بموافقة أعضاء حركته • وفيما يلي تلك التقارير حسب ترتيبها الزمني :

1 – تقرير الحزب الشيوعي الجزائري (5)

قدم هذا التقرير فى 23 ديسمبر 1943 م السيد عمار وزغان وفيه يقــول :

« باسم الحزب الشيوعي الجزائري أن الاحراز على الحقوق السياسية لا يمكن أن يكون ـ فحسب ـ من حظ ما يدعي بالنخبة (رجال الأعمال العامة النواب ••• الخ) بل هي أيضا من حق طبقات اجتماعية أخرى كانت برهنت على اتجاه سياسي حسن ، وهم : الموظفون ، والمستخدمون ، والعمال ، وعمال السكك الحديدية ، وعمال البريد ، وعمال الحافـلات (ترومواي) وكل الذين كانوا لعبوا دورا هاما فى الاقتصاد الوطني الذي كان للمجهود الحربي المطلوب به الجميـع ، والذين تهمهـم الحركـة السياسية ، الذين يجب أن يحظوا بالمواطنة الفرنسية •

ويدقق وزغان : « فى كثير من الأحيان نجد من صغار الفنيين الصناع ، وصغار الفلاحين تفهما واتجاها سياسيا أكثر تطورا من أشخاص لهـم شهادات عليا من الكليات الجامعية » •

ويضيف ممثل الحزب الشيوعي : ان الضباط وضباط الصف تمكنوا من حق احراز المواطنة الفرنسية ، وحتى الجنود والمتطوعين ، مع ملاحظة أن هؤلاء الأخيرين أكثريتهم أميون • ولكن تمكن الاجابة بأن ذلك بفضل التحامهم مع رفاقهم الفرنسيين وبسبب المحاضرات التي قام بهـا لهم الضباط والتي أدخلت فى افهامهم الاحساسات الديمقراطية ومحبـة فرنسا • هذا بالطبع بشرط أن لا يمثل فرنسا أشخاص يريدون محاربتهم •

---

5 – كلود جان ص 171 – 175 •

ويصرح وزغان بأن الحزب الشيوعي الجزائري سيكون متطوعا فى جانب الذين يتقبلون الحقوق السياسية لمجموع المسلمين الجزائريين الذين هم قادرون ، ككل أي آخر ، أن يميزوا الطريق الذي يؤدي الى تحرير فرنسا » •

وبعد أن يضرب مثلا بروسيا التي قبلت سنة 1971 م شعوبا كاملة فمنحتها جنسيتها ، وفيها مجموعات لا زالت فى غاية التأخر ، فكان من ذلك التدبير أن ربحت روسيا تلك الشعوب وتكونت الوحدة التي بهرت العالم فى وقتنا هذا •

وبعد أن يعطي أمثله مشاهدة عن امكانية توصل الأمي أو شبه الأمي من الناس الى حسن اختيار فى التصرف الانتخابي ، يختم ممثل الحزب الشيوعي الجزائري مصرحا بأن حزبه لا يخاطر بافراط ديماغوجي بنسف هذا البرنامج ، بل انه يعرف أن « المواطنة الفرنسية » لا يمكن أن تعطي بسهولة لجميع المسلمين ، ولكنه يظن عدم قصورها على هذه الطبقة النخبية ، بل يجب أن تنعكس على مجموعة السكان المسلمين ، وفى آن واحد منح هذه المواطنة لأصحاب الأعمال العامة ولجميع الطبقات الاجتماعية التي تستأهل بمختلف صفاتها شرف انتسابها لهذه المواطنة »•

ويذهب السيد وزغان الى طلب هذه المواطنة حتى الى سكان الجنوب الجزائري • ثم يخلص الى عرض اصلاحات ادارية مثل نظام « القيادة » والأحواز المتزجة ، ونظام توزيع التموين •••

دردشة

هكذا ، وبعد هذا العرض الطويل يقوم م ـ غونون (M. Gonon) الكاتب العام للحكومة فيشكر وزغان على تصريحاته فى طلب الجنسية الفرنسية للسكان الجزائريين •••

ثم استجوبه م ـ ميرسي (M. Mercier) عن فكرته فى دمج عدد كبير من المسلمين فى وظائف ادارية • فأجاب وزغان :

« ان الوظائف الادارية يجب أن تفتح فى وجوه المسلمين الجزائريين على أنه فى حالة وظيفة معينة فيجب أن يحصل عليها بالتأهل •

ولكن الدكتور ابن جلول يذكر وزغان بأن البيان الجزائري كان طالب بجنسية جزائرية محلية ، والبيان كان محل اتفاق جميع الأطراف ، ويطلب نظريته فى الموضوع • غير أن وزغان لا يعطي نظريته الخاصة بل يعطي نظرية الحزب الشيوعي الجزائري والفرنسي الذي صار يرى أن الشعب الجزائري ، الذي هو عبارة عن أجناس أروبية وعربية وبربرية (4) وهي غير ناضجة بعد لتكوين أمة ، فهي فى حاجة من الآن أن تسعى ، قبل كل شيء ، فى جمع كلمتها •• وبخاصة يجب أن يزول كل خلاف بين المسلمين والأروبيين • ثم يرجو للجزائر أن تكون بعد مدة عبارة عن (دومينيون) لجمع مسلمين وفرنسيين يختارون لهم برنامجا مشتركا يقودهم الى حياة أفضل ••• »

وهكذا يذهب حوار بين وزغان و م ـ هوريو (Houriou) مستوضحا هذا وزغان عن نقاط عديدة ، وفى مقدمتها « دعوى عدم نضوج المسلمين للحظوة بالمواطنة الفرنسية » حيث يستخلص منها هوريو المقرر العام للجنة : أن فكرة اختيار بعض النخبة من المسلمين لازالت اذن قائمة •

ويتشعب الحوار بين وزغان والسادة ابن جلول وابن قانة والشيخ العقبي و م ـ غزلان ، مع مراجعات من مقرر اللجنة م ـ هوريو »•اهـ (7)

2 ـ تقرير النواب المسلمين الجزائريين يوم 3 يناير 9144 م (8)

وهكذا يأتي دور تقرير النواب المسلمين فيقوم فرحات عباس ليقول :

« ان السكان المسلمين يسجلون بكل ارتياح ارادة الجنرال ديغول ولجنة التحرير الوطني بطرح قضية انعتاق الجزائر المسلمة التي لبثت

---

6 ـ نظرية « فرق تسد » •

7 ـ أنظر التقرير كاملا فى M.N.A. ص 171-175 •

8 ـ نفس المرجع ص 175-177 •

أكثر من قرن تحت نير العبودية ، وبصفتنا ممثلين للشعب الجزائري وللفكر العام للمسلمين نبعث الى الحكومة الفرنسية والى الرئيس ديغول تشكراتنا القلبية واعترافنا بالجميل لهذا الموقف الرمزي •

انه قرن كامل غني بالتجارب مليء بالحقائق الجزائرية والشمال افريقية يزودنا ، على القيام بواجب عظيم ، بتقديم أوسع معلومات وأخلصها لممثلي فرنسا •

ان مبادرة لجنة التحرير الوطني الفرنسية تضع بالفعل ومرة أخرى ، مسألة « بروجي فيوليت » هذا البرنامج الذي كان وضع فى البرلمان بواسطة الحكومة المركزية سنة 1937 ، وأثار كثيرا من الخلافات وكثيرا من الآلام ، ولم يقبله أحد ، حتى السكان المسلمون أنفسهم تركوه • على أن المعارضة الشديدة التي قامت أمامه ، سواء فى الجزائر أو فى فرنسا نفسها ، قضت عليها نهائيا • وانما هذه الخيبة لا يمكن أن تنسب الينا بحال بل حتى ان البرلمانيين الذين أيدوه لم يكونوا يعتقدون فيه الا أنه حل وسط بين العنجهية الاستعمارية وحق حرية السكان المغلوبين •

أما اليوم فالقضية تماما غير الأمس ، انه لا يمكن ربط وتشريك طبقة أو طبقات من الأهالي بطائفة من الممتازين من أجل تعميق الحفاظ على الديكتاتورية التى تمارسها هذه الطائفة فى الوطن ، بل الواجب هو القضاء على هذه الامتيازات وهدم كل ديكتاتورية فى الجزائر •

اننا مثل سنة 1789 م فى فترة ثورة ، فالحرب التى نعيشها اليوم يجب أن تحقق الحرية للجميع ، وخاصة عامتنا وعمالنا الفلاحين • ومن الآن يجب أن يعيش كل الناس فى منجاة من العبودية ومنعة من الشقاء ، ومن الخوف • أن الديمقراطية لم تخلق فى أروبا ، فحسب ، من أجل الشعوب الأروبية ، ولكن ـ وبالخصوص ـ فى كل الكرة الأرضية ولصالح كل الشعوب •

ولذا فلجنة التحرير الوطني لا يمكن لها أن تجعل من نظام أنشيء فى القطر الجزائري على « اللاعدالة » وعدم المساواة بين الناس ، وذلك

برفع هذا على الآخر لمجرد الظلم ، وجعل هذا في صف العبيد ، أن تجعل منه نظاما خالدا .

ان النظام الذي يبقى على شرف فرنسا الجديدة هو الذي يبني على احترام هذين المبدأين الخالدين :

أ ـ كل الناس يولدون ويعيشون أحرارا متساوين في الحقوق .

ب ـ كل شعب له حق اختيار وتقرير مصيره بنفسه .

واعتمادا على هذين المبدأين حرر بيان الشعب الجزائري ، وصادقت عليه كل الطبقات الاجتماعية ، وقدم الى السيد الوالي العام للقطر الجزائري يوم 31 مارس 1943 وقبله رئيس المستعمرة كمبدأ للمستقبل ، ومن أجل هذا فان السيد الوالي العام أنشأ لجنة بحث (الأولى) اقتصادية واجتماعية اسلامية ، واتخذت في دورة شهر جوان 1943 برنامجا للاصلاحات لازال يتمنى كل الأهالي الجزائريين تطبيقها .

ان هذا البيان وهذا البرنامج المتواضع لازال السبيل الوحيد الواضح والأكثر صلاحية في تحقيق حل للقضية الجزائرية . وهو يعرب باخلاص عن الرغبات الحقيقية للسكان المعنيين .

ان الاستقلال الداخلي السياسي الذي يجب أن يحل محل النظام القديم الاستعماري الفض اللاانساني ، هو الذي شكل قاعدة « فرنسا الجديدة والجزائر الجديدة » ويكون شرطا في ميلاد نظام جديد :

1) لأنه يبني علاقات يجب أن تكون علاقات شعب مع شعب آخر .

2) ويحتفظ بحق اشراف (الميتروبول) على تطوير القطر الجزائري .

3) ويضع حدا للغموض وللحيل التي يتعاطاها النظام الاستعماري لابقاء سيطرته .

4) ويحدد من مطالب شعبنا للحريات الديمقراطية المحلية بمفعول اعترافه بالجنسية الجزائرية ، كما يجعل فرنسا نفسها في مأمن

من غزو المواطنين المستعمرين الذين هم ، بصفة أو بأخرى ، مستغلون التراث الفرنسي لفائدتهم الخاصة •

5) ويقضي على كل عناصر الخلاف والشقاق الذي يحدث عند تطبيق المواطنة فى الجزائر ، واحترام عوائد وأوامر الديانة الاسلامية وبالتالي يتحاشى المخاطر التي قد تأتي بها بعض المغامرات ، مثل التي حدثت لليهود فى الجزائر بسبب الغاء قرار كريميو •

6) ويطالب بالبقاء وديمقراطية المجالس النيابية الحالية ، وابدال الولاية العامة بحكومة جزائرية مع احترام نظام اللامركزية الذي هو عنصر حياة أو موت سواء بالنسبة للجزائر أو للأوطان البعيدة •

7) ويسمح بامكانية انشاء اتحاد مع تونس والمغرب كدول شمال افريقية ، وذلك تحت رعاية فرنسا •

8) ويعطي ترضية تامة للجزائر المسلمة ، وباستشارة هذه بواسطة استفتاء عام ستجتذبها للاشتراك معها تماما •

« هذا ما نعتقده بصدق قدمناه أمام رجال كلفوا بمسؤولية بناء صرح فرنسا الجديدة • ان المشاكل والبلايا التي نعيشها فى وقتنا الحاضر لا تتركنا نستريح بل انها سبب آخر يحرضنا ويدفعنا على أن نقول كلمة الحق ونقوم بأداء العقيدة الدفنية لشعب يعاني من الشدة ، ولكنه لازال جديرا بالثقة •

اننا نتمنى بكل اخلاص تحرر فرنسا وانبعاثها ، وعظمتها لأن انبعاثها لاشك فيه ولكننا نعتقد أنه سيرتكز مستقبلا على بعثنا الحقيقي وعظمتنا أيضا ، لأن فرنسا ستكون حرة وقوية بحريتنا وقوتنا ، وبذلك سنؤدي عمليا نبوءة المفكر الفرنسي الكبير : (*)

« أكبر قيمة انسانية هو الرجل ـ الانسان ـ نفسه فلكي تصنع قيمة للكرة الأرضية يجب أولا وضع قيمة للرجل ، ولكي تستغل سطح

---

* ـ المفكر الفرنسي الكبير .

الأرض بمعادنها ومياهها وكل موادها وكل قواتها ، لابد من الرجل ــ كل الرجل الانسانية ــ كل الانسانية » .

فباحتقار أو استنقاص أو اضعاف : وبكلمة واحدة : باستعمار قسمة من البشرية ، فاننا نعمل ضد أنفسنا » .

ويختم التقرير :

تتمنى من اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني أن لا تتردد فى قطع علاقاتها مع ماضي قد مات ، لتأخذ باقتناع طريق الاصلاحات الكبرى :الاصلاحات الثورية ، وتجعل مطالبنا التي نقدمها لها من مطالبها الخاصة ، وذلك بهدف واحد هو : خدمة الجزائر وفرنسا والانسانية ، فى آن واحد » . ا هـ

التوقيع : السايح ــ عباس

3 ــ تقرير جمعية العلماء
يوم 3 يناير 1944 (9)

ويأتي دور جمعية العلماء المسلمين أمام اللجنة فيقول رئيسها فضيلة الشيخ محمد البشير الابراهيمي فى التقرير التالي (ببعض اختصار) :

باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبصفتي رئيسا لها ، وبأسمي الخاص ، لي الشرف أن أضع هذا التقرير أمام « لجنة بحث اصلاحات المسلمين » القيمة ، وذلك لرغبتها معرفة نظريتي ازاء القضية التي كلفت ببحثها .

ان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تطالب ــ وليس عن عدم منطقية شريفة ــ بمذهبها فى الاصلاحات ، هذا المذهب الذي قامت بواجب التبشير به والذي لازالت تنتظر تحقيقه فى الميدان الديني الذي هو مهمتها الأولى فى برنامجها هذا الذي أرادت أن تعرف فيه بالحقيقة

---

9 ــ معربا عن كتاب كلود كولووجان دوبير ص 187 ــ 183 .

الدينية كما صدرت عن مبادىء الكتاب والسنة ، لاحياء الفضائل الاسلامية ، وذلك بالدفاع ضد الخرافات والبدع والالحاد والأحكام الاعتباطية ، ولنشر لسان القرآن الكريم الذي بدونه لا يمكن لنا أن نعرف الوجه الحقيقي للاسلام ، وبالتالي تبين بقدر الامكان جمال الآداب العربية .

واذا كان الجانب الديني هو المهمة الحقيقية للجمعية فليس من المستبعد اهتمامها بالقضايا السياسية التي لا تحجم عن أداء واجبها حيالها في برنامج خاص بها لا ينتسب لأي هيئة أخرى ، على قدر من الالتزام بالثلاثي الآتي : « الاسلام ، العلم ، الشخصية الجزائرية » .

هذه عقيدة مسؤوليها التي أكدوها بثقافتهم الدينية ، والتي تثبت بنفس المنوال ، الصيغة التي قبلوها حسب النظرة الشرعية الدقيقة ، هذه الصيغة هي : « الشعب الجزائري مسلم عربي تجمعه الوحدة الاسلامية مع كل المسلمين والعرب فى العالم ، وذلك بروابط العقيدة الاسلامية العربية الواحدة » .

واذا كان مرتبطا بفرنسا فى وحدة مصلحية فله الحق فى الحياة على كل حال ، وذلك مثل جميع العناصر من سكان هذا الوطن ، حياة رحيمة فضيلة . ولشعبنا حق ممارسة ديانته مثل الآخرين ، هذه الديانة التي تحب الخير لكل الناس والرحمة والحنان .

وبما أن شعبنا مشبع بروح هذه العقيدة فهو يريد أن يرى كرامته محفوظة مثل سائر السكان ، كما يعتقد « أن القيام بجميع الواجبات يعطي حق الحظوة بجميع الحقوق » وذلك أن المساواة أمام الواجب يجب أن تقابل بالمساواة فى الحقوق مع احترام القيم العقائدية : الاسلام والعروبة ، أي بغير مساس بشخصيته . وهذا ما تتطلبه الشرائع الانسانية وقوانين العدالة المقدسة .

وأنا بصفتي جزائري لي الحق أن تأخذني الحيرة من أجل وطني ومن أجل مواطني . فعلي أن أعطي رأي بكل حرية فيما يتعلق

بالاصلاحات المطلوبة • وان صفتي كعالم مسلم يجب أن أدافع عن الاسلام وتشريعاته ولغته ، وعلي أن أقوم ضد التعدي على حقوقه من طرف الحكومة الاستعمارية الفرنسية •

وبهذه الصفة اذن أقدم تشكراتي للجنة الاصلاحات الاسلامية الكريمة ، على ما مكنتني من فرصة الاعراب عن نظريتي بكل صراحة عما يتعلق بالاصلاحات التي هي ، حسب الظروف الحاضرة ، تستدعي تحقيقات عاجلة وتنفيذا عادلا في الصالح المشترك لفرنسا وللسكان المسلمين فى الجزائر •

ولذا أصرح للجنة الكريمة بأن جميع التقارير الرسمية التي وصلتها لحد الآن انما هي تعالج أشياء عمومية ولم تعالج نفس المسألة بمختلف صورها • على أن قضية مطالب المسلمين لا يمكن أن يحلها أولئك الذين يقدمون آراء ونظريات عائمة وبقرارات ارتجالية • ذلك لأن كل هذه الاصلاحات الثلاثة السياسية والثقافية والاقتصادية تحمل مواد وفروعا تجب دراستها بتدقيق وبتفصيل ، على أن الذين يتكلفون ببحثها بقصد تحقيقها يجب أن يحوزوا على كل صفات الاخلاص والعدالة والبصيرة حتى تكون النتيجة سريعة ومرضية •

فاذا كانت اللجنة الكريمة تلاحظ علي بعض ايجاز فى عرضي هذا فان التقارير الرسمية التي بني عليها عرضنا كانت هي الأخرى أكثر ايجازا •

اذن ، ففي رأي باختصار أنه يوجد بعض الاصلاحات تتطلب التحقيق بصفة سريعة وحازمة ، بينما البعض الآخر ـ نظرا لفرط أحقيته ـ لا يستوجب أي نقاش ولا أية معارضة ، وذلك :

1) اصلاح حالة المحاكم الاسلامية •

2) الحالة التي تتعلق بالمساجد وأوقافها ورجالها •

3) وأخيرا اصلاح حالة التعليم العربي بكامله •

وها هو رأي فى مجمل المسائل الثلاث ... (10)

وبعد أن يعطي الشيخ بسطة ثم حلولا للقضايا الثلاث يختم بالاصلاحات السياسية فيقول :

4 ـ الاصلاحات السياسية

لعله لم يكن فى بال اللجنة الكريمة مشاورتي فى شؤون تظهر أعلى ، ولكنني أستسمح اللجنة فى ابداء رأيي الخاص فى بعض المسائل ذات العلاقات السياسية التي لاشك أن اللجنة هي الوحيدة التي يمكن لها وضعها على بساط البحث . وفى هذا فانني أصرح مرة أخرى لهذه اللجنة المحترمة بما أعتقده حقا .

ذلك ان القرار الرسمي أعطى لعدة آلاف من المسلمين الجزائريين الجنسية الفرنسية بدون استشارة الشعب الذي يهمه بالدرجة الأولى هذا الأمر ، ولا يخفى أن هذا القرار قد ذكرنا « ببرنامج فيوليت » ، ذلك البرنامج الذي عرض سنة 1936 ثم نسي واعتبر ميتا ، لأنه كان لا يتجاوب مع الرغبة الشعبية . فهل من المعقول ــ وقد تبدلت الظروف ــ أن يرجع لهذا البرنامج لتبني عليه برامج تعتبر من الآن مرفوضة وفاشلة ، لأنها تجاهلت تضحيات هذا الشعب بدمه وماله ، وكان ينتظر مثل سائر الناس مجازاته بالمساواة التامة وبحقة فى الحياة والحرية ، لأنه دفع بكل جهد وفخر أتمنهما . وليس من المعقول أن تفرض عليه جنسية غير جنسيته » .

ويمضي الابراهيمي مبينا أن الشعب الجزائري يرى أن اعتناقه جنسية غير جنسية طريق الى الاندماج فى حين أنه لا يرضى بفقد شخصيته بأي ثمن كان ، فما بالك اذا كان هذا مقابل لا شيء .

(10 ـ اقتصرت على الاشارة الى المسائل الثلاث لأننا سنجدها بأكثر بيان فى التقرير الذى قدمه المجلس الاداري للجمعية الى رجال الحكومة فى الجزائر فى أواسط شهر رمضان سنة 1363 هـ الموافق 1944 م .

وهو يرى أيضا أن كل محاولة لادماجه انما هي محو لذاتيته العربية وهو أمر ضد حتى الطبيعة الكونية التي تعترف بأن لكل مجموعة بشرية عوائدها وخصائصها وامتيازاتها • وهو شيء أيضا ضد القواعد السيكولوجية العمومية ، والتاريخ ، والجغرافيا ••• وأخيرا ضد حتى مصلحة فرنسا نفسها وقد قامت بتجارب من هذا النوع ولم تفد منها شيئا •

ان مصلحة جميع السكان ، فى رأيي المتواضع ، والذي أعتقد أنه يتماشى مع الواقعية والمنطق ، هي فى بناء مستقبل على أسس ذات قابلية للسير بنا بعيدا عن بلية استعمار جنس لجنس آخر ، واستعباد نوع من البشر لنوع آخر • وكذا بعيدا عن العنصرية المقيتة • ومن أجل هذا كله فها أني أقدم مجموعة من الاصلاحات الجديدة ترتكز على الأسس الآتية :

1) أحداث الجنسية الجزائرية بصفة يستفيد منها كل السكان فى هذا الوطن بغير تفريق لا فى الجنس ولا فى الدين ، مع المساواة فى الواجبات والحقوق •

2) تغيير المقاييس الاستعمارية بمقياس حكومي « حكومة جزائرية مسؤولة أمام برلمان جزائري » •

3) السماح لكل الجزائريين بالتوصل الى الوظائف العمومية من دون أي شرط غير الأهلية المهنية •

4) اعتبار اللغة العربية رسمية فى درجة واحدة مع اللغة الفرنسية •

5) حرية الأديان وحرية تنظيم كل طائفة لدينها وبواسطة مؤسسيها الأتقياء •

6) الحالة الشخصية الاسلامية يجب أن تصدر عن التشريع الاسلامي فقط •

هذه هي المطالب التي أعتقد أنها المعبر الأمين عن أماني الأغلبية الساحقة من مواطني فى هذا الوطن ، والتي لي كل الشرف أن أضعها

بين يدي اللجنة الكريمة التي أتمنى لها حظا سعيدا ونجاحا فى مهمتها الشريفة التي ستكون لسعادة الجزائر وسعادة فرنسا ، وذلك بتوفيقها الى اقامة روابط متينة بين الجزائر وفرنسا ، روابط مبينة على الثقة المتبادلة وعلى تعاون مخلص » .

التوقيع : محمد البشير الابراهيمي
رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

4 ـ تصريح مصالي الحاج (11)
يوم 15 يناير 1944

يقول مصالي : قبل أن أتناول الموضوع الذي جئت بسببه أريد أن أشكر ، شكرا جزيلا ، اللجنة التي شرفتني اليوم بالسماح لي أن أتكلم ، بعد رجوعي من عين صالح ـ يعني المنفى ـ عن مطالب المسلمين التي هي موضوع الجلسة .

ففي الوقت الذي شرعت اللجنة فى بحث رغبات السكان الجزائريين بحثا عميقا ، أرى من واجبي ، بصفتي رئيسا لحزب الشعب الجزائري الذي يمثل الأغلبية من الرأي العام الجزائري ، أن أقول لكم كيف نرى حل القضية الجزائرية .

انه يفهم من خطاب 12 ديسمبر 1943 بقسنطينة الذي ألقاه السيد الجنرال ديغول فيما يتعلق بمطالب المسلمين ، أن برنامجا فيوليتيا قد بعث فى مظهر تحسين مصطنع .

واستمرارا مني على الوفاء لبرنامج حزب الشعب الجزائري الذي كثيرا ما بيناه ، أتقدم بشكري المخلص الى السيد رئيس « لجنة التحرير الوطني » الذي أعرب فى خطابه عن الاهتمام الذي يعطيه لقضايا المسلمين فى هذا الوطن

---

11 ـ عربته عن .M.N.A ص 183 ـ 185 وقد عبر عنه المؤلفان بالتصريح عوض التقرير .

ففي سنة 1937 كان برنامج فيوليت المتشابه أثار خلافا فى الرأي العام الاسلامي ، وفى الحقيقة أن أنصاره الذين كانوا يدافعون عنه بحـرارة كانوا فى دخيلتهم مترددين ولا أمل لهم فى امكانية قبوله من الشعب •

أما اليوم فالمسألة بخلاف كل ذلك ، فهناك ـ وهذا شيء يجب الاعتراف به ـ تبدل كبير فى الأفكار بسبب التطور الكبير المعتبر الذي حدث فى السياسة • أما من جهتنا فنحن كنا ـ حزب الشعب ـ ولا نزال دائما ضد برنامج فيوليت 1937 مثل برنامج 1943 • وذلك للحقائق التاليـة :

لأنه غير ديمقراطي : بما يحدث من طبقة ممتازة تسيطر دائما عـلى الأكثرية المطلقة وتضعها تحت النظام الاستعماري • ومن جهة أخرى فان هذا البرنامج معاكس تماما لتطلعات الشعب الجزائري المسلم الذي لا زال مرتبطا ، وبوفاء ، بلغته ودينه وماضيه التاريخي •

وعوض سياسة الاندماج التي انكشف بوضوح عدم صلاحيتها لسبب واحد هو : انها غير منطقية • عوض ذلك فان سياسة تحرير هي الطبيعة لزوما لحل القضية الجزائرية •

ان مبادرة مثل هذه تتخذها الحكومة الفرنسية ستجد فى هذه الظروف الحالية ، الأغلبية الساحقة من المسلمين بجانبها ان لم يكن الاجماع •

أيها السادة : اننا نعيش فترة غليان وبلبلة ، فالمسلمون الجزائريون فى أعماقهم محتارون من النظام الاستعماري الذي يرزحون تحت أثقاله منذ قرن ، انهم لا يقبلون أن يعاملوا أيضا فى حر وطنهم كأناس وضيعين سفلاء ازاء أقلية أخرى تعيش فى سعادة ، وتحظى بكل الامتيازات •

ان المسلم الجزائري يطالب بكل حرارة التمتع بالجنسية الجزائرية التي هي وحدها تضمن له احترام لغته ودينه وحقوقه السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تقوده الى الانعتاق • كما يعتبرها هي الديمقراطية وحرية الانسان وحرية المواطن وحرية تقرير الشعوب لمصيرها •

ففي وطن كالجزائر حيث يرتفق عدة أجناس وعدة ديانات لا يمكن الاستمرار على أبعاد ثمانية ملايين عربي بواسطة نظام سياسي استغلالي ، لفائدة أقلية تملك لحد اليوم كل عن تدبير وتسيير شؤون وطنهم ، الامكانيات والسلطات بيدها ، متجاهلة بذلك المبادىء الديمقراطية التي لابد أن تكون اليوم أو غدا هي المصدر الوحيد لكل المجتمعات البشرية .

فلذا ، ولجعل حد لهذه الحالة التي هي السبب فى بؤس الجزائري والتي يئن تحت وطأتها الشعب الجزائري بأسره ، أطالب بديمقراطية جميع المجالس الجزائرية المختلفة ، وبتحوير المجلس المالي الى برلمان جزائري ينتخب بالتصويت العام الموحد ، بدون تفريق فى الجنسية والدين .

وفى هذا البرلمان يجد كل واحد مكانه على قدم المساواة سواء كان عربيا ، أو أروبيا ، أو اسرائيليا ، وفى حضن الأخوة الكاملة يعملون ، كل فى مهارته ، من أجل جزائر حرة وسعيدة ، كل ينظر الى المستقبل ، وهو يفكر بعقل جديد ، تاركا وراءه فى الوقت نفسه جميع الطبائع القديمة : الأنانية ، والحقد اللذين ابتلي بهما وطننا الجميل بكل جفاء وقسوة .

وفى الوقت الذي نطالب بهذه الحقوق فلسنا نطالب بالمستحيل ، بل فقط نطالب بارجاع الحالة الحاضرة الى طبيعتها العادية ، وقد بقيت للأسف لهذا اليوم تعمل على ابعاد المسلمين الجزائريين ، وهو شيء سهل الادراك يتبين بمجرد لفت النظر الى ناحية الادارة الجزائرية ، فانه يلاحظ حينا أن حكومة جزائرية قائمة فعلا ببرلمانها الذي هو المجالس المالية التي تتمتع باستقلال مالي ، وبمجلس شيوخها الذي هو المجلس الأعلى الذي يصادق على مقررات البرلمان المذكور .

ان فرنسا ، الأمة الحامية ، الأمة المحررة التي تعمل على ترقية الشعب الجزائري وتربيته لتصنع منه شعبا حرا رشيدا ، لا تملك ــ وحسب ــ بذلك قلوب ثمانية ملايين جزائري ، بل أيضا ستضاعف بفعلها هذا فى سمعتها وقوتها فى حوض البحر الأبيض المتوسط . وفى الوقت نفسه

ستربح صداقة مخلصة فعلية ، صداقة المغرب الأقصى وتونس ، ولبنان وسورية ، وكل العالم العربي •

هذا ، وقبل أن أختم كلمتي أيها السادة يهمني أن ألفت نظركم المحترم الى شيئين : أولهما ان هذه الأفكار السياسية التي بسطتها أمامكم ليست جديدة ، بل انني كنت حافظت عليها وصرحت بها مرارا أمام المحاكم فى فرنسا والجزائر ، هذه المحاكم التي كان لي الشرف للمثول أمامها بسبب نفس الأفكار والآراء • ومعنى ذلك يا سادتي أريد أن أقول انني لم أنتظر يوم هدنة جوان 1940 (*) لأصرح بأفكاري فيما يخص القضية الجزائرية •

ثانيا ــ أرجو من اللجنة أن تضع أمام الحكومة الكريمة برنامجا للعفو العام لجميع المساجين السياسيين وكل الذين هم تحت الاقامة الجبرية أو الاعتقال • ولا يخفي أن من عادة فرنسا الجمهورية أن تعمد الى تحرير أولئك الذين فى السجون يعانون من أجل الحكم الجمهوري كلما أرادت تحقيق انجازات » •

شلاله (ريبال) يوم الجمعة 7 يناير 1944
التوقيع : مصالي الحاج

تقرير ابراهيم بيوض عن ابناء وادي ميزاب

لقد كان للميزابيين وضع خاص فى القانون الفرنسي فهم يتمتعون بشبه نظام حماية على خلاف بقية القطر الجزائري ، وهذا ما جعل الحكومة الفرنسية تريد معرفة رأيهم الخاص •

* ــ يعني أن فكرة حرية الجزائر واستقلالها لم يعتنقها فقط بعد ان سقطت فرنسا يوم 20 جوان تحت الاحتلال ، بل هي فكرته التي صرح بها حتى زمن قوتها وعنفوانها •

مــذكـــرة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

اسمحوا لي قبل كل شيء أن أعرب لكم عن عميق تشكراتي للثقة التي وضعتموها في شخصي ، اذ دعوتموني للادلاء برأي في الاصلاحات التي اعتزمت فرانسا الحرة الديمقراطية انجازها لصالح الشعب الجزائري المسلم ، وانتهز هذه الفرصة السانحة لأعبر عن شكري وتقديري واعجابي لهذا الموقف الجلل الذي وقفه فخامة الجنرال «دوقول» بطل الاستقلال الوخني ، باعانة أعضاء حكومته الذين لم يشغلهم حرج الظروف القاسية الراهنة عن النظر في حالة الشعب الجزائري المسلم ، وتقدير رغائبه حق قدرها بمنحة الحقوق التي يستحقها .

سادتي ـ انني بصفتي مسلما جزائريا أرحب بكل حق يمنح لمواطني ضمن دائرة الدين الاسلامي الحنيف ، واذا قلت الدين فانما أريد جميع ما تدل عليه هذه الكلمة من معنى في عرف القرآن الكريم والسنة النبوية ، ومنه ما شرعاه من أحكام في الأحوال الشخصية ، أما من يستحق أن يمنح هذه الحقوق فان رأيي فيه يتلخص في هذه القاعدة البسيطة : « اذا تساوت الواجبات تساوت الحقوق » فكل من أدى واجبه كاملا غير منقوص اخذ حقه كاملا غير منقوص مع جواز تخصيص هذه القاعدة بوجود موانع معتبرة شرعا كالاجرام مثلا .

وأما بصفتي مترجما صادقا للفكر العام الميزابي فاني أصرح باسمه بما يلي :

ان لميزاب مميزات وحقوقا خاصة ، نصت عليها وحددتها معاهدة عقدت في التاسع والعشرين من شهر أفريل عام 1853 م بين ممثل فرنسا المارشال « راندون » والأربعة عشر نائبا ميزابيا تلك المعاهدة المؤيدة بقرار الوالي العام « تيرمان » بتاريخ 21 ديسمبر عام 1882 ، ولا يزال العمل جاريا ببعض بنودها بينما ترك العمل بالبعض الآخر ويالللأسف .

فمطالب الأمة الميزابية بأسرها تنحصر في الرجوع الى المعاهدة وتطبيق جميع بنودها نصا وروحا بصدق واخلاص . ودونكم ما كان العمل به جاريا بمقتضى هذه المعاهدة :

أولا ـ من الناحية الادارية : يحكم كل قرية من قرى ميزاب السبعة تحت اشراف الحاكم الفرنسي المقيم في العاصمة «غارداية» رئيس أهلي يسمى رئيس الجماعة يعينه الحاكم الفرنسي مختارا له من بين ثلاثة يقدمهم سكان القرية اليه ، ويعينه في الحكم مجلس متركب من نواب منتخبين انتخابا حرا من عشائر القرية بنسبة نائب واحد لكل عشرة ويجدد انتخابهم في كل ثلاث سنوات ، وينتخبون من بينهم خليفة للرئيس كذلك ، وأعضاء هذا المجلس هم المكلفون بتوزيع الضرائب المقررة على أفراد عشائرهم وجمعها منهم ودفعها للحاكم على يد رئيسهم ، ولهم حق الاشراف على الميزانية ومناقشتها .

ثانيا ـ من الوجهة القضائية : يحكم القرية قضائيا عالم ذو كفاءة يعينه الحاكم الفرنسي مختارا له من بين ثلاثة علماء تقدمهم اليه الهيئة الدينية في القرية وبنفس تلك الطريقة يعين الباش عدل والعدل ، وترفع الأحكام التي يطلب تجديد النظر فيها الى مجلس يتركب من القضاة أنفسهم تحت رئاسة عالم حر مستقل مبرز يعينه الحاكم الفرسي مختارا له من بين ثلاثة علماء يقدمهم اليه المجلس الأعلى للهيئات الدينية السبعة بميزاب ويسمى هذا المجلس الاستثنائي في عرف الميزابيين باسم « مجلس عمي سعيد» نسبة للشيخ عمي سعيد الجربي الذي جرت العادة بانعقاد المجلس في مسجده ، ومن شاء رفع الحكم الى محكمة المطلب الأول بالبليدة فله ذلك ، تلك هي الطريقة التي كانت تحكم بها البلاد الميزابية اداريا وقضائيا الى عهد غير بعيد .

وذلك ما تطلب الأمة الرجوع اليه .

مطالب عامة :

أ ـ الغاء التجنيد الاجباري .

ب ـ كفالة الحريات الشخصية في دائرة الدين والقانون .

ج ـ حرية الاجتماع والنشر والتعلم العربي .

د ـ توسيع نطاق التعليم الفرنسي وترقيته .

هـ ـ الاعتناء بحفظ الصحة العمومية .

و ـ الغاء دور البغاء ومنع الميسر ومنع بيع الخمور وفتح الحانات .

ز ـ اصلاح الطرق وحفر الآبار الارتوازية .

تلك هي مطالب الامة الميزابية التي قدمتها مرارا في مناسبات مختلفة للحكومة الفرنسية الفخيمة مؤكدة لها في كل مرة اخلاصها وولاءها وارتباطها .

والامة الميزابية ترجو من لجنة التحرير الفرنسي أن تعتبر كل ميزابي جنديا لا يزال طول عمره شاكي سلاحه لمحاربة تلك الطبيعة القاسية العنيدة في هضاب شبكة ميزاب الجرداء حتى كون منها رياضا غناء ساعدت فرنسا في اتخاذها قواعد هامة أربط مواصلاتها وخدمة مصالحها في امبراطوريتها الواسعة عبر البحار .

واختم بالتضرع الى الله ان ينصر قوى الحق والحرية والديمقراطية على قوى الظلم والاستبداد الفاشيستية والهتليرية، وان يمن على العالم بسلام دائم ورفاهية وامان .

الجزائر 3 جانفي ـ يناير ـ 1944

الشيخ بيوض

الشعر الشعبي يشارك الزعماء لدى لجنة الاصلاحات

ويعجبني بعد جولة تقارير زعماء الحركات القومية أمام « لجنة الاصلاحات الاسلامية » ، أن أثبت هنا شذرات من قصيدة شعبية لطيفة جدا للسيد بوقطاية ، ومطلعها :

يا عمي (جوني) لفرنسيس راهم ظلموني
بالشر قتلوني سلطوا علي « الميزريه » (1)
انت سكسوني ما شفناشي منك الدوني
فرب الهوني نحكيلك ما صاير بي
لغتنا افنات حتى اجوامعنا «تفرمات» (2)
ما بقات حياة ذكريات كثرت علي
فرنسا المقهوره بأعمالها السيئة المشهورة
كي تدور دوره تعمل فينا ربع مزيه
جمعت لعيان جابتهم من كل مكان
داروا ديوان باش يشاوروا في الحريه
انطق لفحل عربي ما يحمل الذل
راجل بطل اصلو من الابراهيميه
فاللهم لاش هذا الفكره ما تسواش
ما همش اكباش راهي امه عربيه
دواها التعليم والدين السمح القويم
باش تستقيم تخرج من طور الجاهليه

* * *

تكلم عباس سمعت ليه جميع الناس
فاللهم « ياس » (3) رانا على هذا العقليه

---

12 — الميزرية كلمة فرنسية معناها «البؤس» .

13 — تفرمات : «أغلقت» .

14 — ياس : نعم بالانكليزية .

جـابـو مصـالي من منفاه في الثلث الخالي
مقبـون بحـالي عـلى الأمـة الجـزائرية
اول مقـال قـال اعطونا الاستقـلال
ولينـا رجـال راتـا فهمنا المسـؤوليه
راتـا تـرفينـا يجزي مـا تحـرثو علينـا
آش هـذ الفبينـه راح زمـان الفنطـزيه

* * *

تـكـلم بن فـانه قـال احنـا ما شفنا هانه
هـنوم اعـدانـا انفـوهـم للبرواقيـه

* * *

قـام التيجـاني قـال الصمت يا اخواني
الـا بلسـاني ولسـان الطـرقيـه
نعطـو ضمـان بـلي راتـا في الآمـان
يسـقط (بيتـان) تحيـا فرنسا الديغوليـه

* * *

العقبـي هـاج قـالو اسكـت يا حـلاج
ديـر الـكوراج بـركـاك من العصبيـه

* * *

قـام بـن جـلول قـال العقبي رجع مهبـول
ولـي مشغـول بـالأمـور الصبيانيـه
النـاس تعيـط على الحقـوق وهـو يغيط
راجـل اعبيـط خـاطيتـو الديبلوماسيه
سيـدو الحكيـم ابن جـلول عاقل وفهيـم
راجـل زعيـم مـولى نيف وفنطـزيه
اخـدمت الأمـه في وقـت الشده والظلمـه
واعطيت الـكلمـه بـلي نموت عليها ضحيـه
درت ((الـديسـكور)) وابـديت نحوس وانـدور

لا ابقى واحد يسمـــع ليـه ؟ . . . .
امـــا اليـــــوم راه تنحى علي اللـــوم
خـلوني نعـــــوم ما نحبش تسالو علي
* * *
قـــام الـدكتـــور لخضـري مطبـع مشهـور
خطـب في الجمهـور باللغـــة الفرنسـويه
قـــال سـي دومـــاج قـــويتـو علينـا الهـراج
العـــرب ســوفـاج مـا يستـاهـلوش الحريه
* * *
تـكـلـم تامـــــزالي قـال انـا خليتوني لتـالي
وانسيتـو اعمـــالي في الامـة القبـائليـــه
بنيتـو الفيــــلات واشريتـو الطمبيـلات
لعبتـو لعبـــات تعجـز عنهـا العيسـاويه
* * *
بيـــوض الطـــق قال مسيوروني عندوالحق(*)
في كـلامـو صـدق همــه وغيره وطنيـه
((سيليك سيلانص))مسيو (قولو) ، قـــال ((سيـــلانص))
(بـاد كـونفيرانص) ((ليـزاراب)) كـامـل حيليـــه
(ابــري لاقيــــر) رانـا ننظـر في (لافـير)
ابقـوا عـــلى خـــير ما نحبش تـــولـوا لي

---

* – روني الفضيل كلمته محذوفة .

. – قولوا : ديغول .

قرار السابع مارس – آذار – 1944 م

كان خطاب الجنرال ديغول التاريخي الذي كان ينتظر منه المسلمون فى الجزائر الشيء الكثير بسبب ما أعقبه من اهتمام بتأسيس « لجنة الاصلاحات الاسلامية » التي أمتدت بحوثها واجتماعاتها طيلة ثلاثة شهور ، فكانت نتيجتها المنتظرة « قرار السابع مارس 1944 » • فما هو قرار السابع مارس هذا ؟

لقد تقدم لنا آنفا ان هذا القرار لا يزيد شيئا عن برنامج «بلوم فيوليت» الذي قدم للبرلمان الفرنسي سنة 1936 ورفضه سنة 1937 ، وتركه المسلمون نهائيا ، وحمدت أكثرية الجزائريين هذا الرفض • ان هذا القرار يعلن، فيما يعلن – «ان الجزائريين أصبحوا بقدرة قادر فرنسيين مسلمين» ، ويتكلم عن الغاء القوانين الاستثنائية • وباختصار فهو نسخة عن برنامج بلوم فيوليت ، كما كنا ذكرناه مفصلا فى محله ، ولما لم يرض به الجزائريون ووقع ما وقع بعد ذلك من حوادث دموية ، كما يأتي بيانه ، جاء ديغول فعزز قراره بقانون السابع أفريل – نيسان – 1946 الذي يعطي حق « المواطنة الفرنسية » للجزائريين • ثم أضيف الى ذلك فى الدستور الفرنسي الصادر فى 17 أكتوبر 1946 وضع حد لقانون المراسيم، هذا القانون الذي كان يعطي الحاكم الفرنسي فى الجزائر حق اصدار المراسيم فقط ضد الجزائريين (الأهالي) متى أراد • وأعلن الدستور حينئذ : ان الذي له حق التشريع هي الجمعية الوطنية الفرنسية وحدها • وفى نفس هذا الدستور قرار بامكانية الاحتفاظ بالأحوال الشخصية للمسلمين مع اكتساب المواطنة الفرنسية (الفصل الثاني عشر) •

وهكذا ألحق بهذه القرارات نظام أمر 17 أوت – آب – 1945 الذي يقرر تمثيل الجزائريين فى الجمعية الوطنية الفرنسية التأسيسية •

لكن ما هذه المواطنة الفرنسية التي لجأ ديغول للاعتراف بها وان كان بقصد ابتلاع الجزائر ؟ وما هو هذا التمثيل فى الجمعية الوطنية ؟ والمفروضان على الشعب الجزائري دون أي استشارة له ولا لنوابه ولا لحركاته الوطنية التي سمعت مطالبها المختلفة أمام اللجنة بكل صراحة •

سنعرف ذلك بتفصيل عندما نتناول قضية « الدستور الجزائري » الصادر يوم 20 — 9 — 1947 .

التذمر العام وطلائع حوادث الثامن ماي 1945

لقد كان هذا الموقف البليد من الاستعمار الفرنسي ـ وعلى رأسه ديغول ـ والذي يؤذن صراحة باحتقار شنيع للشعب الجزائري ولجميع هيئاته الوطنية ، دافعا كبيرا للتذمر فالانفجار ، يضاف الى ذلك سوء الحالة الاقتصادية والاجتماعية بسبب فقدان مواد المعيشة ولوازم الحياة ، حتى صارت توزع بالتقسيط ببطاقات التموين التي لا تشبع ولا تغني من جوع ، وكان سبب ذلك أولا ـ انقطاع العلاقات الاقتصادية بين الجزائر الديغولية وفرنسا « البيتانية » ، واعتماد جيوش الحلفاء على منتوجات الجزائر .

ثانيا ـ ضربات سنوات الجدب وقلة الامطار التي جعلت المحصولات لا تفي حتى بمعيشة سكان الوطن ، فضلا عن الجيوش الجرارة التي أتى بها الحلفاء . (15)

ثالثا ـ خلو الوطن من صناعة وطنية محلية تكون عوضا عن المواد المصنوعة فى فرنسا التي كانت تملأ أسواق الجزائر ، ويتمون بها الشعب الجزائري .

وبهذه المناسبة أرى من المفيد أن أنقل بعضا من مقال طويل بعنوان : « كيف الخروج من الحالة التعيسة التي تعيشها شعوبنا فى الشمال الأفريقي » ؟

كنت كتبته عام 1948 وعالجت فيه الأحوال السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، وصورت فيه بالخصوص الحالة الاقتصادية

---

15 ـ اجل ، كان نزول القوات الامريكية بالخصوص ، بما أتت به ـ من جانب آخر ـ من اموال وألبسة عسكرية يبيعها العساكر للسكان بأرخص الأثمان ، كان ذلك سببا كبيرا في تخفيف الوطأة الاقتصادية بسبب حدوث نشاط تجاري كبير بين الشعب والجيش الأمريكي ، والا كانت تحدث في الوطن مجاعة كبرى .

وفيما يلي الفصل الذي يتعلق بالحالة السيئة التي تعيشها شعوبنا • الاقتصاديـة •

« ••• أما الأمر الثاني وهو حكاية « الاستعمار الجشع » وقصة « السيطرة الفاشية » فهما المشكل الذي يستعصي حله ••• لأن الاستعمار يراهما منبعا لحياته ومددا لعظمته ، فعمل مجهدا على ابعاد الشعب الجزائري عن الميدان الاقتصادي بكل وقاحة وشراسة ، حتى تمكن من اخضاعه الى جهل مطبق بالعلوم الاقتصادية وما يقتضيه فن الاقتصاد وتبعا لذلك نشأ عدم الاهتمام بالاقتصاد وعدم قراءة أي حساب لهذا الجانب الخطير الذي حفلت به الشعوب الحرة وأولته أكبر اهتمام حتى أقامت له وزارات خاصة ومنظمات عتيدة •

واذا وجدت ، برغم المخطط الاستعماري ، بعض الشركات الوطنية ــ على قلتها وضعفها ــ فهي فاقدة لوسائل التطور ، فالقانون قد وضع فى غير صالحها بصفتها شركات « أهلية » فهي مبعدة عن ميدان العمل الجدي ومضروب على يدها فى الأعمال الهامة ، خاصة فى ميدان الايراد والتصدير • فهي تعيش على هامش الحياة الاقتصادية بالنسبة للشركات الفرنسية واليهودية وحتى الأجنبية ، ثم هي ــ بصفة أو بأخرى ــ موضوعة بمعزل عن مؤهلات تؤهل منها اخصائيين فى فن الاقتصاد •

لهذا وغيره مازلنا نرى وجوما عاما وتقاعسا من أصحاب رؤوس الأموال الوطنية ــ على قلتهم ــ عن المشاركة فى المشاريع الاقتصادية التي تأخذ بيد الشعب وتحفظ أمواله من التلاشي والضياع ، وتقف أمام انصبابها فى أيد أجنبية لا تضمر لها الا سوءا •

والعجيب أنه اذا وجدت بعض المؤسسات التجارية ــ على قلتها وضعفها ــ تجد المستعمرين وأذنابهم ينشرون حولها المخاوف والشائعات ويصورونها واجهة حربية فتحت ضد فرنسا والفرنسيين ، وذلك لكي يقنعوا المواطنين المسلمين انها خطر عليهم اذا هم تعاملوا معها •• لأنها

« أنتي فرنسي » ضد فرنسا ! (13) هذا بعد ما تخطو مثبطات الادارة وتتخلص من مضايقاتها ومعاكساتها المباشرة وغير المباشرة » •

وهناك فراغ عام فى الوطن وبطالة مزمنة للأيدي العاملة : وطن خلو من المعامل والمصانع ، وشعب غمرته منتوجات المصانع الأجنبية المختلفة الألوان والجنسيات ، فتركته ذاهلا زاهدا حتى فيما كان لديه من صناعة تقليدية ، وقليل من راح يقلد المنتوجات الأجنبية بقصد منافستها ، فما بلغ لها شأوا •

على أن رغبة التجديد فى الأمة ومجاراة العصر الحديث بدأت تحفزها فراحت تريد صناعة وطنية آلية تتناسب مع الرقي العصري والتقدم التقني ولكن الادارة الاستعمارية تقف دائما حاجزا منيعا ، والنفور التام العنيد يسيطر على الفرنسيين خوفا من تكوين صناعة جزائرية ومصانع محلية ، ولم يستفق الفرنسيون الا عندما ضربت مصانعهم فى فرنسا ضربة مميتة ، وانقطع حبل الاتصال مع أم وطنهم ، فندموا وصاروا يتمنون أن لو وجدوا فرصة أثناء الحرب لأقاموا جبالا من المصانع فى الجزائر •

ولكن « ما بالطبع لا يتخلف » فما أن انقضت الحرب ورجع السلم حتى نكصوا على الأعقاب فصاروا يعرقلون بدل أن ينشئوا ، ويحاربون بدل أن يشجعوا • وهي لعمري حجة أخرى على قصر نظر المستعمر الفرنسي وجموده الفظيع ! •• ا هـ •

مظاهر من السفالة

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فالفرد الجزائري الذي عاش هذه الفترة الحرجة منذ بدايتها سنة 1939 ، مرورا بحكم فيشي بعد الاحتلال النازي الى نزول الحلفاء بالجزائر ، ان هذا الفرد قد رأى العجب العجاب فى تقلب السياسة الفرنسية وفى تقلب الفرنسيين (الشرفاء) أنفسهم •

---

16 ـ لا أتكلم جزافا هنا بل عن تجربة في شركتنا «الرجاء» التي أسسناها بوادي الزناتي •

فقد جاءت سياسة « فيشي » بشعار : « الأسرة ، العمل ، الوطن »
(Famille - Travail - Patrie) واستسلم الفرنسيون للاحتلال الألماني ، ولكنهم عزموا على ابقاء الجزائر تحت سيطرتهم مهما كانت الظروف ، واندفع المستعمرون فى الجزائر الى تأييد الماريشال « المشير » بيتان ضد « فرنسا المقاومة » ولم ينج منهم الا القليل • وراحوا يطبقون سياستهم فى ظل المحتل الألماني بشره وضغينة ضد الجزائريين المسلمين واليهود ، هؤلاء اليهود الذين كانوا قبل الاحتلال يتمتعون بالجنسية الفرنسية الكاملة ، ويعاملهم الفرنسيون كأخوة لهم « فى الدم والدين » لأنهم كانوا يستعينون بأصواتهم فى الانتخابات ، ولأنهم كانوا يرهبون سطوتهم السياسية والمالية ، فلما جاء الألمان بسياسة ضد اليهود، عمدت حكومة فيشي الى نزع الجنسية الفرنسية التي أعطاها لهم قرار (كريميو) الشهير ، وأصبحوا في صف العرب الأهالي يسومهم الكولون أشد الاهانات • وأظهروا بحماس أنهم من أصدقاء أبناء النازية بكل اخـلاص •

بيد أن هؤلاء الكولون أنفسهم ، وأولهم زعماؤهم وقادتهم أصبحوا بعد نزول الحلفاء يتسابقون ، ويتزاحمون بالمناكب الى الاعراب عن ولائهم للحلفاء ، ويزعمون أنهم كانوا رفعوا لواء المقاومة ضد حكومة فيشي ! •

وبالرغم من أن حكومة المقاومة الديغوليه كانت على علم بحالتهم الخيانية ، فقد تسامحت مع كل السكان الفرنسيين تقريبا ، وأرجعت الجنسية لليهود (17) • وظهر الجميع من جديد على رأس المسؤوليات •

---

17 – يقول سعد الله نقلا عن «نيويورك تايمز» : أن اعادة قرار كريميو لليهود كان بضغط من الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد أمر ديغول نفسه برد الجنسية الفرنسية لهم بتاريخ 21 أكتوبر – تشرين الثاني 1943 ، ويذكر أن وزير الخارجية الأمريكي (كوردبل هول) كتب رسالة الى رئيس لجنة العمل اليهودية في الولايات المتحدة : « أدولف هيد » يعده فيها بعودة قرار كريميو الى يهود الجزائر ...
ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل أن وزير الخارجية هذا قد توقف في طريقه الى موسكو ، بالجزائر وتحدث الى ديغول في الموضوع ... ويلاحظ أن ديغول قد أعاد القرار باسم « لجنة فرنسا الحرة » مؤكدا بأن هذه الخطوة تترك الباب مفتوحا أمام اللجنة لتقرر أيضا ما تراه في شأن مستقبل الأصناف الأخرى •

ثم اتحد الجميع على قهر الجزائريين والتنكيل بهم ، ونصب المكائد لهم واذلالهم ، كلما ارتفع لهم صوت بطلب الكرامة ، على مرأى من الحلفاء الذين كانوا فضلوا عدم التدخل فى شؤون الادارة الفرنسية حتى يتفرغوا — على دعواهم — للعمليات الحربية ، وكانوا يعتقدون أن الذين يتمكنون من فرض الاستقرار فى الوطن هم الفرنسيون لا العرب •

رد وزارة الخارجية الامريكية على تقرير فنصلها بتونس

وقد كتب السيد ب — هـ — ألانغ رئيس قسم الشرق الأدنى وأفريقيا الشمالية فى وزارة الخارجية الأمريكية ردا بتاريخ 14 أفريل 1942 على تقرير أرسله القنصل الأميركي بتونس — دوليتل بتاريخ 7 يناير — كانون الثاني — 1942 يخبر الوزارة بما يلي :

« ان زعماء تونس طلبوا منه أن يبلـغ رغبات الشعب التونسي فى التخلص من الاستعمار الفرنسي واقامة دولة مستقلة ذاتيا تحت الوصاية الانكلوسكسونية • ثم يضيف القنصل :

على ان الحركة التونسية لها ارتباط متين بحركات الجزائر والمغرب ، بالاضافة الى علاقاتها بالدول العربية •

ويقول الرد المذكور أعلاه : « ان وزارة الخارجية لا تؤيد « حدوث ثورة داخل القصر » (*) (يعني ضد فرنسا) وأن أي حركة تؤدي الى جعل السكان العرب يتحولون ضد فرنسا ستعتبرها وزارة الخارجية خطرا من الدرجة الأولى ، وان سياستنا فى شمال افريقيا الفرنسي هي : « كسب ثقة السلطات الفرنسية » •

وهكذا موقف بريطانيا العظمى وروسيا فلم يتدخلا بأدنى كلمة فى صالح الحركة الوطنية الجزائرية ، بل كما قال بعض الكتاب : « فسفير روسيا الاسكندر بوغوملوف ، وماكميلان البريطاني ، ومورفي لم يكونوا يفعلون شيئا الا بأمر ايزنهاور » •

---

* — ربما تكون الكلمة «القطر» ووقع غلط مطبعي فكتب : «القصر» .

ويلخص بعض الكتاب أهداف الحلفاء فى الجزائر ، زيادة عن المحافظة على السيادة الفرنسية ، فى الثالوث التالي :

1) ايجاد ادارة مستقرة ناجحة •

2) اعادة الحياة الاقتصادية المخربة •

3) اعادة قرار كريميو الى اليهود » •

كل هذه المواقف من الحلفاء الجارحة لكرامة الشعب الجزائري هي التي أحدثت غليانا فى الحركات الجزائرية والشعب الجزائري من جهة ، وشجعت الفرنسيين على أن يقفوا من كل تحرك وطني بأقصى ما يمكن من الشدة المقنعة بمظاهر تطمئن الحلفاء بأن شيئا من التفاهم موجود بينهم وبين العرب ، وأن أعمالهم لا تتعدى المحافظة على الاستقرار لكن الشيء الذي كان يضمره الفرنسيون هو شيء آخر ، فمن جهة حقدهم الجبلي يدفعهم على الانتقام من العربي كلما وجدوا فرصة ، ومن جهة أخرى سماعهم باتصال الزعماء الجزائريين بالحلفاء ، قبل النزول وبعده مما زادهم حقدا وهلعا •

لا سيما وقد اعترف الاميركيون أنفسهم بأن اتصالات حصلت مع الزعماء الجزائريين ـ وذكروا منهم فرحات عباس ـ بسفيرهم م ـ مورفي وعبروا له عن تطلعات الشعب الجزائري الى مساعدة الحلفاء على حصول الجزائر على الاستقلال •

لكن بعد ذهاب مورفي الى واشنطون ورجوعه استقبله آخر مرة وأخبره ان اجابة الحكومة الامريكية هي : « ان أمريكا تتعاطف مع « كل رغبات الاستقلال » ولكنها فى الوقت الراهن قد حددت هدفها فى هزيمة النازية ، وترجو أن يبذل اصدقاؤنا كل ما فى وسعهم للانتصار فى هذه الحـرب •

وأمام هذه الاشارات من الامريكيين المشجعة ـ ولو مستقبلا ـ مضافة الى التصاريح الرسمية من الحلفاء فى حق الشعوب فى تقريـر المصيـر والاستقلال والتي أثبتت بصراحة فى الحلف الأطلنطي ، وقف الزعماء الجزائريون مواقف حازمة وعنيدة ، وركزوا اهتماماتهم على المستقبل •

وهكذا يستأنف فرحات عباس نشاطه لانشاء تجمع وطني يجابه القوة الاستعمارية ، وشجعه على ذلك ان الهيئات الأخرى كانت كلها تدعو الى الوحـدة .

هكذا ، وبعد خروج مصالي من السجن استأنف هو الآخر نشاطه بصفة أقلقت المستعمرين ، فذهب يدعو بصراحة الى الحرية والاستقلال التام بالمنشورات والصحافة والكتابة على الجدران ، حتى انه كتب مقالا فى جريدة الأمة هاجم فيه الاستعمار الفرنسي ووعد بأنه سيستمر فى مطالبته بحق الجزائر فى الحرية وسيواصل تنديده بالاستعمار الفرنسي مهمـا كانت الضغوط . يقول : مارتي : وكان ذلك سببا فى اعادته الى السجن بعد ما خرج منه » .

ويقول جوليان : ان كلا من حزب الشعب وجمعية العلماء كانوا ينادون بالاستقلال منذ اندلاع الحرب ولكنهم لم يستطيعوا وضع برنامج واحد ... أما النخبة المتطورة ، بعد ما خابت آمالها فى الاصلاحات بقيت تنتظر الساعة التي تنهزم فيها فرنسا لتستأنف مطالبها حسب الوضع الجديد (18).

وهكذا نجد أن مساعي فرحات عباس أسفرت عن تجمع وطني صرف كانت فيه رجة كبرى للاستعمار وأحدث حياة جديدة فى الشعب ، ذلك لأن هذا التجمع الجديد جمع لأول مرة بين جمعية العلماء وحركة عباس وبين حزب الشعب الجزائري الذي كانت له سمعة وطنية لدى الجماهير الشعبية ، ولكنه كان محاربا بصفة شديدة وممنوعا من العمل الشرعي حتى لجأ الى العمل السري طيلة أعوام الحرب ، فلما وقع الاتحاد مـع الهيئتين السابقتين أصبح يتكلم حرا وبصفة شرعية تحت ظل قوانين التجمع الجديد هو أحباب البيان والحرية .

من المفيد للباحث والدارس ، ومن الحقيقة التاريخية أن تثبت ما يلي : فى هذه الظروف الحرجة التي كشر فيها الاستعمار عن أنيابه ، وأعرب بكل وضوح عن نيته السيئة التي حتمت علي الزعماء الوطنيين أن يضاعفوا

---

18 ـ المصدر السابق ، ص 187 .

نشاطهم وأن يظهروا بصفة فعلية قوتهم الشعبية ، هذه الظروف حركت أعضاء حزب الشعب الممنوع ، وجعلتهم يفكرون ـ بكون حركتهم حركة ثورية ـ فى انشاء « منظمة عسكرية » لتدريب المناضلين المجندين وتحضيرهم للثورة المسلحة التي هي المخرج الوحيد مع الاستعمار الفرنسي .

كانت هذه الفكرة لمصالي ، ولكن الدكتور الأمين دباغين ، الذي كان الشخصية الثانية بعد مصالي ، عارض هذه الفكرة بحجة انها مخاطرة بالمناضلين القلائل وبالحركة من أصلها ، ومن المفيد قبل هذه العملية أن نعمد الى التسرب فى الحركات الأخرى التي تعمل شرعيا وفى وسط الأشخاص الذين ينطوون على عواطف وطنية ، لتتاح لنا الفرصة لجلب أعضاء وكتل من هؤلاء ، والزج بهم معنا فى أعمال استفزازية للمستعمرين ، وذلك بقيام مظاهرات واعتصابات وكل شيء يستفز الحكومة لضرب الجميع ، وعندئذ يعم التذمر والاستياء ويكثر الأنصار . ومن هذه الحالة يمكن تكوين المنظمة العسكرية ، فكانت الغلبة لهذا الرأي .

وتدرج حينئذ الأمر بالحركة الى أن اشتركت فى حركة « أحباب البيان والحرية » ثم سيطرت عليها .

احباب البيان والحرية

كيف نشأ أحباب البيان الحرية ؟ قال فرحات عباس : فى الرابع عشر من شهر مارس 1944 تأسست حركة أحباب البيان والحرية وقد وضعت بنفسي القانون الأساسي لهذا التجمع بادارة عمالة قسنطينة » .

لقد كان الاسم الأول « أحباب البيان الجزائري » الا أن حزب الشعب اشترط لمشاركته فى التجمع ، زيادة كلمة « والحرية » فقبلت فصار عنوان الحركة « أحباب البيان والحرية » بينما امتنع الحزب الشيوعي تماما من المشاركة واقترح شيئا آخر ، بقطع النظر عن بقية الهيئات الأخرى والنواب الذين فضلوا ـ كما تقدم ـ السكوت والرضوخ للأمر الواقع .

وعلى هذه النظرة فقد كان تجمع أحباب البيان والحرية قويا وضعيفا منذ اللحظة الأولى ، لأن القوات السياسية التي كانت اجتمعت حول اصدار « بيان الشعب الجزائري الذي صودق عليه يوم 10 فبراير 1943 ، كانت اتفقت على بعض المبادىء التي أظهرتها فى عين الشعب والحكومة الاستعمارية أقوى تكتل ، وهذه هي الناحية القوية فيه ، بينما أن هذه القوات السياسية لم تكن فى الواقع متفقة على سياسة واحدة ، فقد ظلت كل حركة محتفظة بسياستها الخاصة ، وهذه هي الناحية الضعيفة فيه .

ففرحات عباس يصرح أثناء هذه الفترة بأن شعاره : «حرروا ووحدوا » (Liberer et unir) « وليكن العمل فى ظل الشرعية الفرنسية الديمقراطية » . بينما بقي ابن جلول مع سياسة الاندماج القديمة ويرى فيها مسلكا تكتيكيا لكفاح الشعوب الضعيفة . على أن جمعية العلماء التزمت السكوت محتفظة بمطالبها الدينية والتعليمية ، وان كانت ميالة لفكرة عباس . فى الوقت الذي يبقى حزب الشعب الجزائري ممضيا فى سياسته الاستقلالية معتقدا أن الحقوق تؤخذ ولا تعطى . و لايشارك فى هذه التجمعات الا بتحفظ وشروط .

أما الحزب الشيوعي فقد رأى فى فكرة « أحباب البيان والحرية » تسرعا ودعا الى تأسيس هيئة أخرى أكثر اعتدالا .

وهكذا نعرف شيئا بينا عن الوضعية حينما نرافق الأستاذ فرحات عباس أثناء عمله من أجل تحقيق حركة « أحباب البيان والحرية » اذ يقول :

لقد ظللت ملتزما بالمذهب الجديد وبقوانينه التي حددت ، ولكن بقي علي أن أتصل بمختلف المنظمات لاقناعها ، ولقد أثمرت محادثاتي حينا مع جمعية العلماء ورئيس حزب الشعب مصالي الحاج .

الشيوعيون يرفضون المشاركة ويفضلون سياسة الالحاق

لكن الشيوعيين رفضوا رفضا باتا وانتقدوني بأني سرت متسرعا واقترحوا انهم يفضلون تأسيس « بيان أحباب الديمقراطية وأنهم يؤيدون سياسة الالحاق بفرنسا ، ولم يقدموا فى بيانهم ، فى الحقيقة الا مطالب اجتماعية (1) .

فأما مصالي الذي ريثما حرر من السجن بعد سعي من النواب الذين اشتركوا فى المصادقة على البيان الجزائري 1943 بتحرير جميع المساجين والمعتقلين السياسيين ، ولكنه وضع تحت الاقامة الجبرية بقصر البخاري ثم بشلاله ، فقد ذهبت اليه مرتين حتى اقتنع ولكنه قال لي :

رئيس حزب الشعب لا يعتقد النجاح ولا يعطي ضمانا لعباس

« اذا كنت وافقتك على عملك وأعطيتك الثقة فانني لا أعطيك ضماني التام ، فهناك شيء آخر يجب عمله (2) لأنك وقد ارتجيت الثقة من فرنسا لتوافقك على تحقيق جمهورية جزائرية ضمن الوحدة الفرنسية فأنا ليست لي أي ثقة فى فرنسا ، فهي لا تعطبك شيئا . لأنها لا ترضخ الا للقوة ، ولا تسمع الا فيما يقتلع من يدها اقتلاعا » .

ويضيف فرحات : أما أنا فقد كنت فى الواقع مقتنعا بأن « فرنسا المقاومة » وأن الفرنسيين الذين ذاقوا مرارة الاحتلال الهتليري مدة أربع سنوات طوال لن يتجاهلوا رغباتنا الحقة ، ان هذا الاحتلال ،

---

1 ـ انظر الحركة الوطنية لكلود وجان ، ص 188–191 .

2 ـ لا شك أن مصالي كان يرمز الى العمل السري لتحضير الثورة المسلحة .

فى تفكيري ، قد هيأ فرنسا لتعتنق تفكيرا جديدا ، فاعتقدت أنه لا يمكن لها بعد ذلك أن تنكر حقنا فى الحياة الكريمة الحرة • وان كنت لا أجهل من ناحية أخرى ما يجب علينا من مقاومة وتضحيات لاقناعها ، وهذا ما يجب تهيئة الجماهير له سياسيا » •

ومن أجل هذا الكفاح السلبي لاقناع المستعمرين سماها فرحات عباس : « الثورة القانونية » فهو يقول : ان الأمر ظهر لي جد ممكنا ، فغلاة الاستعمار فى الجزائر قد كانوا تعاونوا مع الاحتلال الهتليري وأحنوا رؤوسهم له وعملوا ضد اخوانهم المقاومين ، واليوم قد أصبح رجال هذه المقاومة على رأس الحكم فى جميع الميادين ، فى حين أصبح التعاون والحرية الهادئة قائمة بين مستعمرات عتيقة وعواصمها على قدم المساواة ، فلماذا لا تكون هذه « الثورة » بواسطة القانون صالحة أيضا بالنسبة الى الجزائر وتونس والمغرب ؟ •

ثم يقول : فهذه الفكرة التي كانت حملتني على شرحها بعد تحريري من منفى الجنوب الوهراني ـ على اللجنة المختلطة الدراسية التي اجتمعت بالولاية العامة للقطر الجزائري ، وهي الفكرة التي بقيت أشرحها للشعب فى جريدة « المساواة » (3) •

يقول صلاح العقاد (4) ظهر فرحات عباس فى مقدمة الحركة الوطنية فى السنوات الباقية من الحرب من سنة 1942 الى 1945 ، ربما لوجود مصالي الحاج فى المنفى فى تلك الأثناء » •

« ومن جهة أخرى كان قد بدأ مرحلة جديدة من مراحل تطوره السياسي التي انتهت الى « جبهة التحرير » فقد رأينا كيف أنه بدأ بالدعوة الى الادماج ، وقد يئس منها بعد موقف الجبهة الشعبية الفرنسية، ثم ازداد يأسا بعد أن شعر بالتفرقة فى المعاملة بين الجزائريين وأقرانهم

---

3 ـ ليل الاستعمار ، ص 151–152 •

4 ـ المغرب العربي ، ص 329 •

الفرنسيين بالجيش ، وكان هو نفسه يعمل بالقسم الطبي أثناء فترة القتال 1939 – 1940 (أي عندما تطوع فى الجيش الفرنسي) •

وهكذا يرجع عباس الى الحقيقة ويؤدي به يأسه وحنقه حتى الى التفاهم مع حزب الشعب الذي كان عدوه اللدود ، وان لم يتخلص نهائيا من نظريته الاصلاحية • »

أما فيليب تريبي في كتابه « تشريحية الحرب الجزائرية » « ••• وبدفع من أحبابه – يقصد فرحات عباس – وبتشجيع من الحلفاء ، خاصة الأمريكيين ، فانه اتصل بمصالي وبمسيري جمعية العلماء وأراد أن يضمهم تحت نشاطه ، غير أن المصاليين رأوها فرصة لجر عباس فى فلكهم • ولم تمض سنة حتى أعلن المصاليون فى مؤتمر أحباب البيان والحرية مارس 1945 رفض فكرة عباس : « جمهورية جزائرية ضمن اتحاد فرنسي ، وأيدوا فكرتهم وهي « السيادة التامة » (*) •

ومهما يكن من اختلاف بين الهيئات الجزائرية فى الوسائل المؤدية الى الهدف ، فقد أمكن للهيئات الثلاث : جمعية العلماء ، جماعة البيان ، حزب الشعب ، أن يجمعوا أمرهم فى منظمة « أحباب البيان والحرية » وأن يحرروا لها قانونا أساسيا يحمل أفكارا تحوز رضى الجميع • وفيما يلي مواد هذا القانون : (5)

القانون الأساسي لأحباب البيان والحرية

الفصل الأول :

أنشيء بالقطر الجزائري تجمع كلف بالتعريف وبالدفاع أمام الرأي العام الجزائري والفرنسي ، عن « بيان الشعب الجزائري » الذي كان

---

* – ف – تريبي ص •

5 – عرضت مواد القانون للمصادقة من الأعضاء في اجتماع بتاريخ 14 مارس 1944 ، وقدمت لدار ولاية (عمالة قسنطينة) يوم 4 أفريل 1944 بواسطة فرحات عباس . أما 10 فبراير 1943 فهو الاتفاق المبدئي بين الحركات القومية .

قدم للجهات الوطنية بتاريخ 10 فبراير (شباط) 1943 ، ومن أجل المطالبة بحرية التعبير والكلمة لكل الجزائريين ، هذا التجمع سمي « أحباب البيان الجزائري » .

الفصل الثاني :

ان هذا التجمع يحارب بواسطة الكلام وبواسطة الكتابة التصور الاستعماري ، والتعديات ، وهجومات القوات الامبريالية فى أفريقيا وفى آسيا ، ويحارب استعمال القوة ضد الشعوب الضعيفة . وهدفه أيضا المساهمة فى تكوين عالم جديد يحترم فيه الشخص الانساني فى مختلف أنحاء العالم . وللاسراع باحداث وتكوين انسانية جديدة حيث يستوي فيها كل الشعوب من جميع الأجناس فى الحرية والاتحاد الأخوي لبناء عالم مستقر هادىء ... » (6)

الفصل الثالث :

وفيما يخص الجزائر فان التجمع كلف برسالة مستعجلة وهي : الدفاع عن « البيان الجزائري » الذي هو يعبر بحرية وبصدق عن نشر الأفكار الجديدة فى الحكم النهائي على شدة النظام الاستعماري وعلى عقيدته العنصرية وعلى ظلمه .

الفصل الرابع :

ان وسائل هذا التجمع للعمل هي :

1) مساعدة جميع ضحايا القوانين الاستثنائية والقهر الاستعماري .

2) ابتهال جميع الفرص لافهام واقناع وخلق رأي عام لصالح « البيان »

3) اثبات عقيدة « أمة جزائرية » وارادة انشاء « جمهورية جزائرية » فى القطر الجزائري ، بنظام فيدرالية ، فى جمهورية فرنسية جديدة ، ضد الاستعمار وضد الامبريالية .

---

6 – مؤتمر جمعية حقوق الانسان 1931 .

4) اقامة اجتماعات ومحاضرات فى كل الأوساط وخاصة فى الأوساط الفرنسية .

5) فضح التعسفات والمناورات التي تتعاطاها القوات الرجعية والاقطاعيون المسلمون والفرنسيون ، وكل الذين لهم مصالح فى الابقاء على النظام الاستعماري .

6) محو كل الشعارات التي فرضها علينا الاستعمار بواسطة سياسة عنصرية أو طائفية أو امتيازية بعناوين : « أهلي » « رعية فرنسية » « أصلي » « مغلوب » « محكوم » « فرنسي مسلم » الخ ...

7) محاربة ذوي الامتياز من الطبقات المسيرة ، والتبشير بمساواة الفرد البشري ، وبحق الشعب الجزائري فى الحياة الأفضل والحياة الوطنية ، والتذكير بماضيه الحضاري وبمساهمته التاريخية فى غناء الفكر الانساني . (7)

8) بذل كل التضحيات الواجبة من أجل تحرير فرنسا والشعوب الأروبية ، وفى سبيل قضية الديمقراطية ، والكفاح بكل الوسائل ضد « مركب الجنس الوطيء » الذي أحدثه الاحتلال العسكري منذ سنة 1830 ، وعمل الحكم الاستعماري ونظام « الجزمة الحديدية » (Talon de fer) على تقويته وخلوده .

9) خلق معنى روح المساواة والتضامن ورغبة المعاشرة فى جميع سكان الجزائر ، سواء كانوا يهودا أو مسيحيين أو مسلمين . هذا المعنى الذي لخصه (رينان) ودعاه : « العنصر البناء للأمة » .

---

7 ـ ملاحظة دقيقة : ان هذا البند السابع من الفصل الرابع يرشدنا الى طبيعة تركيب « أحباب البيان والحرية » وذلك من خلال النقاط الثلاث التي يبشر بها :

1 ـ « التبشير الفردي بمساواة الفرد البشري » .

2 ـ « التبشير بحق الشعب الجزائري في الحياة الأفضل والحياة الوطنية » .

3 ـ التذكير بماضي الشعب الجزائري الحضاري ومساهمته التاريخية في غناء الفكر الانساني . فالنقطة الأولى لسياسة البيان ، والثانية لحزب الشعب ، والثالثة لجمعية العلماء ، وبذا اجتمعت الحركات الثلاث في الوسائل العامة المتفق عليها .

4) اقامة اجتماعات ومحاضرات فى كل الأوساط وخاصة فى الأوساط الفرنسية .

5) فضح التعسفات والمناورات التي تتعاطاها القوات الرجعية والاقطاعيون المسلمون والفرنسيون ، وكل الذين لهم مصالح فى الابقاء على النظام الاستعماري .

6) محو كل الشعارات التي فرضها علينا الاستعمار بواسطة سياسة عنصرية أو طائفية أو امتيازية بعناوين : « أهلي » « رعية فرنسية » « أصلي » « مغلوب » « محكوم » « فرنسي مسلم » الخ ...

7) محاربة ذوي الامتياز من الطبقات المسيرة ، والتبشير بمساواة الفرد البشري ، وبحق الشعب الجزائري فى الحياة الأفضل والحياة الوطنية ، والتذكير بماضيه الحضاري وبمساهمته التاريخية فى غناء الفكر الانساني . (7)

8) بذل كل التضحيات الواجبة من أجل تحرير فرنسا والشعوب الأروبية ، وفى سبيل قضية الديمقراطية ، والكفاح بكل الوسائل ضد « مركب الجنس الوطيء » الذي أحدثه الاحتلال العسكري منذ سنة 1830 ، وعمل الحكم الاستعماري ونظام « الجزمة الحديدية » (Talon de fer) على تقويته وخلوده .

9) خلق معنى روح المساواة والتضامن ورغبة المعاشرة فى جميع سكان الجزائر ، سواء كانوا يهودا أو مسيحيين أو مسلمين . هذا المعنى الذي لخصه (رينان) ودعاه : « العنصر البناء للأمة » .

---

7 ـ ملاحظة دقيقة : ان هذا البند السابع من الفصل الرابع يرشدنا الى طبيعة تركيب « أحباب البيان والحرية » وذلك من خلال النقاط الثلاث التي يبشر بها :

1 ـ « التبشير الفردي بمساواة الفرد البشري » .

2 ـ « التبشير بحق الشعب الجزائري في الحياة الأفضل والحياة الوطنية » .

3 ـ التذكير بماضي الشعب الجزائري الحضاري ومساهمته التاريخية في غناء الفكر الانساني . فالنقطة الأولى لسياسة البيان ، والثانية لحزب الشعب ، والثالثة لجمعية العلماء ، وبذا اجتمعت الحركات الثلاث في الوسائل العامة المتفق عليها .

الفصل الخامس ـ التنظيم الداخلي :

ان التجمع تسيره لجان محلية مرتبطة بلجان عمالية « ولائية » وبلجنة مركزية محل اقامتها بمدينة الجزائر • ا هـ

سطيف يوم 14 مارس 1944

ح ـ و ـ ج كلود كولو ص 186 ـ 187

نقلا عن جريدة الجمهورية الجزائرية فيفري

المؤتمر العمالي « الولائي » لأحباب البيان والحرية :

هكذا ، ومراعاة للظروف المستعجلة ، والتسابق الذي كان بين الادارة والحركة الوطنية ، فان الحركة بدأت أعمالها بدون تأخير ، فما ان حصلت على وفاق الادارة القانوني حتى أقامت أول مؤتمر لها جهوي ، ففي يوم 22 ماي (أيار) 1944 انعقد المؤتمر العمالي « الولائـــي » بمدينـــة قسنطينة ، وبعد مداولات نشيطة حول قرار السابع مارس 1944 والحقوق الاجتماعية التي تفضل بها الجنرال ديغول ـ والتي لم ينفذ منها بعد الا القليل ـ حررت لائحة وأرسلت للدوائر المختصة •

لائحة المؤتمر الولائي لأحباب البيان والحرية ملخصة :

« المؤتمر العمالي » « الولائي » لأحباب البيان والحرية الذي انعقد فى 22 ماي 1944 بمدينة قسنطينة ، يحـــي الاصلاحـــات الاقتصاديـــة والاجتماعية التي أعلنتها اللجنة الفرنسية للتحرير الوطنـــي ، ويشكـــر الجنرال ديغول الذي أكد بالفعل لا بالقول فحسب ، الأخوة والتضامن الفرنسي الجزائري •

ان المؤتمر يعتبر هذه الاصلاحات خطوة أولى نحو تطبيق القوانين الاجتماعية فى الجزائر ، ورغبة منه فى تحسين حالة السكان المسلمين فهو يطلب بالحاح من الجنرال ديغول أن يحقق هذه الاصلاحات بأسرع ما يمكـــن •

والمؤتمر يعتقد ان نظام فيشي قد ضرب حرية الرأي وحرية الضمير ضربات قاسية ، وانحط بالحريات الهزيلة التي كانت للمسلمين الجزائريين أثناء نظام الجمهورية الثالثة الى درجة الصفر ، ولذا فهو يطالب :

1) بتحرير المساجين ، وفى مقدمتهم الحاج مصالي الذي سجنه نظام فيشي وتحت رقابة الفاشية الألمانية والايطالية •

2) بارجاع حق التنقل والوعظ والارشاد للشيخ الابراهيمي رئيس جمعية العلماء ، وذلك بايقاف حملات الشرطة التي وقفت أمام نشاطه الديني وحدت من حرية ضميره وعمله لنشر الدين الاسلامي •

والمؤتمر الذي يتأثر أعضاؤه بالمباديء الجمهورية لعام 1789 يقدمون تشكراتهم للفرنسيين الذين هم جديرون بهذا الاسم ، والذين هم لا يتنكرون للرسالة الفرنسية لمجرد بعض الفوائد الخاصة ، أولئك هم الذين ساندوا المسلمين فى الساعات الحرجة ، وخاصة الشيوعيين وبعض الاشتراكيين الذين بفضل مساندتهم تحصلوا على هذه الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية •••

وفى الميدان السياسي :

فان المؤتمر بكل صراحة ، يعلن أن سياسة الاندماج التي أعلنها قرار السابع مارس ـ آذار ـ 1944 هي تماما ضد رغبات الجزائريين وتطلعاتهم • وعليه فرجاؤنا من الجنرال ديغول أن لا يقدم على أي حل للقضية حتى يقوم باستفتاء واسع ضمن المجموعة المعنية •

ورجاء خلق جو صالح لحلول مقبولة فى المستقبل ولربح القلوب واطمئنانها يطلب المؤتمر :

1) حرية الرأي •

2) حرية الصحافة باللسانين •

3) حرية الديانة الاسلامية وحرية التعليم باللغة العربية •

والمؤتمر يعاهد الجنرال ديغول والحكومة المؤقتة الفرنسية على تعاونه فى ميدان تحرير فرنسا وانتصار الحلفاء (8) •

---

8 - ح-و-ج كلود ، ص 187-188 .

وحركة احباب الديمقراطية الشيوعية

هكذا ، وكما أثبتنا فيما مضى أن الشيوعيين لم يشاركوا فى أحباب البيان والحرية ، وأنشأوا حركة منفصلة باسم : « بيان أحباب الديمقراطية» نثبت من هذا البيان مقدمته فيما يلي ، للتنظير من جهة ، ولمعرفة حقيقة كل حركة من تصريحاتها الخاصة :

« لابتناء فرنسا ديمقراطية ، فى ظل الحرية المستردة ، فان مواطنينا سيردون لوطننا اشعاعه برغم أنف « مائة سيد »
الذين لازالوا يشوهون محيا وطننا فى افريقيا الشمالية ، فالمسلمون يباركون ويحيون فرنسا الجديدة » •

ثم يذهب البيان فى وصف الحالة الاقتصادية السيئة التي يعانيها الشعب الجزائري وينسبها « للمائة سينيور » ويقول هم الأعداء الحقيقيون وهم المسؤولون عن الوضع وهم الذين خانوا فرنسا لفائدة هيتلر • وذلك ما يدفعهم (المائة سينيور) لأن يبعدوا المسلمين من المشاركة فى الحرب ، هذه الحرب التي هي لفائدة الديمقراطية وضد الفاشية • ومن أجل ذلك كان المسلمون كلهم فى العالم فى وصف واحد مع الحلفاء ، سواء مسلمو شمال افريقية فى ايطاليا وفرنسا ، أو مسلمو الاتحاد السوفياتي فى الجيش الأحمر ، ومسلمو (البوسنه) فى الجيش اليوغسلافي مع تيتو •••

ثم ينادون ــ الشيوعيون ــ الشعب الجزائري فيقولون : ان الشعب الفرنسي يكافح ضد أعدائك (التروست) والاقطاعيين الذين جعلوك فى حالة بؤس ••• ان فائدتك المثلى فى اعانة فرنسا الجديدة والمساهمة فى خلقها وابتداعها لأن هذه فى طريق خلاصك • ثم يضيف : ومن أجل هذا أيها الأخ المسلم يجب :

أ) أن تحارب بكل اقتناع مثل اخوانك في جبهتي ايطاليا وفرنسا •
ب) أن تعمل أكثر على الانتاج بقصد مساعدة محاربينا وسكاننا الجزائريين لتحسين حالة التموين التى أنت ضحية لها •

جـ) أن تتقارب مع العمال الأروبيين الذين يريدون مساعدتك لتحسين مستقبلك •

د) شارك بحرارة فى كل شيء يمكن أن يساعد الشعب الفرنسي فى كفاحه ضد أعدائك .

ثم يذكر البيان مطالب الشعب الجزائري الفورية ويقول : « هذه هي المطالب التي سيؤيدها صديقك الحقيقي الشعب الفرنسي ، ويلخص هذه المطالب فى :

1) التموين الطبيعي أي الذي هو 300 قرام خبز فى اليوم أو 10 كيلو قمح فى الشهر للفرد

2) تطبيق الأجرة الأقل التي حددتها الولاية العامة بعشر فرنكات (10) فى الساعة : 80 فرنكا فى اليوم . (حوالي 25 دينارا) اليوم .

3) تطبيق القوانين الاجتماعية (المنحة العائلية ، الضمان الاجتماعي ، منح المعطوبين ...) .

4) المساواة فى الجندية فيما يتعلق بالاداءات حسب معدل الأسرة مع الحصول على العلاوة التي يتمتع بها الأروبيون .

5) اغاثة الفلاحين والخماسة .

6) التوزيع العادل للمواد اللازمة للصناع وصغار التجار والمساواة فيها مع الأروبيين .

7) حذف الأحواز الممتزجة .

8) اعادة فتح المدارس الموجودة واحداث مدارس حيث لا توجد مدارس . وذلك بقصد تعليم الأطفال اللغتين الفرنسية والعربية فى انتظار حل عام لقضية مليون طفل دون مدرسة .

9) اعتبار اللغة العربية رسمية بجانب الفرنسية .

ويختم البيان : هذا ما جعلنا نرسل بهذا النداء للدعوة الى اتحاد جميع الجزائريين بغير تفريق فى الاتجاهات السياسية أو الفلسفية ، كما ندعوك

أيها الأخ لتأسيس فروع « لأحباب الديمقراطية » فى كل مكان من أجل تحقيق البرنامج السابق • (9)

وقد ذيل البيان بخمسة وعشرين (25) توقيعا •

ح ـ و ـ ج كلود ص 188 ـ 191 جريدة الحرية 14 سبتمبر 1944•

ولئن كانت الحركة الشيوعية لم تجد تجاوبا لدى الشعب الجزائري الذي كان يطمح لما أكثر من هذه المطالب الهزيلة ، فان حركة « أحباب البيان والحرية » كانت ـ كما قال كلود دوجان : ـ « واذا كانت هذه الحركة فى الظاهر قد أسست باتفاق مع حزب الشعب ، وعرفت بسرعة نجاحا شعبيا واسعا ، فهي لم تجمع ـ اذ ذاك ـ كل الحركات الجزائرية ، فالحزب الشيوعي الجزائري ـ الذي انعزل بكل حزم ـ قد أسس حركة مضادة وهي : « أحباب الديمقراطية » ، وان كان نجاحها ضعيفا • »

وبالفعل فان حركة أحباب البيان والحرية بفضل برنامجها المغري ونشاطها السريع لنشر الدعاية وتكوين الفروع فى جميع أرجاء الوطن قد أعطاها نجاحا مزدوجا وعظيما •

فمن الناحية الشعبية قد وقع اندفاع هائل لم يعرف له مثيل فى تاريخ الحركات السياسية فى الجزائر ، بحيث اتخذت شكل دعوة اسلامية مقدسة ، حتى صار الرجل الفقير الذي لا يجد ثمن اشتراكه فى الحركة يحزن حزنا عميقا ويعتبر نفسه « أنه تخلف عن الجهاد فى سبيل الله » أو أنه ليس من الجماعة الاسلامية • وقد قصدني شخصيا كثير من المعارف الفقراء ليطلبوا مني قرض مبلغ الاشتراك حتى يحصلوا على شرف الجهاد أو الانضمام الى الجماعة الاسلامية •

---

9 ـ في تقرير للسيد عمار ورقان الذي قدمه لاجتماع الحزب الشيوعي يوم 23 سبتمبر 1944 أي بعد البيان السابق ، يقول : ••• ان مدعي الوطنية الموعز اليهم من الامبريالية الأجنبية يؤيدون دعوة الانفصال عن فرنسا التي يريدها المائة سيد ح ـ و ـ ج كلود كولو ، ص 185 .

وهكذا تتفاقم هذه الدعوة حتى تغمر جميع أنحاء الوطن ويبلغ أعضاؤها أكثر من نصف مليون مشتركا . يقول فرحات عباس : « لقد كان النجاح المعروف لهذا التجمع الذي بلغ مشتركوه أكثر من خمسمائة لألف وهو العدد الذي وصل الى مركز الحركة بشارع « الكاردينال لافيجري » رقم 6 بمدينة الجزائر .

واذا نظرنا الى احتراز عباس بالعدد الواصل الى مركز الحركة فمن المعقول أن يقدر عدد المشتركين بضعف ما ذكره ، لأن ما لم يصل الى المركز بمفعول أسباب كثيرة لاشك يكون كثيرا .

ففي بلدية وادي الزناتي وحدها التي لا يزيد سكانها عن الخمسة عشر ألفا اذ ذاك ، كاد يبلغ المشتركون فيها ثلث عدد السكان .

هذا من الناحية الشعبية ، وهو النجاح الأول . أما النجاح الثاني فسيظهر لنا فى ناحية الحكومة والسكان الأروبيين ، فقد أدخلت عليهم الهلع وزرعت فيهم رعبا عظيما . بالرغم من أن القائمين على الحركة كانوا يوجهون اليهم الدعوات خصيصا ويفهمونهم بمقاصد الحركة السلمية والتي تريد تكوين حكومة جزائرية بدون تفريق فى الجنسية والدين ، وان السكان الأروبيين سيعتبرون من أبناء الوطن لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات .

واليك حادثتين وقعتا بحضوري تدلان على مدى الهلع والخوف اللذين أحاطا برجال الادارة والسكان الأروبيين على السواء :

الحادثة الأولى :

كنا أقمنا اجتماعا عموميا بقرية « برج صباظ » قرب مدينة وادي الزناتي واستدعينا جميع السكان حتى الكولون الاروبيين ، وأثناء القاء كلمة أحد المناضلين كان معلما بمدرسة التهذيب بوادي الزناتي ، استدل على وحدة المسلمين بقوله تعالى : « محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم : الآية . فما لبثنا الا والفرنسيون بدأوا يتسللون واحدا بعد واحد حتى لم يبق واحد منهم . فلما شعرنا ، بالأمر وسألنا

قيل لنا : انهم خافوا لما تكلم الخطيب بقوله : « أشداء على الكفار » فهموا انه يأمر المسلمين بالقضاء عليهم ، وكانت (شد) بالدارجة فى الناحية يفهم منها البطش • خصوصا وان هؤلاء الكولون لا يفهمون من اللغة العربية (الا الدارجة) •

الحادثة الثانية :

كنا دعونا الى اجتماع عام بقرية (قونو) من دائرة (قالمة) وقد ذهب الى هذه القرية وفد يتقدمنا باكرا لتهيئة الاجتماع وطلب الرخصة من رئيس البلدية ، فلم يسمح هذا بالاجتماع داخل القرية بدعوى أن اليوم يوم تجمع للسوق ، وان سكان الناحية غلاظ الطبع ومتعددو القبائل المتنافرة ، وهو ليس لديه من قوة كافية لحفظ الأمن ، ولذا فهو لا يعترض على الاجتماع ولكن فى مكان متراوح عن القرية وفى وقت متأخر عن تجمع السكان •

هكذا أبلغنا الوفد الذي وجدناه ينتظرنا قرب المكان المعين • لقد كان وفدنا الكبير عليه مسحة من نظام ونشاط ، ويتمتع بمظهر يتسم بالحزم والاحترام ، فلما وقفنا أمام مقر رئيس البلدية الأروبي طبعا خرجت لنا ابنته فها لها المظهر واعتقدت أن أباها ارتكب خطأ فقابلتنا بلطف واحترام ثم ذهبت الى أبيها ،حيث سمعنا حوارا طويلا وحارا بينهما تغلبت بعده البنت على اقناع أبيها ، فخرج الينا ليستقبلنا بكل احترام وتقدير معتذرا عن موقفه الأول ومدعيا أنه كان لا يعتقد ان المسؤولين على الاجتماع من نوعيتنا التى تدل على تعقل وانضباط ونظام • وقال انني أسمح لكم بكل اطمئنان ولكن فقط أرجو أن تخبروا رجال الدرك قبل اقامة الاجتماع ، واني أعتمد عليكم فى المحافظة على التوازن حتى لا تتطور الأمور •••

والحوادث التي رأيناها أثناء تلك الفترة من سنة 1944 والشهور الأولى من سنة 1945 م كانت مفعمة بمثل هذه المظاهر • ذلك على ما يظهر لي ، ان الفرنسيين كانوا قد انكسرت حدتهم بالاحتلال ثم أخذوا بعد نزول الحلفاء الذي تقدمته دعاية واسعة بتحرير الشعوب وحق تقرير مصيرها ، فأصبحوا فى ارتباك وانتظار ما تنجلي عنه الأحداث التي ما عرفوها فى تاريخهم الطويل •

فترة الأمل الحائر :

والواقع ان هذه الفترة يمكن أن نسميها « فترة الأمل الحائر » أو « الغموض المربك » بالنسبة للمستعمرين والمسلمين على السواء ، كيف ؟

لنرجع قليلا الى فترة الحلفاء بالجزائر لنتعرف على تلك الازدواجية فى المواقف المتضاربة ، والتي أعطت لكلا الكتلتين من السكان أملا فى المستقبل . فبينما نرى ممثل أمريكا ـ قبل نزول الحلفاء بقليل ـ يبلغ بعض الجزائريين بأنه يريد تأسيس حكومة جزائرية ، كما نقل ذلك القاضي شنظرلي فقال : أنه مكلف من طرف القيادة الامريكية بأن أعلمكم بالأمر على أن يبقى سرا بيننا .

« ان الأمريكيين يرغبون أن يشكل الجزائريون فيما بينهم حكومة مؤقتة تهتم بأمورهم خاصة » (10) بينما نرى أمريكا وبريطانيا تعقدان اتفاقية مع ديغول يطلقون يده فى التصرف بأفريقيا الشمالية ، وخاصة الجزائر ، وتكتب وزارة الخارجية الأمريكية الى قنصلها بتونس :

« ان وزارة الخارجية لا تؤيد حدوث » ثورة داخل القصر « وأن أي حركة تؤدي الى جعل السكان العرب يتحولون ضد فرنسا ستعتبر خطرا من الدرجة الأولى . وان سياستنا فى شمال افريقيا (الفرنسي) هي : كسب ثقة السلطات الفرنسية » .

وتذهب الكتلتان ، كل منهما فى اتجاهه الخاص يعمل بتحفظ وينتظر الحوادث كيف تتطور ، فالعرب المسلمون ذهبوا فى « أحباب البيان والحرية » وغيرها (11) يعملون لصالح القضية الوطنية ويلحون على

---

10 ـ راجع الحكاية كاملة بصفحة 111 ج 2 .

11 ـ أقول وغيرها ، لأنه كما تقدم لنا آنفا أن كل حركة بقيت حرة تعمل في نطاقها ما تراه يتفق وبرنامجها الخاص ، ولذا نجد حركة حزب الشعب المنحل بقيت في نشاطاتها السرية تعمل بالمناشير والكتابة على الجدران وفي النشريات السرية وغيرها ، ومن ذلك الملخص الآتي من منشور صدر في شهر فبراير ـ شباط ـ 9145 وعلق بمختلف جدران المدن الجزائرية ، ومنه :
أيها المسلمون ! ان حياة بلادكم في خطر ! فالاستعمار قد خربها ماديا ومعنويا . ان الشعب الجزائري لم يتمتع بهذه الحضارة أبدا وذلك بسبب وجود المستعمر الفرنسي ، فلغتنا العربية مضطهدة والاسلام أصبح محل سخرية ، ذلك لأن أمتنا لايضمن لهاالاحترام الا في ظل (كيان جزائري) حكومةجزائرية تقوم على سيادةالشعب(=)

والفرنسيون هم أيضا يعلنون الاستقلال فى نوع من الاعتدال والتخوف ، نوعا من الاعتدال الخادع ولكنهم يبيتون المكيدة عندما يرون الفرصة سانحة لهم .

المؤتمر العظيم لاحباب البيان والحرية

وهكذا يعقد المسلمون مؤتمرهم العظيم التاريخي : « مؤتمر أحباب البيان والحرية » .

انعقد فى هذا الجو الساخن ، الغامض مؤتمر « أحباب البيان والحرية » بالجزائر العاصمة أيام الثاني والثالث والرابع مارس — آذار 1945 — في النادي الذي سمي بنادي « الحكيم سعدان » بعد موته ، بساحة (ابن باديس الآن) وتمثلت فيه الهيئات الثلاث : جمعية العلماء ، حزب الشعب ، النواب البيانيون بزعامة عباس (*) .

وقد ساد المؤتمر جو من التفاهم والأخوة والاتحاد ، وظهر تفاؤل كبير وتباشير تدل على نسيان الماضي ، وعلى تقارب الأفراد والفئات واتحادها — ولو سريا — على مبدأ الاستقلال التام .

وصف مختصر لجلسات المؤتمر

وجدت وصفا مختصرا فى الوثيقة الآتي نصها بخط يد صديقنا وزميلنا الشيخ محمد بن أحمد الغسيري ، كتبها أثناء حضور جلسات المؤتمر .

(=) الجزائري ، وترفض أية سيادة أجنبية ، ومن أجل هذا الهدف مات اخوانكم فى الزنزانات وبعضهم يعاني في السجون والمحتشدات ، ومنهم من لا زال يناضل بحماس في اطار الشرعية أو في الخفاء » .

وبعد أن يستنكر المنشور قرار السابع مارس الذي يجعل المسلم الجزائري فرنسيـ يقول : ... ان الوسيلة الوحيدة لافشال هذه المناورة الفرنسية هي مقاطعة التصويت في هيئة الانتخاب الفرنسية (المجمع الأول) **(1er Collège)** ان رد بطاقات الانتخاب على وجوه الفرنسيين سيكون الدليل القاطع أمام العالم على أن الشعب الجزائري يريد أن يعيش مستقلا .

وبعد أن يحمل المخاطبين مسؤوليتهم أمام الضحايا والمعذبين والمكافحين يقول : .. والا فسترتكبون جريمة نحو شعبكم ونحو الله الذي سيعاقبكم عاجلا أو آجلا . ان عدل الشعب وعدل الله لا يظلمان ولا يرحمان » .

* — واستكمل المؤتمر جلساته « بنادي المولودية » الذى كان ينتسب لحركة الانتصار .

وقد حجزتها الشرطة الاستعمارية أثناء حوادث 8 ماي 1945 وهي توجد الآن بمركز الوثائق الجهوي بقسنطينة ، وهذا نصها :

« الاجتماع الثاني لأحباب البيان والحرية المنعقد بعاصمة الجزائر بدار جريدة المساواة ونادي المولودية ، يوم الجمعة 2 مارس 1945 تحت رئاسة الدكتور سعدان .

1) « جلسة الصباح : افتتح الجلسة الدكتور سعدان (بكلمة الترحيب ثم قدم) الشيخ البشير الابراهيمي حيث ألقى درسا ارشاديا (هز به المشاعر) ثم خطب كاتب الحزب السيد فرحات عباس خطابا اجتماعيا وأعقبه المحامي قدور ساطور بكلمات اخبارية » .

2) « جلسة المساء : على الساعة الثالثة افتتح الدكتور سعدان الجلسة ، ثم أعطى الكلمة للسيد فرحات عباس ـ حيث أعطى بسطة فى بيان حالة الحركة باللغة الفرنسية ثم ترجمها الى العربية السيد الشاذلي المكي ، وبعده سرد انسيد عبد القادر ميموني اللائحة الداخلية للحركة ، ثم جرى نقاش ، قدم أثناءه السيد بلهوان نائب ناحية القل الى الهيئة العليا اقتراحات ـ أو أسئلة ـ فحواها :

ان فرحات عباس يصرح بأن حركته يستطيع أن يقول عنها بأنها ليست بحزب سياسي فى هذه الساعة الراهنة ، وانما هي حركة بمثابة حركة الفرنسيين فى أوائل أمرها جمعت كل الأحزاب لتخليص فرنسا من الاحتلال ، وقد توصلوا حقا الى النتيجة التي ترونها الآن .

ثم أجاب السيد فرحات عباس جوابا مقنعا ، وهكذا تقدم الشيخ العربي التبسي فألقى كلمة قيمة .

3) جلسة يوم السبب : انقضى يوم السبت فى دارسة اللائحة الداخلية ومناقشتها ، وقد قام بعرضها بالفرنسية السيد جمام وعربها السيد الشاذلي المكي ، ثم وقع نقاش فى شئون هامة

منها : قبول الفرنسيين كأعضاء فى الحزب ، وقد وافق عليه جميع الحاضرين •

4) جلسة الأحد 4 مارس 1945 افتتح الجلسة الشيخ البشير الابراهيمي باعطاء نصائح وتوجيهات قيمة ، ثم وقع حوار فى مسائل عملية منها تسيير الجريدة والعمل على تعميم الحركة •

وفى جلسة المساء ترأس الجلسة المحامي قدور ساطور عوض الدكتور سعدان الذي اعتذر عن الحضور ، وقد طلب من الرئيس أن توجه برقية الى الحاج مصالي تنبئه بأن جميع الحاضرين يطالبون الحكومة باطلاق سراحه •

تاسيس لجان لاغاثة المبعدين السياسيين والمساجين

وبعد استئناف الجلسة بحضور سعدان ، قدم اقتراح لمناقشة قضية الانتخابات العمومية فوقع تأجيلها الى ما بعد الاعلان عن تاريخها •

5)قدم اقتراح بأن توجه كل شعبة من شعب حركةأحباب البيان احتجاجا على ابقاء المبعدين والمساجين السياسيين الى اليوم بدون تحرير •

6) اقترح الدكتور سعدان والشريف حاج سعيد أن يكون موقف حركة أحباب البيان تجاه أحزاب اليسار الفرنسية موقف تأييد ومسالمة •

7) اقترح تعيين 15 نائبا عن كل عمالة (فوقع اعتراض عليها فأجلت •

8) واختتمت الجلسات بكلمة قيمة للشيخ محمد البشير الابراهيمي » •
اهـ •

مختصر لائحة مؤتمر احباب البيان والحرية

وبعد مداولات ثلاثة أيام أصدر المؤتمر اللائحة التالية :

ان « أحباب البيان والحرية » الذين اجتمعوا فى مدينة الجزائر فى جلسة اعلامية أيام 2 ـ 3 ـ 4 ـ مارس 1945 يصرحون بأن بيان الشعب الجزائري المحرر يوم 10 فبراير ـ شباط ـ 1943 والذي قدم للحكومة

الفرنسية يوم 4 أفريل ـ نيسان ـ 1943 لا زال القاعدة الأساسية لأعمالهم (*) والمؤتمر يذكر بأن هذا البيان كان قد قرر ما يأتي كمباديء ثابتة :

1) الاعتراف بالجنسية الجزائرية .

2) اقامة جمعية تشريعية تأسيسية جزائرية ديمقراطية وجمهورية .

والمؤتمر يتأسف اذ كانت هذه المباديء ، بعد أن قبلت ، لم تعترف بها الحكومة الفرنسية ـ فعليا ـ . وهي بالرغم من معرفتها ان هذه المبادىء هي الرغبات العميقة لشعبنا لا زالت متمادية على غلطاتها ، ثم حاولت أيضا لتحتم سياسة الاندماج .

والمؤتمر يحقق بأن السياسة الوحيدة الممكنة هي التي لا تصادم الارادة الشعبية ، والتي لا تخاطر بمستقبل شعب دون استشارته .

والمؤتمر ـ تبرئة لذمته ازاء مسؤولياته ، ورغبة المشاركة فى سياسة المفاهمة ، فانه يطالب بصفته الركيزة الجزائرية ليوم الغد بالتحقيقات الفورية الآتية :

1) تبديل المجالس الجزائرية الحالية ببرلمان منتخب .

2) تبديل الولاية العامة بحكومة جزائرية .

3) الاعتراف بالعلم الجزائري .

ثم يضيف : ان أحباب البيان والحرية الذين اجتمعوا بمدينة الجزائر أيام 2 ـ 3 ـ 4 مارس 1945 ، اعتبارا أن الحكم على مصالي الحاج الذي كان حكم عليه ظلما أثناء نظام فيشي بستة عشر عاما سجنا مع الأشغال الشاقة .

وباعتبار أن هذا الحكم كان صدر عن قوانين خاصة وعنصرية .

---

* ـ في ح ـ و ـ ج كلود يقول : الذي قدم للحكومة يوم 31 مارس وهو غلط .

وعلى هذه النظرة فقد كان تجمع أحباب البيان والحرية قويا وضعيفا منذ اللحظة الأولى ، لأن القوات السياسية التي كانت اجتمعت حول اصدار « بيان الشعب الجزائري الذي صودق عليه يوم 10 فبراير 1943 ، كانت اتفقت على بعض المباديء التي أظهرتها فى عين الشعب والحكومة الاستعمارية أقوى تكتل ، وهذه هي الناحية القوية فيه ، بينما أن هذه القوات السياسية لم تكن فى الواقع متفقة على سياسة واحدة ، فقد ظلت كل حركة محتفظة بسياستها الخاصة ، وهذه هي الناحية الضعيفة فيه .

ففرحات عباس يصرح أثناء هذه الفترة بأن شعاره : «حرروا ووحدوا » (Liberer et unir) « وليكن العمل فى ظل الشرعية الفرنسية الديمقراطية » . بينما بقي ابن جلول مع سياسة الاندماج القديمة ويرى فيها مسلكا تكتيكيا لكفاح الشعوب الضعيفة . على أن جمعية العلماء التزمت السكوت محتفظة بمطالبها الدينية والتعليمية ، وان كانت ميالة لفكرة عباس . فى الوقت الذي يبقى حزب الشعب الجزائري ممضيا فى سياسته الاستقلالية معتقدا أن الحقوق تؤخذ ولا تعطى . و لايشارك فى هذه التجمعات الا بتحفظ وشروط .

أما الحزب الشيوعي فقد رأى فى فكرة « أحباب البيان والحرية » تسرعا ودعا الى تأسيس هيئة أخرى أكثر اعتدالا .

وهكذا نعرف شيئا بينا عن الوضعية حينما نرافق الأستاذ فرحات عباس أثناء عمله من أجل تحقيق حركة « أحباب البيان والحرية » اذ يقول :

لقد ظللت ملتزما بالمذهب الجديد وبقوانينه التي حددت ، ولكن بقي علي أن أتصل بمختلف المنظمات لاقناعها ، ولقد أثمرت محادثاتي حينا مع جمعية العلماء ورئيس حزب الشعب مصالي الحاج .

الشيوعيون يرفضون المشاركة ويفضلون سيـاسـة الالحـاق

لكن الشيوعيين رفضوا رفضا باتا وانتقدوني بأني سرت متسرعـا واقترحوا انهم يفضلون تأسيس « بيان أحباب الديمقراطية وأنهم يؤيدون سياسة الالحاق بفرنسا ، ولم يقدموا فى بيانهم ، فى الحقيقة الا مطالب اجتماعيـة (1) .

فأما مصالي الذي ريثما حرر من السجن بعد سعي من النواب الذين اشتركوا فى المصادقة عـلى البيان الجزائري 1943 بتحرير جميـع المساجين والمعتقلين السياسيين ، ولكنه وضع تحت الاقامة الجبرية بقصر البخاري ثم بشلاله ، فقد ذهبت اليه مرتين حتى اقتنع ولكنه قال لي :

رئيس حزب الشعب لا يعتقد النجاح ولا يعطي ضمانا لعباس

« اذا كنت وافقتك على عملك وأعطيتك الثقة فانني لا أعطيك ضماني التام ، فهناك شيء آخر يجب عمله (2) لأنك وقد ارتجيت الثقة من فرنسا لتوافقك على تحقيق جمهورية جزائرية ضمن الوحدة الفرنسية فأنا ليست لي أي ثقة فى فرنسا ، فهي لا تعطبك شيئا . لأنها لا ترضخ الا للقوة ، ولا تسمع الا فيما يقتلع من يدها اقتلاعا » .

ويضيف فرحات : أما أنا فقد كنت فى الواقع مقتنعا بأن « فرنسا المقاومة » وأن الفرنسيين الذين ذاقوا مرارة الاحتلال الهتليري مدة أربع سنوات طوال لن يتجاهلوا رغباتنا الحقة ، ان هذا الاحتلال ،

---

1 ـ انظر الحركة الوطنية لكلود وجان ، ص 188-191 .

2 ـ لا شك أن مصالي كان يرمز الى العمل السري لتحضير الثورة المسلحة .

فى تفكيري ، قد هيأ فرنسا لتعتنق تفكيرا جديدا ، فاعتقدت أنه لا يمكن لها بعد ذلك أن تنكر حقنا فى الحياة الكريمة الحرة • وان كنت لا أجهل من ناحية أخرى ما يجب علينا من مقاومة وتضحيات لاقناعها ، وهذا ما يجب تهيئة الجماهير له سياسيا » •

ومن أجل هذا الكفاح السلبي لاقناع المستعمرين سماها فرحات عباس : « الثورة القانونية » فهو يقول : ان الأمر ظهر لي جد ممكنا ، فغلاة الاستعمار فى الجزائر قد كانوا تعاونوا مع الاحتلال الهتليري وأحنوا رؤوسهم له وعملوا ضد اخوانهم المقاومين ، واليوم قد أصبح رجال هذه المقاومة على رأس الحكم فى جميع الميادين ، فى حين أصبح التعاون والحرية الهادئة قائمة بين مستعمرات عتيقة وعواصمها على قدم المساواة ، فلماذا لا تكون هذه « الثورة » بواسطة القانون صالحة أيضا بالنسبة الى الجزائر وتونس والمغرب ؟ •

ثم يقول : فهذه الفكرة التي كانت حملتني على شرحها بعد تحريري من منفى الجنوب الوهراني ــ على اللجنة المختلطة الدراسية التي اجتمعت بالولاية العامة للقطر الجزائري ، وهي الفكرة التي بقيت أشرحها للشعب فى جريدة « المساواة » (3) •

يقول صلاح العقاد (4) ظهر فرحات عباس فى مقدمة الحركة الوطنية فى السنوات الباقية من الحرب من سنة 1942 الى 1945 ، ربما لوجود مصالي الحاج فى المنفى فى تلك الأثناء » •

« ومن جهة أخرى كان قد بدأ مرحلة جديدة من مراحل تطوره السياسي التي انتهت الى « جبهة التحرير » فقد رأينا كيف أنه بدأ بالدعوة الى الادماج ، وقد يئس منها بعد موقف الجبهة الشعبية الفرنسية، ثم ازداد يأسا بعد أن شعر بالتفرقة فى المعاملة بين الجزائريين وأقرانهم

---

3 ـ ليل الاستعمار ، ص 151–152 •

4 ـ المغرب العربي ، ص 329 •

الفرنسيين بالجيش ، وكان هو نفسه يعمل بالقسم الطبي أثناء فترة القتال 1939 – 1940 (أي عندما تطوع فى الجيش الفرنسي) •

وهكذا يرجع عباس الى الحقيقة ويؤدي به يأسه وحنقه حتى الى التفاهم مع حزب الشعب الذي كان عدوه اللدود ، وان لم يتخلص نهائيا من نظريته الاصلاحية • »

أما فيليب تريبي في كتابه « تشريحية الحرب الجزائرية » « ••• وبدفع من أحبابه – يقصد فرحات عباس – وبتشجيع من الحلفاء ، خاصة الأمريكيين ، فانه اتصل بمصالي وبمسيري جمعية العلماء وأراد أن يضمهم تحت نشاطه ، غير أن المصاليين رأوها فرصة لجر عباس فى فلكهم • ولم تمض سنة حتى أعلن المصاليون فى مؤتمر أحباب البيان والحرية مارس 1945 رفض فكرة عباس : « جمهورية جزائرية ضمن اتحاد فرنسي ، وأيدوا فكرتهم وهي « السيادة التامة » (*) •

ومهما يكن من اختلاف بين الهيئات الجزائرية فى الوسائل المؤدية الى الهدف ، فقد أمكن للهيئات الثلاث : جمعية العلماء ، جماعة البيان ، حزب الشعب ، أن يجمعوا أمرهم فى منظمة « أحباب البيان والحرية » وأن يحرروا لها قانونا أساسيا يحمل أفكارا تحوز رضى الجميع • وفيما يلي مواد هذا القانون : (5)

القانون الأساسي لأحباب البيان والحرية

الفصل الأول :

أنشيء بالقطر الجزائري تجمع كلف بالتعريف وبالدفاع أمام الرأي العام الجزائري والفرنسي ، عن « بيان الشعب الجزائري » الذي كان

---

* – ف – تريبي ص •

5 – عرضت مواد القانون للمصادقة من الأعضاء في اجتماع بتاريخ 14 مارس 1944 ، وقدمت لدار ولاية (عمالة قسنطينة) يوم 4 أفريل 1944 بواسطة فرحات عباس . أما 10 فبراير 1943 فهو الاتفاق المبدئي بين الحركات القومية .

قدم للجهات الوطنية بتاريخ 10 فبراير (شباط) 1943 ، ومن أجل المطالبة بحرية التعبير والكلمة لكل الجزائريين ، هذا التجمع سمي « أحباب البيان الجزائري » .

الفصل الثاني :

ان هذا التجمع يحارب بواسطة الكلام وبواسطة الكتابة التصور الاستعماري ، والتعديات ، وهجومات القوات الامبريالية فى أفريقيا وفى آسيا ، ويحارب استعمال القوة ضد الشعوب الضعيفة . وهدفه أيضا المساهمة فى تكوين عالم جديد يحترم فيه الشخص الانساني فى مختلف أنحاء العالم . وللاسراع باحداث وتكوين انسانية جديدة حيث يستوي فيها كل الشعوب من جميع الأجناس فى الحرية والاتحاد الأخوي لبناء عالم مستقر هاديء ... » (6)

الفصل الثالث :

وفيما يخص الجزائر فان التجمع كلف برسالة مستعجلة وهي : الدفاع عن « البيان الجزائري » الذي هو يعبر بحرية وبصدق عن نشر الأفكار الجديدة فى الحكم النهائي على شدة النظام الاستعماري وعلى عقيدته العنصرية وعلى ظلمه .

الفصل الرابع :

ان وسائل هذا التجمع للعمل هي :

1) مساعدة جميع ضحايا القوانين الاستثنائية والقهر الاستعماري .

2) ابتهال جميع الفرص لافهام واقناع وخلق رأي عام لصالح « البيان »

3) اثبات عقيدة « أمة جزائرية » وارادة انشاء « جمهورية جزائرية » فى القطر الجزائري ، بنظام فيدرالية ، فى جمهورية فرنسية جديدة ، ضد الاستعمار وضد الامبريالية .

---

6 - مؤتمر جمعية حقوق الانسان 1931 .

4) اقامة اجتماعات ومحاضرات فى كل الأوساط وخاصة فى الأوساط الفرنسيــة •

5) فضح التعسفات والمناورات التي تتعاطاهـا القـوات الرجعيـة والاقطاعيون المسلمون والفرنسيون ، وكل الذين لهم مصالح فى الابقاء على النظام الاستعماري •

6) محو كل الشعارات التي فرضها علينا الاستعمار بواسطة سياسة عنصرية أو طائفية أو امتيازية بعناوين : « أهلي » « رعية فرنسية » « أصلي » « مغلوب » « محكوم » « فرنسي مسلم » الخ •••

7) محاربة ذوي الامتياز من الطبقات المسيرة ، والتبشير بمسـاواة الفرد البشري ، وبحق الشعب الجزائري فى الحياة الأفضل والحياة الوطنية ، والتذكير بماضيه الحضاري وبمساهمته التاريخية فى غناء الفكر الانساني • (7)

8) بذل كل التضحيات الواجبة من أجل تحرير فرنسا والشعوب الأروبية ، وفى سبيل قضية الديمقراطية ، والكفاح بكل الوسائل ضد « مركب الجنس الوطيء » الذي أحدثه الاحتلال العسكري منذ سنة 1830 ، وعمل الحكم الاستعماري ونظام « الجزمـة الحديدية » (Talon de fer) على تقويته وخلوده •

9) خلق معنى روح المساواة والتضامن ورغبة المعاشرة فى جميع سكان الجزائر ، سواء كانوا يهودا أو مسيحيين أو مسلمين • هذا المعنى الذي لخصه (رينان) ودعاه : « العنصر البناء للأمة » •

---

7 ــ ملاحظة دقيقة : ان هذا البند السابع من الفصل الرابع يرشدنا الى طبيعة تركيب « أحباب البيان والحرية » وذلك من خلال النقاط الثلاث التي يبشر بها :

1 ــ « التبشير الفردي بمساواة الفرد البشري » .

2 ــ « التبشير بحق الشعب الجزائري في الحياة الأفضل والحياة الوطنية » .

3 ــ التذكير بماضي الشعب الجزائري الحضاري ومساهمته التاريخية في غناء الفكر الانساني • فالنقطة الأولى لسياسة البيان ، والثانية لحزب الشعب ، والثالثة لجمعية العلماء ، وبذا اجتمعت الحركات الثلاث في الوسائل العامة المتفق عليها .

4) اقامة اجتماعات ومحاضرات فى كل الأوساط وخاصة فى الأوساط الفرنسيـة •

5) فضح التعسفات والمناورات التي تتعاطاهـا القـوات الرجعيـة والاقطاعيون المسلمون والفرنسيون ، وكل الذين لهم مصالح فى الابقاء على النظام الاستعماري •

6) محو كل الشعارات التي فرضها علينا الاستعمار بواسطة سياسة عنصرية أو طائفية أو امتيازية بعناوين : « أهلي » « رعية فرنسية » « أصلي » « مغلوب » « محكوم » « فرنسي مسلم » الخ •••

7) محاربة ذوي الامتياز من الطبقات المسيرة ، والتبشير بمسـاواة الفرد البشري ، وبحق الشعب الجزائري فى الحياة الأفضل والحياة الوطنية ، والتذكير بماضيه الحضاري وبمساهمته التاريخية فى غناء الفكر الانساني • (7)

8) بذل كل التضحيات الواجبة من أجل تحرير فرنسا والشعوب الأروبية ، وفى سبيل قضية الديمقراطية ، والكفاح بكل الوسائل ضد « مركب الجنس الوطيء » الذي أحدثه الاحتلال العسكري منذ سنة 1830 ، وعمل الحكم الاستعماري ونظام « الجزمـة الحديدية » (Talon de fer) على تقويته وخلوده •

9) خلق معنى روح المساواة والتضامن ورغبة المعاشرة فى جميع سكان الجزائر ، سواء كانوا يهودا أو مسيحيين أو مسلمين • هذا المعنى الذي لخصه (رينان) ودعاه : « العنصر البناء للأمة » •

---

7 ـ ملاحظة دقيقة : ان هذا البند السابع من الفصل الرابع يرشدنا الى طبيعة تركيب « أحباب البيان والحرية » وذلك من خلال النقاط الثلاث التي يبشر بها :

1 ـ « التبشير الفردي بمساواة الفرد البشري » .

2 ـ « التبشير بحق الشعب الجزائري في الحياة الأفضل والحياة الوطنية » .

3 ـ التذكير بماضي الشعب الجزائري الحضاري ومساهمته التاريخية في غناء الفكر الانساني • فالنقطة الأولى لسياسة البيان ، والثانية لحزب الشعب ، والثالثة لجمعية العلماء ، وبذا اجتمعت الحركات الثلاث في الوسائل العامة المتفق عليها .

الفصل الخامس – التنظيم الداخلي :

ان التجمع تسيره لجان محلية مرتبطة بلجان عمالية « ولائية » وبلجنة مركزية محل اقامتها بمدينة الجزائر • ا هـ

سطيف يوم 14 مارس 1944
ح – و – ج كلود كولو ص 186 – 187
نقلا عن جريدة الجمهورية الجزائرية فيفري

المؤتمر العمالي « الولائي » لأحباب البيان والحرية :

هكذا ، ومراعاة للظروف المستعجلة ، والتسابق الذي كان بين الادارة والحركة الوطنية ، فان الحركة بدأت أعمالها بدون تأخير ، فما ان حصلت على وفاق الادارة القانوني حتى أقامت أول مؤتمر لها جهوي ، ففي يوم 22 ماي (أيار) 1944 انعقد المؤتمر العمالي « الولائـي » بمدينـة قسنطينة ، وبعد مداولات نشيطة حول قرار السابع مارس 1944 والحقوق الاجتماعية التي تفضل بها الجنرال ديغول – والتي لم ينفذ منها بعد الا القليل – حررت لائحة وأرسلت للدوائر المختصة •

لائحة المؤتمر الولائي لأحباب البيان والحرية ملخصة :

« المؤتمر العمالي » « الولائي » لأحباب البيان والحرية الذي انعقد فى 22 ماي 1944 بمدينة قسنطينة ، يحـي الاصلاحـات الاقتصاديـة والاجتماعية التي أعلنتها اللجنة الفرنسية للتحرير الوطنـي ، ويشكـر الجنرال ديغول الذي أكد بالفعل لا بالقول فحسب ، الأخوة والتضامن الفرنسي الجزائري •

ان المؤتمر يعتبر هذه الاصلاحات خطوة أولى نحو تطبيق القوانين الاجتماعية فى الجزائر ، ورغبة منه فى تحسين حالة السكان المسلمين فهو يطلب بالحاح من الجنرال ديغول أن يحقق هذه الاصلاحات بأسرع ما يمكـن •

والمؤتمر يعتقد ان نظام فيشي قد ضرب حرية الرأي وحرية الضمير ضربات قاسية ، وانحط بالحريات الهزيلة التي كانت للمسلمين الجزائريين أثناء نظام الجمهورية الثالثة الى درجة الصفر ، ولذا فهو يطالب :

1) بتحرير المساجين ، وفى مقدمتهم الحاج مصالي الذي سجنه نظام فيشي وتحت رقابة الفاشية الألمانية والايطالية •

2) بارجاع حق التنقل والوعظ والارشاد للشيخ الابراهيمي رئيس جمعية العلماء ، وذلك بايقاف حملات الشرطة التي وقفت أمام نشاطه الديني وحدت من حرية ضميره وعمله لنشر الدين الاسلامي •

والمؤتمر الذي يتأثر أعضاؤه بالمباديء الجمهورية لعام 1789 يقدمون تشكراتهم للفرنسيين الذين هم جديرون بهذا الاسم ، والذين هم لا يتنكرون للرسالة الفرنسية لمجرد بعض الفوائد الخاصة ، أولئك هم الذين ساندوا المسلمين فى الساعات الحرجة ، وخاصة الشيوعيين وبعض الاشتراكيين الذين بفضل مساندتهم تحصلوا على هذه الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية •••

وفى الميدان السياسي :

فان المؤتمر بكل صراحة ، يعلن أن سياسة الاندماج التي أعلنها قرار السابع مارس — آذار — 1944 هي تماما ضد رغبات الجزائريين وتطلعاتهم • وعليه فرجاؤنا من الجنرال ديغول أن لا يقدم على أي حل للقضية حتى يقوم باستفتاء واسع ضمن المجموعة المعنية •

ورجاء خلق جو صالح لحلول مقبولة فى المستقبل ولربح القلوب واطمئنانها يطلب المؤتمر :

1) حرية الرأي •

2) حرية الصحافة باللسانين •

3) حرية الديانة الاسلامية وحرية التعليم باللغة العربية •

والمؤتمر يعاهد الجنرال ديغول والحكومة المؤقتة الفرنسية على تعاونه فى ميدان تحرير فرنسا وانتصار الحلفاء (8) •

---

8 – ح–و–ج كلود ، ص 187–188 .

وحركة احباب الديمقراطية الشيوعية

هكذا ، وكما أثبتنا فيما مضى أن الشيوعيين لم يشاركوا فى أحباب البيان والحرية ، وأنشأوا حركة منفصلة باسم : « بيان أحباب الديمقراطية» تثبت من هذا البيان مقدمته فيما يلي ، للتنظير من جهة ، ولمعرفة حقيقة كل حركة من تصريحاتها الخاصة :

« لابتناء فرنسا ديمقراطية ، فى ظل الحرية المستردة ، فان مواطنينا سيردون لوطننا اشعاعه برغم أنف « مائة سيد »
الذين لازالوا يشوهون محيا وطننا فى افريقيا الشمالية ، فالمسلمون يباركون ويحيون فرنسا الجديدة » .

ثم يذهب البيان فى وصف الحالة الاقتصادية السيئة التي يعانيها الشعب الجزائري وينسبها « للمائة سينيور » ويقول هم الأعداء الحقيقيون وهم المسؤولون عن الوضع وهم الذين خانوا فرنسا لفائدة هيتلر . وذلك ما يدفعهم (المائة سينيور) لأن يبعدوا المسلمين من المشاركة فى الحرب ، هذه الحرب التي هي لفائدة الديمقراطية وضد الفاشية . ومن أجل ذلك كان المسلمون كلهم فى العالم فى وصف واحد مع الحلفاء ، سواء مسلمو شمال افريقية فى ايطاليا وفرنسا ، أو مسلمو الاتحاد السوفياتي فى الجيش الأحمر ، ومسلمو (البوسنه) فى الجيش اليوغسلافي مع تيتو ...

ثم ينادون ــ الشيوعيون ــ الشعب الجزائري فيقولون : ان الشعب الفرنسي يكافح ضد أعدائك (التروست) والاقطاعيين الذين جعلوك فى حالة بؤس ... ان فائدتك المثلى فى اعانة فرنسا الجديدة والمساهمة فى خلقها وابتداعها لأن هذه فى طريق خلاصك . ثم يضيف : ومن أجل هذا أيها الأخ المسلم يجب :

أ) أن تحارب بكل اقتناع مثل اخوانك في جبهتي ايطاليا وفرنسا .
ب) أن تعمل أكثر على الانتاج بقصد مساعدة محاربينا وسكاننا الجزائريين لتحسين حالة التموين التى أنت ضحية لها .

جـ) أن تتقارب مع العمال الأروبيين الذين يريدون مساعدتك لتحسين مستقبلك .

د) شارك بحرارة فى كل شيء يمكن أن يساعد الشعب الفرنسي فى كفاحه ضد أعدائك .

ثم يذكر البيان مطالب الشعب الجزائري الفورية ويقول : « هذه هي المطالب التي سيؤيدها صديقك الحقيقي الشعب الفرنسي ، ويلخص هذه المطالب فى :

1) التموين الطبيعي أي الذي هو 300 ڤرام خبز فى اليوم أو 10 كيلو قمح فى الشهر للفرد

2) تطبيق الأجرة الأقل التي حددتها الولاية العامة بعشر فرنكات (10) فى الساعة : 80 فرنكا فى اليوم . (حوالي 25 دينارا) اليوم .

3) تطبيق القوانين الاجتماعية (المنحة العائلية ، الضمان الاجتماعي ، منح المعطوبين ...) .

4) المساواة فى الجندية فيما يتعلق بالاداءات حسب معدل الأسرة مع الحصول على العلاوة التي يتمتع بها الأروبيون .

5) اغاثة الفلاحين والخماسة .

6) التوزيع العادل للمواد اللازمة للصناع وصغار التجار والمساواة فيها مع الأروبيين .

7) حذف الأحواز الممتزجة .

8) اعادة فتح المدارس الموجودة واحداث مدارس حيث لا توجد مدارس . وذلك بقصد تعليم الأطفال اللغتين الفرنسية والعربية فى انتظار حل عام لقضية مليون طفل دون مدرسة .

9) اعتبار اللغة العربية رسمية بجانب الفرنسية .

ويختم البيان : هذا ما جعلنا نرسل بهذا النداء للدعوة الى اتحاد جميع الجزائريين بغير تفريق فى الاتجاهات السياسية أو الفلسفية ، كما ندعوك

أيها الأخ لتأسيس فروع « لأحباب الديمقراطية » في كل مكان من أجل تحقيق البرنامج السابق • (9)

وقد ذيل البيان بخمسة وعشرين (25) توقيعا •

ح ـ و ـ ج كلود ص 188 ـ 191 جريدة الحرية 14 سبتمبر 1944•

ولئن كانت الحركة الشيوعية لم تجد تجاوبا لدى الشعب الجزائري الذي كان يطمح لما أكثر من هذه المطالب الهزيلة ، فان حركة « أحباب البيان والحرية » كانت ـ كما قال كلود دوجان : ـ « واذا كانت هذه الحركة في الظاهر قد أسست باتفاق مع حزب الشعب ، وعرفت بسرعة نجاحا شعبيا واسعا ، فهي لم تجمع ـ اذ ذاك ـ كل الحركات الجزائرية ، فالحزب الشيوعي الجزائري ـ الذي انعزل بكل حزم ـ قد أسس حركة مضادة وهي : « أحباب الديمقراطية » ، وان كان نجاحها ضعيفا • »

وبالفعل فان حركة أحباب البيان والحرية بفضل برنامجها المغري ونشاطها السريع لنشر الدعاية وتكوين الفروع في جميع أرجاء الوطن قد أعطاها نجاحا مزدوجا وعظيما •

فمن الناحية الشعبية قد وقع اندفاع هائل لم يعرف له مثيل في تاريخ الحركات السياسية في الجزائر ، بحيث اتخذت شكل دعوة اسلامية مقدسة ، حتى صار الرجل الفقير الذي لا يجد ثمن اشتراكه في الحركة يحزن حزنا عميقا ويعتبر نفسه « أنه تخلف عن الجهاد في سبيل الله » أو أنه ليس من الجماعة الاسلامية • وقد قصدني شخصيا كثير من المعارف الفقراء ليطلبوا مني قرض مبلغ الاشتراك حتى يحصلوا على شرف الجهاد أو الانضمام الى الجماعة الاسلامية •

---

9 ـ في تقرير للسيد عمار ورقان الذي قدمه لاجتماع الحزب الشيوعي يوم 23 سبتمبر 1944 أي بعد البيان السابق ، يقول : ••• ان مدعي الوطنية الموعز اليهم من الامبريالية الأجنبية يؤيدون دعوة الانفصال عن فرنسا التي يريدها المائة سيد ح ـ و ـ ج كلود كولو ، ص 185 .

وهكذا تتفاقم هذه الدعوة حتى تغمر جميع أنحاء الوطن ويبلغ أعضاؤها أكثر من نصف مليون مشتركا . يقول فرحات عباس : « لقد كان النجاح المعروف لهذا التجمع الذي بلغ مشتركوه أكثر من خمسمائة لأف وهو العدد الذي وصل الى مركز الحركة بشارع « الكاردينال لافيجري » رقم 6 بمدينة الجزائر .

واذا نظرنا الى احتراز عباس بالعدد الواصل الى مركز الحركة فمن المعقول أن يقدر عدد المشتركين بضعف ما ذكره ، لأن ما لم يصل الى المركز بمفعول أسباب كثيرة لاشك يكون كثيرا .

ففي بلدية وادي الزناتي وحدها التي لا يزيد سكانها عن الخمسة عشر ألفا اذ ذاك ، كاد يبلغ المشتركون فيها ثلث عدد السكان .

هذا من الناحية الشعبية ، وهو النجاح الأول . أما النجاح الثـاني فسيظهر لنا فى ناحية الحكومة والسكان الأروبيين ، فقد أدخلت عليهم الهلع وزرعت فيهم رعبا عظيما . بالرغم من أن القائمين على الحركة كانوا يوجهون اليهم الدعوات خصيصا ويفهمونهم بمقاصد الحركة السلميـة والتي تريد تكوين حكومة جزائرية بدون تفريق فى الجنسية والدين ، وان السكان الأروبيين سيعتبرون من أبناء الوطن لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات .

واليك حادثتين وقعتا بحضوري تدلان على مدى الهلع والخوف اللذين أحاطا برجال الادارة والسكان الأروبيين على السواء :

الحادثة الأولى :

كنا أقمنا اجتماعا عموميا بقرية « برج صباط » قرب مدينة وادي الزناتي واستدعينا جميع السكان حتى الكولون الاروبيين ، وأثناء القاء كلمة أحد المناضلين كان معلما بمدرسة التهذيب بوادي الزناتي ، استدل على وحدة المسلمين بقوله تعالى : « محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم : الآية . فما لبثنا الا والفرنسيون بدأوا يتسللون واحدا بعد واحد حتى لم يبق واحد منهم . فلما شعرنا ، بالأمر وسألنا

قيل لنا : انهم خافوا لما تكلم الخطيب بقوله : « أشداء على الكفار » فهموا انه يأمر المسلمين بالقضاء عليهم ، وكانت (شد) بالدارجة فى الناحية يفهم منها البطش . خصوصا وان هؤلاء الكولون لا يفهمون من اللغة العربية (الا الدارجة) .

الحادثة الثانية :

كنا دعونا الى اجتماع عام بقرية (قونو) من دائرة (قالمة) وقد ذهب الى هذه القرية وفد يتقدمنا باكرا لتهيئة الاجتماع وطلب الرخصة من رئيس البلدية ، فلم يسمح هذا بالاجتماع داخل القرية بدعوى أن اليوم يوم تجمع للسوق ، وان سكان الناحية غلاظ الطبع ومتعددو القبائل المتنافرة ، وهو ليس لديه من قوة كافية لحفظ الأمن ، ولذا فهو لا يعترض على الاجتماع ولكن فى مكان متراوح عن القرية وفى وقت متأخر عن تجمع السكان .

هكذا أبلغنا الوفد الذي وجدناه ينتظرنا قرب المكان المعين . لقد كان وفدنا الكبير عليه مسحة من نظام ونشاط ، ويتمتع بمظهر يتسم بالحزم والاحترام ، فلما وقفنا أمام مقر رئيس البلدية الأروبي طبعا خرجت لنا ابنته فها لها المظهر واعتقدت أن أباها ارتكب خطأ فقابلتنا بلطف واحترام ثم ذهبت الى أبيها ،حيث سمعنا حوارا طويلا وحارا بينهما تغلبت بعده البنت على اقناع أبيها ، فخرج الينا ليستقبلنا بكل احترام وتقدير معتذرا عن موقفه الأول ومدعيا أنه كان لا يعتقد ان المسؤولين على الاجتماع من نوعيتنا التى تدل على تعقل وانضباط ونظام . وقال انني أسمح لكم بكل اطمئنان ولكن فقط أرجو أن تخبروا رجال الدرك قبل اقامة الاجتماع ، واني أعتمد عليكم فى المحافظة على التوازن حتى لا تتطور الأمور ...

والحوادث التي رأيناها أثناء تلك الفترة من سنة 1944 والشهور الأولى من سنة 1945 م كانت مفعمة بمثل هذه المظاهر . ذلك على ما يظهر لي ، ان الفرنسيين كانوا قد انكسرت حدتهم بالاحتلال ثم أخذوا بعد نزول الحلفاء الذي تقدمته دعاية واسعة بتحرير الشعوب وحق تقرير مصيرها ، فأصبحوا فى ارتباك وانتظار ما تنجلي عنه الأحداث التي ما عرفوها فى تاريخهم الطويل .

فترة الأمل الحائر :

والواقع ان هذه الفترة يمكن أن نسميها « فترة الأمل الحائر » أو « الغموض المربك » بالنسبة للمستعمرين والمسلمين على السواء ، كيف ؟

لنرجع قليلا الى فترة الحلفاء بالجزائر لنتعرف على تلك الازدواجية فى المواقف المتضاربة ، والتي أعطت لكلا الكتلتين من السكان أملا فى المستقبل . فبينما نرى ممثل أمريكا ـ قبل نزول الحلفاء بقليل ـ يبلغ بعض الجزائريين بأنه يريد تأسيس حكومة جزائرية ، كما نقل ذلك القاضي شنظرلي فقال : أنه مكلف من طرف القيادة الامريكية بأن أعلمكم بالأمر على أن يبقى سرا بيننا .

« ان الأمريكيين يرغبون أن يشكل الجزائريون فيما بينهم حكومة مؤقتة تهتم بأمورهم خاصة » (10) بينما نرى أمريكا وبريطانيا تعقدان اتفاقية مع ديغول يطلقون يده فى التصرف بأفريقيا الشمالية ، وخاصة الجزائر ، وتكتب وزارة الخارجية الأمريكية الى قنصلها بتونس :

« ان وزارة الخارجية لا تؤيد حدوث » ثورة داخل القصر « وأن أي حركة تؤدي الى جعل السكان العرب يتحولون ضد فرنسا ستعتبر خطرا من الدرجة الأولى . وان سياستنا فى شمال افريقيا (الفرنسي) هي : كسب ثقة السلطات الفرنسية » .

وتذهب الكتلتان ، كل منهما فى اتجاهه الخاص يعمل بتحفظ وينتظر الحوادث كيف تتطور ، فالعرب المسلمون ذهبوا فى « أحباب البيان والحرية » وغيرها (11) يعملون لصالح القضية الوطنية ويلحون على

---

10 ـ راجع الحكاية كاملة بصفحة 111 ج 2 .

11 ـ أقول وغيرها ، لأنه كما تقدم لنا آنفا أن كل حركة بقيت حرة تعمل في نطاقها ما تراه يتفق وبرنامجها الخاص ، ولذا نجد حركة حزب الشعب المنحل بقيت في نشاطاتها السرية تعمل بالمناشير والكتابة على الجدران وفي النشريات السرية وغيرها ، ومن ذلك الملخص الآتي من منشور صدر في شهر فبراير ـ شباط ـ 9145 وعلق بمختلف جدران المدن الجزائرية ، ومنه :

أيها المسلمون ! ان حياة بلادكم في خطر ! فالاستعمار قد خربها ماديا ومعنويا . ان الشعب الجزائري لم يتمتع بهذه الحضارة أبدا وذلك بسبب وجود المستعمر الفرنسي ، فلغتنا العربية مضطهدة والاسلام أصبح محل سخرية ، ذلك لأن أمتنا لايضمن لهاالاحترام الا في ظل (كيان جزائري) حكومةجزائرية تقوم على سيادةالشعب(=)

والفرنسيون هم أيضا يعلنون الاستقلال فى نوع من الاعتدال والتخوف ، نوعا من الاعتدال الخادع ولكنهم يبيتون المكيدة عندما يرون الفرصة سانحة لهم •

المؤتمر العظيم لأحباب البيان والحرية

وهكذا يعقد المسلمون مؤتمرهم العظيم التاريخي : « مؤتمر أحباب البيان والحرية » •

انعقد فى هذا الجو الساخن ، الغامض مؤتمر « أحباب البيان والحرية » بالجزائر العاصمة أيام الثاني والثالث والرابع مارس — آذار 1945 — في النادي الذي سمي بنادي « الحكيم سعدان » بعد موته ، بساحة (ابن باديس الآن) وتمثلت فيه الهيئات الثلاث : جمعية العلماء ، حزب الشعب ، النواب البيانيون بزعامة عباس (*) •

وقد ساد المؤتمر جو من التفاهم والأخوة والاتحاد ، وظهر تفاؤل كبير وتباشير تدل على نسيان الماضي ، وعلى تقارب الأفراد والفئات واتحادها — ولو سريا — على مبدأ الاستقلال التام •

وصف مختصر لجلسات المؤتمر

وجدت وصفا مختصرا فى الوثيقة الآتي نصها بخط يد صديقنا وزميلنا الشيخ محمد بن أحمد الغسيري ، كتبها أثناء حضور جلسات المؤتمر •

(=) الجزائري ، وترفض أية سيادة أجنبية ، ومن أجل هذا الهدف مات اخوانكم فى الزنزانات وبعضهم يعاني في السجون والمحتشدات ، ومنهم من لا زال يناضل بحماس في اطار الشرعية أو في الخفاء » .

وبعد أن يستنكر المنشور قرار السابع مارس الذي يجعل المسلم الجزائري فرنسيـ يقول : ... ان الوسيلة الوحيدة لافشال هذه المناورة الفرنسية هي مقاطعة التصويت في هيئة الانتخاب الفرنسية (المجمع الأول) **(1er Collège)** ان رد بطاقات الانتخاب على وجوه الفرنسيين سيكون الدليل القاطع أمام العالم على أن الشعب الجزائري يريد أن يعيش مستقلا .

وبعد أن يحمل المخاطبين مسؤوليتهم أمام الضحايا والمعذبين والمكافحين يقول : .. والا فسترتكبون جريمة نحو شعبكم ونحو الله الذي سيعاقبكم عاجلا أو آجلا . ان عدل الشعب وعدل الله لا يظلمان ولا يرحمان » .

* — واستكمل المؤتمر جلساته « بنادي المولودية » الذى كان ينتسب لحركة الانتصار .

وقد حجزتها الشرطة الاستعمارية أثناء حوادث 8 ماي 1945 وهي توجد الآن بمركز الوثائق الجهوي بقسنطينة ، وهذا نصها :

« الاجتماع الثاني لأحباب البيان والحرية المنعقد بعاصمة الجزائر بدار جريدة المساواة ونادي المولودية ، يوم الجمعة 2 مارس 1945 تحت رئاسة الدكتور سعدان .

1) « جلسة الصباح : افتتح الجلسة الدكتور سعدان (بكلمة الترحيب ثم قدم) الشيخ البشير الابراهيمي حيث ألقى درسا ارشاديا (هز به المشاعر) ثم خطب كاتب الحزب السيد فرحات عباس خطابا اجتماعيا وأعقبه المحامي قدور ساطور بكلمات اخبارية » .

2) « جلسة المساء : على الساعة الثالثة افتتح الدكتور سعدان الجلسة ، ثم أعطى الكلمة للسيد فرحات عباس ـ حيث أعطى بسطة فى بيان حالة الحركة باللغة الفرنسية ثم ترجمها الى العربية السيد الشاذلي المكي ، وبعده سرد انسيد عبد القادر ميموني اللائحة الداخلية للحركة ، ثم جرى نقاش ، قدم أثناءه السيد بلهوان نائب ناحية القل الى الهيئة العليا اقتراحات ـ أو أسئلة ـ فحواها :

ان فرحات عباس يصرح بأن حركته يستطيع أن يقول عنها بأنها ليست بحزب سياسي فى هذه الساعة الراهنة ، وانما هي حركة بمثابة حركة الفرنسيين فى أوائل أمرها جمعت كل الأحزاب لتخليص فرنسا من الاحتلال ، وقد توصلوا حقا الى النتيجة التي ترونها الآن .

ثم أجاب السيد فرحات عباس جوابا مقنعا ، وهكذا تقدم الشيخ العربي التبسي فألقى كلمة قيمة .

3) جلسة يوم السبب : انقضى يوم السبت فى دارسة اللائحة الداخلية ومناقشتها ، وقد قام بعرضها بالفرنسية السيد جمام وعربها السيد الشاذلي المكي ، ثم وقع نقاش فى شئون هامة

منها : قبول الفرنسيين كأعضاء فى الحزب ، وقد وافق عليه جميع الحاضرين •

4) جلسة الأحد 4 مارس 1945 افتتح الجلسة الشيخ البشير الابراهيمي باعطاء نصائح وتوجيهات قيمة ، ثم وقع حوار فى مسائل عملية منها تسيير الجريدة والعمل على تعميم الحركة •

وفى جلسة المساء ترأس الجلسة المحامي قدور ساطور عوض الدكتور سعدان الذي اعتذر عن الحضور ، وقد طلب من الرئيس أن توجه برقية الى الحاج مصالي تنبئه بأن جميع الحاضرين يطالبون الحكومة باطلاق سراحه •

تاسيس لجان لاغاثة المبعدين السياسيين والمساجين

وبعد استئناف الجلسة بحضور سعدان ، قدم اقتراح لمناقشة قضية الانتخابات العمومية فوقع تأجيلها الى ما بعد الاعلان عن تاريخها •

5) قدم اقتراح بأن توجه كل شعبة من شعب حركة أحباب البيان احتجاجا على ابقاء المبعدين والمساجين السياسيين الى اليوم بدون تحرير •

6) اقترح الدكتور سعدان والشريف حاج سعيد أن يكون موقف حركة أحباب البيان تجاه أحزاب اليسار الفرنسية موقف تأييد ومسالمة •

7) اقترح تعيين 15 نائبا عن كل عمالة (فوقع اعتراض عليها فأجلت •

8) واختتمت الجلسات بكلمة قيمة للشيخ محمد البشير الابراهيمي » •
اهـ •

مختصر لائحة مؤتمر احباب البيان والحرية

وبعد مداولات ثلاثة أيام أصدر المؤتمر اللائحة التالية :

ان « أحباب البيان والحرية » الذين اجتمعوا فى مدينة الجزائر فى جلسة اعلامية أيام 2 — 3 — 4 — مارس 1945 يصرحون بأن بيان الشعب الجزائري المحرر يوم 10 فبراير — شباط — 1943 والذي قدم للحكومة

الفرنسية يوم 4 أفريل ـ نيسان ـ 1943 لا زال القاعدة الأساسية لأعمالهم (*) والمؤتمر يذكر بأن هذا البيان كان قد قرر ما يأتي كمبادىء ثابتة :

1) الاعتراف بالجنسية الجزائرية .

2) اقامة جمعية تشريعية تأسيسية جزائرية ديمقراطية وجمهورية .

والمؤتمر يتأسف اذ كانت هذه المبادىء ، بعد أن قبلت ، لم تعترف بها الحكومة الفرنسية ـ فعليا ـ . وهي بالرغم من معرفتها ان هذه المبادىء هي الرغبات العميقة لشعبنا لا زالت متمادية على غلطاتها ، ثم حاولت أيضا لتحتم سياسة الاندماج .

والمؤتمر يحقق بأن السياسة الوحيدة الممكنة هي التي لا تصادم الارادة الشعبية ، والتي لا تخاطر بمستقبل شعب دون استشارته .

والمؤتمر ـ تبرئة لذمته ازاء مسؤولياته ، ورغبة المشاركة فى سياسة المفاهمة ، فانه يطالب بصفته الركيزة الجزائرية ليوم الغد بالتحقيقات الفورية الآتية :

1) تبديل المجالس الجزائرية الحالية ببرلمان منتخب .

2) تبديل الولاية العامة بحكومة جزائرية .

3) الاعتراف بالعلم الجزائري .

ثم يضيف : ان أحباب البيان والحرية الذين اجتمعوا بمدينة الجزائر أيام 2 ـ 3 ـ 4 مارس 1945 ، اعتبارا أن الحكم على مصالي الحاج الذي كان حكم عليه ظلما أثناء نظام فيشي بستة عشر عاما سجنا مع الأشغال الشاقة .

وباعتبار أن هذا الحكم كان صدر عن قوانين خاصة وعنصرية .

---

* ـ في ح ـ و ـ ج كلود يقول : الذي قدم للحكومة يوم 31 مارس وهو غلط .

وباعتبار أن الحكومة الفرنسية الحالية اعترفت بعدم أحقية الحكم فغيرته بالنفي ،

وباعتبار أن عفوا عاما كان صدر فى صالح أحكام مشابهة على كل المساجين السياسيين الآخرين ،

وباعتبار أن المضي فى اعتقال مصالح الحاج الزعيم الذي لا خلاف فيه للشعب الجزائري ، يعد موقفا خاصا ومقصودا ومثيرا لعواطف السكان المسلمين الذين بعثوا بأبنائهم ليموتوا فى ساحة المعركة من أجل المبادىء الديمقراطية ، ومن أجل تحرير فرنسا نفسها ، من أجل كل هذا :

فان أحباب البيان والحرية يحتجون بكل شدة ضد المضي فى اعتقال مصالي الحاج وجعله تحت الاقامة الجبرية ، ويطالبون بتسريحه بسرعة وبدون أي شرط » (12) •

نداء للهــدوء

وأمام هذا التحرك السياسي الصرف تثور ثائرة المستعمرين ويقيمون ضجة من التخوفات والاحتجاجات والمشاغبات ، فتصدر الحركة بيانا يدعو الى الهدوء ، هذا ملخصه :

« ان اللجنة المركزية » لأحباب البيان والحرية « تدفعها الأخبار التي تأتيها يوميا ، تطلب من كل المناضلين أن لا يتجاوبوا مع أي احتكاك أو مهيجين » •

« ان أحباب البيان والحرية يجب أن لا يأخذ اهتمامها الا مسؤوليتها الثقيلة فيجب أن تعمل فى ظل الهدوء ، والكرامة ، وان تتبـع أوامـر مسؤوليتها وهي :

---

12 – ح–و–ج كلود ص 203–204 .

« النظام ـ الهدوء ـ الطاعة ـ العزيمة ، فى طريق « أحباب البيان والحرية ، هذه هي كلمة السر للجنتكم المركزية .

التوقيع : اللجنة المركزية (*)

لكن الحوادث تذهب فى تطور خطير بسبب مشاغبات المستعمرين وأعمالهم وأقوالهم المغرضة لاثارة القلاقل والبلبلة فى صفوف الشعب ، خاصة فيما يتعلق بناحية التموين . ومع تفاقم حاجة السكان الى مواد المعيشة ونضوب مدخراتهم بسبب الحرب والجفاف ، ازدادت الحالة سوءا ، يضاف الى ذلك عدم استجابة الحكومة لمطالب الشعب السياسية .

كل ذلك كون حركة غير عادية فى الوطن ، ووقعت بعض المظاهرات والاضرابات المحلية . والذي أوقد نار الحقد ـ بصفة خاصة ـ فى الكولون هو تلك الاجتماعات السياسية التي كان يقيمها مناضلو حركة أحباب البيان فى جميع أنحاء الوطن ، وما تبع ذلك من نشريات سرية ، فاندفعوا يكيدون ويبعثون التقارير الجهنمية ويطالبون بالقوات العسكرية، ويثيرون الرعب من بين السكان الأروبيين ، حتى ان الجو الذي أحدثوه ظهر ينذر بقرب اندلاع ثورة مسلحة .

أمام كل هذه التحرشات ذات الهدف الخبيث أقام المكتب المركزي اجتماعا مكبرا قدم بعده الى الحكومة الفرنسية اللائحة التالية :

لائحة المكتب المركزي لأحباب البيان (13)

ان المكتب المركزي لأحباب البيان والحرية بموجب ضميره ازاء المسؤوليات التي تتعلق به وكذا كل أعضاء الحركة ، قد اجتمعوا يومي 1 و 2 أفريل ـ نيسان ـ 1945 م وقرروا ما يلي :

بمقتضى توصيات الاجتماع العام الذي وقع أيام 2 ـ 3 ـ 4 مارس 1945 ، المكتب يبين بتدقيق مرة أخرى ، طريقه ومذهبه ضمن الحدود التي يجب أن يتطور فيها تجمع أحباب البيان .

---

* ـ جريدة المساواة ، عدد 28 مارس 1945 .

13 ـ نفس المصدر ، ص 240-207 .

ان المكتب المركزي – قبل كل شيء ، يرفع عقيرته ضد الدعاية المخيفة التي ينشرها « المكتب الخامس » (5e colonne) ، والتي هي فكرة أفراد مستفزين لا أقل ولا أكثر ، والذين هم عديمو الشعور وان هم للأسف لا زالوا يتكاثرون .

ان أحباب البيان يجب عليه أن يبلغ أنه ليس عليه أية مسؤولية فى الحوادث التي أراد أشخاص مشبوهون أثارتها بسبب مشاكل التموين أو حالة الجفاف ، أو خطر متوقع ..!

ان أحباب البيان يتمنى أن تقوم السلطات فى الوقت اللازم ضد ما يتوقع من حوادث أشد من حوادث شهر أوت 1934 (التي ذهب ضحيتها الامام كحول) (*) .

– انه ككل طبقات السكان الجزائريين – فان المسلمين مستعدون للمشاركة فى الهدوء ، والأفراح التي ستقام بمناسبة الهدنة ، ان مشاركتهم فى معركة الحرية تعطيهم الحق الممتد مع الزمن ليفرحوا باليوم العظيم فى اطار المساواة الديمقراطية ، ويستنكرون كل التحركات المغرضة .

ان المكتب المركزي يدعو بكل سرعة جميع فروع أحباب البيان والحرية ليلتزموا بالتعليمات التي تتضمنها هذه اللائحة ، وأن يوافوه بكل عنصر يرونه مخلا بالنظام ، أو كل فكرة مشبوهة من كل شيء يمكن أن يتسرب لصفوفه .

ان المكتب المركزي يحي مجيء بعثة المجلس الوطني للمقاومة الفرنسية الى افريقيا الشمالية ، وان الرسالة الاستعلامية التي يضطلع بها والتي نرجو أن تهييء الوفاق بين الشعبين الفرنسي والجزائري فى اطار المذهب التالي :

---

* – غلط ان الامام كحول أغتيل بعد حوادث المؤتمر الاسلامي عام 1936 أما حوادث 1934 فلليهود .

المــذهب :

هو ان المكتب المركزي يزيد فيحقق أن البيان الصادر يوم العاشر فبراير ـ شباط ـ 1943 يشكل الوثيقة التي تعبر عن المباديء الرئيسية التي يحملها صك المطالب التي قدمتها المنظمة ، ويأسف لرفض ملحق البيان الذ يكان أقره كل النواب وكل الممثلين للسكان المسلمين ، بعد طلب من السلطات بتاريخ 25 جوان ـ حزيران ـ 1943 ، ولم يؤخذ منه الا الاصلالاحات الانتخابية التي قررتها السلطات يوم 7 مارس 1944 .

ان المكتب المركزي يعتبر ان المرسوم الذي نادى به « أحباب البيان والحرية » والذي هو قائم فى تحقيق اصلاحات على نظام يكون محل اتفاق مباشر بين الفرنسيين والجزائريين المسلمين ، ليس بالأمر الذي هو أكبر من قيمة أمة عظيمة ديمقراطية مثل فرنسا .

ان هذه الاصلاحات التي يجب أن تتعاطى فى اطار احترام الشخصيــة الجزائرية التي احتفظت ببقائها طيلة115 سنة رغم سياسة الاندماج الخاطئة المزورة ، لأن هذه حجرت فى الخصوصيات مثل « بصفة أهليــة » .

ان هذه الجنسية الجزائرية التـ يهي عمل تاريخي واجتماعي ، وقد فرضت جنسية غيرها الآن على الأهلي » مثل الأوروبي بواسطة قرار السابع مارس ـ آذار ـ 1944 م ولو ضمنيا : حيث وجد من المحتوم أن تحترم الحالة الشخصية للساكن « الأصلي » (autochtone) وأن ينالها مسلم واحد من بين (140) هي شخصية (Intuitu-Personnoe) تعاقدية.

ان الاعتراف بهذه الشخصية لا يكون الا طبـق توصيـات الحلف الأطلسي ومؤتمر برازافيل .

1 ـ تحرير المعتقلين السياسيين :

المكتب المركزي أثبت بكل حسرة أنه من بين كل المعتقلين السياسيين المحكومين بواسطة « نظام فيشي » لم يبق الا المسلمون فقط كضحايا للنظام الحالي ، وبصفة خاصة مصالي الذي لا زال تحت الاقامة الجبرية . ان فى هذا الموقف لمفارقة شائكة جارحة لعواطف السكان المسلمين ، ولكي

لا يجعل لهذا الموقف حد عادل ، ولتبرير استدامة هذا الاجراء الظالم ، أتي بدعوى « ان التنازل يزيد تصاعدا فيما يدعى « بالتحرك الاسلامي » وهو اعتراف ضمني بأن هذه الدعوى انما أشيعت وبقصد الوقوف أمام الأهلي الجزائري لمنعه من الاهتمام بمستقبله الخاص .

فالمكتب المركزي « لأحباب البيان والحرية » يرفع عقيرته ضد هذا التأويل الفاسد ، فى الوقت الذي كان الأهم غير ذلك ، فالطريقة الطبيعية للمبادي ءالديمقراطية هي الصانع الأمين للسلم الاجتماعي .

ان الأحقاد العنصرية لا يمكن الا أن تبعث على تفريخ المزايدات التي لا يمكن ـ بحق ـ أن نلصق مسؤوليتها بالمعتقلين أنفسهم .

2 ـ توزيع البيان :

ان المكتب المركزي أثبت أنه بفضل الرقابة السياسية لم يتمكن من نشر وتوزيع نصوص « البيان وملحقه » وحتى الفات النظر .

وهكذا ، وحتى لمجرد الجهل ، قد نشر ولا زال ينشر ضد « أحباب البيان والحرية » حملة بطيئة ومرائية لمسخ مراميهم ومقاصدهم .

ان المكتب المركزي يأسف لهذه الحالة التي ليست من صنعه والتي تذكر بالأساليب الملتوية التي كانت اتخذت ضد المطالب التي قدمها المسلمون أثناء سنتي 1934 و 1936 ، وقد عزم أن يطلب من السلطة العامة أن تعطيه رخصة لطبع ونشر الوثائق الثلاث المذكورة أعلاه ، لأن هذا النشر ظهر أنه لازم لوضع حد للبهتان والاستفزازات ، والمزايدات والتهديد المعتاد بالاضطهاد .

3 ـ مشاركة جميع الجزائريين في احباب البيان بدون تفريق

ان نشر هذه الوثائق الثلاث سيكون عامل تفاهم ولا يمكن الا أن يؤدي الى وفاق بين كل سكان الجزائر ، وإذا فحركتنا توجه بالفعل نداء لكل الجزائريين بغير تفريق فى الأصل وبكل اخلاص ديمقراطيين واخلاص جمهوريين ، وتدعوهم ليتوجهوا فى أقرب وقت لفروع الحركة المحلية ليقدموا انضمامهم فى الحركة .

4 ـ بعثات الى السلطات العامة :

المكتب المركزي يتبنى مبدأ تعيين بعثة تمثل « أحباب البيان والحرية » بقصد الاتصال بالولاية العامة ، وباتفاق معها تحاول الانتقال الى باريس لتطلب طرح كراسة مطالب الحركة للمداولة والبحث .

5 ـ مكاتب الفروع :

ولفائدة النظام وضبط قضايا الطاعة ، فان المكتب المركزي قرر بأن مكاتب الفروع الجهوية لا تكون شرعية نهائيا الا بعد المصادقة على تركيبها من المكتب المركزي .

6 ـ الاتحاد مع الأحزاب الديمقراطية :

المكتب المركزي لأحباب البيان والحرية ، يسجل بكل سرور المجهود الذي بذل لوفاق الأحزاب الديمقراطية الفرنسية فى الجزائر والذين هم ـ وبحرارة ديمقراطية ـ تجمعوا فى حركة للدفاع عن مصالح الشعب العربي ـ البربري ، حسب مولدهم (14) فان أحباب البيان والحرية ليس له الا أن يتمنى تحقيق « الديمقراطية الجمهورية » فى الجزائر حسب الكيفية التي حددها السيد الوزير الاشتراكي (أندري تيكسي)

ولكن هذه الديمقراطية الجمهورية لا يمكن وجودها الا بشرط اشراك الشعب المسلم فى تسييرها وممارستها .

فأحباب البيان يقدرون ، على كل حال ، أن فرنسا الديمقراطية لا يمكن لها أن تنظم أو تتصرف فى ملايين الجزائريين ، فرنسيين ومسلمين ، دون أن تطلب منهم بيان رأيهم ، ودون أن تنزل الى هذا التدبير المنطقي، وهو « اعتبار رغباتهم فى دستور سياسي اجتماعي لجزائر الغد » (15) .

وبحسبه ، ومن أجل تسهيل وتطوير هذه الروح اللازمة لكفاح مشترك ، فان المكتب المركزي لأحباب البيان يقرر التراتيب التالية :

---

14 ـ عبارة «العربي ـ البربري» نزولا عند تعبير الأحزاب الفرنسية ، هذه العبارة التي يحلو للفرنسيين دائما اثباتها فى الوثائق ، على قاعدة « فرق تسد » .

15 ـ من عريضة اتحادية الحزب الاشتراكي في وهران بتاريخ 18ـ3ـ1945 م .

4 ـ **بعثات الى السلطات العامة :**

المكتب المركزي يتبنى مبدأ تعيين بعثة تمثل « أحباب البيان والحرية » بقصد الاتصال بالولاية العامة ، وباتفاق معها تحاول الانتقال الى باريس لتطلب طرح كراسة مطالب الحركة للمداولة والبحث .

5 ـ **مكاتب الفروع :**

ولفائدة النظام وضبط قضايا الطاعة ، فان المكتب المركزي قرر بأن مكاتب الفروع الجهوية لا تكون شرعية نهائيا الا بعد المصادقة على تركيبها من المكتب المركزي .

6 ـ **الاتحاد مع الأحزاب الديمقراطية :**

المكتب المركزي لأحباب البيان والحرية ، يسجل بكل سرور المجهود الذي بذل لوفاق الأحزاب الديمقراطية الفرنسية فى الجزائر والذين هم ـ وبحرارة ديمقراطية ـ تجمعوا فى حركة للدفاع عن مصالح الشعب العربي ـ البربري ، حسب مولدهم (14) فان أحباب البيان والحرية ليس له الا أن يتمنى تحقيق « الديمقراطية الجمهورية » فى الجزائر حسب الكيفية التي حددها السيد الوزير الاشتراكي (أندري تيكسي)

ولكن هذه الديمقراطية الجمهورية لا يمكن وجودها الا بشرط اشراك الشعب المسلم فى تسييرها وممارستها .

فأحباب البيان يقدرون ، على كل حال ، أن فرنسا الديمقراطية لا يمكن لها أن تنظم أو تتصرف فى ملايين الجزائريين ، فرنسيين ومسلمين ، دون أن تطلب منهم بيان رأيهم ، ودون أن تنزل الى هذا التدبير المنطقي، وهو « اعتبار رغباتهم فى دستور سياسي اجتماعي لجزائر الغد » (15) .

وبحسبه ، ومن أجل تسهيل وتطوير هذه الروح اللازمة لكفاح مشترك ، فان المكتب المركزي لأحباب البيان يقرر التراتيب التالية :

---

14 ـ عبارة «العربي ـ البربري» نزولا عند تعبير الأحزاب الفرنسية ، هذه العبارة التي يحلو للفرنسيين دائما اثباتها فى الوثائق ، على قاعدة « فرق تسد » .

15 ـ من عريضة اتحادية الحزب الاشتراكي في وهران بتاريخ 18ـ3ـ1945 م .

هذه اللائحة الى

أ ـ ارسال الوثائق الثلاث التي تحدد مذهبنا مع هذه اللائحة الى الأحزاب : الشيوعي ، والاشتراكي ، والراديكالي ، ولفرنسا المقاومة •

ب ـ نطلب من هذه الأحزاب والمجتمعات دراسة مشروعنا وصك مطالبنا •

جـ ـ وضع كل الوثائق بين يدي جميـــع الحركات والتجمعات والأحـزاب الديمقراطية وذلك بقصد تبني الاصلاحات ذات النظام المشترك •

د ـ دعوة فروع الحركة الى البدء فى الاتصالات مع هذه الأحزاب والتجمعات على النطاق المحلي ، بقصد العمل على سياسة تفاهم واتحاد ، ثم ان هذه الفروع تبعث بعرض حال الى المكتب المركزي فى تقارير شهرية مدققة ومفصلة » •

(الفرنسيون لا يريدون تفاهما ثم يكيدون)

بيد أن هذه المجهودات التي يبذلها الزعماء الجزائريون من أجل التفاهم مع الفرنسيين على أساس ديمقراطي مستوحى من « الميثاق الأطلنتيكي » لم تأت الا بعكس المرغوب ، فقد اتخذ المستعمرون من هذه التحركات السياسية بواسطة أحباب البيان والحرية ، حجة على أن العرب الجزائريين ينوون « رمي الفرنسيين فى البحر » وما هذه الحركة الشرعية الا وجه ظاهري لحركة ثورة مسلحة قد عبرت عنها منشورات حزب الشعب (P.P.A.) التي تقول ، مما تقول :

« ان كرامة الشعب الجزائري لا يضمن لها الاحترام الا فى اطار (كيان جزائري) وحكومة جزائرية تقوم على سيادة الشعب الجزائري وترفض أية سيادة أجنبية » ويضيف :

« وقد تأثر بها حتى فرحات عباس فوقف خطيبا بمدينة سطيف يوم 29 أبريل (نيسان) 1945 معلنا « ان شعب الجزائر سيتحرر رغم أنف قوات العنصريين » ، وان مؤتمر (سان فرنسيسكو) سيضمن

حريــة جميع الشعـــوب .. وأن الشعب الجزائري سيكون مــن بينها .. » (16) .

وهكذا يذهب المستعمرون فى الافتراضات ويوعزون الى أجهــزة اعلامهم فتتفجر هذه بالادعاءات المختلفة ، فتزعم بعض المصادر « ان الجامعة العربية أرسلت الى الزعماء الجزائريين بوعــود قاطعة أنهــا ستزودهم بالعون المادي والأدبي ان هم أعلنوا الثورة . وبعضهم نسب الى اللجنة العليا لتحرير شمال افريقيا التي مقرها بجنيف (سويسرة) اذاعة منشور توقعت فيه الثورة المسلحة عبــر كل أقطار المغــرب العربي .. ! الخ .. الخ (17) .

« وقد أقام المستعمرون ونوابهم اجتماعا خاصا بتاريخ 24 أبريل (نيسان) 1945 حرروا فيه رسالة أخذها النواب الى عامل عمالة قسنطينة « والي ولاية قسنطينة » وقد وصفوا للوالي الحالة الخطيرة فى الجزائر منذ سنة 1939 م وأبدوا فيها تخوفات كبيرة على النفوذ الفرنسي وطلبوا منه اعلام السلطات العليا وتحذيرها لكي تتخذ اجراءات صارمة لحفظ الأمن والسلام . ومما جاء فيها :

« ان الجزائريين الأهالي قد أصبحوا معاندين ومهاجمــين ، وأنهــم أصبحوا يشيعون ويتبجحون أنهم سيبقون وحدهم فى بلاد أجدادهم ، وأنهم صاروا يعلنون بصراحة كلمة الاستقلال الذي تضمنه « البيان

---

16 ــ سعد الله ، نقلا عن ساراسين ، ص 203-206 .

17 ــ الحقيقة التي يثبتها الواقع والتي أشهد بها شخصيا أنه أثناء تلك الظروف الحربيــة لم تكن ولم تؤسس أية حركة للثورة المسلحة ، سواء لدى حزب الشعب الذي هو المتهم الأول أو لدى حركة أحباب البيان والحرية وقد كانت الدعاية الحربية سواء منها دعاية الحلفاء أو المحور ، وخاصة تصريحات الحلفاء ، أعطت الشعب أملا كبيرا فى التحرر وتقرير المصير بواسطة القوانين الأممية .

ولذا لم تظهر أية حركة مسلحة الا بعد اليأس النهائي فعمدت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ــ حزب الشعب ــ الى تأسيس نواة الثورة المسلحة المنظمة السرية سنة 1947 . (L.O.S.)

نعم لكيلا أعدو الحقيقة التاريخية فقد وقعت محاولة من بعض مناضلي حزب الشعب أوائل أيام الحرب ، مع الألمان ولكنها انطفأت لحينها ، كما ذكرناها قبل .

الجزائري الصادر سنة 1943 ، وقد أصبحت الشوارع — فى كل مدينة وقرية — تعج بالمتظاهرين رغم منع السلطات لذلك • وأصبح المتظاهرون ينادون علانية بأن « الجزائر أرض عربية » •

ويستخلص المستعمرون من كل ذلك أن هذه الحركة لا تقتصر على أعمالها السياسية الظاهرة ، بل انها تشير الى « امكانية وقوع أحداث خطيرة » قد تحدث غدا وتهدد حياة الفرنسيين الذين يعيشون فى أماكن معزولة نائية ، حيث تروج تجارة الأسلحة منذ ثلاث سنوات • ثم يذكرون هروب العمال من مزارع الكولون ، وسوء الحالة الاقتصادية ، ويضيفون : ان السكان الفرنسيين حيثما كانوا هم يعيشون تحت الخوف والهلع » •

وقد وقع هذه الرسالة الزعماء والنواب الآتية أسماؤهم :

فالي (Vallé) ديرو (Dureau) ميير (Mayer) كوزان (Causin) لافي (Lavie) فورنيي (Fournier) (18) •

وأمام هذه التحرشات الاستعمارية والادعاءات المختلفة ، توقعت الحركة خطورة الوضع بل تحققت أن مكيدة خطيرة تدبر ضد الشعب الجزائري بقصد اخماد كل جذوة وطنية فيه ، فهرعت الى اقامة اجتماع بمناسبة يوم الانتصار حررت فيه الرسالة التالية : (رسالة أحباب البيان والحرية يوم 8 ماي 1945) •

ان تجمع « أحباب البيان والحرية » الذي يتكتل فيه كل المسلمين بدون تفريق فى الفكرة ، وفاء منه فى الاعراب عن الجماهير الاسلامية بمشاركتها فى هذا اليوم الحافل بالانتصار والديمقراطية ، فى فرحة وشموخ الجيوش الحليفة والشعوب الحرة •

معتقدة أنها شاركت فى هذا الانتصار بمجهود ودماء أبنائها ، فان الشعب الجزائري يحقق للشعب الفرنسي ولحكومة الجمهورية ، ولحكومات الأمم المتحدة ، تضامنه الراسخ فى السير نحو انتصار الحريات الانسانية •

---

18 — نفس المصدر .

ان أحباب البيان والحرية « باسم مشتركيها من جميع الاتجاهات مثقفين ، علماء ، مصاليين ، اشتراكيين ، شيوعيين (19) يعربون عن تمنياتهم بأنه بمناسبة هذا الانتصار المشترك سيتحقق فعليا الوفاق بين جميع المنظمات الديمقراطية للكفاح بصفة أحسن ضد آثار العنصرية .

ويعربون أخيرا عن ارادتهم فى متابعة بذل المجهودات اللازمة ، وبكل اتفاق مع الشعب الفرنسي (20) بجانب فرنسا الجديدة ، وبجانب الأمم الكبرى الديمقراطية ، من أجل تحقيق الانتصار النهائي للحرية على العبودية ، واعطاء قوة راسخة للأمن والسلام . »

تحيا الجزائر ! تحيا فرنسا ! تحيا الأمم المتحدة ! » .

ح ـ و ـ ج كلود ص 207

الانهيـــار النهـــائي

وهكذا يقع الانهيار النهائي والمزدوج « لفرنسا المقاومة » تحت أنانية وضربات القوة الاستعمارية المتشنجة ، فأنانية الكولون التي لا تعرف حدا ولا تنصاع الى معقول ، مهما كان صارخا ، فد أخذت برشد وحكمة وعقل السلطة الفرنسية ، وأخضعتها الى أن تتنكر لجميع ما بذلت من وعود للشعب الجزائري أثناء الحرب ، وتراجعت تراجعا مخزيا ، متنكرة لأبسط المباديء والقيم الانسانية ، ورضخت لارادة المستعمرين فى ابقاء ما كان على ما كان ، ثم بدأت تبيت ـ مع الكولون ـ المكائد والمؤامرات ضد الشعب الجزائري ، وزعمائه وحركاته الوطنية . وهذا هو الانهيار الأول .

ومن جهة أخرى ، بالنسبة للمواقف الدولية وسياسة الحلفاء ومواثيقهم ، فقد وقعت فرنسا فى أسر سياستها الاستعمارية التقليدية المعروفة بالتحجر

---

19 ـ كلمة شيوعية مشطوبة في الوثيقة . وتفسير ذلك أن الشيوعيين كانوا قد تخلوا عن سياسة التفاهم الى سياسة القمع وكان الوزير الشيوعي س ـ تيون قد انضم بطيرانه الى المستعمرين .

20 ـ هذه الجملة مزيدة بهامش الرسالة .

والجمود ، ونسيت كل تعهداتها عندما نزل بها ضرر الاحتلال ثم ذهبت تستعير الالفاظ : « الوحدة الفرنسية » « الوحدة الامبراطورية » فرنسا ما وراء البحار » وذلك لتبرير مواقفها الاستعمارية السافرة ، دافنة رأسها بكل نذالة فى رمال البهدلة والسخافة السياسية ، أمام المواثيق الدولية متجاهلة حلفاءها وشروطهم ، متنكرة لجميع المبادىء والقيم التي حاربت ، وحارب الحلفاء من أجلها ، وانصاعت بكل وقاحة وخيانة صريحة الى اقامة حروب استعمارية ـ بليدة ـ تتعارض على طول الخط مع كل سياسة دولية كانت التزمت بها ، وحتى مع العقل والمنطق ! • وهذا هو الانهيار الثاني •

وهكذا رأينا فرنسا التي كانت مغلوبة على أمرها أثناء الاحتلال تستنجد القوي والضعيف ، والبعيد والقريب ، ومنهم الشعب الجزائري ، وتنشد بكل شوق رجوع العافية والسلم الى الوطن الفرنسي ، رأيناها تجعل من يوم الاحتفال بالنصر مجزرة رهيبة بالقطر الجزائري الذي كان معبرا لخلاصها من الاحتلال وملجأ أمينا للعمل على تحريرها ، تلك هي مجزرة يوم الثامن ماي ـ أيار ـ 1945 •

والجمود ، ونسيت كل تعهداتها عندما نزل بها ضرر الاحتلال ثم ذهبت تستعير الالفاظ : « الوحدة الفرنسية » « الوحدة الامبراطورية » فرنسا ما وراء البحار » وذلك لتبرير مواقفها الاستعمارية السافرة ، دافنة رأسها بكل نذالة في رمال البهدلة والسخافة السياسية ، أمام المواثيق الدولية متجاهلة حلفاءها وشروطهم ، متنكرة لجميع المبادىء والقيم التي حاربت ، وحارب الحلفاء من أجلها ، وانصاعت بكل وقاحة وخيانة صريحة الى اقامة حروب استعمارية ـ بليدة ـ تتعارض على طول الخط مع كل سياسة دولية كانت التزمت بها ، وحتى مع العقل والمنطق ! • وهذا هو الانهيار الثاني •

وهكذا رأينا فرنسا التي كانت مغلوبة على أمرها أثناء الاحتلال تستنجد القوي والضعيف ، والبعيد والقريب ، ومنهم الشعب الجزائري ، وتنشد بكل شوق رجوع العافية والسلم الى الوطن الفرنسي ، رأيناها تجعل من يوم الاحتفال بالنصر مجزرة رهيبة بالقطر الجزائري الذي كان معبرا لخلاصها من الاحتلال وملجأ أمينا للعمل على تحريرها ، تلك هي مجزرة يوم الثامن ماي ـ أيار ـ 1945 •

الفترة الثالثة 1945 ـ 1954
حوادث الثامن ماي 1945

ان الكتابة على هذه الحوادث التاريخية ، بما سبقها وما لحقها يستلزم نفسا طويلا واطلاعا واسعا ، ومع ذلك ستبقى جوانب غامضة لا يعلمها الا الله والا السلطات الاستعمارية الفرنسية التي كانت تخطط لها وتنفذها •

الا أن ما يوجد من الوثائق الرسمية وغير الرسمية ، وما شاهدته شخصيا وشاهده زملاؤنا الذين ساعدونا بما لديهم من معلومات ، كل هذا سيسمح لي باعطاء القاريء ضوءا كافيا للالمام بطبيعة هذه الحوادث الأليمة •

ولاشك أن ما سبق فى هذا الكتاب من تسلسل فى الحوادث ، وما قابلها من كفاح ونشاطات على الصعيدين السياسي و « البدني » ان صحت العبارة قد أعطى القاريء نظرة واضحة على الوضعية السياسية والاجتماعية التي وصلت اليها الحالة ، سواء من ناحية الشعب الجزائري وطموحاته ، ونضاله ، ووعيه ، أو من ناحية المستعمرين وغطرستهم وتجبرهم السياسي، وحقدهم العنصري • ولكن شيئا يحفزني الى استزادة توضيح بعض الجوانب التي سبقت أحداث الثامن ماي • ولقد عثرت على خلاصة لهذه الحوادث ، بما سبقها ولحقها ، كتبها المناضل الكبير الشاذلي المكي « لليومية الجزائرية » ثم أعطانيها شخصيا • استخلص منها ما يلي ، ولكن بعد تصحيحات وتغييرات لازمة :

« ان الحرب العالمية الثانية 1939 ـ 1945 م ، وبلادنا كانت مسرحا من مسارحها ، كان من جملة ما أسفرت عنه ذلك الوعي السياسي

الذي تفجر فيها كما تفجر فى كثير من الأوطان المحكومة ، فقامت شعوبها تسارع للحرية والتحرر لا تبغي عنهما ، ولا ترضى بغيرهما بديلا. وكان ولابد لهذا الاتجاه الشعبي العام من منظمة سياسية (ثورية) تحتويه صقلا ، وتسعه تنظيما ، وتستوعبه توجيها • ثم تعده ثورة جامحة تحقق تلك الأهداف السامية التي طالما تطلبتها الأمة ، وتغنت بها الجماهير الشعبية •

ولم تكن فى الجزائر حتى عامئذ منظمة أخرى جمعت الشرطين الا منظمة « حزب الشعب الجزائري » سليل حزب « نجم شمال افريقيا » الذي يرجع تاريخ تأسيسه الى سنة 1926 ، ولكن هذا الحزب كان منحلا اداريا ، مطاردا بوليسيا ، غير معترف به قانونيا ، تتعقبه السلطات الاستعمارية بالقمع والتهديد والوعيد ، وكانت الكثرة الكثيرة من أعضائه فى غياهب السجون • ومن هنا لازم السرية ، واتخذ له العمل فى الخفاء والظلام سياسة مخططة ، وهذا من جملة ما أعطاه ثقة الجماهير، وألبسه شيئا غير قليل من القوة فى العمل ، والبأس فى المبادرة ، والتضحية فى تحمل المسؤولية •• » (1) •

ولئن كانت الأحزاب الاصلاحية التي لبثت ـ قبل الحرب العالمية الثانية وما بعدها ـ مقتنعة بسياسة طلب الحقوق بواسطة العرائض والنيابات فى المجالس الفرنسية ، الا أن انهيار الدولة الفرنسية أمام الغزو الألماني وظهور الحلفاء بسياسة « الحرب التحريرية وتقرير المصير» أوقدت جذوة الكفاح فى بعض هذه الأحزاب من أجل التحرر الوطني ، وان بطرق غير ثورية • كما زرعت فيها روحا جديدة من ارادة التفاهم مع حركة حزب الشعب التي كانت تبغضها وتتباعد عنها • وكان ذلك فرصة ثمينة لجمع كلمة الأحزاب الوطنية ، ولو على سياسة متوسطة « لا ثورية ولا اصلاحية » •

« وكان نزول الحلفاء يوم 8 نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ 1942 قطع الصلة بين بلادنا وبين فرنسا ، فكان هذا حافزا يضاف الى حافز انكسار

1 ـ اليومية الجزائرية لوراقة رحاب .

فرنسا أمام الألمان سنة 1940 م ، لتحريك جماهيرنا الشعبية للمطالبة جهارا بالحرية وتقرير المصير والنداء باطلاق سراح المساجين السياسيين الذين كانت السجون تعج بهم ، ومنهم رئيس حزب الشعب مصالي الذي سلك هو الآخر نفس الخط بمجرد خروجه من السجن كما تقدم بيانه » .

« ويصور ذلك المعلقات والمناشير السرية التي كانت تنشر وتعلق مطالبة بحق تقرير المصير ، وفقا لما جاء فى المادة الثالثة بميثاق الأطلنطي بين روزفلت وتشرشل سنة 1941 م » .

« وجاء الجنرال ديغول من برازفيل الى قسنطينة وكان ذلك يوم 12 ديسمبر ـ كانون الأول ـ 1943 م ، واتخذ من القطر الجزائري مركزه وقيادة أركان حربه ، حتى يكون ـ كما قال ـ « فى وسط المعركة » وخطابه فى قسنطينة يوم الثاني عشر ديسمبر معروف ، وكان قد حاول به مخادعة الجزائريين من ناحية وكسب الوقت مع الحلفاء من ناحية أخرى . ولكنه بخطابه ذلك خسر الناحيتين ولما سقط فى يديه ورأى أنه قد ضل السبيل عمد الى تأسيس « لجنة الاصلاحات الاسلامية » ـ التي سبق ذكرها ـ والمكونة من ثمانية عشر عضوا ، ستة من فرنسي فرنسا ، ومثلهم من فرنسي الجزائر ، وستة من الجزائريين » .

« وكما تقدم بيانه ، فقد أسفرت أعمال هذه اللجنة الاصلاحية عن قرار السابع مارس ـ آذار ـ 1944 الذي « يتكرم » فيه الجنرال ديغول على حوالي أربعين أو خمسين ألفـا من المسلمين الجزائريين باخراجهم من الجنسية الجزائرية العربية الاسلامية ، وادماجهم فى الجنسية الفرنسية ـ رغم أنوفهم ـ مع اعطائهم حق التمتع بحقوق المواطن الفرنسي ، حتى لكأن الفرد الجزائري لا يرقى الى درجـة المتمتعين بالحقوق والحريات الا اذا تنصل من جنسيته وأرومته ، وتنكر لعروبته واسلامه ، وأصبح فرنسيا عدوا لأبناء جلدته وملته ! » .

وأمام هذه الخطة الديغولية والسياسة الشيطانية ، اجتمع بعض قادة الشعب الجزائري فى ذلك الوقت وتدارسوا الوضع ، وقرروا أن يتصلوا

بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وبممثلي حركة البيان الجزائري ، وتم التفاهم بين الحزب والهيئتين ولله الحمد ، وتحقق ذلك فى تأسيس منظمة « أحباب البيان والحرية » وأسفر الاتفاق بعد على نتائج مرضية طبقا للخطة التي وضعت فى مؤتمر المنظمة أيام 2 — 3 — 4 مارس 1945 » •

« على أن العمل المشترك فى نطاق أحباب البيان والحرية لم يجعل حدا لنشاط أي حزب فى دائرته الخاصة ، كما تقدم لنا آنفا ، كما أنه لم يجعل حدا لأعمال حزب الشعب فى دائرته السرية ، بل زادها نشاطا وتدعيما وانتشارا لمباديه التحريرية ، وعمقا فى أوساط الجماهير الشعبية• ذلك لأنه جعل من انخراط أفراده بالجملة فى حزب « أحباب البيان الحرية » ستارا نافعا يتذرع به فى الاتصالات العلنية بالجماهير ، الأمر الذي ساعد — أولا — على بسط يده ووضعها على خلايا أحباب البيان والحرية وعلى تنظيماته المختلفة • وساعد — ثانيا — على تدعيم نظام الخلايا السرية وامدادها بالمسيرين والعدد والمعدات •

وبهذا فقد أصبحت المناشير والجرائد السرية : العمـل الجزائري والوطن » وصوت الأحرار التي كان يصدرها حزب الشعب ، أصبحت فى متناول الخلايا والقادة عبر القطر من أقصاه الى أدناه ، ومن شماله الى جنوبه ، وقد كانت الحركة عقدت أول اجتماع جهوي باسم « أحباب البيان والحرية بمدينة قسنطينة يوم 22 ماي — آيار — 1944 — أظهرت فيه عدم رضاها بقرار السابع مارس كما وضع فيه الخطط الرئيسية لمؤتمر عام تخطط فيه طرق العمل بتنظيم خلاياه « وفروعه وتشكيلاته المختلفة على المستوى الوطني » • وقد عقد هذا المؤتمر أيام الثاني ، والثالث ، والرابع مارس 1945 م بمقره المطل على جامع كتشاوة بساحة « ابن باديس » ، الآن (*) وأسفرت

---

* — أثبت الى الأخ المناضل الشاذلي المكي أن المؤتمر — وقد اقتصرت أنا على ذكر محله الرئيسي ـ أنه أكمل اجتماعاته بنادي المولودية بساحة شارتر لوسعه وضيق المكان الأول ، وبالرغم من أنني كنت حاضرا جميع جلسات المؤتمر لم أتذكر هذه العملية ، ووثيقة المرحوم العسيري تثبت هذا بصراحة .

أعماله عن لائحة سياسية كنا أثبتناها فى صلب هذا الكتاب بعد وصف جلسات المؤتمر .

الانطلاقة التاريخية

كان مؤتمر أحباب البيان والحرية عبارة عن تفتح آفاق واسعة وأجواء مترامية أمام انطلاقة جريئة ، متعطشة كانت تهفو الى شيء من نسيم الحرية الفكرية والوسع القانوني لتعبر بكل صراحة وبكل جهرة عن أمانيها الفتية الحزينة منذ أكثر من قرن ، فى الحرية والاستقلال .

فلذلك وجدنا المناضلين ، من جميع الهيئات الثلاث ينخرطون بكل تلهف فى المنظمة الجامعة ، ويندفعون فى غير هوادة الى الدعاية بكل الوسائل للمنظمة الجديدة « أحباب البيان والحرية » شارحين مبادئها وأهدافها فى الأوساط الشعبية . واذا بالسيل الشعبي المتدفق العارم يتدفق جبارا ، ويهفو مؤمنا ، ويتلقى الدعوة وكأنها رسالة مقدسة نزلت من السماء ، سيعد المتخلف عنها كافرا بالله ورسوله ! ... فما هي بضعة أسابيع حتى بلغ المشتركون مئات الآلاف (2) .

ومما شاهدته بنفسي فى الاقبال على الحركة ، أنه بعد ما كنا أقمنا اجتماعا عاما « بحمام المسخوطين » قرب مدينة قالمة ، مثل سائر الجهات ، وكان مشهدا عظيما قلما رؤى مثله فى التجمعات الشعبية ، حتى ان بعض الشخصيات الضالعة مع المستعمرين ، من قسنطينة والعاصمة حضرت الاجتماع وأعجبت بمباديء الحركة ، وقد كنت شخصيا ملزما بالبقاء فى الحمام لمدة ثلاثة أسابيع للاستشفاء ، فكان لم يمر علينا يوم لم نشاهد فيه كل صباح الجموع تأتي من الجبال المحيطة بالمنطقة ، طالبة خطاب مبعوث الحركة ، والانخراط فى الحزب .

ومن مظاهر التأييد الرباني لهذه الحركة الحكاية الآتية التي استطردها هنا لارتباطها بتلك الحوادث ارتباطا عضويا :

---

2 ـ راجع صفحات 296-298 من هذا الجزء .

لقد كان العلامة المحقق الأخ المولود بن عمار العطوي (مهري) اماما وخطيبا بجامع مدينة وادي الزناتي ، ونشاطه ، هو الآخر ، المريب للسلطة عد من المشتبه فيهم لدى الادارة . وكان الشيخ المولود احتاج الى الاستشفاء هو الآخر بحمام المسخوطين (*) ولكنه أحجم عن طلب رخصة من الادارة لأنه متحقق من رفض طلبه ، ويحرم حينئذ من العلاج ، فقرر أن يذهب للحمام دون رخصة وليكن ما يكون ، وبدأ يهيىء أدباشه للرحيل ، وفى أثناء كلامه مع صاحب سيارة أجرة ، جاءه موزع البريد ببرقية من ادارة عامل قسنطينة يخبره بأنه معاقب لمدة شهر فهو ممنوع للقيام بأي عمل فى المسجد ، مع دفع المرتب ...!

وذهب الشيخ المولود للاستشفاء فى الحمام بكل اطمئنان ! وكان المولود رئيس جمعية « مدرسة التهذيب » والتحق به معلمو المدرسة وتلامذتها فى نزهة لعدة أيام ، حيث أقيمت احتفالات وجولات وأناشيد بالناحية الأمر الذي جلب الأنظار وحير مسؤولي الأمن الاستعماري فبعثوا رجال الدرك للحراسة والرقابة طيلة تلك الأيام .

وهكذا تذهب حركة أحباب البيان والحرية فى توسيع وانتشار ، وتتزايد الضغينة والأحقاد فى قلوب المستعمرين ، فى حين تتفاقم انتصارات الحلفاء على المحور حتى سقطت عاصمة ألمانيا (برلين) فى أيدي الحلفاء يوم فاتح ماي – آيار – 1945 .

فاتح ماي يوم عيد العمال العالمي

لقد كان الاحتفال بيوم عيد العمال العالمي فرصة مواتية للاعراب عن رغبات الشعب ، فأصدرت الحركة أمرا بالمشاركة مع الفرنسيين فى تظاهراتهم مع رفع لافتات تحمل مقررات الميثاق الأطلنطي . واغتنم حزب الشعب « النظام السري » الفرصة ليجعل المشاركة فى المظاهرات أكثر تميزا عن الفرنسيين وأكثر ديناميكية ، فنظمت فى أكثر المدن والقرى مسيرات منفصلة عن المسيرات الأجنبية ومنظماتهم .

---

* – العامة تسميه «حمام المرحومين» وهي عندي تسمية احسن .

يقول الشاذلي مكي : « وصادف هذا اليوم سقوط عاصمة ألمانيا فى أيدي الحلفاء الأمر الذي أعطى المظاهرات طابعا خاصا ، حمل المتظاهرون فيه لافتات تندد بالاستعمار والمستعمرين ، وتنادي بحرية الجزائر واستقلالها ، وبسقوط قرار السابع مارس 1944 ، وباطلاق سراح المساجين السياسيين ، وبحياة « جامعة الدول العربية » وبحياة الجزائر حرة مستقلة .. الخ » .

« وقد أسفر هذا اليوم الذي شارك فيه الشعب الجزائري من أقصى الوطن الى أدناه بمسيراته التي انتظمت النساء والرجال ، أسفر عن سبعة قتلى ونيف وخمسين جريحا ، وعن اعتقال بضع عشرات من المواطنين . ومن القتلى خمسة سقطوا فى شارع العربي بن مهيدي — شارع ديزلي سابقا — بالعاصمة أمام سينما « الكازينو » ومحلات « أحذية أندري » من هؤلاء الغزالي بن الحفاف ، وزياد محمد عبد القادر .

وقد أحيت وزارة الداخلية بعد الاستقلال ذكرى هذين الشهيدين باقامة لوحتين على جانبي الشارع المذكور . »

يوم الثامن ماي 1945

يقول الشاذلي : « ففي هذا اليوم — يوم الثامن ماي 1945 — خرجت جموع الشبان والفتيان والكهول والشيوخ متظاهرين فى المدن والقرى الجزائرية ، وخاصة فى مدن : سطيف ، وخراطة . وقالمة ، ووادي الزناتي ، وتبسة و ... ينشدون أغاني الحرية ، ويرتلون أناشيد الاستقلال . وما كانوا يظنون أن الكثير منهم سوف لا يرجع الى أهله وذويه ، وأن الردى هو منهم لبالمرصاد . ذلك بأنه لم تمض ساعات قلائل على خروجهم من دورهم حتى تبدلت الحال من مظاهرات سلمية الى معارك دامية دارت رحاها فى نواحي كثيرة من القطر الجزائري ، وراح ضحيتها أكثر من خمسة وأربعين ألف شهيد (45000) وعشرات آلاف السجناء والمعتقلين ، دون أن يضعف من بقي بعدهم — من قلة من المناضلين — فلا يضطلعون

بأعباء الرسالة التحريرية المقدسة ، أو يستكينوا للعدو الجائر وللغاصب المستبــد • »

« حقا ان الشعب الجزائري كان قد تحرك شاعرا ومريدا ، وهو من ذلك اليوم أخذ يشق طريقه بأكثر جدية ، وأمضى عزيمة ، وأشد بأسا ، وأكثر نظاما ، الى الحرية ، الى المجد ، الى الاستقلال ، كلفه ذلك ما كلفه •

لكن المستعمرين وحكومتهم قرروا « المكيدة » ، واختاروا لها يوم الاحتفالات بعيد النصر ، يقول فرحات عباس : فى شهر أبريل ــ نيسان ــ 1945 رقي « ليستــراد كــار بونــال » (Lestrade Carbonnel) الذي كان حاكما ببلدية ممتزجة (Commune Mixte) (3) الى درجة « عامل العمالة (الوالي) وقد باح الى الدكتور سعدان ــ وكان هذا نائبا عماليا ــ « بأن حوادث ستقع ، وأن حزبا كبيرا سيحل » • كما أن النائب أبو (Abbo) الاستعماري الكبير طالما ردد أمام الناس « أن تشويشات ستنفجر ويتحتم على الجنرال ديغول التراجع عن قرار السابع مارس 1944 • وكان هذا المستعمر من أكبر أضداد القرار •

وفى أقل من أسبوعين على هذه الاعترافات كانت مدينة سطيف مسرحا لحوادث خطيرة •

ويضيف فرحات : لكن لماذا سطيف بالذات ؟ انه لمن السهل تفسير هذا ، لقد كان من اللازم أن تفجر هذه الحوادث حيث ظهر « البيان الجزائري » وأحباب البيان والحرية • لأن السلطة الاستعمارية قررت أن تضرب الحركة على رأسها ، واذن فأصغر حدث يكون مبررا لحل حركة « أحباب البيان والحرية » (أ ــ ب ــ ح) ، والرجوع الى الوراء ! وهذا الرجوع قد نفذ فى (فتنة كبرى) هي « حوادث الثامن ماي » • (4)

3 – كان النظام الاستعماري في الجزائر قسم الوطن الى ثلاث مناطق : منطقة الجنوب والحكم فيها عسكري • والمناطق المتخلفة وهي التي يقل فيها السكان الأوروبيون وهي الأحواز الممتزجة والحكم فيها شبه عسكري ، والمنطقة الثالثة فيها حكم مدني وهي التي يكثر فيها السكان الأوروبيون .

4 – ليل الاستعمار ، ص 153–154 .

وصف حي لبعض المظاهرات

ولكي أعطي القاريء نظرة مجملة على مظاهرات هذا اليوم أثبت فيما يلي وصفا حيا عن مظاهرات سطيف وقالمة ووادي الزناتي :

في مدينة سطيف :

يقول عباس : أذكر باختصار هذا اليوم ، كان يوم ثلاثاء ، وهو يوم السوق الأسبوعية ، حيث تغمر مدينة سطيف من خمسة الى خمسة عشر ألفا من الفلاحين والتجار الواردين من مختلف النواحي البعيدة .

وأثناء ليلة الثامن ماي أشيع أن رخصة أعطيت للمسلمين ليقوموا بمظاهرة . ويدعي رئيس الدائرة (نائب عامل العمالة) أن أحدا من حركة أحباب البيان والحرية جاء ليطلبها ولم يلزم بتقديم طلب كتابة كما هو القانون ، وفى هذا الوقت لم يكن رئيس البلدية على علم لأنه لم يخبر . أما عامل العمالة لسترادكاربونال ـ وهو بقسنطينة ـ فقد استؤذن ووافق على المظاهرة ولكنه أعطى أمرا باطلاق النار على المتظاهرين اذا رفع العلم الوطني الجزائري » .

وبعد أن يذكر عباس المسيرات التي أقامها حزب الشعب المنحل يوم فاتح ماي والتي رفع فيها الأعلام الجزائرية ، وما وقع فيها من قتلى وجرحى يقول :

لقد كان الجو معبأ بالأعاصير ولكن الأوساط الاستعمارية كانت دائما تتكلم عن مظاهرة هامة يوم 8 ماي 1945 وكانت هذه المظاهرة هي « الفـخ » ! .

لقد أقيمت المسيرة بساحة « محطة القطار » قرب المسجد الجديد ثم اندفعت نحو مركز المدينة محاطة برجال الشرطة وبعد أن جابت نحو الألف ميتر ، ارتفع علم جزائري ، ولم تتدخل الشرطة ، ولما صارت المظاهرة بقلب المدينة أمام (مقهى فرنسا) ظهر محافظ شرطة وقد اندفع نحو حامل العلم لينتزعه من يده فمانع المناضل ، فأطلق شرطي

النار ، فوقع قتيل على الأرض وبعض الجرحى ؛ وهكذا الحالة تطورت الى التقتيل •

فالمتظاهرون يطاردون الأروبيين ، والشرطة التي عززها الجيش يطلقون النار على المتظاهرين ، وقد سقط عديد من القتلى والجرحى ، وانتشر الخبر بين العامة ، وبدأ الناس الذين رجعوا من السوق الى البوادي يسمعون طلقات البارود ، والأخبار المرعبة ، وقد أخذا فى الانتشار •

وأثناء هذه المدة كان الشعب فى الأرياف ساكنا لا يتحرك ولا يفهم شيئا بينما كان مناضلو ح ـ أ ب ـ ح هادئين فى الجملة ، وبكلمة واحدة فالشعب الجزائري لم يشارك أبدا فى تعكير الأمن والعصيان •

« وبالفعل فان الحوادث كانت ثقيلة ، خاصة بالقطاع القسنطيني ، فقط سقط من الأروبيين مائتان واثنان قتلى (202) وبالمقابل فقد أثخن فى الجزائريين ، اذ سقط عشرات الآلاف من القتلى ، فقد كان اللفيف الأجنبي والطابور المغربي والسينغالي، تحت قيادة اللواء « الجنرال ديفال » (Duval) والعقيد « الكولونيل بورديلا (Bourdila) ينقضون على قرانا ودواويرنا ، ولا يتحاشون امرأة ولا طفلا صغيرا » •

وحتى الكولون الذين يؤيدهم الجيش والشرطة فهم ينقضون فى فوران ووحشية لا يليقان بكرامة شعب يدعى انه متمدن » •

وهكذا يذهب عباس فى وصف تعذيب شباب الحركة بوسائل جهنمية وتقتيله بواسطة صيد العربي (La chasse à l'arabe) واطلاق يد الكولون للحكم على شباب الحركة واعدامهم بالآلاف بعد تعذيبهم العذاب الأليم ، يقول : وذلك مما أعاد الى الأذهان أفعال روفيقو (Rovigo)

وهكذا تحل الحكومة « أحباب البيان والحرية » وتعلن حالة الحصار ، وتدخل الجوالة الفرنسية (أو الطراد) « ديغاي تروان » (Duguay Trouin) للعمل بقنبلة القرى الأهلية ـ الدواوير ـ بحوز

تاقيطونت الممتزج وواد مرسى (5) بينما شرعت السلط الادارية فى القاء القبض الجماعي على مسيري ومناضلي أ ـ ب ـ ح ، ومناضلي حزب الشعب ، والنقابات ، والعلماء وحتى قدماء المحاربين الذين كانـوا فى الصفوف الفرنسية . فوضعت البعض فى المعتقلات ، وسيق البعض الآخر للمحاكم العسكرية ، وأبعد مصالي الى افريقيا الوسطى » (6) .

وفي قـالمـة :

واذا كانت الحالة فى سطيف وخراطة وضواحيها بهذه الصفة الفظيعة ، فانها بقالمة وضواحيها لا تقل عنها فظاعة ، بل أن (الكولون) المعمرين فى قالمـة ، وعلى رأسهـم « أشيـاري » رئيـس الدائـرة (نـائب العامل) كانوا يختارون الضحايا من المناضلين والمثقفين والعلماء فيفتشون عنهم فى المقاهي ، وفى البيوت ، وحتى فى المستشفيات ثم يعبئونهم بالمئات فى الشاحنات العسكرية ويذهبون بهم الى (كاف البومبة) حيث يعدمون جماعيا برصاص الرشاشات .

ولقد بدأت العملية فى مدينة قالمة تماما مثـل سطيف ، فبعدما نظمت المظاهرة المأذونة واتجهت الى قلب المدينة ثم الى نصب الجندي المجهول تعرض أحد رجال الشرطة الى حامل العلم الجزائري ليفتكه من يده فامتنع المناضل ، فأطلقت النار .

لقد حاولت أن أحصل على وصف حي من أحد الحاضرين فى المظاهرة فلم أظفر بشيء سوى ما وافاني به صديقنا القائد السيد محمد العربي ابن حسين فى تقرير طويل كان كتبه خصيصا وفيه :

« كان الجو بصفة عامة مكفهرا يسترعي الانتباه واليقظة ، وكان خلال هذه الفترات نشاط دائم من مناضلي حزب الشعب الجزائري وحزب البيان

---

5 – لم يرد عباس أو نسى أن يذكر قنبلة الطائرات الثقيلة الأمريكية والبريطانية التي كانت تحت قيادة الوزير الشيوعي «شارل تيون» **(Ch. Tillon)** لقرى وسكان تلك النواحي ، وسنجد تفصيل هذا في تقرير نشرته مجـلة الجيش الأمريكي فيما يأتي .

6 – ليل الاستعمار ، ص 153–157 .

وأنصار جمعية العلماء الجزائريين ، بالرغم من شبه تنافر بين حزب الشعب وحزب البيان ... وكانت الاجتماعات السرية تعقد وتلقى فيها الخطب الحماسية ومنها ما يلهب المشاعر . كما توزع المناشير فى القرى والمدن والمراكز الاستعمارية ، مع أن مطالب الأحزاب ، سيما حزب البيان كانت تنحصر فى بعض الحقوق والامتيازات من حكومة فرنسا ...

هذا ورغم وضعيتي الادارية كنت أستقبل الاخوان المناضلين الذين يعملون تحت ستار السرية ، يأتون من قالمة ووادي الزناتي ، وأتذكر بالخصوص منهم الكاتب والأديب الشيخ عبد الرحمن بن العقون التاجر حينذاك بوادي الزناتي ، وكان يتردد علينا بتلك الناحية ، وكان الاتصال بيننا منذ سنة 1944 .

« كانت البداية على ما أذكر يوم الثلاثاء حيث ذهبت الحافلة العادية من قرية ڤونو الى قالمة تحمل الركاب والبريد ، وفى أثناء الطريق وجدت حواجز لمنعها من المرور وأمرها المناضلون بالرجوع الى القرية لما أشيع أن ثورة دامية قائمة بمدينة قالمة ، وقطعت المواصلات ـ الاتصالات ـ الهاتفيـة .

والصورة التي أعطيك ما ينبغي عن حوادث قالمة هي صورة مصغرة ، لقد أبرز فى المظاهرة ، لأول مرة فى تاريخ الاستعمار « العلم الجزائري » فكان رد الفعل من الشرطة عنيفا بل وحشيا وهمجيا بحيث أصبح القتل جماعيا وابادیا سواء بمدينة قالمة أو بالقرب منها أو بضواحيها ، وسلحت السلطة الفرنسية المعمرين الأروبيين ، وبادروا بقتل الأبرياء من رجال ونساء وأطفال . زد على ذلك احراق جثثهم فى أفران الجبس ، والفتك بهم وبأساليب مخزية بالتعذيب ونهب الأموال وقتل المواشي ... الخ .

وفي وادي الزناتي :

ولقد رأيت من المناسب ، بل من المستحسن ، أن أذكر وصفا لمظاهرة حضرتها بنفسي ، وقدتها بمعية الاخوان المناضلين ، وذلك بوادي الزناتي . وفيما يلي وصف المظاهرة بما تقدمها ولحقها .

سلمية هادئة ، يتجنب فيها كل عنف ، حتى ولو استفز المستعمرون ولا يظهر فيها أي آلة يدعى أنها سلاح ، ولو العصي . ثم تحقق الأوامر أنه لا مجال لأي رد من المتظاهرين ، ولو استعملت الشرطة أو الجيش عنفا أو أي استفزاز بالضرب أو حتى القتل . ولكن الشيء الذي يحرص عليه المناضلون هو رفع اللافتات التي تبين رغبات الشعب وتعرب عن تطلعاته بكل صراحة ، كما يرفع العلم الجزائري للاعراب عن ارادة الشعب فى الحرية والاستقلال .

ولا صحة لما قيل أن حزب الشعب اتخذ من مظاهرات هذا اليوم سلما لاعلان الثورة ، فقد كنت مسؤولا فى الحزب ولم أسمع أبدا بهذا ، ولم أعرف ان الحزب له منظمة مسلحة فى ذلك الوقت .

وها هو مسؤول آخر ، وهو الأخ المناضل الكبير محمد بوضياف يثبت ذلك فيقول : « ومن الخطأ الاعتقاد أو الادعاء بأن هؤلاء الوطنيين يريدون فى هذه المناسبة تنظيم ثورة ، وانما كل ما حدث انما هو نتيجة الاستفزاز البوليسي ... » .

على أنه ، وبمرور الزمن فقد انكشف كل شيء وظهرت أنها مؤامرة استعمارية قدر لها أن تنجح فى بعض نقاط الوطن حيث يوجد رؤوس الاستعمار العنصريون الحاقدون ، وقد حققت هذا بنفسي بمعية بعض المسؤولين فى الحركة بناحيتنا .

لما وردت أوامر الحركة علينا بوادي الزناتي ، كما تقدم ، ذهبنا الى رئيس البلدية للحصول على الرخصة ، وبعد أخذ ورد ومراجعات أخبرنا رئيس البلدية ـ وكان كورسي الأصل ـ ويدعي (أنطوان فطاسيولي) بأنه فى جانبنا ولا يريد منعنا من المشاركة فى أفراح النصر ، ولكن أوامر مشددة وردت ، وهناك خوف كبير متزايد لدى السكان الأروبيين . ومن

---

7 ـ من الواجب أن أشير هنا الى أنه لا توجد أي حركة أخرى في وادي الزناتي غير حركة حزب الشعب ، وهذا ما ينفي دعوى أن حزب الشعب حضر لثورة مسلحة فى هذا اليوم مختفيا بحركة أحباب البيان والحرية . كما يدعي كثير من لأجانب .

أجل ذلك فأنا ملزم بأن أحصل منكم على ضمانات ، وذهبت المفاوضات في تعثر ثم تقدم الى أن استقرت على انشاء لجنة من نواب وأعيان البلدة ، تحرص على النظام ، وتكون مسؤولة عن أي حدث يحدث ، وبالرغم من هذا الشرط الخطير فقد تقدم المناضلون بكل بسالة لتحمل المسئولية .

وبدأت الأخبار تترى على رئيس البلدية بالتشاؤم تارة ، وبالتشدد أخرى ، مما علمنا منه أن الرجل عليه ضغط كبير ، وتحققنا صدقه معنا وعدم تواطئه حقا مع الكولون . حتى ان هؤلاء في الأخير اشترطوا أن يكون كل واحد من اللجنة ملتزما بالمحافظة على عائلة من عائلات المستعمرين بنفسه . فقلنا ان بيوتنا مفتوحة لتكون في مأمن مع عائلاتنا ..

وآل الأمر الى أن يبعث عامل عمالة قسنطينة بنائبه (رئيس الدائرة) ليحضر المظاهرة بنفسه ، مع ارسال طابور من الجيش وطائرات للاستكشاف ، وأصبحت المدينة تتلظى بالمتظاهرين الذين كانوا ينسلون من كل حدب وصوب وبالشرطة والجيش ، وكأننا ننتظر اعلان حرب .

وبينما كان المناضلون يتلقون المتظاهرين لينظموهم ويرشدوهم الى مكان التجمع ، اذا بخبر سريع يأتينا بأن كثيرا من المتظاهرين الآتين من النواحي المختلفة يحملون السلاح ، حيث أن أمرا ورد عليهم ــ مجددا ــ يخبرهم بأن الحركة أمرت بالجهاد . وأن الشيخ الامام قد طلع الى « المعاقة » ــ وهي غابة مرتفعة بضاحية المدينة ــ وينادي الجهاد ! الجهاد في سبيل الله ! .

وقد تحققنا المكيدة فأرسلنا حينا مناضلين بالدراجات الى مشارف البلدة والطرق الحالبة ليخبروا الجموع المتدفقة بأنه لا صحة لما سمعتم . فأسرع الحاملون منهم الى أسلحتهم يضعونها في قلب المزارع وحقول القمح . وما هو السلاح الذي يحمله المجاهدون ... ! انه قلة من بنادق الصيد ، وعصي وفؤوس ومذاري ... !

وكان من حسن الحظ أن المناضلين توصلوا في الوقت اللازم الى افشال المؤامرة • (*) وهكذا أقمنا اجتماعا عظيما برحبة سوق المواشي الواسعة وحضر الاجتماع المسؤولون من الادارة الفرنسية ، وألقيت خطب بغاية الصراحة ، وبحكمة ، تبين الغرض من المظاهرة ؛ وهو الاعراب عن رغبات الشعب الجزائري ، ثم صفقت الجموع التي كانت تبلغ نحو العشرين ألفا ، بناحية محطة القطار ، ثم اندفعت في نظام محاطة بالمناضلين ويقودها ثلاثة من مسؤولي الحركة مارة بمركز المدينة متجهة نحو دار البلدية حيث تمثال الجندي المجهول •

ولما دخل الركب أول المدينة تعرضت له كوكبة من اللفيف الأجنبي فأوقفت المظاهرة ، وتقدم ضابط نحو المسؤولين الذين كانوا على رأس المظاهرة ، ينذرهم أنه مأمور باطلاق النار عندما يرى أي حركة غير عادية • فطمأنه المسؤولون بلباقة ، ثم استأنف الركب مسيرته ، وقد انضم اليه رئيس الدائرة ورئيس البلدية ، يحمل اللافتات والأعلام الجزائرية ، ويهتفون وينشدون ، والجيش يحيط بهم والطائرات تحلق في سماء المدينة وتنقض مرة بعد أخرى فوق رؤوس المتظاهرين ، حتى وصلت المسيرة الى تمثال الجندي المجهول حيث وضع مسؤولو الادارة باقة من الزهور ، ثم استأنف الركب المسيرة الى ناحية جامع البلدة حيث ألقيت عليه كلمة بالأمر بالافتراق في هدوء ونظام ، وليتوجه كل واحد الى عمله وحقله •

وعندئذ وقف رئيس الدائرة (نائب العامل) فشكر المسؤولين على نظامهم وخاصة الشيخ الامام الذي كان ألقى كلمة في الجموع أعانت القائمين على النظام ، وزرعت الهدوء في النفوس (8) وكنا نظن أن القضية مرت بسلام حيث نجحنا نجاحا باهرا في اقامة مظاهرة عظمى ، وتمكنا من

---

* – لقد ثبت ظنيا أن الذين كانوا ينشرون الدعاية هم بعض العمال من أذناب الكولون وقد عثر على أحدهم بناحية سطيف .

8 – الواقع أن الامام ، وهو الأخ المولود مهري ، كان أحد المناضلين ولم يقم بكلمته تلك الا تنفيذا لأمر الحركة ، وهذه حجة أخرى على أن أمر الثورة المسلحة لم يكن في الحسبان أبدا .

الاعراب اعرابا صارخا عن تطلعات الشعب ورغباته ، وقد مر كل ذلك فى أحسن الظروف دون اراقة دم أو حتى حادث بسيط ، وبرغم تحرشات الشرطة والجيش واستفزازاتهم مرة بعد أخرى للمتظاهرين •

نكســـة غـادرة :

الا انه ما راعنا الا والاخبار بدأت ترد علينا أن الجموع الريفية ، عند رجوعها ، قد صادفت تعسفات جارحة من لدن (الجندرمة الاستعمارية) ــ رجال الدرك ــ فهرعنا نستكشف الحدث ، ولكن الدركيين يجيبون بأننا مأمورون بالتفتيش الذي نقوم به ولا كلام لكم معنا ، وانما كلامكم مع المسؤولين فى المركز •

وبما أن الاتفاق الذي وقع بين اللجنة ومسؤولي الادارة كان محددا ومضبوطا بنص صريح على أنه اذا مرت المظاهرة بسلام فسيسحب الجيش وسترجع المياه الى مجاريها ، فقد ذهبنا رأسا الى قائد رجال الدرك بالمدينة محتجين على الأعمال التعسفية التي وقعت ضد الاتفاق ، وخلاف ما يجب أن يكون ، ولكن هذا ، وبكل فظاظة ، هددنا تهديدا صريحا أنه لو نزيد كلمة أخرى معه فانه يلقي علينا القبض ، فذهبنا الى رئيس البلديــة محتجين ، ولكن هذا يجيبنا ان المسألة قد خرجت من يده ، وأن الأمر قد تفاقم وأمام هذه الحالة يجب التدرع بالصبر والحكمة ، وانه سيبقى دائما معنا يدعو الى الوئام » •

ما السبب في تطور الحالة ؟

لقد كانت الأنباء وردت على الادارة من قالمة وسطيف ، وبالأحرى من قسنطينة ، تصور حوادث وقعت فى البلدين بأنها بداية ثورة مسلحة من الأهالي الجزائريين ، وان حركة أحباب البيان والحرية ما هي الا وجه خادع للتمكن من تحضير هذه الثورة • وهكذا ، فبعد ما انسحب الجيش بعد المظاهرة ــ كما كان الاتفاق ــ الى خارج حرم المدينة ، رجع فملأ الشوارع ، وبدأت الاشاعات التي يثيرها الكولون تترى ، فتارة انهم رأوا الثوار آتين من ناحية حيال السواحلية ، وأخرى ان سكان المدينة أنفسهم سينقضون على الأقلية الأروبية ••• ولجأ رئيس البلدية تحت

هذا الضغط الى استدعاء رجال اللجنة ساعة فساعة ، ويوما فيوما . وما جاء يوم الثاني عشر من ماي حتى بدأت السلطة تلقي القبض على أعضاء الحركـة .

لقد كنت شخصيا مع أعضاء اللجنة ننتظر اجتماعا دعانا اليه رئيس البلدية ، فاذا بشرطيين أتيا للقبض علي وأسرعا بي الى مركز رجال الدرك حيث أكرمني قائد الدرك بصفعة طار بها صوابي ثم ساقوني الى حيث وجدت بعض الطليعة من المقبوضين ، وقد وضعوهم فى أحد اصطبلات خيولهم ثم بقي المقبوضون يتوافدون علينا واحدا بعد واحد الى أن بلغنا نحو العشرين ، وكلهم معروفون بنشاطهم فى الحركة .

وما هي ساعات قلائل حتى فاجأنا ركب عامل العمالـة بقسنطينـة (لـ كاربونال) ، وقد دخل علينا يرعد ويزبد . وكان من بين المقبوضين أحد المعلمين باللغة الفرنسية ، وهو المرحوم أحمد غضبان ، فقال كاربونال : أين ذلك المعلم الرخيص الذي أعطيناه الخبز ليحيا فأراد أن يقتلنا . فاندفع أحد رجال الشرطة السرية ، وهو المرحوم الشريف الواعر وهو من أبناء وادي الزناتي ، فأخذه وقدمه اليه ، وشرع السيد الوالي كاربونال يصفعه ويسب ويشتم العرب ونبيهم ، ثم أخرج المسدس من جيبه وصوبه الى الضحية ، فأسرع كاتبه الخاص م ـ ريكو ليأخذ المسدس من يد سيده قائلا : أنت سيدي العامل أشرف من أن تقتل كلبا كهذا الموظف ، بل قتلك له سيكون شرفا له ، ولكن لنرسل به الى (المارينه) « مركز عمال الميناء » حيث يحمل الأثقال ويمو تحسرة ذليلا حقيرا . »

وهكذا تقدم الينا السيد العامل ، والشرر يتطاير من عينيه ، والزبد يملأ فمه ، وهو يصرخ : بني كلاب ! ... أنتم تريدون قتل الفرنسيين ؟! .. أجيبوا يا مجرمين ! .. فلم يجبه أحد . ونظر الى أحد المقبوضين ـ وهو المرحوم صالح الحفيان ـ فرأى على رأسه قلنسوه ـ وكان واجب الاحترام لدى الأروبيين أن يعرى الرأس ـ فقال له : من أنت يا هذا ؟ والتفت الى حاشيته يسألهم من هذا ؟ فأجابه صالح : مسلم . فصفعه وقال : مسلم ! ... مسلم أنت ؟ ... ثم توجه الينا وقال : أنتم

مسلمون ؟! .. يرددها ويحملق فينا واحدا بعد واحد ، ثم قال : هل نبيكم يقول لكم اقتلوا النساء والصبيان ؟ وبقي يعيدها كالمرة الأولى ويحملق .. فقال أحدنا : أبدا ... لم يقل لنا نبينا هذا ، ولم نقتل نحن أحدا لا نساء وصبيانا ولا غيرهم ، وهي الحقيقة التي ستراها فى بلدنا . فحملق مدة مغاضبا متشامخا ثم ولى ذاهبا وحاشيته .

وبعد أن ذهب عنا عامل العمالة ساقونا الى دهليز كبير فى مركز الجندرمة حيث وجدنا جموعا كثيرة من المعتقلين . وكلما دخل دركي أو شرطي الا وجه السباب والشتم ، وتارة البصاق على وجـو الأسـارى وتـارة اللكمات للذي يكون قريبا منه .

وما هي ساعات حتى نودي علي شخصيا فساقوني الى زنزانة خاصة ، وبعد مدة أضيف الي الأخ الحاج الطيب مغزي فبض كرهينة لأخيه محمد محمد مغزي الذي كان غائبا ، وقد تبين بعد أن جماعة منا كانت معدة للاعدام كما أن الناحية السفلى من المدينة ، حيث الاحياء العربية ، كانت معدة للهدم بالمدافع بما فيها من سكان ، بيد أن الموقف الصامد الذي وقفه أحد رؤساء المستعمرين وهو (جاكي أدام)
وقد كان نائب رئيس البلدية ومديرا عاما لأراضي الشركة الجزائريـة (La Cie Algérienne) يعاونه فى ذلك صديقنا الدكتور عمر ابن جبيلس رحمه الله ، وكذا رئيس البلدية « فطاسيولي » ، هذا الموقف كان سببا فى حقن دمائنا ودماء سكان الأحياء العربية .

لقد كان « الكولون » ويساندهم قائد اللفيف الأجنبي يطالبون بقنبلة الأحياء الأهلية وبقتل عدد من مسؤولي الحركة ، فلما أتى عامل العمالة (الوالي) أقيم اجتماع ودعيت اليه بعض الشخصيات العربية ومنهـم الدكتور ابن جبيلس والشيخ المولود مهري الامام (9) وعرض مطلب

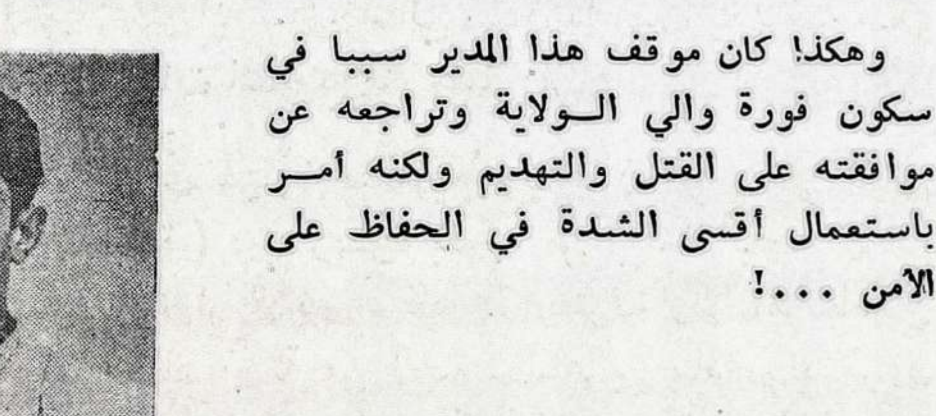
---

9 – من مواقف الشيخ المولود المؤمنة أن عامل العمالة عرض عليه في هذه الجلسة وسام الافتخار جزاء وقوفه بالدعوة للهدوء فرفض الوسام بكل اباء متعللا بأن الاسلام يمنعه لأنه ، كما قال ، انما قمت بهذا العمل حسبما يأمرني ديني فلا أستحق أي جزاء وبرغم الحاح العامل امتنع من قبول الوسام ، وتلك من الأسباب التي جعلته بعد في عين الادارة من المشبوهين .

الكولون، وتشدد قائد اللفيف فى تنفيذ المطلب ، ووقعت مشادة بين مدير الشركة الجزائرية والمسؤولين • وأخيرا طلب هذا المدير من الوالي ـ العامل ـ مقابلة خاصة قيل انه قال له : أردت بهذه المقابلة الخاصة ، أن أفهم حقيقة الوضعية من السيد الوالي مباشرة أي هل ان فرنسا عازمة على الخروج من الجزائر نهائيا ؟ فاذا كان هذا فلا يكفي قتل بعـض الأشخاص أو هدم حي أو أحياء ، بل يجب أ ننقتل ما استطعنا القتل ونهدم ما استطعنا الهدم •

فأجابه الوالي ـ وكان يعرف قيمته الشخصية : بل بالعكس اننا بهذا نعمل على الاحتفاظ بالجزائر مهما كان الأمر ، فلذا نحن نريد بهذا القمع المتناهي أن نخمد كل حركة انفصالية ، وذلك باخماد أنفاس المسيريـن للحركة الوطنية وارهاب البقية حتى تركن الى الخضوع للسلطة •

فقال له المدير : اذن فلتسمحوا لي سيدي الوالي أن أصرح بفكرتي وأعتقد أنكم ستحلونها محل اهتمامكم المتزايد « ان هذه التصرفات أراها غير حكيمة ، فان أعمالا قمعية من هذا النوع ستكون ـ ولا شك ـ أكثر دفعا للوطنية الجزائرية وستجعل المعتدل منها متطرفا ، بل ربمـا ستكون عود ثقاب للثورة المسلحة العامة • »



وهكذا! كان موقف هذا المدير سببا في سكون فورة والي الـولاية وتراجعه عن موافقته على القتل والتهديم ولكنه أمـر باستعمال أقسى الشدة في الحفاظ على الأمن ...!



هكذا ، واندفع المستعمرون يقبضون بالمئآت، بشرطتهم ويعذبون ، بينما نصبت المدافع فوق سطوح المنازل ، وانتشرت الوحدات العسكرية فى كل مكان بقصد الارهاب معلنة حالة الحصار •

ومن الغد جاء رجال الشرطة السرية فاختاروا من بين المقبوضين سبعة وخمسين ، منهم فرنسي واحد وهو (أنطوان زارا) كانوا وجدوا اسمه من بين المشتركين فى الحركة ، ثم ساقونا الى سجن الكدية بقسنطينة • أما المئات الباقية فقد وضعوها فى محلات هنا وهناك وخاصة فى الدار التي تسمى « دار ملوكه » •

حـــــكاية :

ومن مفاخر تلك الأيام والتي تعطي نظرة عن مدى عزيمة مناضلي الحركة الوطنية وثباتهم وصبرهم ، حادثة « الشهيد الأخ محمد ضرباني » رحمه الله ، فقد ألقي القبض على هذا المناضل ، وكان من معلمي القرآن الكريم اذ ذاك ، ثم صار من معلمي مدرسة التهذيب ، وقد اتهم بحضور اجتماع سري للمسؤولين فى الحركة ، فاستنطقوه وطلبوا منه الاعتراف والبوح بأسماء هؤلاء المسؤولين وبما قرروه ، ولكنه امتنع بكل أباء متحملا وقر الشرطة التي أخذت فى تعذيبه تعذيبا قاسيا قصد أن تقتلع منه شيئا ولكن دون جدوى • وأخيرا أخبر أنه سيؤخذ الى مكان ما حيث ينفذ فيه حكم الاعدام ان لم يقدم المعلومات المطلوبة منه حينا فأبى •

وبالفعل فقد أخذ بعد فى سيارة عسكرية الى مكان جبلي على طريق قالمة قرب قرية (عين عمارة) ، ثم ربطوه بعمود من أعمدة الخط الهاتفي فجاءه الضابط لينذره الانذار الأخير ، فاما أن يعترف والا أمر باطلاق الرصاص عليه ، وقد اصطف ستة من الجنود شاهرين بنادقهم ينتظرون الأمر ولكن محمد الضرباني العظيم رفض بكل أباء وشجاعة •

وذهب الضابط ليعدد كلمات الانذار « أو الامهال » وأخبره أنه عند تكلمه بكلمة « ثلاثة » فاذا لم يرفع اصبعه ايذانا بالاعتراف فتلك هي اللحظة الأخيرة من حياته ، وصوب الجنود بنادقهم العسكرية نحوه وبدأ الضابط : واحد ، اثنان ، ثلاثة • ولم يتحرك البطل ! ••• وكان من حسن

حظ محمد ضرباني أنه قد أتى فى ذلك اليوم الأمر الرسمي بالكف عن القتل ، فأحجم الضابط وأمر الجنود باطلاق النار ولكن فوق رأس البطل •

ومن ثم أخذوه راجعين الى وادي الزناتي ، وكان العذاب وحرارة اليوم الشديدة والحمى انهكت من قواه وجعلته فى عطش شديد ، فطلب منهم أن يسقوه ماء • ولكن الفرنسيين الذين يحتكرون دعوى التمدن لأنفسهم سخروا منه ، وهم يضحكون بملء الأشداق ، وقالوا له : ان اعترفت فسوف نسقيك ماء والا فانتظر الموت جوعا وعطشا • ووضعوه فى زنزانة بمقر « الجندرمة » وانصرفوا ، وكان منهكا بالفعل ووجهه وعيناه منتفختان فلا يرى شيئا الا اذا فتح عينيه بواسطة أصبعيه ، ومن لطف الله أنه حينما كان يتلهف الى جرعة من الماء ويفتش فى المكان حتى ولو وجد بولا لشربه ، فاذا به يعثر فى نافذة على اناء فأخذه فاذا هو ملآن لبنا مخيضا فشرب محمد ضرباني فارتوى وتغذى من ذلك اللبن •

ولما أصبح الصباح جاءت الشرطة لأخذه الى السجن ، وكانوا يظنون لاشك انهم سيجدونه جثة هامدة ــ فوجدوه وقد استرجع شيئا كثيرا من قوته ومن وعيه ، وكان الله بعبده لطيفا خبيرا •

وعاش محمد الضرباني وبقي يكافح لدينه ووطنه ، الى أن اغتالــه الاستعمار سنة 1956 أثناء ثورة التحرير ، فراح شهيدا من شهــداء الاسلام والعروبة فى الجزائر • هذه عينات مما وقع فى تلك الأحداث أثبتها هنا لأنني عشتها وشاهدتها شخصيا ، ولم أخترها لأنها كانت من الروائع بل هناك ما هو أروع وأكثر قيمة خاصة فى مناطق سطيف وخراطة وقالمــة •

الحوادث وتعدد الروايات

وقد تناول الكتاب هذه الحوادث المهولة تناولات متعددة سواء بحسب الوجهة التي عرضت لهم أو على حسب ما شاهدوا أو سمعوا • فها هو المناضل الكبير محمد بوضياف يقول :

« أود أن أتحدث أولا عن احداث شهر ماي 1945 والتي أدمت القطاع القسنطيني ، وكانت هذه الأحداث قد أبرزت بصفة قطعية بأن الاستعمار لن يقاوم ويحارب الا بوسائل ثورية •

وبالنسبة لمناضلي جيلي فان أحداث ماي 1945 كانت نقطة انطلاق لادراك جديد ، ولقطيعة • فبالنسبة للادراك الجديد فقد اتضح انه من الضروري البحث عن وسائل فعالة لتحقيق الاستقلال وأخذه أخذا بدل الاكتفاء بالمطالبة به • أما بالنسبة للقطيعة فنعني نبذ كل المفاهيم السابقة فى الكفاح والتنظيم والتي كانت معهودة قبل الحرب العالمية الثانية • من ذلك ان تنظيم حـزب الشعب الجـزائري كان آنذاك مكتفيـا بوضعه كحـركة للمحبين المقتنعين بفكـرة الاستقلال ، ولم تتمـكن اطارات هذا الحزب الذين عسر عليهم الخروج من العاصمة لاعداد هياكل وأنظمة ملائمة ، على الرغم من الاستعداد الجماهيري لتقبل الأوامـر البسيطة الموجهة عند نهاية الحرب • (11) « وأبين هنا أن الحركة التي شملت بيان الشعب الجزائري وأحباب البيان والحرية قد جمعت فى ظرف شهور مئآت الآلاف من المنخرطين • وكانت هذه الحركة من طرف طليعة منبثقة عن برجوازية متوسطة وبرجوازية مثقفة (عباس ونواب المجالس المالية) فحظيت حركة البيان من بعد ذلك بمساندة حزب الشعب الذي كانت قاعدته تتكونْ من الطبقات الشعبية وقد لعبت فى الحركة دور المحرك بسبب جنوحه الى التصلب فى المواقف •

ثم انه نظرا الى كون حركة أحباب البيان والحرية تحشد أناسا كثيرين فان ذلك كان مناسبا لمناضلي حزب الشعب لاقامة علاقات واتصـالات كثيرة ، مما أظهر ، فى مؤتمر مارس 1945 ، حماس حزب الشعب فى مظهر حزب الأغلبية ، وأن المطالبة بالاستقلال هي الطاغية من بين كل المطالب الأخرى •

---

11 — لم أفهم ما يعني الأخ بوضياف بقوله : ان حزب الشعب كان آنذاك مكتفيا بوضعه كحركة للمحبين ... الخ ثم ، وماذا يعني قوله : ولم تتمكن اطارات هذا الحزب .. من اعداد هياكل ... الخ ؟

ان كل مناضل في هذا الحزب مارس النضال فيه قبل الحرب يعرف جيدا أنه أولا من سنة 1927 الى سنة 1936 باسم النجم كان ممنوعا من الدخول للجزائر ومع ذلك لم يعدم تنظيمات لا بأس بها ، ثم لما جاء حكم الجبهة الشعبية وتمكن من دخول الوطن رسميا لم يلبث أن انتشر في كل أنحاء الوطن ، رغم تخوف الجماهير منه ، ثم لم يلبث أن حل سنة 1939 وألقي القبض على مسيريه ، ولاشك أن ذلك لم يكن الا بسبب نشاطه المتزايد .

وبالفعل فان الغليان الشعبي قد بلغ آنذاك أوجه فكان الأشياء والتفكير المناهض للاستعمار يغذي قوته فى الوضع الاجتماعي الأليم الذي تعيشه معظم الطبقات الشعبية ...

كما ان السلطات الاستعمارية كانت عازمة على الأخذ بزمام الأمور ، وكانت تترقب وتتحين الفرصة للضربة ضربة قوية ، فوجدت هذه الفرصة سانحة أثناء الاستعراض الذي نظم بمناسبة النصر ، وحمل الوطنيون أعلام الجزائر للاعراب عن ارادتهم فى الاسراع بالاستقلال ، ومن الخطأ الاعتقاد أو الادعاء بأن هؤلاء الوطنيين يريدون فى هذه المناسبة تنظيم ثـورة (مسلحة) اذ تبين لي من بعد ، وخلال مقابلتي مع المسؤولين فى الحزب بسطيف (معيزه) أن ليس لديهم أية تعليمات . وهم عاجزون عن الرد على أسئلة المناضلين ، وان كل ما حدث كان نتيجة الاستفزاز البوليسي .

لقد أطلق البوليس رصاصة على حاملي العلم ونتج عن ذلك رد فعل جماهيري ، ثم تحولت المظاهرة الى صدامات وعصيان ، فكانت عمليات القمع فى سطيف عنيفة ، وبكيفيات مدهشة ومذهلة . مما أبرز دور اللفيف الأجنبي والجنود السينغاليين ، كما أقدمت المليشيا الأروبية على أعمال وحشية ، وقتل جماعي واعتقالات تعد بالآلاف . » (12)

الشيـخ خير الدين يثبت

أثبت لي ـ بمحضر جماعة ـ الشيخ محمد خير الدين نائب رئيس جمعية العلماء اذ ذاك انه نظرا لما بدا من ظواهر أثناء يوم الفاتح ماي 1945 فى المظاهرات التي تقام عادة من العمال فى هذا اليوم ، هذه الظواهر التي تدل على أن الجزائريين عازمون على أشياء خطيرة ، فقد اتصل السفير الأمريكي (ميرفي) بمكتب حزب البيان وحذروه من خطورة اللعبة التي يريد الحزب اشهارها وهي لعبة رفع العلم والمطالبة بالاستقلال .

فالسفير الأمريكي يقول : ان الفرنسيين عازمون وقد بيتوا أن يقابلوا هذا الموقف بكل شدة وعنف ، وأن الولايات المتحدة فى هذه الحـالة

---

12 ـ نقلا عن ايضاحات كتبها أبو الضياف يقول استجابة لرغبة مناضلي حزب الشعب .

لا يمكن لها التدخل نظرا لظروف السياسة المتبعة منذ الحرب ، وعليه فاني أطلعتكم على الوضعية حتى تتخلص من أية مسؤولية أو لوم يصدر بعد على حكومتي • (*)

يقول الشيخ خير الدين ، واجتمع مكتب الحزب بجميع ممثلي الحركات وقرر عدم القيام بهذه المظاهرة وأوفد فرحات عباس والدكتور سعدان الى الولاية العامة ليذهبا صباح الغد ـ يوم الثامن ماي ـ فيقدما للوالي العام ممثل الحكومة الفرنسية تهاني الشعب الجزائري بانتصار الحلفاء • وفى أثناء تلك الليلة طرق علي الباب السيد الشاذلي مكي الذي كان حضر الاجتماع وهو من مسؤولي حزب الشعب ، وقد حمل الي منشورا يقول انه وزع هذه الليلة ، والمنشور يدعو الى ما كان حذرني منه السفير الأمريكي •

ويضيف خير الدين : ومن الغد صباحا سمعنا ان الشاذلي مكي فر الى الخارج بطريق عنابة متنكرا تماما كما فعل الشيخ توفيق المدني بفراره الى تونس فى تلك الصبيحة كما حكى هو نفسه فى كتابه « حياة كفاح » •

وهنا سألت الشيخ خير الدين : بصفتكم عضوا فى مكتب أحباب البيان هل كان وقع اجتماع قبل ذلك اليوم وصدرت بعده أوامر للمناضلين تحدد كيفية المظاهرات ؟ فقال أبدا لم يقع هذا •

فقلت : اذن ، وأنا كنت مسؤولا بناحيتنا فى حزبي أحباب البيان والشعب ـ فكيف وردت علينا الأوامر بكل تحديد وقبل يوم الثامن ماي بأكثر من أسبوع ، وفيها بيان شامل لكل ما يجب تحضيره ليومي الفاتح والثامن ماي 1945 •

وبالفعل فقد قمنا بتحضير الأعلام الجزائرية واللافتات التي تعلن المطالبة بالاستقلال التام وبتقرير المصير ، وبتنفيذ مقررات الحلف الأطلنتي ••• الخ ••• الخ ولكن الأوامر تشدد على أن المظاهرات لابد أن تكون

---

* ـ وبالفعل كانت أعداد جريدة المساواة في ذلك العهد مليئة بالتحذير من المغامرات للفرنسيين والمسلمين .

سياسية خالية من العنف وحتى من رد الفعل لما عسى أن يقع من الشرطة أو الجيش الاستعماري ، حتى ولو وقع ابنك أو أخوك قتيلا •

فقال الشيخ وبعض من الاخوان الحاضرين : ان تلك الأوامر صدرت سرا عن حزب الشعب خاصة دون علم أي مسؤول فى حزب أحباب البيان ، فقد استعمل حزب الشعب أحباب البيان والحرية كواجهة لسياسته الخاصة مغتنما فرصة عضويته فيه •

ويقول الشاذلي المكي :

أما ما وقع فى هذه الحوادث من الفظائع وفى مدة زمنية لا تتجاوز ثلاثة أيام ، لا نذكر لكم طبقا لما شاهدناه بأعيننا ، أو رويناه عن اخواننا ، اذ لو سلكنا هذا المسلك فى تقرير الفظائع لرمينا بالمبالغة وبالتحزب العاطفي وانما نذكره مما قرأناه فى الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية فى عدديها السادس والسابع الصادرين يومي الأربعاء والخميس 11 — 12 جويلية 1945 • ومن غير الجرائد الرسمية مثل جريدة « ليبرتي » و « كومبا » « وألجي ريبوبليكان » وغيرها من الجرائد الفرنسية التي هي حتى اليوم تحت أيدينا كوثائق صارخة بالعدوان » •

« وهذا بعض ما جاء فى عددي الجريدة الرسمية التي نشرت فيها المناقشات التي جرت فى الجمعية الاستشارية للجمهورية الفرنسية يومئذ :

« على اثر فاجعة الجزائر أنشئت « المليشيا » ، وألغيت كل الحريات الديمقراطية ، وتقلدت السلطة العسكرية أمور الشرطة ، فأعلنت الطواريء وصدرت القوانين الاستثنائية والأحكام العرفية ؛ وسلح كل الأروبيين ، وأصبح الجزائريون لا يؤذن لهم بالخروج من دورهم الا اذا كانوا يحملون شارات على سواعدهم أذنت لهم بها السلطة بعد تحقيق دقيق ، يثبت ان لهم أعمالا فى المؤسسات العامة » •

« ان الانتقام كان فظيعا ، فقتل بعض الأروبيين أدى الى اعدام جماعات من المسلمين لمجرد الشك فيهم » « ••• ففي الساعة السادسة والنصف من صباح يوم الاثنين 14 مايو 1945 فتحت زنازن السجن (فى مدينة قالمة)

وبعد أن نودي على تسعة وأربعين (49) سجيناً ، قيل : يلزم أيضا أحد عشر (11) ليكون العدد ستين • (هكذا شاءت قوات الظلم) ••• وأخذ هؤلاء الأحد عشر عضوا من صفوف المعتقلين ••• ثم حكم على الجميع من طرف اللجنة العسكرية التي تعقد اجتماعاتها لهذه المهمة بادارة « الجندرمة » ، وأعدمتهم المليشيا رميا بالرصاص • « نعم ان الحاكم العام فى الجزائر قد أجابنا عن سؤال وجهناه اليه فى الاجتماع المشترك للجان الداخلية لتنسيق الأعمال للشئون الاسلامية ، أجابنا ، بأن احدى وأربعين قرية دكت بالطائرات ، وبالوحدات البحرية فلم يبق منها ديار ••• » •

« ••• وبما أن معدل سكان القرية الواحدة لألف نسمة ، ان لم نقل ألف وخمسمائة أو ألفان ، فلا مغالاة اذن أن نقرر بأن العدد الحقيقي الواقعي من المسلمين الذين قتلوا ، يتراوح بين خمسة عشر ألف وعشرين ألفا ، هذا اذا افترضنا أن نصف السكان قد فر واعتصم بالجبال » •
(انتهى النص بدون أدنى تنميق) •

ويضيف فى نص آخر : « ومما لاشك فيه أن الانتقام الذي قمنا به كان ضربة قاضية على صداقة الشعب الجزائري والأمة الفرنسية ، أو بالأحرى على مصالح بلادنا فى الجزائر ••• هذا على أني لا أتكلم عن بقية الأحكام الجائرة اذ أن ذلك يستدعي وقتا طويلا ••• » •

ذلك بعض ما ورد فى الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية نقل اليكم بدون تعليق وهو قليل من كثير • وأما بعض ما جاء عن الحوادث فى الجرائد غير الرسمية فاليكموه :

« ••• أما فى مدينة سطيف ودائرتها ، وفى بجاية وأحوازها ، وقالمة وضواحيها ، فقد أعلنت حالة الطواريء وقررت الادارة الأحكام العرفية فى كامل القطر ، وحجرت على المواطنين الخروج من دورهم الا باذن خاص ••• وأن أي وطني لا يحمل على ذراعه الشارة المخصوصة — وهذه الشارة لا تعطي بسهولة — يقتل دون ما انذار اذا وجد فى الشارع بعد الساعة السابعة مساء ••• »

« ومن هنا لزم المسلمون دورهم أياما عديدة دون أن يكون لديهم ما يقتاتون به من الأطعمة ... فكانوا من جراء ذلك فى جحيمين جحيم التهديد بالقتل ، وجحيم الضائقة والجوع ... « لقد وزع على جميع الأروبيين السلاح ، وخاصة منه الخفيف الى حد أن النساء كن مسلحات ..

نص « وفى احدى المدن ، بينما طفل صغير مسلم لا يتجاوز العاشرة من العمر يمر فى الحديقة العامة فاذا بضابط فرنسي برتبة نقيب (كابتان) يطلق عليه عيارا ناريا فيرديه قتيلا » .

نص : « ان الأهالي الذين لم يعرف عنهم قط أنهم انخرطوا فى حركات سياسية ، أو فى منظمات اجتماعية قد نالهم هم أيضا من القمع والارهاب الشيء الكثير » .

نص : « وفى أحد المناظر المؤلمة رأينا رضيعا ملوثا بالدماء يبحث عن ثدي أمه المقطوعة الرأس دون أن تستجيب الفريسة لصراخ ابنها . وانه لمنظر مؤلـم حزين اختلطت فيـه مسكنة الرضيع بمصيبة الأم الذبيح » .

نص : « ... وأما فى مقبرة قالمة فلقد رأينا عربات نقل ، يملكها الجيش الفرنسي ، ترمي على الأرض بأكياس كبيرة ، ولقد هالنا أن لا تحدث هذه الأكياس ساعة القائها على الأرض أي صدى ، فاقتربنا من العربات فاذا بداخل الأكياس جثث ممزقة منهوشة ، مزقها الرصاص والحراب ونهشها الغربان » .

نص : « ... كانت الضحايا كثيرا ما ينفذ فيهم الاعدام أمام ذويهم وأقاربهم نكالا وتعذيبا ــ ولقد صرع أبنـاء السيد (حنوز محمد واعراب) مساعد طبيب بخراطة ، صرع أبنـاؤه الأربعة أمامه وهو ينظر ... وعندما جاء دوره طلب منه أن يهتف بحيـاة فرنسا فأبى ، فقطعت يداه ورجلاه ، ثم أعدم ... » (13) .

---

13 ــ محاضرة الشاذلي المكي «المصدر السابق» .

لم تكن هذه الجرأة تقع من السلطة المحليــة الا باذن الحكومــة المركزية ، فقد اجتمعت الحكومة الفرنسية يومها برئاسة ديغول وأصدرت أوامر بقمع كل حركة تهدد الأمن مع توصية بتحسين حالة التموين ..

وألقى الوالي العام كاربونال فى اجتماع المجلس المالي كلمة قال فيها : أيها السادة اني باسم حكومة الجمهورية التي أتشرف بتمثيلها فى هذه البلاد أوجه عبارات الأسف والاحترام لضحايا قسنطينة ، وأقول لكم ان المجرمين ستقع معاقبتهم ...

وقال القائد العسكري ديفال : اني أعترف بشجاعة الجيوش الاسلامية لدى دفاعها عن أم الوطن أثناء الحرب وخاصة الفرقة الثالثة التي كانت تحت أوامري .. فاني لا أستطيع اليوم التسامح فيما قام به الجناة من قتل النساء والصبيان العزل من السلاح ..

وهكذا فى احتفال يوم النصر ألقى لسيترادكاربونال والي قسنطينة وم ـ كازو رئيس بلديتها ، وماصيو رئيس جمعية « فرنسا المقاومة » وميرنار بوي رئيس جمعية المعطوبين ، ألقوا كلهم كلمات بنفس اللهجة والتحرش . (*)

وجاء الوالي العام شاتينيو بعد شهر ليعلن بالمذياع الفرنسي : « لقد انقضى شهر منذ قامت حفنة من المهرجين « الهتلريين » بمظاهرة أرادوا بها ، فى يوم انتصار فرنسا وحلفائها معاكسة هذا الانتصار الذي حطم مشاريعهم الجنونية ... لقد كانوا منذ مدة يرمون الى الحط من عمل فرنسا والقاء الشبه واثارة الشقاق والفتنة بين المسلمين والفرنسيين غيرهم ، متأثرين فى ذلك بتمويهات ودعايات متعددة استعملوها الى الحد الأقصى حسب أساليب الدكتور غوبلس » .

وبعد أن يدعي أن جمهور الحاضرين فى المظاهرة كانوا مغرورين وأرسلوا فى وسط جموعهم جلادين أقاموا المجزرة ، وبقواهم بمعزل من الأخطار كي لا تنالهم الضربات ، ولكي يقتسموا أسلاب الضحايا ..

---

* ـ أنبه القاريء الى أن هذه التهديدات لـ « المجرمين ، والجناة ، وقتالي الصبيان .. » انما المقصودون هم العرب الجزائريون .

يقول : واذا كانت دسائسهم قد كشفت ورفع الحجاب عنها فقد بقيت الأموات والجراحات والخراب •• وهم الآن يريدون استغلال هذه الحالة لابقاء جو التفرقة والعداوة ، ولكننا لن نمكنهم من ذلك •• » •

وهكـذا يذهب الفرنسيـون بحكومتهـم ونوابهـم وموظفيهـم و « مستدمرهم » يزودون نار الفتنة بالبنزين وكل المـواد المشعلـة ، بينما نرى الجانب الآخر : « المسلمين الجزائريين » يترامون فى وسط النار لينقذوا الموقف ما أمكن نوع الانقاذ :

1 ـ المجلس المالي :

فى اجتماع المجلس المالي عبر القسم العربي منه بما يلي : بسبب وقوع حوادث دامية فالأقسام الاسلامية بالنيابة المالية تعبر عن سخطها ضد هذه الحوادث التي من شأنها التأثير على مختلف السكان فى القطر الذي شارك أبناؤه جميعا فى تحرير أم الوطن •• ويرجون من الوالي العام أن يبلغ الجنرال ديغول وحكومته اخلاص سكان الجزائر المسلمين •

2 ـ وفي الجمعية الاستشارية الفرنسية يقوم النائب ابن جلول ليقول :

« ان الحوادث قد بولغ فيها وان المحركين الحقيقيين ليسوا مسلمـين بل هم فرنسيون من المعمرين والموظفين ، ويعتقد وجود مؤامرة رجعية لاحباط قرار السابع مارس •••

3 ـ ويذهب الجبناء والاذناب والمفرنسون الى تلطيف الجو ونسـيان الجريمة وذلك بارسال الوفود وانشاء لجان التضامن ، واقـامة اجتماعات وتصاريح الولاء :

أ ـ ففي النجاح : مسلموا القطر الجزائر يرغبون رغبة أكيدة فى تمتين روابطهم بفرنسا ••• ثم تأتي الجريدة بتصاريح فى الموضوع للنواب ابن شنوف ، الاخضري ، بومالي ، وابن جلول ••• الخ •

ب ـ وفى تجمع آخر تقول جريدة النجاح . ان نواب البلاد الجزائرية من الجنسين ـ الفرنسي والعربي ـ ويبلغ عددهم 26 نائبـا يعلنون تضامنهم وولاءهم لأم الوطن • الخ •

النواب المسلمون هم :

شوادريه وزغان ، شيوعيان ،

عاشور ، البشير ، بوطيبه ــ بومالي ــ اشتراكيون ابن علي الشريف ، ابن شنوف ، ابن جلول ، ابن كريتلي المدني ، ابن ميلــود خــلادي ، الأخضري ، ينتسبون للاشتراكيين وأسسوا كتلة مستقلة برئاسة ابــن جلول .

تقول جريدة النجاح : وعندما سئل ابن جلول عن السيادة الفرنسية أجاب فورا : « كونوا متيقنين اننا نحارب كل فكرة ضد هذا الأمر سواء أكانت ترمي الى انشاء جامعة أو الى الحرية أو الى الدومينيون . فنحن نريد الاندماج التام والمساواة فى الحقوق والواجبات وسأصرح بهذا كلما سنحت لي الفرصة على المنبر » .

وتقول جريدة النجاح 26 ماي 1945 بعنوان : « اخلاص مسلمي وادي الزناتي لفرنسا . يوم الاثنين 21 ماي رغب مسلمو وادي الزناتي فى اظهار اخلاصهم نحو فرنسا ، فتوجهوا أفواجا الى تمثال الجندي المجهول حيث ألقيت خطب أمام السلطتين المدنية والعسكرية .

وهذا ملخص خطاب الحكيم عمر ابن حبيلس : « تحدثت منذ أيام فى نفس هذه البقعة باسم فرنسا المقاتلة عن أهوال الحرب التي انتهت ، وحييت ذلك اليوم الأول من عهد السلام ، ولم يخطر ببالي يومئذ أن تدور دائرة جديدة وتتعاظم العاصفة بحوالينا ...

وبعد أن يعرج على تاريخ فرنسا مع الجزائر وان الأمور كانت فيها منذ سنة 1871 الى التفاهم بين الجنسين شيئا فشيئا ــ ثم زاد أمل التفاهم باستصدار ديغول تلك القوانين التي كانت وسيلــة لتذويب الشعبيــن (الاندماج) تذويبا كاملا ، غير ان جرثومة الفساد التي لا ندري من أين أتت قد أفسدت الحالة وأقامت سدا بين المتساكنين ! .

وواجب الحكومة والمسلمين الآن هدم هذا السد لأن الحوادث العالمية تحتم ذلك . وهيهات أن يعيش الفرنسيون فى الجزائر من غير احتياج الى العربي وكذلك العكس » .

وخطب المرحوم اسماعيل لكحل عياط نائب رئيس البلدية فقال : « اني أقدم لكم بغاية الفرح سكان بلدتي الذين جاءوا يعربون عن آخلاصهم لفرنسا جهرة . ان الشعب الجزائري لم يكن في يوم من الأيام ضد فرنسا الا أنه ارتكب هفوة بسبب تغليط سياسي ، ولذا فهو يعرب **اليوم عن ابتعاده عن هذه الطريق ورجوعه الى الصراط المستقيم** ... ليبقى فرنسيا كما كان ! انني أطلب من السلطة الفرنسية أن تدرس الحالة جيدا وتعاقب الخونة عقابا شديدا ، وتحمي الأبرياء . (=)

ويختم : ان فرنسا هي وطننا سنبقى نخدمها مخلصين . وأختم هاتفا : بحياة ديغول وفرنسا والجزائر الفرنسية » . (*)

القمـع السياسي والبوليسي

أما القمع السياسي والبوليسي فلم تنج منه هيئة ، فحتى الهيئـآت الأدبية والرياضية قد لحقها منه الشيء الكثير ، فأثر حوادث الثامن ماي 1945 أصدرت الحكومة الفرنسية أمرها بحل المنظمات السياسية وغير السياسية ، وبغلق المدارس التعليمية الحرة ، والأندية الأدبية والرياضية ، وعطلت الصحافة التي كانت تصدر عن مصادر عربية ، وأعلنت حـالة الطواريء والقوانين الاستثنائية العرفية فى كامل القطر ، وأطلقت يـد البوليس فراح بأساليبه الوحشية البربرية يروع الأبرياء ويفجع العائلات صباح مساء ، ويفتش الدور والمخازن والمتاجر ، وينهب منها كل ما طاب له من حلي ، وجواهر وزرابي ، وأموال . ويلقي القبض حتى على الذين لم يثبت قط أنهم انخرطوا فى أية حركة سياسية كانت أو غير سياسية . وتعطلت من جراء الارهاب البوليسي ، وبسبب القوانين العرفية ــ حتى

= ــ ان أخانا اسماعيل غفر الله له كان ينتابه عاملان ، عامل ضعف وعامل اغراض حزبية فانهزم انهزاما فاضحا أثناء هذه الحوادث لا سيما بعد اعتقال جميع المناضلين .

* ــ جريدة النجاح عدد 26 ماي 1945 .

حركة الانتقال من بلد الى آخر ، وشلت الحركة الاقتصادية ، ورصدت السلطة الفرنسية الثروات الطائلة مكافأة لمن برشدها الى الوطنيين الذين نجوا من موجة القمع ، فاختفوا بغية تغذية الحركة التحريرية حتى لا يلحقها الفشل بسبب ما فقدته من عشرات الألوف : الضحايا والمعتقلين من اطاراتها • وفصلت مئات الموظفين من مناصبهم ، وشددت الرقابة على الحدود الجزائرية شرقا وغربا حتى لا ينقلب الوطنيون الى مراكش أو الى تونس أو طرابلس (14) •

في الجزائر العربية المسلمة ••؟

نص : « ••• ان ليلة التاسع (9) ماي 1945 انقضت فى توزيع الأسلحة على الأروبيين ، وفى القاء الخطب عليهم لاثارة حماسهم ، ولم يكن يوم 9 مايو يطلع حتى أعدم أكثر من ثمانمائة (800) من الأهلين ••• » هذا فى المدينة واما فى ضواحيها فعملية القمع الارهابي تركت للفرقة الأجنبية ، وهم لا يسألون عما يفعلون • وكذلك كان الحال فى جيجل والطهير وضواحيها ، فكنت لا ترى الا القتل والنهب والنيران التي لا تبقي ولا تذر ••• » انتهى النص •

نص : زار عامل عمالة قسنطينة (الوالي) « ليستردكاربونال » مدينة الطهير وبعد أن خطب فى جموع الأروبيين ، مهنئا ومبشرا ، ومشجعا قال : « ان جنودنا قد أمروا بحفظ النظام واستتباب الأمن ، وهم يعرفون كيف يقومون بمهامهم وبواجباتهم » • وقد أدى الحمق الاستعماري بالحاضرين الى الهتاف : « أن هذا اليوم هو يوم النصر » •

نص : « ••• اننا (بهليوبوليس) قرب مدينة قالمة ولقد مضى على الجثث الملقاة على قارعة الطريق أكثر من خمسة أيام ، دون أن يهتم أولوا الأمر بدفنها ، وذلك تفننا فى القاء الرعب فى قلوب الوطنيين الذين لم يزدهم ـ بكل أسف ـ هذا العمل الا كرها فينا وبغضا لنا ••• » •

---

14 ـ المرجع السابق •

نص : « ... لقد كانت تقوم بالقمع والارهاب فى نفس الوقت ما بين سطيف وبين البحر شمالا ، القوات المسلحة البرية ، والفرقة الأجنبية والجوية (وكان وزير الطيران عامئذ شيوعيا) والجميع كانوا يعبثون فسادا فى المدن والقرى ، وفى الأموال والأنفس والثمرات ، وينهبون كل ما يقع تحت أيديهم .. ثم هم بعد ذلك يقتلون ويحرقون .. » .

نص : « ... واستعانت القوات العسكرية بالوحدات البحرية ، فالطراد « ديجون تروان » الذي أبحر من مدينة عنابة قد ألحق بضواحي مدينة خراطة خسائر لا تقدر » . لقد أدى الأمر بالأروبيين مدنيين وعسكريين ، الى أن يطلقوا نيران بنادقهم بمجرد أن يروا برنوسا وزيادة على هذا كانت الطائرات تلقي قذائفها وتمطر الأهلين بوابل رشاشاتها » « ... ان المأساة كانت فى مدينة قالمة وضواحيها ، فالجنون الجماعي بلغ حده هناك .. وان موجة الانتقام من المسلمين ، والبغض العنصري كانا يجتاحان كل الأوساط الفرنسية ، الى حد أن القمع لم تكن تقوم به الفرقة الأجنبية فحسب بل وحتى أنصار « فرنسا المكافحة » **(La France Combattante)** والشيوعيون أيضا » (15) .

ويقول الشاذلي مكي : وهذه نفس الأساليب التي طبقت على الأمة من أقصاها الى أدناها طوال حرب التحرير . ولسنا فى حاجة الى ذكر عينات منها ، فأساليب البوليس الفرنسي معروفة ، فات بها كل ما يحكى عن النازية والبربرية والفاشية ، وبوليس الدنيا فى أركانها الأربعة . وان ما تعرضت له الصحافة الفرنسية من فضائع القمع البوليسي وما جاء فى التقارير الرسمية عنها لم تصدق به حتى الادارة الفرنسية فى الجزائر ذي بدء .

ويضيف : لقد كان لحوادث 8 ماي 1945 الأثر الفعال فى الميدان السياسي فى الجزائر ، فشقة النزاع بين الوطنيين أصحاب البلاد وبين الفرنسيين الطارئين الدخلاء ، زادت اتساعا وعمقا ، وراح المرء يلمس

---

15 – المرجع السابق .

موجة الكراهية والبغضاء بين الفريقين فى كل مظهر من مظاهر الحياة ، وحتى فى المظاهر اليومية • وقد تنبه الى واجبه الوطني من كان بالأمس من الجزائريين يغط فى نوم الاهمال وعدم الاكتراث لما تصبو اليه الأمة من استرجاع سيادتها وحريتها واستقلالها • وقامت السيدة الجزائرية تقدم حليها ومصوغها ، وتعمل بجنب أخيها الجزائري ابتغاء خلاص الوطن ، مستصغرة كل ما يصيب زوجها وأولادها من كوارث ومصائب •

ويمثل ما اقتنع به رجل الشارع بأن هذه الحالة الاستعمارية التي جعلت منه الآلة الصماء ، والعبد المكبل ، وأمست الأمة الجزائرية بأجمعها تعيش فى سجن رهيب تحت موجة القمع الجماعي المجنون ، بحيث بات لأصغر الفرنسيين شأنا من السلطة ما يجعله يملك حق اعدام هذا أو تشريد ذلك •• وأنه لمن الصعب أن يحدد المرء عدد الذين اعتقلوا فى هذه الحوادث الدامية الأليمة ، فمن قائل انه بلغ عشرة آلاف سجين ، ومن قائل انه بلغ الستين ألفا • ويقول وزير الداخلية الفرنسي فى ذلك الوقت (A. Tixier) آندريان تيكسيي ، فى الجمعية الاستشارية المؤقتة : ان المعتقلين كانوا ألفين وخمسمائة (2500) (16) •

وقصارى ما يمكن أن يقال عن المعتقلين أن السجون الجزائرية كانت قد ضاقت الى حد أن السلطة كانت تفرج عن المجرمين لتوفر أماكنهم للأحرار الوطنيين وحيث أن هذه العملية لم تؤد الى الحل المبتغى ضاعفت السلطات الفرنسية ميادين الاعتقال والمحتشدات التي كانت أنشأتها فى أوائل الحرب الأخيرة ، وساقت اليها الوطنيين أفواجا وزرافات •

أما الوسائل التي كان البوليس السياسي يقوم بها لحمل الوطنيين على الاقرار والاعتراف بما أراد أن ينسبه اليهم ، وعلى أن يشهد البعض على البعض الآخر ، فهي مرعبة • ولكم أن تتصوروها فى أبشع صورة •

---

16 ـ هذه الأرقام كلها بعيدة عن الحقيقة فالمعتقلون كانوا أصنافا : مسجونون رسميا . معتقلون رسميا ، ومعتقلون مؤقتا بعنوان : محجوزين لمجرد استتباب الأمن ، وهؤلاء بلغوا مئات الآلاف ، وأعطى مثالا ففي وادي الزناتي كان المسجونون رسميا 57 أما المحجوزون فقد بلغوا نحو 500 .

وهكذا اقتنع الفرنسيون بأن ما يقال عن استسلام الجزائريين انما هي أسطورة حاكتها يد الادارة العليا الاستعمارية فى الجزائر (تحت ضغط جبابرة الكولون) ، فجاءت هذه الدماء الغزيرة — والتي لم تجعل الشعب الجزائري ينخذل ويستسلم — تكذبها • ولهذا يقول الكولون : فالواجب يقضي على فرنسا — اذا هي تريد أن تبقى فى الجزائر — أن تستعمل كل ما لديها من القوة •

والى هذا يشير — بيشير فى مقالة بجريدة صدى الجزائر (Echo. d'Alger) الفرنسية الصادرة يوم 8 يونيه — جوان — 1945 اذ يقول بالحرف الواحد : لا جدوى أن تطوف الأسابيع والشهور حول القضية الجزائرية ، وانه لا يمكن أن نبت فى شيء ، ولن يمكن أن نصل الى حل طالما نحن مهملون للوقائع المادية والضروريات الناتجة عنها • وها هي ذي الوقائع الوحشية المدهشة •• لقد سالت الدماء مرة أخرى فى الجزائر ، كما قد سالت المرات العديدة قبلها •• » ان المفكرين والمعمرين الذين يرصفون الجمل ويصنفونها فى مكاتبهم فى فرنسا بغية حل القضية الجزائرية بالألفاظ ، لا يفقهون ولا يدركون أن المريض الذي يمدونه بالمسكنات بواسطة الاذاعة والبرق (هكذا) هو شبيه بالجريح الذي يجيل الجراح مشرطته فى لحمه » •

ويضيف بيشير : فكروا ثانية فيما آلت اليه علاقاتنا (بالجزائريين) فى العمل ، وفى دواوين الحكومة ، وفى كل الأوساط التي نجتمع بهم فيها : فى المقاهي ، فى المخازن ، والدكاكين ، فى النقل المشترك — تجدوا أننا ، فى الوقت الذي لا نضمر لهم فيه شرا ، يقابلوننا بالعكس • ان الجزائريين والفرنسيين الذين كانوا فى الأماكن الخاصة وفى المزارع يعملون معا جنبا لجنب بكل صداقة أصبحوا اليوم حذرين ، يراقب البعض منهم البعض الآخر ، ويزنون الألفاظ ، ويسجلون ما يسمعون ، ثم هم بعد ذلك يستنتجون حسبما تمليه عليهم عواطفهم وأهواؤهم » •

ثم يضيف : فلهذه الحالة الثقيلة الغير المحتملة ، ولهذه الأذية التي ليس لها انتهاء ، ولهذا العذاب المرهق للأعصاب •• يجب أن يجعل حد ، وبكل سرعة • ان افريقيا الشمالية تضمر لنا شرا خطيرا مستطيرا

ثم يقول : « انني أعلم أكثر عجلة تكون أكثر عجلة حماية تكون أكثر عجلة
عاجلا ، يوجب علينا حماية تكون أكثر عجلة ، يعملون
أن أعوان الأمن العام الذين يقدرون واجبانهم حق التقدير ، يعملون
على ضمان هذه الحماية ، ولذلك يتحتم علينا أن لا نصدهم عن هذا
الواجب حتى لا تتفرق جهودهم » .

وتختم جريدة صدى الجزائر : عندما تشب النار ، وتندلع فى بيت
وعندما تكون الباخرة على شفا الغرق ، فانه لا يستغاث لا بالطاهي
ولا بمدير المرقص اذ الساعة حينئذ ، فيما يخص البيت وفيما يخص
الباخرة ، لأصحاب المطافيء وأصحاب النجدة ، وللبوليس ... » . اه

بمثل هذه الروح العدائية تلقت كل الأوساط الفرنسية حوادث 8 ماي
1945 ، حتى لكأن فيالق الفرقة الأجنبية ، وطوابير الجندرمة والبوليس
قد قصرت فى المهمة التي وكلت لها ، « مهمة سفك الدماء » حتى لكأن
الخمسة والأربعين ألف شهيد من المواطنين الذين قاموا يردون الظلم ـ
بصدورهم العارية ـ ويدافعون عن الشرف المداس ، لم يكفوا للأخذ
بثأر ثمانية وثمانين قتيلا ، ومائة وخمسين جريحا من الغزاة المستعمرين » .

على أن الرصاصات الأولى التي أطلقت على المتظاهريـن فى هـذه
الحوادث ، فى كل من سطيف وقالمة وغيرهما قد أطلقها البوليس الفرنسيون
دون سابق انذار ، كما تشهد بذلك المناقشات التي جرت فى الجمعيـة
الاستشارية المؤقتة للجمهورية الفرنسية يومي 11 و 12 جويليه 1945 .
ثم ان الفرنسيين على اختلاف نزعاتهم قد تجاهلوا الأسباب الرئيسيـة
للحوادث ، وتصامموا عن المطالب الجوهرية والقومية للشعب الجزائري ،
فراحوا ـ قصد تضليل الرأي العام الدولي ـ يعزون الحوادث الى أيد
أجنبية ...

وشاعت عبقرية الوالي العام الاشتراكي « تاتينيو » عامئذ فى بلاغه
الذي أذاعه بنفسه على أمواج الأثير أن يصف أعضاء حـزب الشعب
الجزائري بأنهم « نازيون » وبأن منظمتهم « منظمة نازية » . أما عبقرية
اليساريين ومن لف لفهم فقد قالوا فى خطبهم وصحفهم « بأن الحوادث
أشعلت نيرانها أيد انكليزية وأمريكية » .

أما الحقيقة فلسنا من أحزاب اليمين حتى نتهم بالفاشية أو النازية ، ولسنا من أحزاب اليسار حتى نتهم بالشيوعية • وانما نحن أمة وسط لا ينبغي لنا أن نتغنى بمباديء هؤلاء أو نعمل فى ركابهم • ولا بنظم أولئك أو نقبل أن نكون صيغة لهم • وفات هؤلاء وأولئك وتجاهلوا كلهم حقيقة القضية الجزائرية العربية المسلمة ، وواقع أمرها وراحوا يفسرون انتفاضتنا بما لا يتفق ومشاربنا القومية العربية المسلمة ، بما لا يصدقه حتى الأطفال الأغرار •

وتلك من مزيات فرنسا فى بلادنا طول مدة احتلالها ، فهي قد تعودت أن تلجأ الى الحديد والنار كلما جابهها شعبنا البطل بالمطالبة بحقه فى الحرية والاستقلال ، بالطرق السياسية السلمية ، أو عن طريق الثورات الشعبية العارمة •

فاذا ما هي أغرقت مؤقتا مطالب شعبنا فى برك من الدموع والدماء وأخمدت أنفاسه بالقتل الجماعي ، وبالسجن والتعذيب والنفي والتشريد ، راحت تدس للرأي العام العالمي متهمة شعبنا الأبي « بأن أيديا أجنبية خفية تحركه للنيل من سمعة فرنسا وسلطانها • وبالتالي فنحن « نعمل لفائدة دولة أجنبية ولحسابها ••• » •

ويختم الشاذلي مكي محاضرته بقوله : تلك هي حقيقتنا وذلك هو واقع أمتنا ، فنحن بالعروبة والاسلام كنا ، ونكون ، وسنكون ، وسوف نكون الى ما شاء الله • ا هـ

ويتناول فرحات عباس قضية حوادث ماي مرة أخرى فيقول ، معددا مواقف القمع النهائي التي اتخذتها السلطات الفرنسية فى الجزائر :

« وكتبت جريدة (ليكود الجي) اليمينية المتطرفة — : أن ساعة « حكم الجندرمي » قد دقت فى أفريقيا الشمالية « والكولون يطالبون الحكومة بعدم السماح فى الوقت الراهن بأي اجراء فى حل القضايا السياسية أو الادارية أو الاجتماعية » • وفى دار الولاية العامة (متنزه ابن أبيه) (Fils à Papa) حيث لا يوجد من الأهالي المسلمين

من بين ألفي (2000) موظف سوى ثمانيـــة أشخاص ، قلت فى دار الولاية ، وجدنا منشورا يحمل عواطف أعرفها جيدا ، يقيم كمينا من كمائن الحرب الأخيرة ، وقد وجدت من جديد شجاعة لتبث جوا حربيا موجها ضد شعب مجرد من أي سلاح •

ماذا ؟! « ان الفكر العام الفرنسي يطالب باعدام العصاة ! ــ وعلى رأسهم فرحات عباس ، وعزل الوالي العام وابداله بوال عام من فرنسي الجزائر » •

ويضيف فرحات : لقد كنا أنا والدكتور سعدان يوم الثامن ماي ذهبنا الى الولاية العامة ، باسم أحباب البيان والحرية « لنقدم تهاني الشعب الجزائري الى ممثل الدولة الفرنسية بانتصار الحلفاء ، وكنا جالسين بقاعة الانتظار ننتظر دورنا للدخول الى الوالي ، كانت الساعة العاشرة والنصف ، واذا بأمر القاء القبض علينا تأتي به الشرطة ، فنساق رأسا الى مكان معزول فى غاية السرية ، فعزلنا بذلك تماما عن العالم ، ولم نعلم بالحوادث التي جرت الا بعد أسبوعين • وعندما مثلت أمام قاضي البحث العسكري قال انك متهم بمس السيادة الفرنسية ــ قرار ريني المعروف ــ ، وبتعكير الأمن ضد السيادة الفرنسية فى الداخل والخارج •••

وبعد ستة شهور من الاستنطاقات والبحث ، وصلت بي المسيرة الى العقيد ــ الذي انتحر ــ وكان أتي به ليقوم بوظيف وكيل الجمهورية ، وكان هذا الضابط رجلا شهما ، ولكثرة ما وكل اليه من أوامر ادارية بالحكم على البرآء فضل الموت الشريف على حياة الظلم » (17) •

ويتناول د • صلاح العقاد القضية مصورة ــ كما قال ــ عن جزائري ، تصويرا دقيقا بما اكتنفها من مآسي وحقد عنصري ، أنقل منه هذه الفقرات (18) :

---

17 ــ ليل الاستعمار ، ص 157–158 .

18 ــ المغرب العربي ، ص 333 .

« واجتمع على المسلمين فى الجهة الممتدة بين سطيف وخراطة ، وقالمة ، رجال الجند الفرنسي بين مشاة وطيارين وفرق مصفحة ، ورجال البحرية الفرنسية الذين كانوا مستعدين على السواحل ، ورجال الجالية الأروبية الذين كانوا قد تسلحوا واستعدوا لذلك اليوم الأحمر الرهيب » .

« وفتح الجميع موسم الصيد الآدمي ، وطورد المسلمون فى المدن والقرى والمداشر ، كما تطارد السبـاع فى الغابات ، وعمت المذابح فذهبت ضحيتها القرى العديدة لم ينج منها رجل ولا امرأة و لاصبي . وكانت المصفحات الفرنسية تسير صفا فتدمر القرى على رأس من فيها من رجال ونساء وأطفال حتى تسوى بها وبما فيها الأرض ، فكانت الدماء تجري غزيرة ، وقد صبغت الأرض بلونها الأحمر ! وبصفة ظاهرة مكنت المصورين من أخذ مناظر لها من الطائرات » .

« وهنالك قرى أخرى ، دمرت بالطائرات تدميرا فلم يبق منها شيء . أما بالمدن الكبيرة ، كسطيف وقالمة ، فكان رجال المليشيا من المتطوعين الأروبيين يهاجمون الديار ، ويقبضون على النخبة المثقفة الجزائرية ، ويذهبون بها خارج المدينة ويأمرونها تحت تهديد الرشاشات بحفر القبور الجماعية ، ثم يقتلون الفوج اثر الفوج ويأمرون كل فوج بدفن الفوج السابق . أما النساء فقد امتهن شر امتهان ، وانتهكت حرماتهم انتهاكا جديرا بأعمال وحوش الاحتلال الأولين ـ سنة 1830 ـ وقطعت آذانهن من أجل الاقراط ، وأيديهن من أجـل الخواتم ، وأرجلهن من أجل الخلاخل . وكان الجند يتباهى بتلك الغنائم ويتفاخر بالاحراز على أكبر عدد منها » . ا هـ

اما فيليب تريبي (phi Tripier) فيقول :

« وجاءت فرصة العنف بمناسبة حوادث فاتح ماي 1945 فى الجزائر ووهران ، ثم القتل الذي وقع يوم 8 ماي فى نواحي سطيف وقسنطينة ـ هذه النواحي التي كانت حقا مضروبة بالجوع ـ (على زعمه) ، وكان الضغط العسكري قاسيا . ثم يعلق فيقول هذه الضغوط وقعت تحت مسؤولية ديغول . وقد غطى على الذين قاموا بالعملية : (الوالي

العام شاثينيو ، والجنرال ديفال) ، ثم يختم : وحسب بعض الملاحظين السياسيين فان هذه الحوادث كانت خميرة لعصيان فاتح نوفمبر — تشرين الأول — 1954 » (19) •

انها حوادث وقعت أثناء أيام قلائل ولكنها خلفت آلاما وجروحا أدمت قلب انسانية القرن العشرين ، ونقشت بالحرف الغليظ مدى همجية « التمدن الفرنسي » فى الجزائر •

19. — Autopsie de la Guerre d'Algérie p. 40.

ذيـــول الحـــوادث

من السهل أن يذكر الانسان الحوادث التي شاهدها أو نقلت له عن مشاهدة أو رواية ، وقد ذكرنا منها عينات تعطي شيئا من الضوء على مدى هذه الحوادث الاجرامية ومدى تأثيرها العام ، ولو أردنا لوجدنا الشيء الكثير من هذه الأوصاف المزعجة ، ولكن الشيء الذي يمتنع عن الكاتب ويتركه يبحث عن الحقيقة فلا يجدها ، أو لا يجد الا مهاترات لا تغني عن الحق شيئا ، هو أولا ــ من المسؤول حقا عن هذه الهمجية التاريخية ؟ أهي الحكومة الفرنسية المركزية نفسها ؟ أم هم الحكام والكولون الفرنسيون فى الجزائر هم الذين قاموا بها ؟ خروجا عن طاعة دولتهم ، ثم بلعتها هذه وتحملت مسؤوليتها ابقاء على سر الفضيحة ؟ !

ثانيا ــ كم هو عدد القتلى والجرحى الذين كانوا ضحية الجريمة ؟ وكم هي مبالغ مكاسب الشعب التي نهبت وحرقت ودمرت ؟ أثناء هذه الحوادث الاجرامية •

يقول د• سعد الله : وقد اختلفت المقادير والتقارير عن عدد القتلى والجرحى نتيجة أحداث الثامن ماي ــ آيار ــ 1945 (1) •

وها أني أنقل تقريرا نشرته مجلة (اسنان اندسترابرز) لسان حال الجيش الأمريكي ، وهو يعتبر أول تقرير أجنبي ، عن حوادث ماي فى القطاع القسنطيني ، ولكن الفرنسيين منعوا ارساله فى حينه فلم يرسل الا فى أول جوان ــ حزيران ــ وتلقاه مراسل المجلة من المغرب الأقصى يقول التقرير :

---

1 ـ الحركة الوطنية ، سعد الله ج 3 ، ص 259 .

« ان الفرنسيين قد استعملوا عددا كبيرا من الطائرات لضرب المدنيين الجزائريين ، فقاذفات القنابل الفرنسية قد حطمت قرى آهلة بكاملها » « وفى منطقة الحادثة أثناء حملة دامت تسعة أيام ، وقد طار الطيارون الفرنسيون بثلاثمائة (300) مرة فى اليوم الواحد مستعملين القاذفات الأمريكية الثقيلة والمتوسطة •• حتى سويت الأرض بعدد من القرى والدواوير ، ثم طارت الطائرات المقاتلة الفرنسية البريطانية الصنع خلف القاذفات الأمريكية لتسحق السكان الهاربين (من المنازل التي تحطمت) وترمي القنابل على المخابيء العربية فى الجبال » •

ويذهب التقرير فيصف الحادثة بأنها « ثورة طعام » ــ أي فى زعمه ــ من أجل الخبز والأسباب اقتصادية ، وان هذه الثورة ــ حسب التقرير ــ قد أسفرت عن مقتل وجرح أكثر من عشرة آلاف جزائري وسبعة عشر فرنسيا مستعمرا » (2) •

ويقول سعد الله نقلا عن آرون : وقد اختلفت التقارير والمقادير عن عدد القتلى والجرحى نتيجة أحداث ماي ، فوزير الداخلية الفرنسي السيد تيكسي ذكر فى تقرير أن عدد الجزائريين الذين شاركوا فى الحوادث خمسون ألفا (50000) أي 5٪ من السكان ، ونتج عن ذلك مقتل 88 فرنسيا وجرح 150 • أما الجانب الجزائري فمن 1200 الى 1500 قتيل (ولم يذكر الجرحى) ، و 2400 معتقلا أطلق سراح 571 منهم ، وحوكم الباقي • ويلاحظ أن كثيرا من الأحكام قد صدرت بالاعدام على يد المحاكم العسكرية » • (*)

وتتراوح التقديرات الجزائرية بين 45000 الى 100 000 قتيل • أما التقديرات الأجنبية فتختلف أيضا فبعضها يقترب من احصاء الفرنسيين وبعضها يقترب من احصاء الجزائريين ، وهي فى الغالب ، من 5000 الى 70000 » (3) •

---

2 – النيويورك تيمس جوان 1945 .

* – في انهيار خطط الاستعمار لمجاهد : ان الأحكام صدرت على 1300 منهم 49 بالاعدام و 64 بالأشغال الشاقة المؤبدة و 329 بالأشغال الشاقة المؤقتة .

3 – آرون ، ص 139–141 .

وقدرت النيويورك تيمس بعد شهرين ونصف من الحوادث عدد القتلى من سبعة آلاف الى ثمانية عشر ألفا ، عندما استعمل الفرنسيون القنابل والاعدام الجماعي ، حسب تعبيرها • ويتفق المعلقون فى النهاية على أن حوادث الثامن ماي 1945 لم يعرف عنها العالم الا قليلا ، لأن الفرنسيين استعملوا فيها اجراءات حاسمة وسريعة وقوية » •

ويذهب المعلقون الأجانب فى مهاترات عن أسباب الحوادث أكثرها ليس له نصيب من الصحة ، فينسبها بعضهم الى الضائقة الاقتصادية والجوع ، وبعضهم ينسبها الى أسباب دينية مع وقع الحرب ، وآخرون الى أسباب سياسية كما هو الواقع •

على أن حالة الضائقة الاقتصادية تكلم عنها حتى تقرير فرنسي صدر بعد اجتماع الحكومة ، فيقول : « ان الأسباب تعود الى النقص فى وسائل التغذية ••• وأن الحكومة عازمة على ارسال الغذاء الى الجزائر » •

وهذه تعميات مقصودة عن الحقيقة التي تعرفها الحكومة الفرنسية جدا ، لأنها على بينة كبرى من أنه لم يقع فى يوم من الأيام أن الشعب الجزائري أقام مظاهرة من أجل الخبز ، بل كل مظاهراته أو احتجاجاته كانت من أجل الظلم والاضطهاد العنصري ، والمطالبة بالحرية والكرامة الوطنية •

وقد اطلع كثير من الملاحظين على هذه الحقيقة فكذبوا هذا الادعاء وقالوا : « ان المنطقة المتأثرة بالحوادث كانت من أغنى المناطق كما لاحظوا أن المتظاهرين ـ اذا اعتبرناهم جياعا ـ لم يهاجموا أبدا مخازن التغذية كما أنهم عندما قتلوا المعمرين لم يأخذوا غذاءهم أو ارزاقهم •

وحقق « الكولونيل شون » انه لم يسمع فى تاريخ شمال افريقيا الحديثة بمظاهرات أو ثورات قامت فيه بسبب الجوع » •

ولاحظ آخرون ان الوطنيين لم يستعملوا فى شعاراتهم ولافتاتهم ـ فى المظاهرات ـ عبارات تشير الى المجاعة والحالة الاقتصادية ، بل كانت كلها سياسية » • (4)

---

4 ـ المصدر السابق ، ص 262 .

والحقيقة ان المؤثرات لم تكن الا سياسية صرفا ، ناتجة عن الحالة العامة التي أنشأتها الحرب بما أتت به من الوعي ، وتأثرت بها جميع الشعوب المحتلة أوطانها • بيد ان الشعوب التي كانت تحت استعمار متفهم للظروف – كالاستعمار البريطاني – قد توصلت للتفاهم معه وحصلت على استقلالها بالطرق السلمية ، بينما الاستعمار الفرنسي بقي ، كعادته ، متحجرا متشبثا بالاحتلال والاستعباد ؛ بالرغم من توقيعه على المواثيق الدولية التي قررت حق تقرير المصير للشعوب ، بل ان الاستعمار الفرنسي رجع يلقي اللوم على حلفائه ويتهمهم • ومن ذلك ما أشاعته الأوساط الاستعمارية الفرنسية من أن فرحات عباس هو الذي تأثر وأثر فى الحوادث ليطالبوا بعد ذلك برأسه •

فقد قالوا انه تأثر باتصاله مع الأمريكيين ابتداء من تقديم مذكرة شهر ديسمبر – كانون الأول – 1942 التي قدمها الى الحلفاء وفرنسا ، والتي رفضتها فرنسا وأقرها الحلفاء • وأن فرحات كان كثير التردد على البعثة الأمريكية بمدينة الجزائر ، كما كان التقى بالرئيس (روزفلت) وبـ « روبير مورفي » الديبلوماسي الأمريكي وأوغستين بيرك •• الخ » •

ثم ذهب بعضهم ينفخ فى هذه المساعي السياسية ليجعلها سببا فى قيام « ثورة الثامن ماي » كما يحلو لهم أن يسموها •

والحقيقة أن لا هذه ولا تلك ، وانما الشعب الجزائري كسائر شعوب العالم ، وحركاته الوطنية كسائر الحركات ، كانوا يدركون معنى الحرب التحريرية ، والميثاق الأطلنطي ، وغيرهما ، زيادة على التضحيات التي قاموا بها من أجل انتصار الحرية التي يجب أن يكون لهم فيها سهم •

وهكذا تتبلور الحالة شيئا فشيئا ، وتتمايز النيات فتنغلق الصدور على الضغائن ، لاسيما عندما ظهرت الخسائر الثقيلة المؤلمة التي ضرب بها المسلمون فى الأرواح والأموال والكرامة •

وبالرغم من اخلاء الساحة من المناضلين بالقتل والتشريد والسجون والمنافي فقد ظلت بقية تكافح تحت الخوف والتوقع ، صامدة صابرة لتقول كلمة الحقيقة ، ولتثبت للاستعمار أن نور الحياة اذا حل بأمة لا تقف دونه الحواجز مهما صاحبها من ضغوط وارهاب • فها هم أعضاء من حركة أحباب البيان والحرية ، برغم حل الحزب رسميا ، يقفون ، ولو بصوت يرشح بارتباك ليوجهوا هذا النداء الحكيم :

الفات نظر للحكومة الفرنسية بواسطة فلول الحركة

وجه المكتب المركزي لأحباب البيان والحرية البيان التالي لالفات نظر الحكومة الفرنسية وذلك بتاريخ 18 ماي - أيار - 1945 :

ان الموقعين أسفله الأعضاء فى المكتب المركزي « لأحباب البيان والحرية » ، الذين هم حاليا فى مدينة الجزائر ، ينحنون بكل خشوع واحترام أمام تذكار جميع الضحايا البرآء الذين سقطوا منذ عهد قريب فى عديد من أنحاء القطر الجزائري ، ويتأسفون ، اذ يجدون أنفسهم لهذا اليوم فى وضع يستحيل فيه معرفة وضعيتهم ازاء الحوادث المأساوية التي وقعت أخيرا ، ويحكمون بكل قوة على التعسفات التي وقعت من بعض العناصر المشوشة العادمة للضمير ، من كل أصول عنصرية ، وذلك بنشرهم للرعب والفزع فى صفوف السكان المسلمين •

ويعربون عن سخطهم على هذه الأعمال الاجرامية التي أنزلت الحزن بالجزائر كلها • هذه الأعمال التي يعلن أعضاء الحركة أنهم يجهلونها وهي أجنبية عنهم كليا • ويحكمون على كل الذين هم من داخل أو خارج الحركة من الذين حاولوا تزوير أغراض وأهداف عمل سلمي يعمل فى اطار الشرعية من المباديء الديمقراطية والجمهورية •

ويؤكدون أيضا عدم رجوعهم عن مبدأ الوحدة بين جميع الطوائف والعناصر الجزائرية ، هذه الوحدة التي أوجبتها الظروف الحالية أكثر من أي وقت مضى • ويدققون بأن هذه الوحدة التي ستعزز بواسطة

أنظمة ذات صبغة ديمقراطية ، ستزيد فى متانة حقوق السكان الأوروبيين والمسلمين فى اطار رسالة فرنسا العظيمة » • (6)

الجزائر 18 ماي 1945

التوقيع : 1 ـ عزيز كسوس
2 ـ احمد بومنجل
3 ـ على بوزار
4 ـ قدور ساطور
5 ـ الشيخ خير الدين

والحزب الشيوعي الجزائر :

مما عرف عن الشيوعيين انهم سباقون دائما فى مثل هذه الأحداث القمعية • فهم ، وان لم يشاركوا فى حركة أحباب البيان والحرية ، ولا فى مظاهراتها • بل هم كانوا ضد الحركة ويدعون الى الاندماج والحاق الجزائر بفرنسا يومئذ • بل ان شارل تيون « الوزير الشيوعي أرسل طيرانه لقنبلة القرى والمدائن الجزائرية الآمنة ، بعد كل هذا وبفضل بقائه فى الساحة وحيدا بعد حل جميع الهيئات الوطنية فقد أصبح الحزب الشيوعي الجزائري مندفعا للاحتجاج ضد الحوادث وأعمال القمع فى البيان التالي الطويل الذي ننقل خلاصته فيما يلي :

بيان الحزب الشيوعي الجزائري بعد الحوادث
يوم 13 أوت 1945

ايها الجزائريون ، أيتها الجزائريات :

ان الحرب قد انتهت بانتصار الدول الحليفة على الهتليرية والامبريالية العسكرية اليابانية ، ان الحاجز الذي كان يقف فى طريق التقدم وخير الانسانية قد انتهى • وان السلم الذي تحصل بفضل التضحيات العديدة ، وخاصة وبالأولى بفضل شجاعة الشعوب السوفياتية فى المعركة ، يهيب للوثوب ببناء عالم جديد مليء بالمحبة والديمقراطية •

والجزائر التي انجرت كغيرها من شعوب العالم لهذه الحرب الكبرى من أجل الدفاع عن الحرية ، فان أبناءها الذين فى أغلبيتهم مسلمون قد

---

6 ـ ح ـ و ـ ج كلود كولو ، ص 208 .

وقفوا فى صف الجيش الفرنسي بتونس وايطاليا وفرنسا ، وفى ألمانيا •
وكثير منهم من قاتلوا فى هذه المعركة وهم يحملون روحا كأحسن جنود
فرنسا أبطالا فى الثورة الوطنية ، والذي نجا من الموت رجع وهو يحمل
نفس العقيدة التي حملها غيرهم من غرض هذه الحرب العالمية التحريرية •

ومن أجل هذا فلا يستغرب ظهور « وطنية جزائرية » متأثرة بروح
الحرية ••• وبعد أن يضرب البيان مثلا لذلك بما ظهر فى الانتخابات البلدية
من مظاهر جديدة وطموحات وطنية ، وفوز نساء جزائريات فى الانتخابات
يقول : انها باكورة عجيبة لميلاد تاريخ جديد فى هذا الوطن حيث ظهرت
أخوات الكاهنة « جان دارك الافريقية » يترسمن خطوات اخواتهن من
الجنس الأروبي » •

ايها الجزائريون ! ايتها الجـــزائريات

ان حوادث قسنطينة الرهيبة فى شهر ماي الأخير كشفت عن وجود
حركة فاشية ، كان الحزب الشيوعي الجزائري عمل كل الوسائل للوقوف
أمامها ، وشهر دائما بسياسة الرجعية والتجويع التي يتعاطاها (المائة سيد)
(Les cents seigneures) فى الجزائر ، بفضل أموالهم المغتصبة وبفضل
حماية ذوي الوظائف العليا من نظام فيشي، وقد عملوا بواسطة شحاذيهم
المدعين للوطنية ، المرتبطين بـ « بيرك وبلانسي » وخائني اخوانهم ،
تلك الضغوط والاضطهادات بقصد منع السكان المسلين من الاعراب
عما ينتظرونه من تحقيق رغائبهم فى نظام حر » •

ويقول : وبفضل عمل الشيوعيين ونشاطهم ، انكشف العنصريـون
الحاقدون ، واختار الجميع حياة مشتركة متوازنة وسعيدة ••• وعرف
الجزائريون المسلمون والفرنسيون ، واليهود بأن اللازم هو العيش سواء
فى جزائرهم التي هي للجميع •

ثم يدعو الى الحذر حتى لا يترك مكان لتفتيت الوحدة اللازمة •

وفى الميدان السياسي يطالب الحزب الشيوعي الجزائري ، من جهة ، بعقاب مرتكبي حوادث قسنطينة ويصفهم بأنهم من اتباع « الماريشال بيتان » وخدام « رومل » • وبعقاب كبار المسؤولين فى الجزائر مثل : بيرك ، وليسترادكاربونال ، وأشياري (7) ثم يطالب باعتقال أبو وبمصادرة أموال الذين أكلوا وحدهم ليجوعوا الفلاح ، والعامل ، والخماس (8) ، ويسترح ضحايا الاضطهاد والقمع الأعمى ، ويطالب بمراجعة الأحكام الصادرة عن محاكم خاصة ، وتعويض المتضررين من عائلات الفرنسيين والمسلمين ضحايا المكيدة الفاشية •

ويطالب ــ من جهة أخرى ــ بديمقراطية الادارة ، باحداث البلديات التامة وحذف البلديات المتزجة •• والمساواة فى التمثيل النيابي بين الفرنسيين والمسلمين (9) وحذف المجالس المالية وتعويضها بجمعية جزائرية منتخبة وذلك لتهتم بالميزانية الجزائرية ، وتراقب الولاية العامة • ثم حذف « المجلس الأعلى » فى الولاية العامة • وهكذا يتكلم عن الميدان الاقتصادي والاجتماعي ويختم بنداء الجزائريين والجزائريات فيدعوهم ، اذا كان يهمهم برنامج الحزب الى :

1 ــ المشاركة فى النقابات •

2 ــ المشاركة فى جمعية الفلاحين •

3 ــ المشاركة مع فرنسا المقاومة •

4 ــ الاشتراك فى « أحباب الديمقراطية » •

5 ــ المشاركة فى كل المنظمات التي تناضل من أجل القضاء على الظلم وآثار العنصرية •

ثم ينادي : اشتركوا فى ودادية الشيوعيين ! اشتركوا فى الحزب الشيوعي ! الذي هو دائما فى الطليعة للدفاع عن مصالحكم ضد

---

7 ــ بيرك هو مدير الشؤون الأهلية بالولاية العامة كاربونال هو عامل عمالة قسنطينة ، واشياري هو نائب العامل : رئيس دائرة قالمة .

8 ــ الخماس هو العامل في الزراعة كشريك بالخمس .

9 ــ لا يخفي أن الفرنسيين يمثلون عشر السكان .

أعدائكم .. الى الأمام لتمتين الوحدة بين السكان فى وطننا الحبيب . الى الأمام لتقوية صف الطبقة العمالية والشعب العامل فى فرنسا الذي هو يمد يده لمصافحتنا .. الى الأمام لانتصار جديد . ليحيا الحزب الشيوعي الجزائري .. ! تحيا الجزائر الديمقراطية (10) .

ومن التقارير الرسمية :

وفى هذا الباب نجد تقريرا أسبوعيا بالمكتب الثاني بقسنطينة عن بلدية عين مليلة المختلطة ، يقول تحت عنوان . الفكر العام السكاني :

« مرة أخرى وتحت ضغط الحوادث نجد غليانا فى الأفكار أحدث تعاليق وأقاويل مختلفة تتضارب هنا وهناك عن حوادث سطيف وقالمة .

فدعاية الحزب الشيوعي أكثر نشاطا هذه الأيام وهي تحاول أن تلصق مسؤولية الحوادث بالكولون والسلطة بواسطة كلمات « الفاشية » و « الصف الخامس » (5è Colonne) ويحاول هذا الحزب بذلك أن يتغلب ، بفضل نشاطه المتزايد ، على وقع الحوادث فى الأماكن التي كان فيها قويا » (*)

ثم يضيف التقرير : أما حزب البيان فقد خسر شعبيته بعين مليلة مع اظهار طاعة هي الى الريب أقرب . على أن مسيريه المحليين لازالوا يحوزون على سمعة لكنها أكثر ترددا وريبا .. » .

قسنطينة 15 جوان 1954 وثائق 8 bis/B/2

وهكذا أختم هذه الجولة بخلاصة من خطاب لعامل عمالة قسنطينة الجديد المسيو بيتي بون الذي جيء به من فرنسا رأسا ليقوم بتهدئة الفكر العام الجزائري بصفته حياديا ، ولكن برغم ذلك لم يقدر أن يتجرد من نغمة سياسة ابقاء الاحتلال فهو يقول :

---

10 – أنظر نص النداء كاملا في كتاب كلود كلو ، ص 208–212 .

* – الغالب أن التقرير يقصد التغلب على محو التهم التي كانت توجه الى الحزب بشأن مشاركته في القتل بواسطة طيران وزيره تيون .

« كم كانت دهشتنا عظيمة من وقائع ماي ومن أعمال الانتقام التي كانت ضرورية .. وأمام هذا الواقع أصبح من الواجب أن تقوم فرنسا بدور الحكم العدل ، وعلى هذا عينني مجلس الوزراء بصفتي فرنسيا بفرنسا لأكون عامل اتحاد وتوفيق بعد الرحلة التي قام بها وزير الداخلية م ــ تيكسي الذي عرفتم حياده .. ثم يذهب يقول : الاستعمار تمدين ومكانته فرنسا والاتحاد واجب .. الخ » .

السجون والمعتقلات
المركز المختار للثقافة والتوعية

بعد تلك الزوبعة الهائلة التي وقعت أثناء أيام قلائل من شهر ماي 1945 م فقتل فيها عشرات الآلاف واعتقل مئآت الآلاف ، بدأت الحياة تدب شيئا فشيئا فى مظاهر الحياة ، والهدوء يتمشى رويدا فى العقول والنفوس • فقد شرعت الحكومة الاستعمارية ـ بعد زوال اللوثة التي ضربتها ـ فى مراجعة حساباتها ، واستكشاف ملفات جنودها فوجدت الحسابات ثقيلة ، والملفات أوسع مما يتصور ، فقد غرقت السلطة المركزية فيما هيأه غلاة الاستعمار من وحل الجرائم البشعة ، ووقعت فى خنادق الفجيعة الأخلاقية التي نزل اليها العنصريون وجروها معهم ، فما كان الا أن ابتلعتها وبدأت من جديد لتستأنف المسيرة الاستعمارية المغلفة •• فشرعت تعالج الحالة الاقتصادية والاجتماعية ، ودخلت المعتقلات لتقيم تصفية بين المعتقلين ، فتسرح من تراهم برآء وهم الذين أوقفوا مؤقتا « للأمن » وترسل الى السجو نوالمنافي من تدعي انهم مجرمون •

وهكذا استقر الحال بعشرات الآلاف من أعضاء الحركة الوطنية المسيرين ، من جمعية العلماء ، وأحباب البيان والحرية ، ومن مناضلي حزب الشعب • وقد استقر البعض فى السجون والبعض الآخر فى المنافي والمعتقلات ، وأسدل الستار عليهم ، كما أسدل على فضيحة مذبحة ماي 1945 •

وظن المستعمرون انهم قضوا على آخر نفس من الحركة الانفصالية ـ الحركة الاستقلالية ـ وكتبوا صكا متينا ببقاء الجزائر العربية المسلمة تحت العنجهية الصليبية ، وخلودها تحت نير الاحتلال الفرنسي ، وذلك

لتتخذ منها الحفنة العنصرية من مشردي الآفاق ، واحة ظلال فى حرهم وجنة دفء ونعيم فى قرهم ، وبالتالي « نقطة استراتيجية » للحفاظ على امبراطوريتهم الافريقية •

لكن « الصيف ضيعت اللبن » فمذبحة ماي لم تنبه فحسب ، قادة ومناضلي الحركة الوطنية الى مراجعة المسيرة الغالطة ، بل حتى أولئك الذين كانوا يعتقدون فى فرنسا « الأم الحنون » وبالأحرى الأمة المتمدنة والأمة التي فجرت ثورة 1789 وأخرجت للعالم شعار : الحرية ، والمساواة ، والأخوة ، أصبحوا يشعرون باستحالة الحياة الكريمة تحت الاستعمار الفرنسي اللعين •

وهكذا اتخذ الجزائريون من السجون والمعتقلات مراكز عمل متواصل للتثقيف ونشر الوعي الوطني الثوري ، فكنت ترى قاعـات وزنزانـات السجون كخليات نحل نشيطة لا تهدأ ليلا ونهارا • وقد لاحظت بنفسي بسجن « الكدية » (السجن المركزي بقسنطينة) وبسجـن الحـراش بالعاصمة ـ سجن الاربع هيكتارات ـ كما يسمى ، رأيت الشيء العجيب ، فهناك خلية قد انتبذ بها أحد المعلمين ناحية لتعلم القراءة والكتابة ، وأخرى فى طرف آخر من القاعة الواسعة تطمح للتعليم المتوسط أو الثانوي • وهذا يتلو القرآن الكريم ، وذاك يطالع كتابا أو قصة ، والآخر يؤلف أو يكتب مذكراته ، وجماعة تلعب لعبة من أنواع اللعب • ثم اذا حضر وقت الصلاة نجد المؤذن من أحد المساجين يهب لينادي بصوت صادح : الله أكبر ! الله أكبر ! •• فيجتمع السجناء ليؤدي بهم أمامهم الصلاة ، ثم يجتمع قراء القرآن الكريم لقراءة الحزب الراتب • وبعد ذلك تجتمع حلقة أخرى من الشباب لتترنم بالأناشيد الحماسية الوطنية الشيقة • أما الدرس اليومي الذي قد يقوم به أحد العلماء من المساجين وقد يتناوبه أكثر من واحد ، فهو فرض لازم مثل الصلوات الخمس •

وهكذا يمضي نهار المساجين وشطر من ليلهم فلا يحسون بضجر ، ولا يأبهون لتهديد من حراس السجن وزبانيته ، ولا يهابون عقـابا ولا عذابا • فما العقاب الذي يخافونه وهم فى السجن ؟ فلا أكثر من أن

يوضع السجين فى « زنزانة » خاصة ساعات أو أياما ، وليس للسجان زنزانات كثر حتى يمكن له عقاب كل متمرد ..

لكن جاء الوقت لينفد صبر رئيس الحرس ، فقرر أن يخلط المساجين السياسيين بالمساجين المجرمين نكاية لهم وتضييقا ، وحتى يكون حراس القاعات من المساجين المجرمين ـ وهؤلاء يتمتعون بأخلاق شرسة لا تحتمل ـ فيضيقوا الخناق على هؤلاء السجناء المتمردين . وبالفعل فقد وجدنا فى هؤلاء الحراس من الشدة والهمجية ـ خاصة بالنسبة لأمثالهم من السجناء ـ شيئا لا يطاق ، بحيث أن أحدهم ، عندما يريد تأديب سجين ، يأخذ بشاربيه لينتصب وجهه أمامه فيملأه بصاقا ثم يلاحقه بالصفع والركل على ردفيه أو خاصريته ، وهو يشتم ويلعن بالألفاظ الجارحة والبذيئة . وقد رأينا مواقف من هؤلاء صورت لنا خلق الاجرام فى أبشع صوره ، وضجت منها النفوس (1) لكن فما هي الا أيام قلائل حتى بدأ السجانون يرون من أولئك المجرمين شيئا غريبا ما عهدوه طول حياتهم العملية فى السجون ، فقد بدأت تلك المظاهر الهمجية تختفي من السجناء المجرمين وحراسهم على السواء ، وانتهت تلك الكراهية المقيتة التي كانت تسود حياتهم ، بل والأدهى لديهم أن أولئك المجرمين الأقذار حسا ومعنى ، بدأوا يظهرون فى صفوف المصلين والمتعلمين ! .

حتى ان رئيس الحرس جاء يوما فوجد سجينا يدعى (حصاد) يتوظأ للصلاة ، فقال له : ماذا تفعل يا حصاد ؟ قال : أتوضأ لأصلي . فتوجه الينا متعجبا : أحقا ان حصاد صار يصلي ؟ قلنا نعم . فقال : أشهد أنكم سحارون ! .. ثم أضاف : حصاد الذي قضي فى السجون خمسة وخمسين عاما من عمره الذي لا يزيد عن خمسة وستين سنة ، يتوب ويصير من المصلين ؟! وما هي الا أيام قلائل حتى فصل المساجين المجرمون عنا ، وشددت علينا الحراسة .

---

1 ـ طالع كتابي « من وراء القضبان » وخاصة بابي : سجن واشجان ونظام سجن .

حقا لقد كانت الدروس التي يلقيها العلماء من أهل الدين والسياسة تفيض حماسا وجرأة ومضاءا ، ولقد كانت بحرارتها واخلاصها تذيب الصخر الجلمود ، وترد الى الصواب الجموح العنيد •

ولقد قضينا مدة بسجن الحراش ، واتفق أن كان شهر رمضان ، وتبارى الخطباء والمدرسون ، كل فى ميدانه • فكان الأخ الكبير الشيخ السعيد صالحي ، والمرحوم صديقنا محمد الغسيري ، وهذا العبد الضعيف يتناوبون الدروس الوعظية والارشادية • والمرحوم الدكتور أحمد فرنسيس للدروس السياسية والطبية • والمرحوم أحمد غضبان كان معلما بوادي الزناتي فى المدارس الفرنسية للدروس الرياضية والكشفية ، والأخ المناضل ابراهيم حشاني وجماعة من وادي الزناتي وفج مزاله للتمثيل والمسرحيات ، والأستاذ الأخ عبد المجيد حيرش وجماعة من الشباب للتنشيط الوطني بالأناشيد الوطنية والمذاكرة ، •• الخ •

ومن مبرة أهل العاصمة أن جماعة من أهل الخير كانوا يزودوننا كل يوم بفطور المغرب لنستغني ــ أثناء شهر رمضان المبارك ــ عن طعام السجن الرديء • ومرت الحياة بشهر رمضان فى سجن الحراش على هذه الوتيرة ، واذا يوم نودي علينا مخبرين بأن الحكومة قد سمحت لنا بالسجن السياسي ، فاختار البعض منا أن يذهب الى هذا السجن السياسي ، ولكن بعد أن فقدنا فيه تلك الحياة الصاخبة والعامرة بالنشاطات المؤنسة ، فضلنا أن نرجع الى الحياة الجماعية حتى أذن الله بالفرج والحرية على البعض منا ، وكنت من هذا البعض ، والبعض الآخر بالنفي الى آفلو •

ومر نحو الخمسة شهور كانت فيها السجون والمعتقلات ميدانا لمثل هذه الأعمال التي ذكرنا منها عينات ، كما كانت بوتقة لانصهار القلوب والنفوس فى الوطن والوطنية ، ووصلة متينة للوحدة الفكرية لدى المناضلين من جميع الهيئات وتمتين أخوتهم ووحدتهم ، ثم بدأت الحكومة تتراجع ، وتسرح الفوج بعد الفوج الى أن أصدرت الجمعية التأسيسية الفرنسية الأولى قانون العفو العام يوم 9 مارس ــ آذار ــ 1946 م

فبدأت الحياة العادية ترجع الى الوطن ولاسيما بعد تسريح زعماء الحركات الوطنية •

وظن المناضلون والشعب أن الصفوف ستبقى مجتمعة وموحدة أكثر من أي وقت مضى لتستأنف مسيرتها ، بيد أن ثقل الحوادث ثم الاشاعات المغرضة ، والتي غذتها القوة الاستعمارية ، فقد أثرت على بعض القادة فأصبح الحذر والشك يسيطران على الأفكار ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان حوادث ماي هذه ، وما ظهر فيها من عنصرية متناهية من جانب الفرنسيين ، وما أعلنوا من حقد وجمود فظيع ، كل ذلك دل على أن المستعمرين ، ومن ورائهم الدولة الفرنسية بدون تحفظ ، عزموا على استعباد الشعب الجزائري أكثر من أي وقت مضى ، أو على الأقل ابقاء ما كان على ما كان ، والى الأبد •

وأمام هذه الحالة اقتنع بعض آخر من القادة بأن استعمارا من هذا النوع لا يمكن أن يقتنع بلغة « أحباب البيان والحرية » لأنه ليس مستعدا لتفهم لغة الحق والمنطق ، وانما الذي يفهمه هو لغة الحديد والنار • وقد نفذها من جهته فعليا ، ولقننا درسا عمليا ، فقرر هؤلاء القادة منطقية « الجزاء من جنس العمل » أو « لا يفل الحديد الا الحديد » •

النذير الكريه !

وهنا بدأت الوحدة الشعبية التاريخية تنشق من جوانبها ، حينما بدأت الشقة تبتعد بين الزعماء الوطنيين •

1) فبالرغم من أن فرحات عباس ، بعد خروجه من السجن ، أعلن أن خطته السياسية لن تبدل ، فتصريحاته وكتاباته المتعددة تعرب عن شيء جديد ، ولاسيما بيانه الطويل الذي وجهه الى الشباب الجزائري : مسلمين وفرنسيين ، ومقالته في جريدة « لوكومبا » واللذان ستأتي ترجمتهما • هذا بقطع النظر عن تصرفاته الفردية والمسيئة وتصرفات أصدقائه ، كما ينعتهم هو ، أي أتباعه ، ازاء حزب الشعب الجزائري ، الذي أحسوا منه حقا بارادة

السيطرة على حركة أحباب البيان ، فذهبوا يتهمونه بالفجاجة والتطرف الأعمى ، حتى لغاية نفس التهمة التي وجهها للحزب المستعمرون • وهي الثورة المسلحة •

2) بينما ظهرت جمعية العلماء ، العضو الثاني فى (أ ـ ب ـ ح) بمظهر اللامبالاة ، وأصبحت لا ترتبط الا بمطالبها الخاصة التي قدمتها فى كراسة للحكومة فى شهر أوت ـ آب ـ 1944 م وهي كالعادة :

1 ـ حرية التعليم العربي فى المدارس والمساجد •

2 ـ فصل الدين عن الدولة بتسليم المساجد وأوقافها •

3 ـ القضاء الاسلامي واصلاحه •

أما من الناحية السياسية فقد التزمت ـ ولو الى حين ـ الحياد ازاء الأحزاب السياسية، وذهبت تنعي عليها اعتناءها بالانتخابات • وسننقل شيئا من ذلك •

3) أما بالنسبة لحزب الشعب فقد زاد اقتناعا بخطته الثورية ، وأثبت مصالي لفرحات أنه كان على حق، حينما قال له : انني اذا كنت وافقت على عملك وأعطيتك الثقة ، فانني لا أعطيك ضماني التام، فهناك شيء آخر يجب عمله « ويعني العمل الثوري » •

وهكذا تتبلور مواقف أعضاء « أحباب البيان والحرية » ويذهب كل واحد يعمل فى قناعاته الخاصة ، وترجع الوضعية كما كانت قبل الاتحاد وهكذا تخيب مرة أخرى ـ وحتى فى تلك الظروف القاسية ـ وحدة الشعب التي ظنها قد انصهرت ، فى أتون حوادث ماي ، انصهارا يجعل منه جسدا واحدا وقلبا واحدا • شيء واحد لم يصبه الأثر وهم المناضلون بصفة عامة •

محاولات مخلصة ولكنها فاشلة

لم يستسلم المناضلون بكل سهولة لهذا التشتت من جديد ولم يرق لهم ، بعد أن أشرق فى وجوههم الحظ للعمل جنبا لجنب فى منظمة

واحدة ، أن يتنازعوا فيما بينهم ، وفى النزاع التفرق والكراهية ثم الفشل . فقد قام هنا وهناك كثير من عقلاء المناضلين للعمل على رأب الصدع ، وقرر كثيرون الالتزام بالمباديء دون الانقياد للأشخاص ، وقد بقي هذا الموقف قائما فى نواحي كثيرة من الوطن حتى بعد الانفصام التام ، وتأسيس أحزاب جديدة ، وقد كانت هذه المباديء كما يلي :

1 ـ جمعية جزائرية تأسيسية لها السيادة تتخرج بواسطة التصويت العام الموحد من غير تفريق فى الجنسية والدين .

2 ـ المطالبة بحق تقرير المصير حسب منطوق الميثاق الأطلنطي .

3 ـ عدم القبول بالوحدة الفرنسية .

الانفصام الرسمي

وهكذا تدرجت الأحداث شيئا فشيئا الى تحقيق الانفصام الكامل بين أعضاء هيئة « أحباب البيان والحرية » ، وكانت انتخابات الثاني (2) جوان ـ يونيو ـ 1946 أول سبب لانطلاق الانفصام ، ففرحات عباس وجماعته أعلنوا عن تأسيس « الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري » فى شهر ماي ـ آيار ـ 1946 ليشارك فى انتخابات الجمعية التأسيسية الثانية للجمهورية الفرنسية وأثناء المعركة الانتخابية أعلن بكل وضوح عن سياسته الاعتدالية فى تصريح يوم فاتح ماي 1946 الآتي . هذه السياسة التي ستظهر أكثر اعتدالا فى مقررات مؤتمر الاتحاد الديمقراطي الذي سيعقد فى شهر أكتوبر 1946 . وفيما يأتي خلاصة هذا التصريح .

خلاصة التصريح الطويل لفرحات عباس

بعنوان : « أمام جريمة الاستعمار وخيانة السلطة أوجه هذا النداء للشباب الجزائري فرنسيين ومسلمين) (1) •

فى يوم الثامن ماي ـ آيار ـ 1945 فى الوقت الذي كنت أنا والدكتور سعدان بالولاية العامة لنقدم التهنئة لرئيس المستعمرة بتحرير فرنسا نهائيا ، وبانتصار الحلفاء فى الحرب ، جاءنا ضابط من دار العدالة العسكرية وطلب منا أن نجعل أنفسنا تحت طلب محافظة الشرطة المركزية حيث ألقي علينا القبض ووضعنا تحت السرية التامة ••

حررنا من السجن يوم 16 مارس ـ آذار ـ 1946 • لا أشغل وقتي ببيان وشرح تهمة مقيتة وظالمة لأن من حظ كل رجل مستعمر أن يتعذب ويتألم ، لأن من شروطه أن يكون دائما هو الضحية • ولكن واجبي البسيط يطالبني بالتوجه الى الرأي العام الذي خدع فيما يتعلق بالسلم الاجتماعي فى وطني ، وفى صالح العدالة •

منذ نحو العشر سنوات استقريت بمدينة سطيف وحظيت بثقة السكان المسلمين فتخرجت مرارا بالمجلس العمالي وفى المجلس البلدي ، وفى المجلس المالي • واذا كان شيء من التفكير قد ملأ حياتي فانما هو التبشير والعمل على تحقيق التضامن الفرنسي الاسلامي ، وعلى انجاح الثقافة والتقنية العصرية التي تمثل الاسمنت اللازم للالتحام •

---

1 ـ أنظر البيان كاملا بكتاب كلود M.N.A. ص 219–223 .

ولقد اتخذت من هذه المباديء العتلة (Le Levier) التي تساعد جماهيرنا الريفية وعمالنا للخروج من هوة مخلفات القرون الوسطى التي تعيشها تحت نظام الظلم والتقهقر » .

وبعد أن يذكر أعماله فى قسمه الانتخابي التي رضي بها جميع السكان : مسلمين ، ويهود ، ونصارى ، يقول :

« لقد عرفت الكفاح ولكن جهلت الحقد ، فالاتحاد ضمن الديمقراطية، والأخوة ضمن العدالة كانا ولازالا عقيدتي السياسية » . ثم يضيف ما معناه : لم أغتنم نيابتي لغنائي الخاص بل ضحيت بكل شيء فى سبيل المصلحة العامة حيث أنشئت هنا وهناك مدارس للغة الفرنسية وأخرى للغة العربية ونوادي وجمعيات خيرية وكلها من أجل فائدة جميع السكان والصالح العام .

وفى عام 1939 حينما كانت حدود التراب الفرنسي وحرية العالم ـ مهددتين ـ لم يكن علي أي واجب عسكري ـ انخرطت متطوعا فى الجيش الفرنسي لأكون بجانب أبناء فلاحينا ، وأقاسمهم أخطارهم » .

وبعد أن يذكر دفاعه واخوانه عن ضحايا (نظام فيشي) الذين كانوا ينعتون بالفرنسيين الحقراء وعن الموظفين الذين أخذوا بفكرتهم السياسية ونجحا ـ يقول ـ حتى توصلنا الى تأسيس وكالة خاصة « لفرنسا المقاومة » والتي ترأسها صديقي المأسوف عليه « ادوار دوليكا » يتطرق الى أعماله بعد نزول الحلفاء سنة 1942 فيذكر بالبيان الجزائري ومطالبه وظروفه وما ينتج عن ذلك من تأسيس لجنة الاصلاحات ومن حل اللجنة الأهلية فى المجلس المالي ، وجعله تحت الاقامة الجبرية ، وتأسيس جريدة المساواة للدفاع عن المطالب الوطنية ثم اقامة حركة « أحباب البيان والحرية .. » .

وبعد أن يبين ما عمله هو وأصدقاؤه فى مجال الصالح العام والتضامن والمحبة بين جميع المتساكنين . ثم يبين المقابل من مواقف حكومة رجعية ذهبت فى رجعيتها الى عصر (بيجو) « Bugeaud » حكومة صارت

مصدرا بوليسيا فى خدمة طائفة مزارعة امتلأت عنصرية الى حد نهائي ، وفى خدمة موظفين بدون كلمة وبدون ضمير ، كانوا يعملون فى الظلام لهدم كل ما بنيناه من تقارب وتجديد ، ولنشر الحقد والشر والحزن ...

يقول : وأمام هذا البلاء لم نجد الا بعض الفرنسيين ، وهم قلة للأسف الشديد ، لم يشكوا فى اخلاصنا . فشكرتهم على ثقتهم ... ولكن بعض الفرنسيين ـ لحسابات خاصة ولأحقاد ـ قد أثاروا الرأي العام الفرنسي ضدنا حتى لحد أن حاولوا لدى العدالة بدفعها للحكم علينا بالاعدام الجماعي وتعاطوا الضمان المشترك وأقاموا مذبحة عامة فى المسلمين ثم اتهمونا بها ...

ثم يضيف : ان أحباب البيان والحرية لم يقوموا لا فى أول ماي ولا فى الثامن منه بأية فتنة بل ما عملوا الا الهدوء والوحدة فى ظل التفاهم المتبادل، والعمل السلمي فى نظام ومساواة الجمهورية وهذا ما عملنا من سلاح فأيدينا طاهرة من الدماء البشرية التي أجريت . وأحقق هذا بشرفي ، ولقد أقسمت أمام الله وأمام وطني وأمام الفرنسيين الذين هم جديرون بهذا الاسم ...

ثلاثة قضاة عسكريين ، وهم غير مسلمين ، راجعوا ملف أحباب البيان والحرية وملف ما ادعي أنه « ثورة عربية ، وثلاثتهم لم يجدوا الا برنامجا دقيقا وموقفا صريحا صافيا بواسطة رجال نزهاء لخدمة هدف نبيل » .

وبعد كلام طويل عن حوادث سطيف وقالمة وتعداد أغراض المستعمرين السيئة ، يضيف يا للأسف ان مجهوداتنا الحليمة من أجل التصالح المخلص ، وسياستنا الاتحادية التي شملت حتى مصالي وأصدقاءه ، قد هدمت ومنظمتنا قد حلت . ولكن مثالنا النبيل لا زال متينا ، والبيان الجزائري لا زال حيا ، ونحن لا زلنا للبيان ... لقد طلقنا الى الأبد تلك السبل الضيقة الى الجادة الكبرى « الوطن الجزائري » أعني « المساواة والحرية » .

« لا اندماج ، ولا أسياد جددا ، ولا انفصال . انما شعب فتي يتولى تثقيف نفسه ديمقراطيا واجتماعيا ، ويحقق تجهيز الجزائر تجهيزا صناعيا

وعلميا ، ويواصل رسالة بعث شخصيته خلقيا وفكريا •• ويشارك أمة كبرى تحريرية ــ أعني اقامة ديمقراطية جديدة ناشئة تقودها ديمقراطية كبرى هي الديمقراطية الفرنسية » •• ثم يتوجه الى الشباب فيقول :

« ان الدنيا لا تعرف الفشل ، انها تقوم بتجديد العمل الغير الكامل بدون توقف ، فكل فشل يدفعها للتجدد ، انها يقظة مليئة بالطموح » •

ثم يقول فرحات : لقد قدمت هذه الكلمات وهي لرينان قدمتها الى الشبان المسلمين والفرنسيين أبناء وطننا لأقول بأن كل شاب يقل عمره عن أربعين عاما يجب أن يأخذ مسؤوليته ، وليفكروا فى القضايا الخطيرة وقضايا الساعة الحاضرة ، انه لا القوة ، ولا الخضوع المشين يأتيان بالحل الحقيقي » •

« يجب تحرير الجزائر من المقاييس القديمة التي أتى بها الاحتلال الاستعماري ، •• يجب بناء مستقبل وطننا المشترك على قواعد حقيقية وتاريخية حتى يمكن تخليصه قطعا ليسير نحو الديمقراطية الشاملة » •

« فاذا لم تتغلب الشبيبة الجزائرية على فروقها العنصرية القائمة بينها ، واذا لم تقص بكل جسارة ، من الحياة العامة ــ أولئك الذين لازالوا يستوحون تصرفاتهم من ظلام تصورات دينية ، فاذا لم نطلق بكل سرعة البهتان ، والاحتقار ، والحقد هذه الأشياء التي عاشها آباؤنا ، فانها ستنتهي بنا ، دون شك ، الى انتحار معنوي ستكون عواقبه ثقيلة ، اننا نعرف كيف تولد الحضارات كما نعرف كيف تموت » •

« اننا ننتظر من الشباب تحقيق مجهود مضاعف ومخلص ، فان الثامن ماي قد رجع بنا الى عهد الصليبية • ان فى هذه الظروف المخطرة بالنسبة لفرنسي الجزائر الذين تقدم فريق من طليعتهم ، وبكل اطمئنان ، ليعذبوا ويذبحوا طيلة أسابيع خلقا كثيرا من البرآء ، فهذا العمل لم يكن يحدث لولا أن هؤلاء كانوا ولازالوا يعتبرون العربي خلقا آخر ، انه عدو ، انه رجل حقير ودنيء •• »

ثم يقول : أما من جهة المسلمين ، فان عقلية القرون الوسطى يجب أيضا أن تزول ، فان عهد التبشير والغيرة الدينية قد انتهى ... ان « الوطنية الاسلامية » غلط تاريخي ، لأنه ليس من الواجب أن يكون أبناء الوطن الواحد أبناء دين واحد ، فان جزائريا مسيحيا أو يهوديا يجب أن يكون أخا لجزائري مسلم بدون أن يسعى هذا لالحاق الآخر لمجموعته ، أو أن ذلك يعتقد بوجوب ادماجه أو اخضاعه للعبودية » . ولكن لنتعلم ، لنعرف ، لنرفع تصورات الأسرة العصرية . هذا هو الهدف الذي نريد ادراكه حتى لا يدركنا الاضمحلال » .

وبعد أن يذكر الشبيبة مرة أخرى بالمجهود المضاعف الذي قدمه « البيان الجزائري » وأعطى مبادئه ، وبين أساليبه فى الحقلين السياسي ، والاجتماعي فى شيء من البساطة وامكانية التنفيذ ، لأنه مبني على المنطق والمعقولية فى مساواة الرجال والمواطنين فى كل شيء ، ولأن نظاما على غير هذه القواعد سيظل دائما نظاما استعماريا مستغلا وامبرياليا ، يقول :

« هل نحن فى حاجة الآن ـ مهما كان الحال ـ أن نبين أن عقيدتنا لازالت متينة لم يزعزعها أي شيء ؟ فنحن لازلنا ـ اذن ـ فوق أرض صلبة » .

ويختم فرحات : وبرغم الجريمة الاستعمارية ، وبرغم تفهم العقول الكريمة ، ولو بضبابية ، وبرغم الاستفزازات ، وبرغم الطفرة الأخيرة التي أقامها نظام محكوم عليه ، فان جزائر جديدة متحدة اختياريا بفرنسا جديدة ستولد بفضل العمل المشترك من الديمقراطيين الفرنسيين والمسلمين » .

« ان المسيرة المنتصرة للجمهورية الاجتماعية فى فرنسا وفى العالم كله هي الضمان الأكيد » .

الجزائر فاتح ماي 1946

التوقيع : فرحات عباس

ملاحظة لازمة :

ان فرحات عباس فى بيانه هذا يحاول أن يظهر بمظهر القوى الذي لم تؤثر عليه الأحداث التي مرت ، ويريد أن يعرب عن ثباته على مبادىء أحباب البيان والحرية ، وكأنه أحس بهاتف يهزه : لماذا ـ اذن ـ تأسيس « الاتحاد الديمقراطي » ؟ فأجاب : ان مقاصد أضدادنا أرغمتنا على استئناف المعركة ، وعلى الرجوع الى عملنا حيث توقف ، وبرغم القمع الثقيل ، فان الشعب بقي مرتبطا بمثله القومية أكثر من أي وقت مضى .

فأثناء اعتقالنا ظهرت كتلة مستعدة للتبادل (Rechange) بزعامة الدكتور ابن جلول حيث كانت حاولت ، أمام الجمعية التأسيسية الأولى أن تتابع سياسة « الاندماج » والالحاق ، وهذا هو « الافلاس الكامل » لأنه الأمر الذي لا يقبله الشعب الجزائري أبدا . كما أنه لا يقبله بالأحرى الكولون وممثلو فرنسا » .

ومن جهة أخرى فان الاستقبال الهائل الذي هيأه لنا الشعب عند تحريرنا من السجن شجعنا على المضي قدما » (2) .

وجمعية العلماء :

أما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، العضو الثاني فى حركة أحباب البيان والحرية فقد ارتأت الالتزام بمطالبها الدينية التي يخولها لها القانون ، أما السياسة فليس من اختصاصها لاسيما سياسة الأحزاب التي تراها غير ناضجة ولا تنتصح برأي الجمعية ، وتتابع هذا فى خلاصة من مقال طويل نشر بجريدة البصائر بعد رجوعها للظهور ، بعنوان :

جمعية العلماء اعمالها ومواقفها (3)

« لجمعية العلماء أعمال ومواقف ـ لها أعمال فى الميدان الديني لا يتطرق اليها التبديل والتغيير لأن المرجع فيها نصوص الدين . ولها

---

2 ـ ليل الاستعمار ، ص 159–160 .

3 ـ البصائر ، ع 2–3–4 .

أعمال فى ميدان التعليم العربي لا يعتريها فيها الفتور ولا النكوص والتراجع .. ولها فى الحياة السياسية والاجتماعية للأمة الجزائرية آراء محصتها التجربة وأيدها المنطق ؛ ومواقف لم تراع فيها الا المصلحة المحققة أو الراجحة ، ولم تبال فى مواقفها بمن طار ولا بمن وقع .. » .

« ولجمعية العلماء أضداد .. وخصوم .. من أعداء الجمعية الاستعمار وأنصاره وصنائعه . ومن خصومها تلامذة الأقسام الابتدائية فى السياسة من أفراد وأحزاب يضادونها كلما جروا مع الأهواء فلم توافقهم وكلما أرادوا احتكار الزعامة على الأمة فلم تسمح لهم وكلما طلبوا تأييد الجمعية لهم فى الصغائر ، كالانتخابات ـ فلم تستجب لهم ، وكلما هاموا بالشعريات والخيالات فردتهم الى الحقائق ، وكلما أرادوا تضليل الأمة وابتزوا أموالها فعارضتهم » .

« الواقع أن جمعية العلماء فى نزاع وصراع مع هؤلاء جميعا ؛ وأن محل هذا النزاع وهذا الصراع هو الأمة الجزائرية ، فالجمعية تريدها أمة عربية مسلمة كما هو قسمها فى القدر وحظها فى التاريخ وحقها فى الارث وحقيقتها فى الواقع والمصطلح .. والاستعمار يريدها هيكلا لا تترابط أجزاؤه ولا تتماسك أعضاؤه .. وتلامذة السياسة يريدونها متبوأ لزعامتهم المزعومة ، وسيادتهم الموهومة ، فيعللونها بالأباطيل ، ويروضونها على التصفيق والتهاليل ، ويسوسونها (بطرقية سياسية) لا تختلف عن تلك الطرقية الدينية فى كثير ولا قليل » .

موقف الجمعية مع السياسة والساسة

للسياسة فى جميع بلاد الله ، وعند جميع خلقه معنى محدود قار فى حيز من الادراك ، الا فى هذا البلد وعند حكومته الاستعمارية ، وساسته المقلدين ، فان معناها غير محدود ولا مستقر ..

وبعد أن يذهب فى وصف هذه السياسة بأوصاف متعددة يقول : على أن معنى السياسة عندنا ـ فى تردده بين طرفي السعة والضيق

يتسفل دائما ولا يعلو ، ويتبذل أبدا ولا يسمو ، ويوشك هذا اللفظ ، بسوء تصريف الاستعمار له ، أن يصبح بلا معنى كالألفاظ المهملة ..

ثم يذكر كيف أن لفظ السياسة أصبح يطلق على كل عمل حتى الحج والصلاة . وكيف أن هؤلاء السياسيين أصبحوا أعداء فرنسا . وعمت السياسة كل الناس ... أما أن السياسة تكون خيرا لأقوام وشرا لآخرين وتكون عقود حلية كما تكون عقد خنق ، فهذا ما قرأناه فى قاموس الاستعمار وعلمناه من مذهبه وهو ــ على علاته ــ مقبول ، اذا كان للسياسة معناها المعقول ، ولكن السخافة كلها فى هذا التبذل الذي أصبحت معه كلمة السياسة كلفظ « البعبع » هذا يخوف به الصغار ولا حقيقة له ، وتلك يخوف بها الكبار ولا معنى لها .. وما جاء هذا البلاء الا من نظام الحكم الاستعماري على المسنمين فى الجزائر ، حكومة لائكية فى الظاهر ، مسيحية فى الواقع .. تجمع يديها على دين المسلمين ودنياهم وتتدخل حتى فى كيفية دفن موتاهم ..

هذا معنى السياسة عند الحاكمين ــ عاليا ونازلا ــ أما عند المحكومين فأعلى معانيها احياء المقومات التي ماتت أو ضعفت أو تراخت ، من دين ولغة وجنس ، وأخلاق ، وتاريخ وتقاليد .. ثم المطالبة بالحقوق الضائعة فى منطق وايمان .. ثم .. ثم .. فاذا نزلوا بها صارت الى هذا التحاسد على الرئاسة ، وهذه المنافسات الفارغة فى القشور ، وهذا الجدل الشاتم السباب وهذا الافتتان المزري بالأشخاص . وكل ذلك نراه على أقبح صورة فى حين أن ذلك كله ليس من مصلحة الأمة الجزائرية ، ولا في فائدة قضيتها ، بل هو كله فى مصلحة الاستعمار .

هذه هي السياسة فى الجزائر بين الحاكم والمحكوم ، يجعلها الأول أداة مساومة وفخ اقتناص للمذبذبين ، وسلاح ترهيب وتخويف للمخلصين ويجعلها الثاني وسيلة جاه وذريعة تضليل للأمة . وقد بلوناها وخيرناها وحاولنا اصلاحها فى رجال السياسة منا ، اشفاقا على هذه الأمة الصالحة ، فبحت الأصوات وأكدت الوسائل (4) فلا يقولن قائل فيها وفينا غير هذا « فأهل مكة أدرى بشعابها » .

---

4 ــ أكد واكتد : بخل وامسك .

وهكذا يذهب المقال الطويل فى بيان أعمال الجمعية فيخاطب الاستعمار بـ « يا حضرة الاستعمار » ان جمعية العلماء تعمل للاسلام باصلاح عقائده وتفهيم حقائقه واحياء آدابه وتاريخه ، وتطالبك بتسليم مساجده وأوقافها الى أهله .. الى آخر المطالب المعروفة .

التوقيع : محمد البشير الابراهيمي

منطق آخر للابراهيمي :

هذا وان هذا المقال الأخير فهو بقلم رئيس الجمعية المغفور له الشيخ محمد البشير الابراهيمي ، ونرى فيه من الاعتدال والحيطة والتباعد من الأحزاب السياسية ما يحيط الجمعية بحرز متين أمام القوانين الاستعمارية فهو هنا يعبر عن ضمير مسؤول عن الجمعية . الا أن محمد البشير الابراهيمي حينما يتكلم باسمه الخاص فله منطق آخر يعبر عن ضميره الشخصي ، وهذا ما نقرؤه فى المقال التالي تحت عنوان « الكلمة الأخيرة للأمة » :

« أما آن لعشاق سلمى أن يقولوا « صحا القلب عن سلمى » ؟ أما آن للحالمين بالوحدة الفرنسية أن ينفضوا عنهم الأحلام ؟ أما آن للمنتظرين أن يقطعوا حبل الانتظار ؟ أما آن للمستعصمين بالأمل أن يريقوا صبابة الأمل ؟

يا هؤلاء ! ان الاستعمار شيطان ، وان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، وان الاستعمار شر ، ومحال أن يأتي الشر بالخير ، ومحال أن يجني من الشوك العنب . ان فرنسا نبية فى الاستعمار ، وانها ترى أنه شرع لا ينسخ وعقد لا يفسخ ، فدعوها وشرعها لله وسنن الله ، وللزمان وتصاريف الزمان . ان الالحاح فى المسألة ذلة ، وأن اليأس احدى الراحتين .

والله ... والله ـ ألية المسلم البر ـ لا يرجو الخير من الاستعمار الا من خولط فى عقله فرجا من الصخر أن يبض بالقطر ، وما كنا نرجو منه أن يسترجع ما غصب من دنيانا ، والدنيا مادة يملكها الغاصب بعد تسلطه على ديننا ، والدين روحاني لا يسلبه الا من سلب الروح . ولكننا

كنا نظن أن تلك القلوب القاسية ترققها الشدائد ، وأن تلك النفوس العاتية تلطفها المصائب وان تلك الاحساسات الغليظة ترهقها مناظر البؤس الذي نزل بها ، وتوقظها أصوات القوارع انتي حلت بدارها ، فقطع علينا هذا الظن يوم حجر الحقد تلك القلوب على مسلمي الجزائر ، حتى أبت عليهم أن يشاركوها فى فرحة فنغصتها عليهم بمناظر الدماء والأشلاء •

واضيعتاه ! أفي الوقت الذي تطمح فيه أنظار الأمم الضعيفة الى الاستقلال التام يرسلها رئيس وزراء فرنسا صيحة انذار بأن لا حق لنا حتى فى استقلال ديننا ؟ •

واخيبتاه ! أبعد مداورات دامت سنوات يفرض على الأمة الجزائرية دستور أعرج أبتر لا يسمع ولا يبصر ؟ لم يؤخذ رأيها فى وضعه ، ولم يسمع صوتها فى دفعه •

واذلاه ! أبعد البراهين اللائحة كفلق الصبح على حق هذه الأمة فى السياسة وفى الحياة ؟ وعلى استحقاقها لجميع الحقوق فى السياسة والحياة ؟ تعامل بالدون وتحمل على خطة الهون ! •

أيها المترددون على (قصر البوربون) ! • انه لا طارد كاليأس ، وقد أيأسوكم فكأنهم طردوكم ، فارجعوا •• ارجعوا ، وتداعوا الى الاتحاد على الحق الواضح بالمنطق المعقول ، فان القوم قد اتحدوا على هضمكم بالمنطق المسلح ، ارجعوا واجتمعوا وأجمعوا الأمة في مؤتمر واشرحوا لها الحقيقة ، ودعوا لها الكلمة الأخيرة فى تحديد الموقف وتقرير المستقبل • لا اندماج الا لبعضكم فى بعضكم ، ولا اتحاد الا لأجزائكم الطبيعية بعضها مع بعضها » • ا هـ

صـــوت آخـــر

ومن المفيد أن ننقل صوتا آخر عمن يعبر عنهم من النواب ، ببني نعم ••• نعم ••• لنعطي نموذجا لفكرة كانت ، بالنسبة للمستعمرين ، حصاد حوادث الثامن ماي فى جهتها الايجابية ، ولكنها

تتيجة خافتة ومنبوذة ، وكريهة حتى لدى بني وي .. وي . وهو كل ما تحصلت عليه المكيدة الاستعمارية من ارادتها قتل الـروح الوطنيـة القومية فى الجزائر ، ولله الحمد .

يقول الدكتور ابن سالم نائب رئيس المجلس العمالي فى جلسة من جلسات هذا المجلس : « .. وبما أننا مدفوعون لنعيش فى هذا القطر جنبا لجنب فعلينا أن نعطي لحياتنا كل ما تحتاجه من الرفاهية . ثم يقول لبني جنسه : ان وجود فرنسا فى هده الربوع شيء لا ينكر ولا يقبل النكران فليكن من الأشياء التي تعيننا لا من الأشياء التي تعرقل أعمالنا .

أما الفرنسيون فنحن نرجو منهم شيئا من التفاهم والمودة اللازمين لانتشار الاتفاق فى هذا القطر ولاعداد مستقبل زاهر يفيد فرنسا » .

ويقول تعليق جريدة النجاح التي نشرت التصريح والتي تعتبر أقرب جريدة عربية للادارة الاستعمارية : « لأول مـرة فى تاريخ العمـالة القسنطينية ـ يقوم مسلم فرنسي (5) بمهمة رئاسة مفاوضات (مناقشات) هذا المجلس ، ونحن لا نريد أن نرى فى هذا العمل الا برهانا قاطعا على الاتفاق التام الذي يسود هذا المجلس والذي سيعم كل القطر الجزائري كما تتمنا » (6) .

واما حزب الشعب الجزائري :

العضو الثالث فى (أ ـ ب ـ ح) والذي بقي ممنوعا رسميا من العمل ، وقد ضربته حوادث الثامن ماي أكثر من أية هيئة أخرى ، فرئيسه ومسؤولوه الكبار فى السجون ، ولا صحافة تنشر له أو تنطق باسمه ، فلم يستطع أن يعرف عن موقفه رسميا ، وانما استعاض عن ذلك بمناضليه المنتشرين فى أنحاء الوطن ، وبالمناشير السرية والكتابة على الجدران .

---

5 – (مسلم فرنسي) جريا على قرار السابع مارس 1944 الذي جعل العرب الجزائريين « مسلمين فرنسيين » ولكن على الورق دون حقوق .

6 – جريدة النجاح ع 3364 تاريخ 10 نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ 1945 .

ثم ومن بعد ذلك ساعدهم على الاعراب عن فكرة الحزب التي بقيت دائما « الاستقلال التام » انشاء فرحات عباس للاتحـاد الديمقراطي « ومشاركته فى انتخابات الجمعية التأسيسية الثانية فى الثاني جوان ـ يونيو ـ 1944 ، ولئن لم يشارك الحزب فى هذه الانتخابات وكان معارضا لها ، فقد كانت المعركة فرصة للمناضلين أن يقوموا بالمعارضة لسياسة « الاتحاد الديمقراطي » ومعارضة عباس بكل شدة فى سياسة الوحدة الفرنسية • حتى أن عباس نفسه يذكر أن ضغوطا أتت اليه من جهات وطنية ويذكر الحبيب بورقيبة زعيم حـزب الدستور التونسي يطالبه بمساندة حزب الشعب فى سياسة الاستقلال التام ونبذ سياسة الوحدة الفرنسية (7) •

ومن محاولات مناضلي هذا الحزب الجريئة ، وقد رويتها عن الأخ المناضل الكبير الشاذلي المكي : ان شباب الحركة ومنهم عبد الرحمن خفيز ومحمد هني والشاذلي مكي وشرشالي محمد ••• أرادوا أن يدخلوا التاريخ من عريض أبوابه فقرروا ، فى غيبة من رؤساء الحزب ـ ارسال وفد الى «سان فرنسيسكو» لحضور اجتماع ميلاد «هيئة الأمم المتحدة» سنة 1945 ويقدموا أثناء ذلك القضية الجزائرية • وكان هذا العمل يستلزم طبعا أموالا وجهودا مضنية لايجاد طريق توصل الى ذلك المرغوب وخاصة أمام الصعوبات الادارية التي ستعترضهم بكل شدة لا محالة • قال الشاذلي :

وقد تعرفنا الى طيار كندي أغرى بواسطة راقصة فرنسيـة كـانت بكبدي) ملهى ليلي بشارع ديزلي (ابن مهيدي الآن) تدعى « ريتا » وطلبنا من الراقصة أن تقنع هي وأسرتها الطيار المذكور أن يأخذ الوفد بأي طريقة الى سان فرنسيسكو ، على أن يأخذ مبلغ مليون فرنك (في ذلك الوقت) •

قال الشاذلي : وأوفدني الشبان أنا وحسين عسلة رحمه الله الى احدى الشخصيات الثرية (لا أريد تسميته) لنطلب منه تكلفة السفر (قرضا) ،

---

7 ـ ليل الاستعمار ، ص 168 .

فلم يزد على أن أجابنا : أنتم مساكين ومجانين ، أنتم عاجزون على صنع ابرة وتريدون الزج بالجزائر فى مأزق لا مخرج لها منه » •

فرجعنا من عنده وقصدنا السيد عباس التركي حيث شرحنا له مقصدنا ، فطلب منا الصبر قليلا حتى يسعى فى الأمر ، وما هي الا أيام قلائل حتى أتانا بمبلغ مليونين من الفرنكات ، فقلنا نحن طلبنا مليونا واحدا ، فقال مليون للسفر ومليون لمصاريف المكث هناك ، ودفع لنا المبلغ دون أن يطلب ايصالا •

كان عبد الرحمن حفيز يملك مطعما بالعاصمة وضيعة كذلك فطلب من السيد عباس التركي أن يكتب له وثيقة شرعية بتقديمهما كرهينة حتى يدفع المبلغ • قال الشاذلي : فوبخنا عباس التركي على هذا الموقف ولامنا لوما كبيرا •

كان الوفد يتألف من الحاج مصالي ، والشريف حاج سعيد والشاذلي مكي ،الا أن الحاج مصالي فى النهاية امتنع من تنفيذ الرغبة مفضلا البقاء فى الوطن والعمل المباشر ، لا سيما وهو تحت الاقامة الجبرية المحروسة وتهريبه يلجيء الى مغامرة قد لا تكون فى صالح القضية • فرددنا المبلغ لصاحبه وشكرناه على موقفه العظيم وغيرته الوطنية » •

على كل حال ، وأمام هذا التشتت الذي بدأ يظهر فى صفوف الحركة الوطنية العامة ، فان الشعب ـ وبالأحرى طبقته الواعية ـ بالرغم من مكيدة الاستعمار الثقيلة الوقع ، فقد أبت الا أن تذهب صعدا فى طريقها المرسوم نحو الاستقلال التام ، نابذة أكثر من أي وقت مضى فكـرة التقارب والالحاق بفرنسا •

وبالرغم من شجاعة فرحات عباس وكتلة الاتحاد الديمقراطي البرلمانية ، فى عرض القضية الجزائرية على التأسيسية الثانية الفرنسية ، بسياسة ناضجة وموزونة وصريحة ، الأمـر الـذي أحـرج رجـال الحكـم الفرنسي وجعلهم يفكرون فى التنازل شيئا ما لبعض المطالب الجزائرية ـ الدستور الجزائري الخاص كما سيأتي بيانه ـ الا أن الظروف العالمية

والمحلية التي أحاطت بالقضية جعلت سياسة الاستقلال التام التي تبناها حزب الشعب الجزائري ، تبدو هي الحركة الوطنية الأصيلة التي تعبر عن رغبات الشعب الجزائري وتطلعاته الحقيقية • وبدأ الناس يـرون التفاف كثير من الساسة حول حزب، الشعب ومن أولهم المرحوم محمد السعيد الزاهري ، فقد جعل جريدته « المغرب العربي » تحت تصرف حركة حزب الشعب • وكتب « المغرب العربي » فى العدد الثالث ما يلي :

« لم يزل حزب الشعب الجزائري ممنوعا غير مسموح به من السلطات الفرنسية ، بالرغم من أنه لا يوجد مبرر معقول لهذا الاصرار الفرنسي على مصادرة الحريات الديمقراطية العامة التي هي حقوق طبيعية لهذه الأمة العربية المسلمة فى الجزائر •

وتمضي الجريدة فتقول : توجد أحزاب وهيئات وشخصيات سياسية فرنسية صميمة تقول عن نفسها انها « وطنية فرنسية خالصة » ولكنها لما هبت العاصفة ووقعت فرنسا فى ظرف عصيب أحالوا على أمتهم الفرنسية فغدروا بها وخانوها وتواطأوا عليها مع عدوها ••• الى أن يقول : وقد حكم القضاء الفرنسي على عدد كبير منهم بما يستحقونه من العقاب ولكن أكثرهم قد أفلت من وجه العدالة ، وهم اليوم يصولون ويجولون، وهم بعد ذلك فى منزلة « الممتازين المتفوقين» فى هذه البلاد •

أما حزب الشعب الجزائري فهو عربي مسلم غير فرنسي ، ويمثل شعبا عربيا مسلما غير فرنسي ، ويكافح ضد مظالم الاستعمار الفرنسي ، ويعمل لتحرير الجزائر واستقلالها ،مع ذلك فان شرفه العربي الاسلامي أبى عليه أن يمد يده لقبول أية مساعدة أجنبية ، ولم يتوأطأ على فرنسا مع عدوها ، لأنه يعمل لحساب الجزائر ولصالحها فقط ••• »

هذا ، ومن المفيد أن أختم هذا الباب ـ باب الانفصام ـ بخلاصة هامة حيادية عن هذه الفترة كتبها مؤلفا كتاب « الحركة الوطنية الجزائرية »

كلود كولو وجان روبير هنري تحت عنوان :

صوت محايد : الانبعاث السياسي سنة 1946

بعد عمليات القمع المتتابعة التي وقعت فى 8 ماي 1945 ، والتي أصابت جميع الحركات الجزائرية ـ ما عدا الحزب الشيوعي ـ قد همدت الحياة السياسية الى حين ولعدة شهور ، ثم تحركت من جديد لما صدر قانون العفو العام بتاريخ 9 مارس ـ آذار ـ 1946 ، قيل بمبادرة من الحزب الشيوعي ، أي بطلبه ، وبعد تحـرر بعـض الزعمـاء الجزائريين المسجونين » •

« فأما الحزب الشيوعي فقد أرسل نداء بتاريخ 24 مارس 1946 بمناسبة انعقاد مؤتمره الثالث (8) من أجل تحضير انتخابات الثاني جوان ـ يونيو ـ 1946 للجمعية التأسيسية الثانية ، وفى الوقت نفسه ، وبسبب هذه الانتخابات ، ظهر بالتدريج حزب « الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري » فى شهر ماي 1946 الذي أسسه فرحات عباس بمفرده مبتعدا من مناضلي حزب الشعب خوفا من طغيان تسللهم مرة أخرى • وقد أعلنه فى نداء فاتح ماي 1946 م هذا النداء الذي وجه أكثريته للشبيبة الجزائرية الفرنسية والاسلامية ، وسطر فيه خطا سياسيا شبيها تماما بالبيان الجزائري ، انما يطلب الآن مشاركة الجزائر مع فرنسا ، ونادى فى مقال بجريدة لوكومبا فى 26 جوان 1946 بالحل الفيدرالي ، فى الوقت الذي نجحت حركته نجاحا باهرا فى الانتخابات (11 نائبا برلمانيا من 13 التي هي من حصة المجمع الثاني) (الأهـالي) ويـوم 9 أوت 1946 برلمانيو « ا ـ د ـ ب ـ ج ـ » وضعوا فى مكتب الجمعية الوطنية الفرنسية برنامجا باسم الجمهورية الجزائرية • ولكنه لا يدرس يومئذ وانما سيتناول فى معركة الدستور (9) •

وبعد نشر هذا البرنامج الأول للبيان الديمقراطي فى جريدة المساواة يوم 28 أوت 1946 عقد مؤتمر تدسيني أيـام 13 ـ 14 أكتوبر 1946 حيث تبنى مقترحات ضعيفة جعلت الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري

---

8 ـ انظر نص هذا النداء في نفس الكتاب ص 215-219 .

9 ـ سنتعرض لذكر هذا البرنامج في مكانه •

فى مظهر حزب اطارات • وهكذا مكث فى خطته تلك حتى سنة 1956 حيث حل رسميا » •

« أما جمعية العلماء من جهتها فقد عقدت مؤتمرها (اجتماعها العام) التاسع يوم 21 جويلية ــ تموز ــ 1946 وصودق فيه علــى قانون أساسي جديد ، وعلى لائحة تتعلق بالحالة التربوية الثقافية والدينية ، على أن المؤتمر قد أكد على ابقاء السيرة الخاصة بالجمعية التي لا ينتظر معها العمل فى السياسة التقليدية » •

« أما حزب الشعب الجزائري الذي بقي ممنوعا ولم يشارك فى انتخابات الثاني جوان ــ حزيران ــ 1946 ، فانه بعد تسريح مصالي فى شهر أكتوبر قرر المشاركة فيما بعد ، وأسس « حركة الانتصار للحـريات الديمقراطية » (M.T.L.D.) ورشح تحت هذا الاسم أعضـاء للانتخابات التشريعية فى شهر نوفمبر ــ تشرين الثاني ــ 1946 م وحصل على نجاح هام بنجاح خمسة نواب برلمانيين • غير أن برنامج الوحدة الذي كان للحركات القومية قد ظهر فى حدود جديدة بعد تجربة « أحباب البيان والحرية ، حيث أخذت كل حركة دروسا جعلتها تحصل على خلاصة خاصة بها » •

ففي 21 جويلية ــ تموز ــ 1946 أرسل الحزب الشيوعي الجزائري بيانا يدعو الى « جبهة شعبية ديمقراطية جزائرية » حيث بقي نداؤه حصان معركته لغاية 1954 (أي قيام الثورة) (10) •

وبعد اتصال بين الاتحاد الديمقراطي والحزب الشيوعي ، والعلماء وجه حزب الشعب بدوره نداء فى ديسمبر 1946 الى الشعب الجزائري بقصد تحقيق الاتحاد بين الهيئات التي تعترف بوجود الأمة الجزائرية كحقيقة ثابتة ، وهذا يعني أبعاد الحزب الشيوعي (11) • على أن هذه السياسة الوحدوية التخمينية ستتطور نصيبا سنة 1951 » (12) •

---

10 ـ سنثبت خلاصة من هذا النداء فيما يأتي .

11 ـ سنثبت خلاصة من هذا النداء فيما يأتي .

12 ـ يشير الى تكوين الجبهة الشعبية للدفاع عن الحرية والديمقراطية .

نظـرة عـلى أحـداث الفترة
حول العالم وخاصة الشمال الافريقي
وهي نبذة من الفتـرة الثالثة

لا يمكن أن يعرف الباحث حقيقة الوضع فى الجزائر ، ولا أسباب الغليان الذي يهزها ، ما لم يعرف الوضعية العامة التي كانت تسود العالم الجديد الذي حدث بعد الحرب العالمية الثانية ، فهذه الحرب قد اعتبرت أولا وقبل كل شيء حرب تحرير للعالم كله ، وخاصة للأمم الضعيفة التي كانت اقتسمت فى القرن التاسع عشر وقبله ، بين الدول الاستعمارية ، هذه الدول التي قضت عليها الحروب حتى وقعت هي نفسها ، كلها أو جلها تحت الاحتلال الألماني ، ورجعت تستجدى الولايات المتحدة الأمريكية لتخلصها من الاستعمار والاستعباد النازي ، وكانت الولايات المتحدة الامريكية ، اذ ذاك ـ ليست من الدول الاستعمارية ، ولا شك أنها كانت تحسد الدول الأروبية صاحبة « الأمبراطوريات » وخاصة أنكلترا وفرنسا وروسيا وهولندة •

فلما لجأت هذه اليها كان أول حججها « لا توقف للحروب الا بزوال الاستعمار » وهي حجة حققها الواقع والتاريخ ، فكان الميثاق الأطلنتي الذي يعطي حق تقرير المصير للشعوب المستعمرة ، ثم أعقب ذلك وعود الدول المستعمرة نفسها للشعوب التي تحت سيطرتها حتى تقف فى صفها برجالها وأموالها وأوطانها أمام الغزو النازي والياباني ، يضاف الى ذلك التصاريح الخلابة التي صاحبت الحرب ثم نزول الحلفاء بأرض الجزائر ، والتي كانت تبذل هنا وهناك ، وفى الوقائع الحربية ، كواقعة « كاسينو » بايطاليا مثلا ، ثم ختمت بميثاق هيئة الأمم المتحدة سنة 1945 •

كل ذلك أحيا أملا عظيما فى الشعوب ، وزرع الوعي لدى الخاصة والعامة • فلما وضعت الحرب أوزارها جاءت الشعوب طبعا لتتقاضي الوعود ، وتطالب بتنفيذ المواثيق والعهود ، فكان من بعض الدول تفهم ، وكان من بعضها الآخر تبرم ، فبريطانيا وهي أم الاستعمار الأولى ـ تفهمت الوضع وعرفت أن عهد الاستعمار المباشر قد أفل وانقضى فشرعت تنجز « وعد الحر » وبدأ العالم يسمع تحرر الشعوب واستقلالها هنا وهناك •

أما فرنسا ، وهي التي أخذت الصفعة الكبرى من النازية ، لم يزدها ذلك الا نكثا للوعود وتجميدا للعهود ، وراحت تقيم الحروب فى بعض مستعمراتها وتماطل البعض الآخر • فما كان من مستعمراتها فى المشرق والمغرب الا أن تطالب بحريتها واستقلالها أولا بالطرق السلمية القانونية الدولية التي وقعتها فرنسا بنفسها ، بل وأثبتتها بنفس الدستور الفرنسي للجمهورية الرابعة الذي يعترف هو الآخر بحق تقرير المصير للشعوب التي تحت سيطرتها • ولكن ما فى طبع الاستعمار الفرنسي لا يتخلف •

فبدأت الثورات المسلحة تنتشر فى وجهها هنا وهناك ، فزيادة عن حرب الهند الصينية « الفيتنام » التي ركعت أمامها فرنسا سنة 1957 ، قامت الثورة فى سورية ولبنان فتحررتا بفضل ضغوط من الحلفاء أنفسهم ، ولكن الاستعمار الفرنسي لا يتفهم الظروف والأحداث ولا يريد أن يفهم ، ولا يريد أن يتعظ حتى بنفسه ، كما ان الحياة ـ من جهة أخرى ـ اذا دبت بجسم لا يقف فى طريقها الا خالقها وبارئها • وهذا ما وقع بالفعل فى شعوب الشمال الافريقي ، فأمام تحجر السياسة الفرنسية قام تصلب هذه الشعوب ، وظهرت زعامات ما كانت فرنسا تقرأ حسابا لها ، واشتد الغليان فى جميع المستعمرات الفرنسية وفاضت حوادثها حتى بلغت جميع أطراف العالم ، فحركت جميع الدوائر السياسية ، ومن هؤلاء المكتب العربي فى لندن ، فقد أصدر هذا نشرة بعنوان :

فرنسا تخطىء اذ تحاول الاستمرار في سياستها الاستعمارية

ومما جاء فى النشرة : تضافرت بعض الحوادث العالمية الأخيرة فى مجموعها على وضع قضية شمال افريقية فى الصفوف الأولى بين المشاكل

الدولية التي يحاول العالم باذلا وسعه أن يجد لها حلا سريعا وعادلا ، وأول هذه الحوادث تجمع عدد كبير من أمراء المغرب المبرزين فى حقل الجهاد الوطني القومي هناك فى القاهرة ، كالحبيب بورقيبة التونسي والزعيم الفاسي المراكشي ، وبعد هذا جاء التجاء بطل الريف الأمير عبد الكريم الخطابي الى حمى الفاروق ، وذلك الالتجاء الذي هز العالم من أقصاه الى أقصاه » .

« وكذلك فان الأزمة الدستورية فى مراكش (المغرب الأقصى) التي ولدها رفض السلطان المطلق لامضاء أي أمر تصدره السلطات المستعمرة ، وما ألقاه ـ السلطان محمد الخامس ـ من الخطب المتعددة معلنا فيها موافقته التامة على الحركة الوطنية المراكشية . كل هذه أظهرت للملأ أن الشعور القومي قد ملأ على مجموع الشعب قلوبه وأصبح شغله الشاغل . وأخيرا فان ما هيأه الجو العالمي لقبول العمل فى حل هذه القضية ، هو تصريح عزام باشا بأن الرئيس الراحل للولايات المتحدة المستر روزفلت قد أظهر استعدادا كليا لمؤازرة المراكشيين ـ المغاربة ـ فى غضون الحرب الماضية . يضاف الى ذلك الأخبار التي تؤكد أن الجامعة العربية مصممة على رفع القضية ان عاجلا أو آجلا ، الى هيئة الأمم المتحدة .. »

وبعد جولة وملاحظات فيما كتبته الجرائد البريطانية وما كتبه الصحافيون البريطانيون ، تقول : ولكنه على الرغم من هذا نستطيع أن نقول أن الحكومات البريطانية المختلفة قد برهنت فى أكثر الأحوال على أنها تفهم حق الفهم أنه من الأفضل لها أن لا تقف فى وجه تقدم أو رقي أي بلد من بلدان الله التي رمتها المقادير فى أيديهم ، بل على العكس أن يساعدوا ويغذوا أي تقدم من هذا النوع ، وهذا الفهم لشعور الأمم المستعمرة كان السبب الوحيد الذي أنقذ البريطانيين من ثورات عنيفة فى مستعمراتهم .. ثم يمثل بمصر والأردن والعراق وبورما والهند .

وتضيف النشرة :، أما فرنسا فقد اتبعت سياسة هي عكس السياسة الأنكليزية تماما ، فاذا بها تحاول كبت كل حركة فى مستعمراتها ، واذا بها تفشل فى سياستها الاستعمارية » .

ثم تقارن النشرة بين فرنسا وبريطانيا فتقول : بينما تعطى بريطانيا فى غضون ثلاث سنوات الاستقلال لأربع دول : شرق الأردن ، بورما ، الهند ، باكستان ، نجد فرنسا تضطر الى مواجهة أربع ثورات قوية فى غضون نفس المدة فى أربع دول مختلفة : سوريه ، لبنان ، الهند الصينية ، مدغشقر . فتطرد من الدولتين الأولين طردا باتا ، ويتزعزع مركزها فى الثالثة والرابعة تزعزعا سيودي بها فى القريب العاجل » .

وهكذا تتخلص النشرة الى شمال افريقيا فتقول : ولذا سوف لا ندهش عندما نرى أن فرنسا تتبع سياستها هذه فى كل مداخلها ومخارجها فى شمال افريقية . ولكن على فرنسا أن تعلم أن الأحوال العالمية فى القرن التاسع عشر ، عندما تمركزت فيه أرجلها فى تلك البلاد ، وحالة الشعب نفسه فى تلك البلاد ، هي غير ما أصبحت عليه اليوم ، فالشعب العربي المغربي اليوم لا يمت الى الشعب الذي استعمرته فرنسا منذ سنين بصلة ما ؟ .. فهو اليوم يداعب الأمل جفنيه وتراود المشاريع الجسام قلبه ، وأقل هذه المشاريع قد أصبحت الاستقلال التام الناجز ! ..

وتختم النشرة : ان الطريقة الوحيدة لحل مشكلة شمالي افريقيا هي أن تعطي أمم هذه البلدان استقلالها وحريتها التأمين ، وأن تقام العلاقات بين هذه الأمم والأمة الفرنسية على أساس معاهدات كالمعاهدات المعقودة بين بريطانيا والعراق ومصر تراعي فيها مصالح فرنسا القانونية فى البلاد دون أن يمس استقلالها مطلقا ، وعندما يتم هذا العمل تستطيع دول المغرب أن تقرر لنفسها الاتجاه الذي توده ، فتعلن انضمامها الى الاتحاد الفرنسي أو الى جامعة الدول العربية » (1) .

والجامعـــة العربية

وهكذا يصرح الأمين العام للجامعة العربية عزام باشا فيقول : « نحن العرب عشنا منذ سنين أحباء لفرنسا ، ونرغب أن تبقى تلك المحبة ،

---

1 – ترجمة جريدة الزهرة التونسية ، ع 22 اوت 1947 .

ان فرنسا صديقة للعرب وثقافتها أثرت فينا أكثر من الانكليز ، على رغم أن الاحتلال الانكليزي دام نحو قرن •

نعم نريد المحافظة على صداقة فرنسا ولكن ، من جهة أخرى ، لنا فى الشمال الافريقي أخوة عرب ، ولا يمكن أن نتنازل عن حقوق أخوة الى مجرد صديق ، فالجامعة العربية تريد باخلاص أن تدوم بيننا هذه الصداقة على هذا الأساس •• (*)

ان هذه الحوافز الداخلية والخارجية هي التي زادت فى طموح الشعب الجزائري ووطدت عقيدته فى الحصول على حريته الكاملة ، والتخلص النهائي من الاحتلال والاستعباد ، فظهرت لديه جميع المطالب القاصرة عن هذا الهدف انما هي مسكنات وقتية لا تغير من الحقيقة الاستعمارية شيئا ، ولا تعبر عن الحل الحقيقي الذي يجب أن تعتنقه جميع الهيئات الوطنية المخلصة •

بيد أن مبررات ربما تكون عقائدية أو ثقافية ، أو على أسوأ الحالات نتيجة ضعف أمـام ثقل الحوادث ، هذه المبررات كانت السبب الأول للانفصام النهائي بين هيئات « تجمع أحباب البيان والحرية » وقد تقدم بيان ذلك بتفصيل ، وجاء عهد البرلمان والانتخابات تحت التدابير الجبرية لقرار السابع مارس 1944 م •

وقبل أن نشرع فى عهد البرلمان والانتخابات يحسن أن أثبت خلاصة عن تقرير صادر ، فى هذا العهد ، عن السلطة الاستعمارية ، يعطينا بعض الضوء عن الفترة • وفيما يلي نص التقرير :

تقرير القيادة العامة للدفاع الوطني فرع افريقيا
المكتب الثاني من 24 سبتمبر الى 28 أكتوبر 1946

يقول : « ان الحادث الذي يستحق البيان هو رجوع مصالي الحاج الى القطر الجزائري يوم 21 أكتوبر (تشرين الأول) 1946 ، ان رئيس

---

* – جريدة المساواة ع 42 يوم 27 – 9 – 1946 •

حزب الشعب الجزائري قد وصل على متن طائرة الى غليزان ، ومن الغد واصل طريقه بواسطة السيارة الى بوزريعة قرية على مشارف مدينة الجزائر ، هذه المدينة التي بقيت ممنوعة عنه .

« لم تقع أية مظاهرة جماهيرية لاستقبال الزعيم الذي حضر أواخر رمضان ، والذي دعا بنفسه أتباعه الى ملازمة الهدوء » .

« كان معيزة رئيس فيدرالية باريس معه وفى مدخل بوزريعة لاقاه المسؤولون فى الحزب ، فأقام اجتماعا فى الشارع فى نظام قليل النظير . حضر هذا الاجتماع نحو ستة آلاف شخص ، وليس كما قال البعض أربعين ألفا . وبعد خطبة قصيرة على المستقبلين دخل الى مقره الذي هيأه له أحد محبيه .

ثم وبقيادة وفد من الحزب الشيوعي والنقابة العامة (C.G.T.) وبعض أعضاء أحباب البيان والحرية ، نظمت له زيارة بعد ، تم تتابع زواره يوميا بمعدل 700 الى 800 شخص وبعض الأيام بلغوا (2000) .

« بيد أنه ، اذا لم يصاحب رجوع مصالي حوادث تشويش ، فان غليانا كبيرا حدث بين صفوف الوطنيين » .

« على أن موقف ح ـ ش ج ازاء الانتخابات المقبلة كان ذا أهمية بالغة فى المباحثات التي جرت مع زعماء مختلف الهيئات السياسية وقد تبين من ذلك أن رغبة مصالي هي أن يترشح حزب الشعب ولا ينضم لا الى أحباب البيان ولا الى الشيوعيين » .

« أما فرحات عباس فقد أتى الجزائر العاصمة يوم 12 أكتوبر (أي فى نفس اليوم الذي نزل فيه مصالي) وحاول أن يقيم تقاربا مع رئيس ح ـ ش ـ ج لكن مكانة رئيس أحباب البيان ظهرت فى نقصان ، فنجاحه فى الانتخابات التشريعية بأحد عشر نائبا باسم الاتحاد الديمقراطي قد أحدث فشلا فى السكان المسلمين ، عوض أن يشجعهم » .

« وفى مؤتمر ا ــ د ــ ب ــ ج الذي عقد بالجزائر يوم 13 أكتوبر كان فرحات قدم عرضا ، أثناء تقديم أعضاء الحزب عرض حالات عن أعمالهم ، ليقدم الى مصالي بقصد تكوين قائمة واحدة فى الانتخابات المقبلة مع وفاق محتمل مع الحزب الشيوعي • وقد كلف بمقابلة مصالي المحامي بومنجل الذي كان دافع عن مصالي أمام المحكمة العسكرية سنة 1941 ولكن دون جدوى •

ففي 21 أكتوبر لما برزت القوائم الانتخابية ، كان الحزب قدم مرشحيه فى المجمع الثاني تحت اسم « انتصار الحريات الديمقراطية » كانت القوائم ــ بدقة ــ تتناسب وتنسجم اذ جمعت ــ ماعدا مصالي الذي لازال يجري عليه حظر الترشح ــ شخصيات معتبرة مثل فيلالي مبارك (وهو محكوم عليه بالاعدام غيابيا) لمشاركته فى جرائم القطاع القسنطيني ، وممشاوي محمد (المحكوم عليه بمثل تدابير مصالي) •

« وقد ورد علينا أن قائمتين تحملان ترشيح شخصيات قد حذفتا فى وهران ، وفى القسم الثاني بقسنطينة ، وذلك بواسطة عاملي العمالتين المعنيين تنفيذا لنصوص قانونية (2) •

على أن ادارة حزب الشعب لم تجد وقتا لترشيح قوائم أخرى قبل انغلاق أجل تسجيل الترشيحات • وعليه فحزب مصالي لا يكون ممثلا الا فى عمالة الجزائر وفى القسم الثالث من عمالة قسنطينة (ا هـ) •

وبهذه المناسبة نثبت شيئا من مقال كتبه المحامي الأستاذ علي بومنجل (الشهيد) ، وهو الأمين العام بالنيابة لحزب الاتحاد الديمقراطي ، تحت عنوان : « بعد سنين من السجن والنفي ، وبفضل جلد وصبر الشعب الجزائري ، مصالي الحاج يستعيد حريته » •

ولطول المقال نكتفي باقتطاف ما يلي : ••• وأمام المحكمة العسكرية صرح مصالي الحاج : يا سادة هذه المحكمة انني أنا الآخر عندي عائلة

2 ــ هذا الادعاء يطلق دائما ــ كما هو معلوم ــ على كل اجراء ظالم •

أحبها بحنان ، عندي ابنة رأتني لأول مرة وأنا من وراء القضبان فى بدلة الأشغال الشاقة ... ثم يضيف :

... حتى أنا أحب الشمس والنور والحرية ... » .

ويضيف بومنجل : وأمام محكمة الرجال يرتفع صوت مصالي المرعب المقلق اليقول : « لا أكون طرفا فى أية « مساومة » انني أرفض « الدناءة » « ولو تحت الضغط الحاقد بواسطة كيد البعض ونذالة الآخرين » . « انني أريد بشخصيتي المتواضعة أسترجع كرامة شعب منكور ومحتقر سيم نكرانا واحتقارا » (*) .

* - جريدة المساواة ع 35 ، 16 أوت 1946 .

عهـد البـرلمـان

بعد عجز التأسيسية الأولى عن تحرير دستـور الجمهورية الرابعة الفرنسية ، أعلنت الحكومة الفرنسية عن انتخابات الثاني جوان ــ حزيران ــ 1946 للجمعية التأسيسية الثانية : فأعلن فرحات عباس وأتباعه عن تأسيس « الاتحـاد الديمقـراطي للبيـان الجزائري » معلنين انفصالهم بذلك عن التجمع ، وترشيحهم للانتخابات ، وامتنع حزب الشعب عن المشاركة فى هذه الانتخابات بدعوى أن المشاركة تعتبر رضى بسياسة الاندماج وبالتالي رضى بالكفر ، ولذا جعل شعاره أثناء الانتخابات : « من انتخب كفر » ودعا جهارا وبكل قوة لمقاطعتها • بينما وقفت جمعية العلماء موقف الحياد •

بيد أن خلو الساحة ، الا من مرشحي الادارة ، جعـل الاتحـاد الديمقراطي يحوز الأغلبية الساحقة (11 من 13) من مقاعد المجمع الثاني المختص بالمسلمين ، بالرغم من دعوة حزب الشعب للمقاطعة • وان كان هذا الحزب لا يعترف بشرعية هذا النجاح حيث ادعى أن مقاطعة الشعب للانتخابات كانت فى قمة النجاح ولكن الاستعمار زورها • ونفهم هذا من المنشور التالي الذي أصدره الحزب بعد الانتخابات ، نقلته عن تقرير صادر عن المكتب الثاني بقسنطينة بتاريخ 30 جوان 1946 • (1)

ايهـا الشـعب الجـزائـري
مقـاطعـة مظفـرة

بالرغم من التزوير هنا وهناك والضغط المتزايد من السلطة الاستعمارية لارغامك على الانتخاب ، وبرغم البلبلة العامة التي أحدثتها خيانة فرحات

---
1 - N° 910 K/AZ - T-S

عباس وأصدقائه الذين لم تردهم أية وسيلة عن تغليط الضمائر الطيبة .

وبرغم الأكاذيب الدنيئة والبهتان المتناهي ضد حزب الشعب ومسيرته بواسطة فساق : « فرنسا هي أنا » .

وبرغم ملايين طيار وعباس التركي مضاربي الاتحاد الديمقراطي .

وبرغم المساعدة التي قدمها جماعة ابن جلول وابن سالم وجنود الباشغوية العتيدة ، وكل هدامي الوحدة الوطنية .

وبرغم مشاركة بعض كبار جمعية العلماء فى المعركة الانتخابية ثم وبرغم ضعف وسائل دعايتك لاسماع صوت الحق .

برغم كل ذلك فقد استجبت ، كتلة متراصة ، لدعوة حزبك الوفي ، حزب الشعب . وذلك لما تعرف فيه من اخلاص وبذل وشجاعة . (*)

نعم لقد قمت بكل صراحة بنصر الجبهة الوطنية لمقاطعة هذه الانتخابات بقصد انتخابات حرة وجمعية تأسيسية جزائرية ذات سيادة .

انه بمقاطعة 75 ٪ فى مجموع الوطن ، هي نسبة حاول الاستعمار جاهدا للتنقيص منها بواسطة تزوير النتائج الحقيقية ، انك بذلك قد أعربت عن تأييدك لسياسة التحرير الوطني التي هي سياسة حزب الشعب الذي لا يغالب » . (2)

---

* – الواقع أن النجاح في المقاطعة الانتخابية لم يكن فقط بسبب دعوة الحزب الى المقاطعة بل الشعب نفسه كان مستعدا لها .

2 – وبالفعل فقد عثرت على تقرير سري من حاكم توفرت يقول : « فى الحقيقة أن المسلمين في الناحية قد لبثوا على الحياد فلم ينتخب منهم الا نسبة 38 ٪ فنسبة 72 ٪ يعني 24 ٪ من المتخبين المسجلين فقط هم الذين أعطوا أصواتهم لقائمة فرحات عباس ، 9 ٪ من المنتخبين يعني 4 ٪ من المسجلين انتخبوا و 8 ٪ من المنتخبين يعني 35 ٪ من المسجلين انتخبوا شيوعيين و 10 ٪ أوراق فاسدة .

– ثم يعلق التقرير : كل هذا يجعل الانسان يفكر بأن المقاطعين للانتخابات ، الذين وضعوا أوراقا فاسدة ، قد أرادوا أن يعربوا بأنهم لا يريدون اعطاء ثقتهم لا في الشيوعيين ولا في الاشتراكيين ، ولا في فرحات عباس » .

« انك أيها الشعب بانتصارك هذا الفاخر قد أعطيت ثمرتك الأولى التي ستكون أول انعكاس لصالح مستقبلك القريب ، والتي أعطت بيانا صارخا برفضك سياسة فرحات عباس الذي لم يحجم أن وصفك « بالشعب المتهري » •

انها تأكيد صارخ عن رغباتك القومية وعن ارادتك فى تسيير حظوظك بنفسك • انه الحكم البات على الوصولية والانتهازية السياسية التي تقود فى النهاية الى الخيانة •

انها درس قوي للمفرقين للكلمة والطماعين والانتهازيين وبكلمة واحدة : انها درس قوي لكل السياسيين الذين يريدون أن يزيفوا عقيدتك وينكروا قوتك » •

أيها الشعب الجزائري شكرا !!

ان حزب الشعب الذي بنى بتضحيات كبرى ضميرك الوطني ، يشكرك على تأييدك له عن ثقتك التي سيبقى معتزا بها الى الأبد •

وبعد أن يبلغ تحيات رئيس الحزب من منفاه البعيد ومباركة كل الأبطال الذين سقطوا فى ساحة الشرف ـ يقول : ان حزب الشعب لسعيد حقا اذ يريد بثقتك هذه أن يواصل المسيرة المظفرة •• والى الأمام من أجل :

تحرير مصالي الحاج

شرعية الحركة الوطنية

الأمة الجزائرية الحرة المستقلة » • ا هـ

لم يكن ـ فى الواقع ـ تأثير حزب الشعب وحده المؤثر فى الساحة ولكن الفكر العام الجزائري نفسه كان واستمر غير راض عن فكرة الوحدة الفرنسية التي بدأ الاتحاد الديمقراطي يدعو اليها • وقد نشأ رد فعل داخلي وخارجي أجبر زعيم الحركة الجديدة فرحات عباس ليعرب مرة أخرى ، عن مقاصده الحسنة والمنطقية والوطنية ، ببيان آخر نشره بجريدة « كومبا » الفرنسية ، وأخذ صيتا كبيرا ، نثبت خلاصته فيما يلي :

النواب المسلمون الافريقيون الشماليون يطالبون بتأسيس دولة جزائرية (1)

ان موقفنا الحالي هو ثمرة تطور طبيعي للجزائر ، زادته الحوادث التي وقعت فى السنوات الأخيرة سرعة ، وقد عبر عنه « بيان الشعب الجزائري » بتاريخ 1943/2/10 ، وهو عطاء جماعي لكل النواب الممثلين الحقيقيين لمجموع السكان المسلمين .

ان هذه الوثيقة قد رأت النور بعد أن وضع وطننا تحت سلطة فعلية تسومه الخوف والفزع ، ويهدده الألمان الذين كانوا بتونس وقد وضع فى سوق المزاد تحت وطأة الظلام دون علم سكانه المسلمين وفى غيبتهم . وانما الذي وجه لنا هو « أن نجند فلاحينا وندفعهم الى النار » وقد برز لنا المستقبل المريب ! فالجزائر يمكن أن توضع كجثة للتجارب أو غير ذلك ، أو تعتبر كعملة فى سوق المساومات العالمية .

وكان من واجبنا ضمان أمن أمتنا الداخلي والخارجي بدون تأخير، وهذا فى الوقت الذي كانت الرغبات العميقة وأنفاس الجزائر المسلمة محشورة تحت الاختناق بواسطة النظام الاستعماري ، ومع ذلك فقد أكدنا بكل صراحة ـ فى طريق الحرية ـ السبيل الطبيعي الوحيد والعملي الذي قدمناه وهو « الذاتية الجزائرية » لقد كنا اخترنا هذا السبيل ولازلنا نحافظ عليه .

---

1 ـ جريدة كومبا ع ـ 26 جوان 1946 .

الذاتية الجزائرية والاتحاد مع فرنسا

تأكيدا لبقاء الذاتية الجزائرية التي بقيت حية خالدة برغم الشدائد المسترسلة التي تعاطتها ضدها الامبريالية ، فاننا نطالب فى الوقت نفسه بنهاية السيطرة الاستعمارية المبنية على شريعة الاحتلال والغلبة وننتظر تعويضها بشريعة « معاقدة اجتماعية مقبولة اختياريا » .

ان الواجب هو وضع الشعب الجزائري فى حالة مساواة مع الشعب الفرنسي حتى يمكن اشتراكهما فى المصالح وهي ليست متضاربة . ان هذه المصالح ستجد ترجمتها الصحيحة فى نظام فيدرالي حيث يتمكن كلا الشعبين من اللقاء فى حضن مجموعة فرنسية واسعة وحرة ، وحيث يتطور كلاهما ، بدون عائق ، فى اطاره الطبيعي » .

بـرلمـــان جـزائري

ان تطورنا الخاص لا يمكن أن يقع الا فى ظل « برلمان جزائري » الذي لا يمثل ــ فحسب ــ السكان الأصليين ولكن كل سكان الجزائر، انه لم يكن أصلا فى نيتنا انشاء دولة اسلامية بل نحن تتابع دائـما « تكوين دولة جزائرية بحقوق مدنية متساوية للجميع بدون تفريق لا فى الدين ولا فى الجنس » وان الانتخاب الموحد فى مجمع انتخابي مختلط وموحد سيكون غاية هذه المساواة . غير أن التفريق الحالي بين السكان الذي يواصله هذا النظام الاستعماري يلجئنا الى أن يكون من واجبنا قبول بعض التعديلات المؤقتة المبنية على التهيئة لتمثيل منصف فى جميع المصالح الحالية ومع مرور الزمن وتداخل الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية التي سنحققها ، فان هذا التفريق سينمحي تلقـــائيا ، وستقوم يومئذ الوحدة الجزائرية فعليا وقلبيا ...

البـرلمــان الفيدرالي

هذا الفصل يشرح فيه الكاتب صلاحيات البرلمان الفيدرالي أمـام البرلمان المحلي والبرلمان الوطني الفرنسي ويشير الى أن الجمعية التشريعية المنحلة كانت غفلت عن هذا النظام الذي هو الوحيد الذي يحفظ للشعوب التي تنضم للوحدة الفرنسية حقوقها وحريتها الداخلية .

الأمـــن الخـــارجي

هذا الفصل يشرح أهمية البرلمان الفيدرالي فى المحافظة على الأمن الخارجي ولكن يلاحظ ، فيما يتعلق بالجزائر ، أن لها وضعا خاصا بفضل مشاركتها الفعلية فى تحرير فرنسا وانتصار الحلفاء ، فيجب أن يكون لها نصيب خاص فى المحافظة على هذا الأمن .

حـرية اللغة العربية والديانة الاسلامية

فى هذا الفصل يبين ان المطالبة بتحرير اللغة العربية والدين الاسلامي وجعل اللغة العربية رسمية ليس معناه تطرفا وليس معناه استبعادا للغة الفرنسية التي أخذنا بها ثقافتنا ولا زالت عزيزة علينا ، ولكن مع هذا لا يمكن لنا أن نقبل العنصرية الفظيعة التي تضرب اللغة العربية الآن وتعتبرها لغة أجنبية في وطنها الأصلي ، كما لا نقبل القهر والضنك الذي تعانيه الديانة الاسلامية بواسطة القوة الادارية . ويقول عباس : ان اللغة العربية لغة حية وذات أكبر حضارة تاريخية ؛ كما ان الدين الاسلامي لا يعادي أي دين آخر سماوي ، اننا بصفتنا عربا ومسلمين ، وان العلماء يدافعون عن اللغة العربية والدين الاسلامي ، وهم أحباؤنا ونحن منهم واليهم » .

« ان كفاح العلماء ضد الجهل والظلام ، ومطالبتهم بجعل مكانة للغة العربية ، وبحقها فى الوجود ، ومطالبتهم بتحرير الديانة الاسلامية كل ذلك يستحق مناصرتهم ويوجب علينا تأييدهم بدون تحفظ » .

« ان مجهوداتهم قد ظهرت فى كثير من التحقيقات فى ميدان تعليم أبنائنا ، ولازالت تتأكد ، كما لاحظت الادارة العامة نفسها واعترفت به ، وكل ذلك فى نظام لا مكان فيه للتعدي ، ولهم الفضل فى تعليم الآلاف من البنات والبنين ورفع الأمية عنهم وتفهيمهم فروض دينهم الأصلية » .

الحاج مصالي وحزب الشعب الجزائري

« ان الحاج مصالي رئيس حزب الشعب الجزائري هو فى الوقت نفسه صديقنا بوفائه وتضحياته فى سبيل مثل أعلى عتيق ، هذا المثل الذي بدأ أيضا مثلنا يقترب منه الآن ، انه يستحق الاحترام والتقدير .

ان مصالي كان حكم عليه بالأشغال الشاقة أثناء نظام « فيشي » وعفي عنه بعد بروز البيان الجزائري بقليل ، ولكنه بعد مدة قصيرة أرسل الى الاقامة الجبرية ، ولازلنا نطالب ، منذ ذلك الوقت ، بتسريحه النهائي ، كما نطالب برجوع حزب الشعب الى الحياة الشرعية ، ولانزال نطالب بهذا حتى نحظى بالحصول عليه » .

« ان رئيس حزب الشعب وأتباعه يمثلون جزءا من الرأي العام الجزائري ، وازالة التدابير الغير الديمقراطية التي لازالت تضر بهم لا يمثل الا حكما أصيلا ومبدئيا ، انه الجو الذي عكر قصدا بواسطة ادارة لا يهمها الا العيش فى الماء العكر وفى جو من البلبلة . ويسمح لعنصر خاص معروف بديناميكيته ، والذي له الحق فى أن يحب وطنه ولو فى الألم ، فيسمح له أن يسمع صوته للعموم كما يسمح له أن يساهم مثل سائر الأحزاب الأخرى من الرأي العام الاسلامي والأوروبي ، ويقيم بيتا لا يمكن قيامه وسكناه الا اذا ساهم فيه كل واحد بوضع حجره الشخصي » .

« ان تصالح جميع العناصر الجزائرية شيء ضروري لبناء مستقبلنا المشترك فاذا قصدنا ذلك باخلاص فلنترك الأنانية » .

صــوت الشــعب

« اننا فى كل هذه النقاط التي ذكرناها لم نكن نعرب الا عن الارادة الكاملة لوطننا التي أعـرب عنها الشعب فى استشارة الثـاني جوان (حزيران) 1946 والتي كانت اختبارا حقيقيا « للبيان الجزائري » لقد عملناه بدون شك وبكل تأكيد حسبما توجبه رسالتنا الخاصة ولكن

مع كل المقاييس التي يلزمنا أن نقدمها فى عمل مؤلف كالعمل الذي نريد بناءه مع فرنسا الجديدة » •

لكن هل من الممكن أن نبني فى الجزائر شيئا جديدا ، صائبا ودائما ، دون مشاركة الأغلبية الساحقة من السكان ؟ وخاصة بعد تمكنهم من الاعراب صراحة عن ارادتهم الشرعية » •

ان كل هذا يحتم اقتناع كل الفرنسيين ، وبخاصة بعض أصدقائنا ، الذين بأعجوبة خارقة وضعوا أنفسهم فى صف الديمقراطيين الذين هم أقل معارضة ، ولكنهم يتحدثون عن « الاندماج » ! ضد رضى المعنيين • فبعد قرن كامل من الاستعمار ، لبث المسلمون الجزائريون بالاجمال على حالتهم • ولا يعني هذا طبعا أنهم غير قابلين للتطور » •

« ان البيان الجزائري » قد فتح للجزائري المسلم باب التقدم وأراد له أن يشارك فى الحياة العصرية ولكن على شرط أن يبقى جزائريا مسلما •

وقد تأكد أن الاندماج « وحش يخشى قربه » على أن الحقيقة أنه لا يوجد واحد يقبله ، فالأغلبية الساحقة من الأوروبيين فى الجزائر تعتبره ضد مصالحها ، وبذلك رفضت سنة 1938 برنامج بلوم فيوليت ، بل ان البرلمان الذي يعتبر أول برلمان ديمقراطي فى فرنسا ، قد رفضه • وهكذا الجمعية التشريعية السابقة بالتبعية رفضت المجمع الانتخابي الموحد ، وأمام هذه الحالة ـ السابقة واللاحقة ـ فالمسلمون اتخذوا كليا ونهائيا سياسة الايمان بذاتيتهم وشخصينهم • وهذا ما يقف منذ الآن أمام كل محاولة ضد هذه الذاتية ، فاذا أنت أنكرتها ، عوض أن تعترف بها لتضعها فى اطارها حيث تتطور ، فقد حكمت عليها أن تبحث عن نفسها فى جهة أخرى » • ا هـ مقال كومبا

التوغل في سياسة (الوحدة الفرنسية)

وهكذا تدخل الحـركة الوطنية الجزائرية فى عصر جديد ، عصر الشرعية وعصر النيابات ، وذلك باتخاذ هاتين الوسيلتين طريقا للكفاح والنضال من أجل الحصول على الرغائب والمطالب الشعبية فى الحرية والاستقلال ، فيفتح هذا الباب زعيم سياسة « المساواة » السيد فرحات عباس ، فيؤسس « حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري » ليترشح باسمه ثلاثة عشر عضوا فى انتخابات الثاني جوان « يونيو » 1946 كما تقدم بيانه ، فحصل الحزب على أحد عشر كرسيا ، وفى هذا يقول عبـاس :

« فمن أجل هذا المذهب الواضح ـ يعني مذهبه الذي شرحه في البيان السابق ـ كنا استأنفنا بواسطة حزب سياسي (ا ـ د ـ ب ـ ج) نشاطنا ، لأن الشعب حتم علينا أن نقدم رغائبه حتى على منصة البرلمان الفرنسي .

« ان مشاركتنا فى انتخابات الجمعية التأسيسية يوم الثـاني جوان 1946 م ليس لها أي مقصد آخر ، لقد أحرز الحزب على أحد عشر مقعدا من ثلاثة عشر، ففي قطاع قسنطينة فازت القائمة برمتها وأعضاؤها : فرحات عباس صيدلي فى سطيف ، مصطفاي الهادي محامي فى سطيف ، الدكتور ابن خليل طبيب فى باتنـة ، الأستاذ قدور ساطور محـامي فى الجزائر ، الحواس بأي العقون ملاك فى عنابة ، الأستاذ الشريف حاج سعيد محامي فى قسنطينة .

وفى قطاع وهران فاز الساده : محداد أستاذ بثانوية وهران ، الدكتور أحمد فرنسيس طبيب فى غليزان ، قاده بوطغان أستاذ فى تيارت .

وفى قطاع الجزائر العاصمة فالحزب أحرز على مقعدين من أربعة وهما : الدكتور سعدان طبيب فى بسكرة ، الشريف بن قداش تاجر فى ميشلي • أما العضوان الآخران ، وهما محمد بن سالم من الأغواط وأحمد بومنجل محامي من الجزائر ، فقد كانا ضحية التزوير الانتخابي الذي مأر به الوالي (البريفي) فى الجزائر — اذ ذاك — وهو م — بيريلي

ويضيف عباس : وبشهادة الجميع فى كل القطر الجزائري فان هذه الانتخابات أخذت شكل استفتاء شعبي لسياستنا ، وهذا برغم تدخل السلطات العامة لصالح المرشحين الاشتراكيين اللذين أعطيا مقعدين بالقطاع الجزائري » (1) •

وعلى كل حال فان سياسة الاندماج أو الالحاق قد قاست افلاسا ماحقا ، وبرغم الضغوط الادارية والتهديدات ، فان قوائمنا قد حازت أكثر من 450 ألفا من الأصوات أي بنسبة 72٪ من نتيجة التصويت • وكان نجاحا لا يحتمل النكران •

ولئن حزنا على نجاح باهر فى الجزائر ، فقد بقي علينا أن نسجل برنامجنا بشرحه عمليا فى باريس •

« لم يكن هذا الأمر سهلا ، فوسائلنا كانت ضعيفة خصوصا ونحن نطأ أرضا لا نعرفها قبل ، فالبرلمانيون الفرنسيون يجهلون الحالة في المستعمرات بنسبة 90٪ ، وحالة الجماهير المستعمرة وشؤون الاستعمار لا تصدر الا عن الوزراء وبعض الاختصاصيين ، ولاسيما أصحاب الأعمال الكبرى والبنوك •

« وبأناة وصبر وضمير وضعنا أنفسنا للعمل ، انه يلزمنا أولا ازالة كل غموض ، واقتلاع الأفكار القديمة المعتادة ، وهذا فى ظرف خمسة شهور • فأحد عشر نائبا لحزب (ا — د — ب — ج) ، بمساعدة بومنجل الكاتب العام بالنيابة للحزب ، قد أنفدوا كل مجهوداتهم أمام جمعية

1 — ومن المفيد ان نذكر أن أحد الاشتراكيين كان يومئذ وزيرا للداخلية وهو م — لوتروكير

أكثر نفورا من مشاحن لنردها الى تفهم بناء جديد صالح للاستجابة لكل المصالح الحاضرة •

برنامج الاتحاد الديمقراطي لبناء الجمهورية الجزائرية

ولكي نجسد ، بصفة أفضل ، فكرتنا فى علاقة فرنسا مع مستعمراتها القديمة (L'empire) قدمنا يوم التاسع (9) أوت — آب — 1946 الى مكتب الجمعية برنامجنا لتأسيس « الجمهورية الجزائرية » •

وفى هذا التاريخ فان فرنسا لم يكن لها بعد دستور ، فكان اذن ، علينا أن ندفع ببرنامج يقيم « كمنوالث » فرنسيا حقيقيا وكانت تراتيب هذا البرنامج الرئيسية كما يلي :

الفصـــل الأول :

ان الجمهورية الفرنسية لتعترف للجزائر بكامل استقلالها الداخلي ، وتعترف بالجمهورية الجزائرية وحكومتها وعلمها •

الفصـل الثـاني :

ان الجمهورية الجزائرية تكون عضوا فى الوحدة الفرنسية بصفـة (دولة مشتركة) ، علاقاتها الخارجية ودفاعها الوطني يكونان شيئا مشتركا مع علاقات ودفاع الجمهورية الفرنسية ، ويصدران من سلط الوحدة التي تشترك الجزائر فى أعمالها •

الفصل الثالث :

الجمهورية الجزائرية تحتفظ بسيادتها الكاملة على جميع ترابها الوطني فيما يتعلق بكل الشؤون الداخلية ومن ضمنها الشرطة •

الفصل الرابع والخامس : كل مواطن فرنسي فى الوطن الأم له حق التمتع فى الجزائر بالمواطنة الجزائرية ، فله اذن حق الحظوة بنفس الحقوق التي للمواطن الجزائري ومنها حق الانتخاب والوظيف العمومي•

وبالمقابل فكل مواطن جزائري له حق التمتع فى فرنسا بصفة المواطن الفرنسي ، فله اذن حق الحظوة فى جميع التراب الفرنسي ، بنفس

الحقوق التي للمواطن الفرنسي ، ومنها حق الانتخـــاب والوظيف العمومي (2) •

وهكذا يذهب عباس ليفسر لنا موقف حزبه ، بأجلى صورها ، فيقول : ان القاريء (يعني للبرنامج) المنصف يحكم بنفسه أننا لم نكن منحازين الى « الكل أو لا شيء » ولكننا حافظنا على مطالب الشعب وأنفاسه ورغباته الوطنية ، وجسدناها فعليا ، ولكن فى اطار مصالحة بدون أي بغض ، لقد حاولنا أن نكون دائما واقعيين ، بحيث أن مصالح الجزائريين من كل العناصر كانت محترمة ، كما احترمت أيضا مصالح فرنسا • لم نقم انفصالا وطلاقا نهائيا ، ولكن وحدة برضاء حر » (3) •

وبالفعل فان أعمال نواب الاتحاد الديمقراطي قد أقامت ضجة كبرى وأحدثت زعزعة فى صف المستعمرين بمطالبها المعقولة المعتدلة لحد بعيد بحيث انها كانت تتجاوب مع رغبة فرنسا الأم فى سياســة « الوحــدة الفرنسية » الأمر الذي أزعج المستعمرين وجعلهم يتوقعون موافقة فرنسا على هذا الحل فثارت ثائرتهم •

الا أن موقف الاتحاد هذا ، عند أغلبية الفكر الوطني الجزائري وفى المغرب والعالم العربيين ، لم يصادف أي قبول أو ارتياح • ذلك لأن الجميع يعتقد أن تدبير « الوحدة الفرنسية » لم يكن الا خدعة جديدة نتيجة الظروف الضاغطة للابقاء على الاستعمار والاحتــلال لأوطـان « الامبراطورية الفرنسية » ، وخاصة بالنسبة للجزائر التي لا زالت فرنسا تعتبرها قطعة من التراب الفرنسي ، وليست مستعمرة ، لكن هذا الجو الداخلي والخارجي المعادي لسياسة الوحدة الفرنسية لم يؤثر عـلى الأوساط الفرنسية فذهبت ماضية فى سياستها التعسفية الى النهاية كما لم يؤثر على الوطنيين المعتدلين ـ الا قليلا ـ فلذا نرى عباس يعتز بانتصارات

---

2 ـ طالع البرنامج كاملا في، ليل الاستعمار ، ص 164-165 ، وفي جريدة المساواة عدد 36 يوم 18-8-1946 .

3 ـ نفس المصدر ، ص 166 .

النواب الاتحاديين ، ويمضي هو الآخر فى سياسته الى أن يمنى بالفشل ، فهو بعد أن يذكر لقاءه مع ايميل مورينو نائب قسنطينة وشيخ مدينتها ، وما فاه به اليه من أن النواب العرب فى باريس لكي يتوصلوا الى المرغوب يجب أن يتوفروا على ميزانية ضخمة ، ويذكر له بهذه المناسبة « ان جمعية شيوخ البلديات لم تكن تنتصر سنة 1936 فى كفاحها ضد برنامج فيوليت ، الا بفضل ميزانية كانت بلغت (200 مليون فرنك اذ ذاك •) (*)

وبعد أن يذكر عباس ان نواب الاتحاد لم يكن لهم أي مبلغ لا صغير ولا كبير ، ومع ذلك فقد استطاعوا أن يبلغوا رغبات شعبهم لكل الأوساط ، يقول : ولنعطي وزنا أكثر لمطالبنا فقد اتخذنا مبادرة الاتصال بكل نواب بلدان « ما وراء البحار » حيث ان هؤلاء قابلونا هم الآخرون بمطالبهم الخاصة • وكان هؤلاء ، النواب : الأمين غي ، تشيكاته ، أبيتي ، هوفويت بواني ، مونيرفيل ، صارافان ـ لامبير ، سينغور ، والدكتور رازيطا • وقد أبدوا كلهم مشاركتهم » •

برنامج حزب الاتحاد الديمقراطي الخاص بالوحدة الوطنية (4)

هذا البرنامج قدمناه الى كتلة نواب ما وراء البحار حيث درسوه ، وبعد بعض التصليحات وافقوا عليه • وهذه فصوله الرئيسية :

الفصل 107 :

« الجمهورية الفرنسية تكون مع شعوب ما وراء البحار وحدة » الوحدة الفرنسية « على أساس المساواة فى الحقوق والواجبات بدون تفريق فى الجنسية والدين •

الفصل 108 :

« الوحدة الفرنسية عبارة عن اتحاد أمم وشعوب قد قبلوا بكل حرية بتنسيق أو بوضع وسائلهم (Ressources) ومجهوداتهم فى المجموعة المشتركة بقصد تنمية حضاراتهم الخاصة ، والتوصل الى حياتهم الكريمة ،

---

* – كان قنطار القمح (البر) اذ ذاك لا يتعدى مائة فرنك •

4 – نفس المصدر ، ص 166

ولاحكام أسسهم الديمقراطية ، والحفاظ على أمسهم • وتجمع فى تكوينها: الجمهورية الفرنسية ، كوحدة لا تتجزأ ، والدول المشاركة ، والبلدان ما وراء البحار ، ومنها الجزائر ، لتشييد هيئة من دول متحدة •• (5)

وهكذا يذهب عباس وحزبه تهزهم مرةأخرى الأماني والغرور « بفرنسا الجديدة الديمقراطية » وينالون فى كواليس الجمعية التأسيسية الفرنسية ، ولدى نواب بلدان المستعمرات الفرنسية ، نجاحا باهرا • ولكن هذا النجاح الباهر لم يتعد الميدان الدعائي والأماني العريضة ، ولم يتخط الكواليس الى داخل البرلمان الفرنسي •

لقد ظلت الحكومة الفرنسية ــ كما قال صلاح العقاد ــ أقل ادراكا للتطور الذي شهده العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ولم تتعد جميع الاجراءات التي اتخذت لمواجهة ضغط الحركة الوطنية الجزائرية ، مبدأ « السيادة الفرنسية » •

وبالرغم من تنازلات عباس وحزبه فان الفرنسيين لم يحركوا ساكنا ، وبالرغم من كلمات عباس الرنانة المغرية ، فان الفرنسيين لم يمسهم أي اغراء ، ولم يؤثر فيهم أي نقاش ! وبقيت القضية الجزائرية تسبح فى بحر من التناقضات المتباعدة المتشاكسة ، من الجمهورية الجزائرية المستقلة استقلالا تاما ، الى مرتبطة ارتباطا تنوع الى عدة أشكال ، الى مستعمرة محتلة أو قطعة من التراب الفرنسي ، مرورا باندماج قرار السابع مارس ــ آذار ــ 1944 حتى جاءت الجمعية الوطنية الفرنسية سنة 1947 لتحل حلها الذي اعتبرته حلا وسطا بين النظريات المتطرفة ، فجاءت « بالدستور الجزائري » الهزيل الذي كان نسخة عن قرار السابع مارس ، والذي سيأتي الكلام عنه مفصلا ان شاء الله •

حزب الشعب الجزائري وسياسة التنازل

بعد ما كان حزب الشعب الجزائري يدعو ابان انتخابات الثاني جوان ــ حزيران ــ 1946 الى مقاطعة الانتخابات ، ويرى المشاركة فيها ايذانا

5 ــ طالع بقية البرنامج في نفس المصدر ، ص 167 .

بقبول سياسة التنازل والاندماج التي تؤدي الى الكفر ، وركز دعايته على مبدأ « من انتخب كفر » ، تراجع تراجعا عجيبا ، واشترك فى انتخابات المجلس الوطني الفرنسي التي أجريت فى شهر نوفمبر 1946 •

لقد حرر مصالي من المنفى ورجع من برازافيل الى الوطن مارا بباريس ، ووصل مدينة غليزان على متن طائرة يوم 12 أكتوبر 1946 ثم استأنف سيره الى ضواحي العاصمة الجزائرية بقرية « بوزريعة » حيث هيىء له مكان للاستقرار ، وفى أول اجتماع مع المسؤولين فى الحزب طرحت قضية الانتخابات وأثناء المداولة كان مصالي يسمع ولا يشارك وانما ، مرة بعد أخرى ، يقول : ابحثوا هذه القضية جيدا ، وتنبه المجتمعون الى أن رغبة رئيس الحزب تميل الى المشاركة ، فقرروا فى النهاية المشاركة بالاجماع ولم يعارض سوى حسين الأحول (*) •

كانت فكرة المشاركة مبنية على أن الحزب لا يمكن أن يبقى دائما سلبيا بعيدا عن جميع التحركات ، فلابد له من عمل ايجابي حتى يمكن له نشر فكرته فى الشعب ، فالمشاركة فى هذه الانتخابات ، طالما كان الغرض منها شريفا لمهمة مؤقتة وهي اغتنام فرصة المعركة الانتخابية ، ونواب متخرجين يدافعون عن فكرة الحزب ، هذا الموقف لا يمس بمبدئيات الحزب ، بل يعتبر تكتيكا سياسيا لنصرة المبدأ لدى الفكر العام الجزائري ، وحتى الفرنسي ، وبالتالي محاربة الاستعمار بسلاحه وبأدواته • وهذا لا يعتبر اقتناعا بجدوى هذه السياسة للحصول على مطالبنا الوطنية ، وبالأحرى لا يعد تنازلا عن المبدأ الحزبي الذي هو الاستقلال التام ، سيما وان الحزب سيظل اعتماده الرئيسي على نظامه السري وتشكيلاته المتعددة التي ستبقى متمسكة بسياسة التحرر الوطني •

حركة الانتصار للحريات الديمقراطية

وهكذا قدم حزب الشعب قوائمه الترشيحية باسم « حزب الشعب الجزائري » في المقاطعات الثلاث : الجزائر ووهران وقسنطينة ، ولكن

---

* – راجع تقرير القيادة الفرنسية (تقرير سري عن المكتب الثاني) ، بصفحة 241 من هذا الكتاب •

مكائد المستعمرين وقفت بالمرصاد ، فمنعت مصالي من الترشيح أولا ثم منعت غيره من الترشيح باسم حزب الشعب ثانيا • بالرغم مما قيل أن وزير الداخلية والوالي العام أكدا له عند مقابلته فى باريس عدم التعرض ، فعمد مسؤولوا الحزب الى تأسيس « حركة الانتصار للحريات الديمقراطية » ورشحوا باسمها أعضاء لهم مكانة فى الحزب ، ولكن والي ولاية وهران (البريفي) ووالي ولاية قسنطينة تعرضا فى آخر وقت الى بعض الترشيحات ، فلما أراد الحزب تقديم قوائم أخرى أجيب بأن فترة الترشيحات قد انتهت رسميا ، ورفضت القوائم المقدمة وحينئذ فلم يبق فى الساحة من مرشحي الحزب الا قائمة ولاية الجزائر أو قائمة القسم الثالث بقسنطينة ، وهما يمثلان ثلث المرشحين ، وقد نجحت القائمتان نجاحا باهرا •

كان المتخرجون خمسة نواب وهم كما يلي : « ثلاثة بقسنطينة وهم الدكتور أمين دباغين والدكتور جمال دردور والسيد مسعود (الحواس) بوقادوم ، واثنان بالجزائر وهما السيدان : أحمد مزغنة ومحمد خيضر ، بينما تخرج العشرة الباقون — أو بالأحرى عينوا — من مرشحي الادارة • (6)

أما حزب الاتحاد الديمقراطي فلم يترشح لهذه الانتخابات ويقول رئيسه فرحات عباس : « ان الاتحاد الديمقراطي قد تخلى اذ ذاك عن تقديم مرشحين فى انتخابات نوفمبر 1946 ليترك المجال للحاج مصالي لمجابهة الرأي العام الفرنسي وبرلمانه • »

ويضيف : لقد كان مصالي قوبل من وزير الداخلية ومن الوالي العام بالجزائر وأكدا له بأنه يمكن له تقديم قوائم الانتخابات المقبلة باسم حزبه وستصادق الحكومة عليها ، وطلب منا الانسحاب من المعركة

---

6 — لقد اكتفت الادارة الاستعمارية بمنع ترشيح أعضاء الحزب الا بمقدار الثلث احتياطا لتجربتها بترك الانتخابات تجري حرة ، ولما علمت النتيجة بفوز كل مرشحي الحركة الوطنية التي تطالب بالحرية والاستقلال ، والتي أعربت عن رغبة الشعب الصريحة لجأت فيما يأتي من الانتخابات الى التزوير .

الانتخابية حتى لا تتفرق كلمة القوى الوطنية ، وحقق بأنه سيواجه الأمر اذن وسيحصل على استقلال الجزائر » • (7)

كان ــ حقا ــ موقف عباس شريفا ، وظهر هذا الموقف وكأنه تكفير عن زلة تراجعه عن وحدة أحباب البيان والحرية ، والذي ربما يكون ركونا لبداية وحدة جديدة مع حركة أ ــ ح ــ د التي ترغب كثيرا فى الابقاء على الوحدة الوطنية •

وفى أول مؤتمر للاتحاد الديمقراطي بعد تأسيسه ، والذي انعقد بعاصمة الجزائر يوم 13 أكتوبر 1946 قام المحامي بومنجل فافتتح الجلسة وأعطى بسطة عن أعمال نواب الحزب فى البرلمان الفرنسي وعن المشاكل التي صادفتهم ، ثم قال ان لكل واحد منكم كل الحرية فى ابداء رأيه على أن النواب أنفسهم ينتظرون ذلك منكم ، ثم قدم مكتب المؤتمر وهذا قدم للحاضرين أعضاء الحزب بأسمائهم وأماكن تمثيلهم فكانت كما يلي :

عن عمالة الجزائر السادة : بو منجل ، الحكيم واكلي ، العيسي ، بن سالم كسوس ، شارف سعيد ، طالب عمار ، الحكيم خالدي ، بويا جيره ، فارسي ، زيداتي فرج •

عن عمالة قسنطينة : أحمد يحيى ، جمام ، قاتي ، صياد ، ميده معمر •

وعن عمالة وهران : الحصار ، طاهر ، بن زادي ، قطاف عزه عبد القادر (8) •

وفى أثناء الجلسة أعلن بومنجل ان مصالي قد سرح ووصل الجزائر ، فأصدر المكتب تهنئته لمصالي وشكرا للحكومة ويطلب رفع الحصار عنه تماما ورجوع حزب الشعب للشرعية •

---

7 ــ نفس المصدر ، ص 172–173 •

8 ــ نلاحظ أن هؤلاء الأعضاء 22 في الحزب يضاف اليهم 11 النواب في البرلمان •

ثم أعلن أن الاتحاد الديمقراطي لا يترشح للانتخابات اشفاقا مما قد يفرق كلمة الشعب ، فان « ا ــ د ــ ب ــ ح يعلن عدم ترشحه للانتخابات ، وتخييبا للاستعمار » .

ثم يقول : أمام توحد المستعمرين بتأسيسهم « الاتحاد الجمهوري للدفاع عن الجزائر الفرنسية » وجب على « أ ــ د ــ ب ــ ح » عدم المشاركة ، ابقاء على الوحدة الوطنية ، وتفضيلا لاخلاء الساحة أمام حزب منظم قديم له تجارب وله مطالب حقيقية جديرة بالاحترام . ثم دعا لعدم المقاطعة فى انتخابات نوفمبر ، انتخاب نواب الجمهورية (9) .

وهكذا يذهب حزب الشعب فى سياسته الجديدة التنازلية بجناحه الرسمي (ح ــ ا ــ ح ــ د) بينما يستمر الجناح السري منه فى أعماله ومطالبه بالنشرات السرية والكتابة على الجدران . وتظهر أثناء تلك المدة أعمال تنبيء بوجود حركة مسلحة سنستأنف الكلام عنها بعدما نأتي ببسطة عن أعمال نواب الحزب فى البرلمان الفرنسي .

لقد شارك مناضلوا الحزب فى المعركة الانتخابية اشتراكا نشيطا وشرحوا للشعب سياسة الحزب بكل جلاء ، وأبانوا حقا أن مشاركة الحزب فى الانتخابات ليست الا وسيلة وأداة للتوصل الى الرغائب الوطنية العليا التي هي الاستقلال التام .

وذهب النواب الخمسة لـ (ح ــ ا ــ ح د) يدفعهم الحماس المتزايد الى الدفاع عن القضية الوطنية ، ويحدوهم الأمل ، المتردد : فى رجال الديمقراطية الفرنسية والشعب الفرنسي نفسه ، كما دفع قبلهم اخوانهم نواب الاتحاد الديمقراطي ، وكلهم ملأ جرابه الحسي والمعنوي بالحجج القانونية والمنطقية ، والأدلة العقلية والتاريخية والطبيعية ، وما ان تربعوا على كراسي « قصر البوربون » حتى تفجروا فى غمرة من نشوة النصر حيث قطعوا البحر وتخطوا الحدود ، وعبروا عتبات البرلمان الفرنسي ، أين يمكن ــ وان ضؤل الأمل ــ من نشر قضيتهم العادلة ،

---

9 ــ جريدة المساواة 25 أكتوبر 1946 .

والاعراب عن تطلعات ورغبات شعبهم الماثلة ، برغم أنف المستعمرين وقوانينهم الخاصة بالعربي التي تكم فمه وتحصي أنفاسه • فهم الآن فى منعة من ذلك بصبغتهم النيابية الرسمية ، فنطقوا وكان النطق جهيرا ، وتنفسوا وكان النفس سخينا ، وأحجوا وكانت الحجة محرقة ، وأعجزوا وكان العجز فادحا ، حتى ان رئيس البرلماز المستر ادوارد هيرير ، وهو المقاوم الكبير لظلم النازية وأقرب الفرنسيين الى الديمقراطية ، وقد عجز وعجز زملاؤه عن رد الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان ، ودفع الخصم المحق بواقع الحق الذي لا يتوفر عليه ، عمد الى اسكات هذه الأصوات المزمجرة بحقها بقوة السيطرة ، ولجأ الى عدم اعطاء الكلمة لنائب متخرج انتخابيا ووكيل على شعبه قانونيا ، بقـوة الاستبداد والعناد ، والاستبداد سلاح العاجز المندحر ، والعناد صفة الجاهل الرعن السليب ! •

مرافعة بو زوزو :

وفيما يلي شذرات أو عينـات من وصف جلسة من جلسات هذا البرلمان بقلـم المناضل الأستاذ محمود بوزوزو ، وهي عبـارة عن مرافعة (10) •

« جلست حيث يجلس الجمهور ، فكنت مشرفا على مقاعد النواب •• لقد كنت ، اذا ذكر البرلمان الفرنسي ، وأنا لا أعرفه الا بالسماع ـ أتصور « قصر بوربون » فأتخيل بناء شامخا يكسوه ثوب من الجلال والوقار لأن فيه يقرر مصير ملايين من النفوس فيحكم فى شأنها بالعز أو بالذل ، بالحياة أو بالموت وأتمثل فيه رجالا ليسوا كسائر الرجال ، فانهم امتازوا عن غيرهم بكونهم يحملون فى صدورهم آمال ملايين من اخوانهم ، ويحملون فى أدمغتهم الحجج الدامغة لاثبـات حقوقهم ، ويحملون على عواتقهم مسؤوليات ثقيلة أقل ما يقال فيها أنها تتعلق بمصير أمة وراءها تاريخ وأمامها تاريخ •• ويذهب بوزوزو فى وصف كماليات هؤلاء الرجال لحد بعيد ، وفى وصف كماليات حكم الشورى كما يجب أن يكون ثم يضيف :

---

10 ـ محمود بوزوزو من خيرة المناضلين واتقاهم لله واثبتهم على الحق .

لقد كنت أتصور البرلمان جليلا ورجاله أجلاء ، وأتصور أحكامه صادرة عن ايمان بمثل أعلى • وكان فى النفس نزوع الى رؤيته والاستماع الى رجاله •• ثم يقول : ومما زادني رغبة فى مشاهدة ذلك ما كانت توافينا به الجرائد المحلية من الأخبار العجيبة عن بعض المواقف المضحكة المبكية ••

ثم يضيف : وما دخلت البرلمان رغبة فى معرفة مصير القضية الجزائرية فان مصيرها كان متوقعا ، وكانت نتائج المناقشات تتراءى لكل من لاحظ أمورا منها ••

ويرجع الى وصف الجلسة التي حضرها فيقول : جاء انسان ورفع صوته قائلا : « السيد الرئيس » ! فأقبل رئيس المجلس المسيو هيريو وصعد الدرج الى مقعده المرتفع وراء منصة الخطابة ••

وبعد أن يعطي الصورة المجملة لجريان المناقشات وما يقع أثناءها من التشنجات واللهجات الحارة مما يذهب بوقار البرلمان ويلزم الرئيس أن يذكر النواب بهذا الوقار مثل قوله : « يجب أن يحفظ للبرلمان حرمته » يضيف بو زوزو : وقد يأتي الرئيس نفسه فى بعض الأحيان بما لا تسلم منه حرمة البرلمان ولا حرمة الديمقراطية ، من ذلك أنه لا يسمح بالكلام لبعض النواب ليردوا أو يلاحظوا على غيرهم فيما يمس بكرامتهم • وقد رأيت مرارا نواب « حركة الانتصار للحريات الديمقراطية » يرفعون أصابعهم مستأذنين فى الكلام فلا يأذن لهم المسيو هيريو ، فيجلسون متأسفين ، ولعل ذلك مما دعاهم الى عدم الحضور فى الجلسات الأخيرة ابتداء من يوم الأحد أوت ــ آب ــ 1947 » •

« وهذا السلوك من رئيس البرلمان نحو هؤلاء النواب يناقض ما ادعاه فى أحد أجوبته للسيد ابن تونس : « ان المجلس النيابي يرغب بكل اخلاص فى معاملتكم على المساواة » وهل من المساواة أن يحرم نائب مسلم من الرد والملاحظة بينما ينال نائب فرنسي ذلك كلما أراد ؟ والحق أن المسيو هيريو تأثر كثيرا من كشف الحقائق المرة عن وجه الاستعمار البشع ، ولعله كان يتوقع من النــواب المسلمين أن يسبحوا بحمد

الاستعمار ، ولا أدل على تأثره من قوله مخاطبا المسلمين : « انكم اقترفتم فى كلامكم من حدة اللهجة ما لا يعود فى أنظار العالم بنفع ما على مطالبكم » .

« ونسي المسيو هيريو لهجة النواب الاستعماريين وغفل المسيو هيريو عن الدوافع النفسية التي أدت بالمسلمين الى حدة اللهجة ، كأنه لا يعرف ما يعانيه الشعب الجزائري من المظالم ، وكأنه يجهل أن الوضعية السياسية « هنا » غيرها « هناك » وان المسلمين هنا (فى الجزائر) لا يقدرون أن يفصحوا عن رغباتهم ، ويكشفوا عن آلامهم ، فاذا وجدوا الفرصة « هناك » (فرنسا) انفجرت آلامهم المكبوتة فى لهجة لها من الحرارة فى ألسنتهم ما لهذه الآلام المكبوتة فى صدورهم طيلة قرن ونصف ..

ثم يضيف : واذ يقول المسيو هيريو : « .. أمام أنظار العالم » فأي عالم يعني هذا ؟ ان كان يعني به العالم الاستعماري فهو مصيب فى دعواه ، لأن القوم الذين لا يترددون فى اراقة دماء الأبرياء ، ظلما وعدوانا لا ترتجى منهم أية رقة ، ولا تؤثر فى قلوبهم أية لهجة ، حارة كانت أو باردة ، فائرة أو فاترة ، فلا شيء يجدي ولا شيء ينفع « أمام أنظار هذا العالم » .

وللمستعمرين وان الانـــوا قـــلوب كالحجـــارة لا ترق

وان كان يعني به « العالم الانساني » فاننا نعتقد أن كل قلب يحمل مثقال ذرة من (الانسانية) لا يتصور أن يبقى جامدا أمام تلك الصور الفظيعة التي عرضها نوابنا ، كاشفين عن بعض مناظر الاستعمار الغاشم ، مظهرين لحقائقه العريانة بلا تزوير ولا تغيير ، ونعتقد أن « الأنظار » الانسانية تشمئز لمرأى هذه الصور وتستنكرها كل الاستنكار ، كما نعتقد أن كل عاقل منصف يحترم عقله ، ويقدر الكرامة الانسانية يثور ضد الظلم ويغضب عن المنكر ، على أي جنس وقع ، ومن أي جنس صدر .

ثم يوجه الكلام لمسيو هيريو : •• واذا كان المسيو هيريو يعني بهذا العالم « نفسه » هو فان « نظره » لم يكن حديدا حين لاحظ فى لهجة المسلمين « حدتها » ولم يلاحظ « صدقها » وهو أولى بالملاحظة فى نظر « العقل » كما أن « العقل » لا يرى أية علاقة بين « لهجة » نائب واحد و « مطالب » عشرة ملايين من البشر • أليس من العجيب أن تكون حدة اللهجة من نائب سببا فى ضياع مطالب عشرة ملايين من البشر ؟

وهكذا يذهب بوزوزو ــ فى بيان طويل ــ يدافع عن موقف نواب الجزائر المسلمين المحق والمنطقي ، ويفضح أغراض المستعمرين السيئة ومغالطتهم الخبيثة فيقول :

ومن مغالطتكم دعواكم أننا لا نفهم الديمقراطية ، وزعمكم أن شعبنا لم ينضج • فلننظر فى ذلك محتكمين الى المنطق ، ولغة المنطق بسيطة جدا لا شيء أبسط منها : انكم تزعمون أن هذا الشعب لازال فى حال الطفولة ، وان من الاجرام أن تترك للطفل الحرية التامة فى تصرفاته •• و •• و •• الخ فهذا ما يقوله لسان « السياسة » ويقول « لسان الحق » ومعه لسان المنطق : اذا كان هذا الشعب لم يبلغ رشده وهو تحت عنايتكم منذ أكثر من مائة سنة فانه لن يخرج من حال طفولته أبدا •• وبعد جولة طويلة لبيان حقيقة سوء نية الاستعمار يختم :

« أيها المستعمرون » العتاة « انكم تزعمون أنكم لا تدرون كيف تتصور الديمقراطية • فمتى تركتمونا نرى وجهها كي نتصورها ؟ وها نحن اذا احتكمنا الى الحق انتصرنا عليكم ، واذا احتكمنا الى القوة انتصرتم علينا • واذا احتكمنا الى التاريخ كان انتصارنا هذا أشرف من انتصاركم ! ولكن •• هل تبالون بحكم التاريخ ؟ » (11) •

القضية الجزائرية اصبحت قضية جميع الاتجاهات

والحقيقة أن القضية الجزائرية فى البرلمان الفرنسي لم تبق قضية حزب الانتصار ولا قضية حزب الاتحاد الديمقراطي ولا غيرها بل انها ــ أمام تعصب الأحزاب الفرنسية يمينها ويسارها على السواء ، خاصة بالنسبة

---

11 ــ البصائر عدد 11 تاريخ 20-10 و 15 تاريخ 1-12-1947 .

لسياسة الاستقلال – أصبحت قضية جميع النواب المسلمين الجزائريين لا فرق بين أحزابهم وهيئاتهم ، وحتى أولئك الذين تخرجوا نوابا بواسطة ضغط وتزييف الادارة الاستعمارية فى الانتخابات ، فقد أصبحوا مع طليعة الرافضين • وهل يشك انسان فى صدق قول الحكماء : « كثرة الضغط تولد الانفجار » ! ؟

فبعد ما خرج نواب حركة الانتصار من البرلمان محتجين ضد الاهانات التي صادفوها فى الجلسات السابقة ، جاء دور النواب المسلمين « الاداريين » ليلتحقوا فى جلسة لاحقة ، وذلك بعد مشادة وقعت أثناء بحث الدستور الخاص بالجزائر ، فبعد ما طلب الكلمة النائب الهاشمي ابن شنوف صرح قائلا : نحن النواب المسلمين : ابن علي الشريف ، ابن شنوف ، ابن تونس ، وقاضي عبد القادر ، ومكي ، والعريبي ، واسماعيل ، وابن الطيب ، كنا حاولنا بجميع الطرق والوسائل انارة الطريق فى وجه المجلس الوطني فى صورة النظام الديمقراطي الذي يؤمله مجموع الأمة الجزائرية •• ثم يضيف ابن شنوف : لقد سلك المجلس طريقا سيئا ، انكم أيها السادة مازلتم تعتبروننا من الرعايا بدون اعتبار لوعود فرنسا • وفى حركة أخوية لم تدركوا عظمتها قبلنا ، نحن النواب المسلمين بنيابة مساوية للأقلية الأروبية ، لكن الاقتراع على الفصل الأول جعل الأمة الجزائرية خاضعة الى الماسكين بأعنة الاستعمار» (12) •

« ونحن نأسف لذلك كثيرا ، وسعيا لعدم تأويل مشاركتنا في المناقشات بالجنوح الى النص الحكومي ، رأيت أنا وزملائي بأننا مضطرون لعدم المشاركة فى مناقشة مشروع الدستور الجزائري » •

وقام النائب الفرنسي فونليت باسم أغلبية اللجنة فأبدى مزيد أسفه من الموقف الذي اتخذه ابن شنوف ، وادعى أن المجلس لم يجعل فروقا بين (فرنساوي الجزائر) مهما كانت أصولهم ، لكن بعد النظر فى مشروع

---

12 – الفصل الأول ينص على ان الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا . ستجد تفصيل ذلك فيما يأتي في المواد .

ابن شنوف الذي يرمي الى افتكاك الجزائر من أيدي الجمهورية الفرنسية رفض المجلس هذا المشروع » .

فلما تدخل ابن شنوف للرد على النائب تدخل م — هيريو رئيس المجلس فقال : يا سيدي ابن شنوف تطلبون النظام البرلماني ، فأعرفوا كيف تقبلون قواعده ، لقد أمكنكم أنتم وأحبابكم أن تناقشوا ولم يقع غمط حريتكم ، فيجب أن تتخلوا عن هذه الشدة التي لا تجديكم نفعا ، واني أؤكد هنا أمام فرنسا بأن المجلس قد أظهر نحوكم دائما احساسات الأخوة » .

وعلى اثر هذه الكلمات طلب السيد بن تونس ثم السيد العريبي الكلمة فقال الرئيس : انه لا يمكنه ، بمقتضى النظام ، الترخيص لهما فى الكلام . فأحدث هذا الرفض القاسي هزة في النواب ، فرفع هيريو صوته قائلا : « نحن بالبرلمان ! فما هي فكرتكم فى البرلمان وفي الديمقراطية ؟ » (13) .

ويعني هذا أن النواب العرب لا يعرفون معنى البرلمان ولا الديمقراطية وهنا قام النواب المسلمون وغادروا القاعة ، ومن بقي وهم السادة ، ابن تونس ، والعريبي ، وقاضي امتنعوا عن المصادقة على محضر الجلسة ثم خرجوا بعد تقديم ملاحظاتهم للمقرر .

وهكذا بقي البرلمان الفرنسي الذي صودق فيه على « مشروع الدستور الجزائري » فارغا من كل النواب الجزائريين المسلمين (أي نواب السكان الأصليين) ولم يصادق على المشروع الا النواب الفرنسيون ، ونائب واحد شيوعي .

وسنأتي على حكاية « الدستور الجزائري الخاص » فيما بعد وعلى مواده وصلاحيته التي بقيت حبرا على ورق ، برغم ضآلتها ، كما بقيت صلاحيات قرار السابع مارس 1944 معطلة الى قيام الثورة سنة 1954 .

---

13 — جريدة الزهرة التونسية ، عدد 11467 تاريخ 26 أوت 1947 .

والواقع أن جميع التدابير التي اتخذتها الحكومة الفرنسية فى صالح مسلمي الجزائر – وهي لم تنل رضا المستعمرين – قد بقيت مجمدة أو فسرت وطبقت حسب رغبة المستعمرين .

فقضية الجزائر فى هذه الفترة مع الاستعمار الفرنسي تشبه كثيرا « قضية فلسطين » مع اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية ، فتعصب الكولون العنصريين الفظيع يمثله – بصفة دقيقة – تعصب اسرائيل ، ودلال الكولون وتمردهم على فرنسا لا يختلف عن دلال اسرائيل وتمردها على الولايات المتحدة الأمريكية وعلى هيئة الأمم المتحدة . والتصريح الآتي لأحد غلاة المستعمرين فى الجزائر وهو المسمى أبو (Abbo) يعطي تفسيرا ايجابيا وصريحا لدعواي ، يقول أبو فى تصريحه الى جريدة « فرانس بريس » الصادرة يوم 7 /5 / 1947 ، يخاطب مواطنيه الفرنسيين من سكان فرنسا الأصلية :

« أنتم تحسبون أنه لا خوف الا من هيجان متوقع من العرب ولكن لا تنسوا – وهذا ما لم يرد الميتروبوليون (سكان الوطن الأم) أن يعرفوه – انه يوجد خطر آخر ، وهو عصيان مسلح من المعمرين » ويضيف آبو :

« انني فى الحالة الراهنة فوق أراضي الخاصة بمزارع الكروم نأخذ كل ربع ليلة سلاحنا ، شاهرين بنادقنا لحمايتها . اننا بالمرصاد لسخرية قصة الانتخابات الأهلية : (يعني حسب قرار السابع مارس 1944) .

ويضيف : **فاذا نجحنا مرة في دورة القوة ووجهناها لصالحنا** (ويعني حوادث ماي 1945) **فاننا قادرون دائما على اعادتها لصالحنا ، وبكلمة أخيرة لم نبق أبدا نقبل ولاة عامين يتسمون بسمة تحمل طبعا عاطفيا ميتا ، ولكن رجالا أقوياء من الذين يعملون على تلبية حقوقنا ومطالبنا ، معلنين القوة للعربي ، وعند اللزوم يستعملونها بدون تردد »** .

ويضيف آبو : ففي سنة 1936 كنت أفشلت (هكذا) برنامج بلوم فيوليت ، والحكومة ركعت امامي (هكذا) فماذا يريد الجنرال ديغول من تدخله في هذه القصة ؟ فان العربي كلما

اعطيته شيئا الا وطلب شيئا آخر افهموني انا حقا اعرف كيف افهرهم واذلهم » • (14)

وجوابا على هذا الاستعماري الحاقد قال ليون بلوم : ان الاستعمار أعني الاستيلاء بواسطة الحظ أو بواسطة الاحتلال بالقوة العسكرية ، واستبقاء الاحتلال بالقوة واستغلال الأمم والخيرات الطبيعية بواسطة القهر ، كل هذا قد حكم عليه الحق والضمير العصري ، فان كل هذا كان فى زمن مضى وانقضى من تاريخ لانسانية » • ا هـ

الراي العام الرسمي في تقارير :

وفى هذا المجال يحسن أن نضيف بعض القارير الرسمية التي ربما تفيد الدارس ليستخلص منها حقيقة الوضعية فى تلك الظروف الحرجة بالنسبة للسكان المسلمين ، وان كانت تظهر بردا وسلاما للمستعمرين تتخللها بعض الفجوات من البلبلة وعدم الاطمئنان النهائي الذي ينشدونه من وراء مكيدة ماي 1945 •

ففي تقرير عن المكتب الثاني بقسنطينة 1946/2/18 يتكلم عن الأحزاب الفرنسية بالجزائر فيقول :

« دعاية الانتخابات قد نقصت كثيرا فى الوسط الأوروبي لم تقم اجتماعات للدعاية ، ماعدا الحزب الراديكالي الاشتراكي أو الحزب الشيوعي والحزب (P.R.L. الحزب الجمهوري الحر) فهؤلاء كانوا علقوا منشورات » •

وعلى العموم فالمنتخبون الأروبيون يعلقون أملا كبيرا على الانتخابات التي دعوا للقيام بها ، وهم يحسون بالصعوبات الحقيقية فى الحالة الراهنة ويتمنون تخلص الوطن من هذه الممارسات السهلة اللينة ، والخروج من « الحالة المؤقتة » ، وكل الأوساط تتمنى قيام الحالة الدستورية بكل سرعة •

---

14 ــ الثورة الجزائرية بالنصوص أندري مندوز ، ص 47-48 •

وفى المجمع الثاني (أي المنتخبين العرب) وأثناء استشارة 5 ماي ـ آيار ـ 1946 ، قد عرف الفكر العام الاسلامي فترة من الخمود والفشل والحيرة تحت نشاط الدعاية الشيوعية التي تطورت تطورا كبيرا بسبب الخطب التي ألقيت من المناضلين أثناء زيارة م ـ تيون للقطر الجزئري ، وبسبب حدة افتراءات جريدة الحرية (Liberté) وتكاثر كلمات السر « الشعارات » التي تدعو للثورة الاجتماعية » .

ويعلق التقرير : ان باعة جريدة الحرية فى مدينة توقرت ينادون جهارا فى الشوارع باللغة العربية : اشتروا جريدة الحرية التي ستأتي لكم بنخلة المسيو رانو (Rannou) وهو مالك كبير للنخيل ، ثم يضيف التقرير :

« وفى هذا الوقت بالذات فحتى أحسن أصدقائنا المسلمين صاروا فى حيرة مخيفة من مستقبل الجزائر الفرنسية » .

وبعد أن يصف التقرير رفض المنتخبين لبرنامج الدستور الأول ، بأنه اعتبر رجوعا الى الصواب ، يقول : ان قلقا جديدا لوحظ ابتداء من الأسبوع الرابع لشهر ماي بسبب انه لم يترشح ضد الأحزاب الماركسية الا حركة أحباب البيان والحرية على أن كلمة السر التي أرسلها الآغة حمه بن قانه من بسكرة وهي : « انتخبوا عباس فرحات » هذه الكلمة أعادت شيئا من التوازن ، وان لم تحدث حماسا أو مشاركة جماعية » .

وفى تقرير رقم 92 / 2 / 1946 فبعد أن يذكر توديع الجنرال ديفال من طرف بعض الأعيان المسلمين حين انتقاله لتونس كمقيم عام ، ويتعرض لأحداث طرابلس والشرق الأوسط التي يصفها بالفداحة يقول : انه برغم ذلك فان الهدوء شامل ، يقول ان الخلاف الذي وقع بين المسلمين من جراء أعمال « الوطنيين السريين » ، وسذاجة بعض مناضلي أحباب البيان الذين أرادوا أن يعربوا عن هويتهم فأعلنوا بطاقات اشتراكهم فى أحباب البيان (وأحباب البيان يومئذ ممنوع رسميا) وان الفرح الذي أبداه بعض المثقفين المسلمين باعلان بقاء الجنرال ديغول على رأس الحكم ، والذي هو مبني على اعتقاد أن بقاءه سيمكنه من توسيع

الاصلاحات التي أعلنها قرار السابع مارس 1944 كل ذلك وفى هذه الأثناء ، فان عدة دلالات أو حوادث صغيرة ، تحمل على التفكير بأنه يجب متابعة التطورات الجماهيرية ، اذ نحن نرى يوميا الدعايات العلنية أو السرية بواسطة بعض الأحزاب وبعض المشوشين الذين لازالوا لم يلقوا السلاح » •

« أما السجناء الذين حرروا فقد استقبلوا بضجة تنخفض وتعلو ولكنها فى الاجمال حارة ، فهذه الحوادث الصغيرة تعلن على أن الفكرة الوطنية لاتزال حية » • وفى عدة نقط من الوطن قد لوحظت بعض المقولات تتعلق بتجديد حزب أحباب البيان أو حزب الشعب ، ولكن كلمة السر الآن هي : التبصر ، الانتباه ويعني هذا عدم تعرض المناضلين للخطر » •

ويختم التقرير : وهكذا التجمع الذي يتكون سريا على غرار بعض الأحزاب الفرنسية ، بل فقد اشترك بعض الوطنيين فى بعض الأحزاب الفرنسية ليقدموا غطاء لأعمالهم ونشاطهم الحقيقي ، وليطلعوا على أساليب عمل هذه الأحزاب » •

وفى تقرير من قسنطينة بتاريخ 16 / 7 / 1946 مكتوب عليه :
« مصلحة الاستعلامات والوثائق الاسلامية »

« جوابا عن مذكرتكم المذكورة أعلاه ، لي الشرف أن أحيطكم علما بأن التفتيشات التي أجريناها بغرض وجود جهاز اذاعي : صوت الشعب الجزائري « والذي سمع بقسنطينة ، فاننا لم نحصل على أية نتيجة لهذا اليوم ، وعلى كل فالعمل مستمر ولا أتأخر باعلامكم بأي شيء جديد نحصل عليه » •

(المحافظ بوردي) •

وفى تقرير آخر : لا شيء هام يلفت اليه النظر وانما الصحافة لازالت تنشر دائما دعايتها ، ونسجل أن امام مدينة أولاد جلال قد قطع كل

صلة بحزب أحباب البيان •• أما حزب الشعب الجزائري فقد نشطت الدعاية له ففي أولاد جلال ، حيث الاتصال مع مدينة الجزائر متواصل والحساسية أكثر من أي مكان آخر ، فان أعضاء من أحباب البيان قد اختاروا الانضمام الى حزب الشعب ، وقد بيعت صور الحاج مصالي ، كما وزعت مناشير بعنوان : « الحاج مصالي يحيي الشعب الجزائري » • ليكتتب لحزب الشعب مشتركين أكثـــرهم شباب • وفي توقرت قد انضم
ليكتتب لحزب الشعب مشتركين أكثرهم شباب • وفى توقرت قد انضم
عضو شيوعي الى حزب الشعب » •

ويضيف التقرير : أما جريدة المساواة فقد حظيت بانتشار كبير بناحية بسكرة وهي تزحف الى منطقة توقرت » •

ويحسن هنا أن نزيد نصيبا من التقارير السرية التي تعطي أضواء على شتى جهات الحياة السياسية ، ففي تقرير مرقم 107/2/ V.T.C. كتب تحت عنوان : « أحزاب أروبية أخرى » ما يلي :

لقد تأثرت هذه الأحزاب بصفة خاصة بقضية الدستور الجزائري وأثارت معركة أكثر شجاعة وشهامة ، فجريدة « الجزائر الجمهورية » (15) قالت بالخصوص اذا كان برنامج الحكومة كما نعتته الجرائد الرجعية بالمحافظة على (العمالات الثلاث الفرنسية) فى « ذاتية خاصة »
سيكون هذا بالضبط تتويجا للمعركة المفزعة التي أثارها مزيفو « الوحدة الفرنسية » • وعلى رأي هذه الجريدة فان هذا الموقف يراد به احداث جو مهدد » •

أما اتحادية الجزائر للحزب الراديكالي الاشتراكي فقد صادقت يوم 30 ماي على عريضة تصرح بأن المساواة بين النواب الأروبيين والنواب المسلمين غير مقبولة فى جمعية محلية مع نص قرار السابع مارس 1944 •

---

15 — عدد 29 ماي 1946 •

وتحت عنوان ح ـ ش ـ ج (P.P.A.) يقول التقرير :
لم يكتف هذا الحزب بعمله السري الشديد الحدة ، بل بدأ يظهر نشاطه علنا ضد فرنسا ، فشعاراته : « حرروا مصالي » « تأسيسية جزائرية لها السيادة » « يحي حزب الشعب » « نريد الاستقلال » وغير ذلك .. تنتشر يوميا تقريبا فى جميع المراكز الهامة عبر القطر الجزائري ، فهذه الشعارات قد كتبت ليلة 25 ـ 26 ماي تدل على أن كلمة السر التي وزعها الحزب قد نفذت بكل اتقان وكمال .

وقد ألقي القبض على بعض الأشخاص والبحث لازال جاريا » .

ويقول : تحت عنوان : النقابات : وهناك نشاط كبير للنقابات ولكن دون حدوث أي حدث ، وضغط مهم من أجل حل سلمي لمطالب عمال الغاز والكهرباء بالعاصمة » .

معركة الاتحاد الوطني :

هكذا ـ وأمام هذا التصامم الفرنسي التام ، والرفض الجريء الماكر للكتلة الاستعمارية ضد سماع أي صوت للشعب الجزائري ، والسماح ولو بقطرة يبل بها ظمأه للحرية والانعتاق ـ نشأ رد فعل قــوي فى الصفوف الشعبية ، وتفتقت الذهنية الوطنية الشعبية على حقيقة ظهرت هي المخرج الوحيد للقضية الجزائرية من فكي الكلابة الاستعمارية ، تلك هي القوة ، والقوة وحدها .

وأمام هذا المطلب الشعبي المحق وقفت عقبة أخرى دونه ، تلك هي تشتت الوحدة التي كانت تجمعت فى « أحباب البيان والحرية » بسبب السجون والمنافي والاضطهادات الاستعمارية ، حيث اتجهت الحركات القومية بسبب هذا التشتت ـ اما خوفا وفشلا واما حنقا وغضبا ـ الى الاهتمام بشذب بعضها بعضا ، والعمل على انتصار هيئة على أخرى ، متخلية عن الاهتمامات الأصلية ثم رجعت بالطبع تلك المهاترات المظلمة التي سادت بينها قبل الحرب العالمية .

ونسي الكثير أصل القضية ، وتوجه مرة أخرى الى الاستعمار يستجديه ويطلب احسانه ، وفرح الاستعمار بذلك فزاد كبرياؤه واستعلى سلطانه ، وحزن المخلصون وغضبوا ، ونادى الغاضبون والحانقون على الزعماء : أن قفوا ! ، وعلى المتفرقين والمفرقين : أن ارعووا ، وناشد الوعاظ والمرشدون : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » •

وجاءت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ــ حزب الشعب ــ لتوجه نداء فى بيان حار صادر عن مكتبه السياسي فى شهر ديسمبر ــ كانون الأول ــ 1946 مذكرا بالمحاولات والاتصالات التي كانت الحركة وجهتها لحزب (ا ــ د ــ ب ــ ج) ولجمعية العلماء بتاريخ 22 نوفمبر ــ تشرين الثاني ــ 1946 فى سبيل اعادة الوحدة الوطنية سنورد نصه كاملا فيما بعد •

وجاء الشيخ الابراهيمي ، ليتبرأ وليناشد فى « كلمته الأخيرة » (16) :
« أما آن لعشاق سلمى أن يقولوا : صحا القلب عن سلمى ؟ • أما آن للحالمين بالوحدة الفرنسية أن ينفضوا عنهم الأحلام ؟ أما آن للمنتظرين أن يقطعوا حبل الانتظار ؟ أما آن للمستعصمين بالأمل أن يريقوا صبابة الأمل ؟ • ثم يقول :

« يا هؤلاء ان الاستعمار شيطان ، وان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا • وان الاستعمار شر ، ومحال أن يأتي الشر بالخير ، ومحال أن يجنى من الشوك العنب ، ان فرنسا نبية فى الاستعمار وانها ترى أنه شرع لا ينسخ وعقد لا يفسخ ، فدعوها وشرعها لله وسنن الله ، وللزمان وتصاريف الزمان • ان الالحاح فى المسألة ذل ، وان اليأس احدى الراحتين •

ثم يضيف : والله والله ــ الية المسلم البر ــ لا يرجو الخير من الاستعمار الا من خولط فى عقله •• ثم يقول : واضيعتاه ! أفي الوقت

---

16 ــ البصائر عدد 4 ، 29-8-1947 •

الذي تطمح فيه أنظار الأمم الضعيفة الى الاستقلال التام يرسلها رئيس وزراء فرنسا صيحة انذار بأن لا حق لنا فى استقلال ديننا ؟ .. » .

نداء المكتب السياسي لحزب الشعب من اجـل الوحدة الوطنية

أيها الشعب الجزائري (17)

اعتبارا بأن ارادة الوحدة الوطنية شيء لا جدال فيه .

واعتبارا من جهة أخرى أن وجوب تكوين وحدة شيء لا يغالب .

واعتبارا أيضا أن طبيعة هذه الوحدة فى السرعة برزت فى تزايد كل يوم . واعتبارا كذلك بأن هذه الوحدة يجب أن تتكون ، قبل كل شيء ، من الحركات التي تؤمن ايمانا راسخا بالأمة الجزائرية .

وأخيرا نظرا الى أن قضية الوحدة يجب أن تنتهي كدعاية بكل سرعة لتبرز حقيقة واقعية مثمرة ، فان حزب الشعب الجزائري المعبر بوفاء عن أنفاسك ، يصرح بأنه دائما مستعد ـ وقد كان عمل كثيرا على تحقيق الوحدة ـ ولازال كذلك باعثا بناءا ومخلصا .

واعتقادا منه اعتقادا كاملا بأهمية دوره فانه يؤكد أن تباطؤ البعض والتماطل الذي نعيشه يرهقان بثقلهما توجه وطننا نحو تحقيق مستقبله ، كما يدفعان بكل قوة على اسراع القوى الحية بانجاز الوحدة .

« وهناك هدف آخر لاحظه حزب الشعب ، فان جماهيرنا المسلمة تنتظر من الوحدة أن تكون تنسيقا لجهود التجمعات الجزائرية الأصلية حقا ، ولكن دون أن تستبعد امكانية اتساعها » .

« وخضوعا لهذه الاعتبارات السابقة فان حزب الشعب الذي تحركه حرارة تكوين وحدة عقائدية « ايديولوجية » يصرح بكل اقتناع :

---

17 – حـوـ لكلود وجان روبير ، ص 232–234 .

ان الوحدة فى العمل ممكنة ويجب تحقيقها حينا ، وهذا ما جعله يتخذ المبادرة باقامة قواعد وحدة متينة ودائمة مع تأكيد الأمل فى عدم تعثرها اذا انتفى عدم التفاهم .

رسالة الى الاتحاد الديمقراطي :

وهكذا ، ففي 22 نوفمبر ــ تشرين الثاني ــ 1946 قد نبه الحزب حركة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بالرسالة الآتي نصها :

اعـزاءنا المواطنين :

فى أثناء الاتصالات العديدة التي وقعت بين منظمتينا فى باريس ، قد تبين لكل منا ارادة توحيد مجهوداتنا أمام العدو المشترك ، ولتأكيد هذه الارادة فى الاتحاد ، فحزبنا قد عرض عليكم رغبته فى الوحدة ، وان قبولكم لعرضه سيكون ذا نتيجة ميمونة . وبالتأكيد فان عدم انقشاع ظلام جـو عدم التفـاهم هو الذي يعطي الفرصة للمستعمر المضطهد لوطننا .

ومن أجل ، وبرغم الأسباب الملائمة ــ وان اختلفت نظرتنا فى فائدتها ــ لم تتجاوبوا معنا فى ارادة الوحدة ، غير أن فى رسالتكم يوم 18 أكتوبر 1946 كنتم أكدتم بأنه « مهما كان جوابنا فى قضية الانتخابات ، فان كل أشكال الاتحاد التي عرضناها مع بعضنا لازالت ممكنة » .

وبعد المحادثات التي جرت بينكم والحزب الشيوعي ، وبيننا فان هذه المحادثات ، برغم ارادتنا فى المصالحة ، قد أوقفت بسبب عدم التفاهم الكامل فيما يتعلق بالرغبات الوطنية المنطقية للشعب الجزائري ، وبسبب الارتباط الغير المتبصر ، بنظريات انتهى وقتها بعد .

« ومن أجل هذا ، وتجاوبا مع مطالب شعبنا الراغب فى اتحاد الهيئات التي هي متأثرة تأثيرا حقيقيا باعتبارات جزائرية صرفة ، فقد فكرنا فى اعادة المحادثات معكم ، واعتبارا لرفضكم عرضنا فى الوحدة قد أعدنا الكرة ثلاث مرات مختلفة فى 19 و 20 و 21 نوفمبر 1946 . وعرضنا

عليكم الاتحاد متوسلين بنفس الدعاوى التي بررتم بها رفضكم دعوتنا للوحدة • وكنتم صرحتم لنا بأن الاتحاد الفوري بين (ا ـ د ـ ب ـ ج) و (ح ـ ش ـ ج) في الظروف الحاضرة أمر مستحيل » •

ولاشك أن حجتكم الرئيسية ، وهي اخضاع قضية الاتحاد لاعتبارات الظروف ، تشكل غلطة كبرى ستتضرر منها مصالح الأمة الجزائرية •

« انه لمن المؤسف لحزبنا الذي في الوقت الذي لازال دائما يقدر واجباته ومسؤولياته ، ومن أجل ذلك فهو لازال يقدم كل جهوده للقضاء على جرثومة التفرقة ، لم تعرفوا أنتم مرة أخرى الضرورة الملحة للتعاون مع نشاطاتنا بقصد تحقيق النصر النهائي على الامبريالية •

ففي هذا المنعطف الحالي ، لاشك أنكم تقدرون معنا أنه يجب المضي حينا الى تحقيق المطالب الشعبية ، لأن ارادة الاتحاد شيء جميل ولكن تحقيقه أحسن بكثير • ولهذا ، فمن أجل تحقيق هذه الوحدة التي رغبها الشعب ، بأسرع ما يمكن ، نعرض عليكم اجتماعنا يوم 24 نوفمبر 1946 ، ونرجو ـ مواطنينا الأعزاء ـ أن تتحققوا من عواطفنا الأخوية والوطنية » •

ورسالة الى جمعية العلماء

وفي نفس اليوم وجه المكتب السياسي للحزب رسالة الى الشيخ الابراهيمي رئيس جمعية العلماء هذا نصها :

« الشيخ المكرم ، لنا الشرف لأن نبعث اليكم وفدنا ليحمل اليكم مهمة دعوتكم لحضوركم ، باسم جمعية العلماء ، الاجتماع الذي ينعقد بين ممثلي « الاتحاد الديمقراطي » وبيننا ، وذلك بقصد المحاورة في شأن الاتحاد الذي هو محل اهتمام جميع طبقات شعبنا ، والذي يطالب به الجميع ، وعند تحقيق هذا الاتحاد فان جمعية العلماء التي هي أحد حراس المصالح الشعبية يجب أن تأخذ بشطر واسع من الاهتمام وتقدم أقصى مجهوداتها • لكن أسفنا الكبير وتألمنا هو من بقائكم على الهامش •

أولا ــ بسبب رفضكم حضور هذه المهمة الكبرى .

ثانيا ــ بسبب رغبتكم فى عدم تحمل المسؤولية .

ثالثا ــ باعتذاركم بغيبة لازمة .

لكن فى الوقت نفسه كنتم وعدتمونا باجابة ندائنا بعد رجوعكم من الغيبة وانكم ستحضرون شخصيا لمناقشة هذه المسألة الهامة .

« ومن جهة أخرى لقد كنتم عبرتم عن رأيكم بلزوم هذا الاتحاد ، كما كنتم حرضتم على الوحدة واللقاء مع الاتحاد الديمقراطي بقصد العمل الممكن على الوفاق ونسيان الماضي .

« ومن شديد رغبتنا أن نلح على فضيلتكم بأن تقرر الحضور لهذه الجلسات ، خاصة وأن مسؤوليتكم الدينية تحتم هذا الحضور . ان هذه الوحدة فى الساعة الراهنة لا تعتمد الا على بعض الشخصيات وأنتم احداها .

« ولهذا فان فترة الخطابة قد انتهت ، وقد دقت ساعة العمل والانجاز. ومن واجبنا ــ ونحن في ظروف شديدة ــ أن لا نتنصل من المسؤولية ، كما لا يمكن أن لا نهتم بقضية يعتبر حلها مفتاح النجاح .

« أما حزب الشعب الجزائري فانه لايزال كما تعرفونه الحزب الذي يرى من واجبه أن يعمل ، ويضحي ، وينفق بدون حساب لفائدة الاتحاد ، يعني الاتحاد فى العمل الذي يأتي بفائدة للشعب ويعكس رغباته ، ويعتبر أن الاتحاد الذي يبني فقط على السطحية و (المشافهة) اتحاد عقيم وبغيض .

ان الاجتماع الذي ندعوكم اليكم سيقع يوم 24 نوفمبر 1946 .

حرر بمدينة الجزائر يوم 22 / 11 / 1946 .

ثم يعلق :

ان اللقاء الذي عزمنا عليه فى الوقت المحدد كان بعد مداولة الآراء وبعد اقتراح من وفد حزب الشعب وقع الاتفاق على :

أولا ـ ضرورة الاتحاد .

ثانيا ـ طبيعته الفورية .

ثالثا ـ تحديده فى المنظمات الاسلامية .

وقبل الافتراق قدم وفد حزب الشعب وألح على اعادة اللقاء فى أقرب أجل ، ولكن أكبر أسفنا أن وفد الاتحاد الديمقراطي لم يعد الا باجتماع ممكن سيعين تاريخه فيما بعد .

ايهـــا الشـــعب الجزائري !

ها نحن أين فى بداية شهر ديسمبر مع قضية الاتحاد الهامة . أما من جهة حزب الشعب الذي برهن على اخلاصه لمصلحتك المقدسة ، ولم يترك شكا لأحد ، فانه يقدر بكل تفكير عادل أن ساعة اتخاذ المسؤولية قد دقت .

كفى اذن من التعللات والمناورات المماطلة . وكما ترى فان حزب الشعب قد عمل كالعادة ما يمكن له بكل اخلاص وشجاعة . فكما أن حزب الشعب كان بالأمس بطل الاتحاد سيبقى اليوم وللغد ، ولكن مساعدتك وتأييدك الكريم شيء ضروري للوصول الى الهدف المزدوج : الوحدة الوطنية وجزائر حرة ذات سيادة ، ومستقلة . ا هـ

التوقيع : المكتب السياسي لحزب الشعب الجزائري

وجمعيــة العلمـــاء !

لئن كانت كلمة الشيخ الابراهيمي التي نقلنا منها ـ قريبا ـ شذرات جاءت متأخرة عن هذه الفترة الأولى لمعركة الاتحاد ولكن حرارتـها الوطنية تشير الى الاعتماد على النفس وعلى الوحدة الوطنية ، وطرح

الثقة فى الاستعمار واستجدائه ، فان كلمته الموجهة الى الأحزاب ، أثناء عرض أعمال جمعية العلماء تعطينا ضوءا على موقف جمعية العلماء حيال الأحزاب السياسية أثناء المعركة التي جرت بينها فى سنتي 1945 — 1946 ، وقد كانت الجمعية لازالت فى فترة السكوت التي قررتها أثناء الحرب العالمية ، فلم تكن لها صحافة .

وربما فهمنا حقيقة جمعية العلماء من منشور حزب الشعب الذي يشير الى اتهام الجمعية مثل حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان ، بالتواطؤ والتماطل بالاتحاد ، بل ويصرح فى الرسالة الموجهة الى الشيخ الابراهيمي: « ان جمعية العلماء التي هي أحد حراس المطامح الشعبية يجب أن تأخذ بشطر واسع وتقدم من الاهتمام أقصى مجهوداتها ، لكن أسفنا الكبير وتألمنا هو من بقائكم على الهامش » .

فها هو رئيس جمعية العلماء ، وقد رجعت بصائرها للصدور يأتي فى مقال متسلسل سرد فيه أعمال الجمعية ، أثناء هذه الفترة فيتعرض بكل صراحة الى قضية اتحاد الأحزاب والوحدة الوطنية ، فيقول — وكأنه فى معرض الرد على حركة الانتصار التي كانت تقول : ان تحرير الوطن من الاستعمار هو الحجر الأساسي فى الكفاح الحاضر — : ان جمعية العلماء تعمل لسياسة التربية لأنها الأصل ، وبعض ساستنا — مع الأسف — يعملون لتربية السياسة ولا يعلمون انها فرع لا يقوم الا على أصله ، وأي عاقل لا يدرك أن الأصول مقدمة على الفروع ، وان الاستعمار لأفقه وأقوى زكانة وأصدق حدسا من هؤلاء حين يسمي أعمال جمعية العلماء سياسة وما هي بالسياسة فى معناها المعروف ولا قريبة منه ، ولكنه يسميها كذلك لأنه يعرف نتائجها وآثارها ، وأنها اللباب وغيرها القشور ..

وبعد جولة مع الاستعمار ومع ضعف الأحزاب الجزائرية فى تفكيرها ، وأن القرآن لا يذكر لفظ الأحزاب بالجمع الا فى مقام الخلاف والهزيمة ... يقول : ان من الغفلة والبله أن نقيس أحزابنا بالأحزاب الأروبية ، فان تلك الأحزاب ظهرت في أمم استكملت تربيتها ، وصححت مقوماتها

بدعوة دعاة جمعوا الكلمة ، وعلماء أحيوا اللغة ، ومعلمين راضوا الأجيال على ذلك ، وأين نحن وأحزابنا من ذلك ؟

يا اخواننا — خطاب عطف وتشريف — لسنا والله نبغضكم فما أنتم الا جزء منا ، ولسنا والله نحتقركم فما أنتم الا رأس مال هذه الأمة الفقيرة ، ولسنا والله نتهمكم بممالأة الاستعمار فأنتم عندنا أجل من ذلك ، ولكننا نعد مقاومة المقاومين منكم لجمعية العلماء ناشئة عن بعدهم عن التربية الاسلامية والثقافة العربية ، ونجد فى كل عيب من عيوبهم أثرا من آثار الاستعمار فى تربيتهم » •

وبعد أن يمضي الشيخ فى تعداد أوصاف بعد أصحاب الأحزاب عن الاسلام والعروبة وأمتهم الجزائرية يضيف : يا اخواننا ! انكم أحرجتمونا بأعمالكم وأقوالكم وأحوالكم فأخرجتمونا من مقام اللطف فى النصيحة الى مقام الايجاع فى التنديد ، وأردتم أن تثلموا سيفا من سيوف الحق فلا تلوموه اذا خشن متنه وآلم جرحه • فتجرعوا هذه النصائح على مرارتها فى لهواتكم فما نحن — بمكاننا فى الدين — أقل من أن ننصح ، ولا أنتم — بمكانتكم فى أنفسكم — أجل من أن تنتصحوا » •

يا اخواننا ان الدعوى والزعم وسفاسف الأقوال وتوافه الأعمال وتصغير الكبائر وتكبير الصغائر ، كل ذلك مما لا تقوم عليه عقيدة سياسية ولا تربية وطنية •

ثم يقول : اننا لو جمعنا كل آرائكم فى السياسة وفرضنا تحقيقها لما أفادت الأمة شيئا •• ان وراء السياسة شيئا اسمه « الكياسة » وهي خلق ضروري للسياسي ، وأن السياسي الذي يحترم نفسه يحترم غيره مهما خالفه فى الرأي » •

وبعد أن يحذر الأحزاب من اتصالهم بالشباب وافساد عقيدته وتوجيهه توجيها يهدم ما بنته جمعية العلماء فى تربيته ، يقول : انها — والله — لجريمة يقيم بها مرتكبوها الدليل على أنهم أعداء للعلم ، وقطاع لطريقه • أم يقولون لا علم بدون استقلال فيعاكسون سنة الله التي

تقول : « لا استقلال بدون علم » أم يقولون كما قال كبير منهم : « ان محمدا لم يأت بالعلم وانما أتى بالسياسة » . وان روسيا لم تفلح بالعلم وانما أفلحت بالسياسة » .

وهكذا يلخص مواقف الجمعية فيقول ، مما يقول : وبعد فان جمعية العلماء فوق الأحزاب كلها ما ظهر منها وما بطن ، وان مبدأها أعلى من المبادىء كلها ما استتر منها وما علن . لقد اتصلت بجميع الأحزاب فرادى ومجتمعين فى المصالح العامة ، فأرتهم بأقوالها وأعمالها أنها فوق الأحزاب . ولقد احتكت بها جميع الأحزاب من خاطب لودها اجلالا الى رائم من نفوذها استغلالا الى عامل على الكيد لها احتيالا ، فأرتهم بمعاملاتها لجميعهم أنها فوق الأحزاب . ودعت الأحزاب الى الصلح والاتحاد ، وجمعتهم للاشتراك فى العمل ، فكانت فى ذلك كله فوق الأحزاب . ثم أخيرا يقول :

« حاربت سياسة الاندماج فى جميع مظاهرها ، فقاومت التجنيس ونازلت أنصاره الحمس ودعاته المقاويل حتى قهرتهم وأخرستهم ..

« وحاربت العنصرية التي كان الاستعمار يغذيها ويعدها من أمضى أسلحته لقطع أوصال الأمة فقطعت دابرها ، والاستعمار خزيان ينظر ..

« وحاربت ــ آخر ما حاربت ــ رائحة السابع مارس بشدة وقوة ، وشنعت بها فى دروسها وخطبها وبينت للأمة الدسائس التي تنطوي عليها تلك اللائحة ، وانها وسيلة شيطانية الى الاندماج جيء بها بعد خيبة الوسائل التي تقدمتها .

« هذه هي الوسائل التي تفردت بها جمعية العلماء بالبطولة فى حرب الاندماج ودعاته المروجين له ، وهذه أعمالها فيه قائمة بشواهدها داحضة لافتراء المفترين وأقاويل المتقولين بأنها أيدت أو تؤيد سياسة الاندماج ، ولو كانت الجمعية تحارب الاندماج باسم السياسة وبأسلوب السياسيين لجاز أن يقال : قد بدا لها بداء ، وما أكثر البدوات في

السياسة ، ولكنها حاربته باسم الدين والدين كلـه يقين لا يتزعزع وبصائر لا تزيغ » (18) .

وهكذا نجد الابراهيمي فى مقال آخر بامضائه الخاص ، على عادته المعروفة اذا أراد أن لا يقحم الجمعية ، يقول تحت عنوان : « دعوة صارخة الى اتحاد الأحزاب والهيئات » ننقل منه ما يلي :

... يا قادة الأحزاب ان فى مبادئكم دسائس دخيلة من الأفكار تؤرث العداوة الحزبية بين الأخوة بحجة المحافظة على المبدأ ، فانبذوها بضرورة الاتحاد ومراعاة الظروف ، وادحضوا شبهتها بحجة الوطن الصريحة ، وان فى صفوفكم دساسين مدخولين من الرجال لهم أغراض فى المنافع والكراسي ، ولهم مقاصد فى الافساد ، وانكم لتعرفونهم بسيماهـم وتعرفونهم فى لحن القول ، فأخرجوهم من الصفوف ، ولا تسمعوا لهم كلمة ، ولا تطيعوا لهم رأيا ، وان اخراجهم لا ينقص عددا ، ولا يقطع مددا ، بل يقطع دابر الفساد من صفوفكم ، ويستأصل مادة الضعف من أتباعكم » .

ويمضي الشيخ فى تقديم النصائح للأحزاب ويبين لهم أن الانتخابات باب للمرور وليس مكانا للاستقرار فيجب عبور هذا الباب بالاتحـاد لا بالاختلاف ويوجه الخطاب الى الأمة الجزائرية لتفرض على الأحزاب الاتحاد والاتفاق ثم يقول :

« أيتها الأحزاب ! أيها النواب ، دعوناكم الى اتحاد أجزائكم الطبيعية بعضها مع بعض ، فى تلك الكلمة المدوية فى العدد الرابع من « البصائر » واتصلنا بكثير من المسؤولين منكم وبينا لكم ضرورة الاتحاد فى هذا الوقت الحرج ، فوجدنا بعضهم يقول فى الاتحاد بلسانه ما ليس في قلبه . ويسارع اليه بالقول ويبطيء عنـه بالعمل . ووجدنا بعضهم لا يفهم من الاتحاد الا أن يكون اندماجا والحاقا ، لا كما يفهمه الناس من حفظ كل حزب لكيانه والاتحاد والتعاون على ما فيه مصلحة الوطن.

---

18 - البصائر ، عدد 4 ، 27-8-1947 .

ووجدنا بعضهم لا يرضى الا بأن تكون جمعية العلماء جزءا من هذا الاتحاد ، وجمعية العلماء ــ كما هي فى حقيقتها وكما أعلنت ــ فوق الأحزاب ، ومن مصلحة الأحــزاب أن تكون جمعية العلماء فــوق الأحزاب » (19) •

محمد البشير الابراهيمي

والحــزب الشيوعي

واذا تغافلنا عن مواقف الحزب الشيوعي أثناء حوادث الثامن ماي 1945 م وازاء سياسة الاستقلال والانفصال ، هذان الموقفان اللذان ظهر فيهما الحزب الشيوعي الجزائري : « انه قبل كل شيء فرنسي » وأن سياسته الحزبية المركزية فوق كل اعتبار ، فهي مقدمة على كل مطلب وطني ولو للشعب الجزائري ، اذا تغافلنا عن كل ذلك فان هذا الحزب كان فى طليعة الداعين الى الوحدة ولكن على طريقته الحزبية •

لقد أدت بالحزب الشيوعي الى التراجع عن سياسة الاندماج نتائج انتخابات جوان 1946 المخيبة لآماله ، حيث اعترف فى مؤتمره تلك السنة بانحرافه وقرر الرجــوع الى سياسته الأولى ، سياسة المطالبة بالاستقلال ــ ولكن لا الانفصال • ومعنى ذلك فهو تبع أيضا سياسة « الفيدراليزم » مثل سياسة (ا ــ د ــ ب ــ ج) (20) •

وها هو البيان الذي أصدرته لجنته المركزية بتاريخ 21 جويــلية ــ تموز ــ 1946 تحت عنوان : « الحرية ، الأرض ، الخبز • جبهة وطنية ديمقراطية جزائرية » •

ونقتصر هنا على عنوانه ونحيل القاريء الى قراءته كاملا فى كتاب ح ــ و ــ ج لكلود وجان هنري ، وفى هذا الكتاب يصف المؤلفان

---

19 ــ البصائر ، عدد ، 13-10-1947 •

20 ــ ثورة الجزائر شلقاني ، ص 210 •

هذا البيان بالنداء الذي ظل لدى الحزب الشيوعي الجزائري حصان معركته لسنة 1954 (21) .

على أن سياسة الوحدة والاتحاد — على كل حال — ظلت من سنة 1946 الى قيام الثورة 1954 سياسة جميع الأحزاب الجزائرية ، ولكنها لم تتحقق بصفة مجدية ونافعة بسبب أن كل حزب ، وحتى الهيئات الأخرى كان كل منها محتفظا بسياسته الخاصة ولا يريد أن يتنازل للآخر ، اما خوفا وضعفا من القوة الاستعمارية ، أو تعصبا لفكرته ، أو لاعتقاده أنها هي المخرج الوحيد لقضية الوطن .. (22) .

---

21 – أنظر نص البيان في ح–و–ج– كلود ، ص 228–231 .

22 – باستثناء تأسيس «الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية » ... التي ولدت سنة 1951 سقطا ميتا كما سيأتي بيانه في حينه .

ضجة انتخابية

هكذا وفى هذا الجو الاتحادي الجميل يجيء موعد انتخابات « الجمعية الوطنية الفرنسية » فى شهر أكتوبر ثم تجيء انتخابات « مجلس الجمهورية » فى شهر نوفمبر1946 ، فيترشح للأولى حزب (ا ـ ح ـ د) حزب الشعب كما تقدم بيانه ويفوز بخمسة كراسي ـ ويترشح للثانية حزب (ا ـ د ـ ب ـ ج) وتجري انتخابات نوفمبر لمجلس الجمهورية ، فيدعو الاتحاد الديمقراطي الى انتخاب « الرجال الجدد » من الديمقراطيين الفرنسيين فى المجمع الأول الانتخابي (1) وأما فى المجمع الثاني فتقوم معركة بينه وبين ابن جلول وجماعته ، ويخيب هذا فيفقد انتصاره الذي أحرز عليه فى انتخابات التأسيسية الأولى المنبوذة ، وينتصر عليه عباس طبعا بحسب برنامجه الأكثر قربا من رغبات الشعب ، ولكن ابن جلول وشيعته لا يسلمون بهذا الانتصار ، فهم يتهمون عباس وحزبه ـ الاتحاد الديمقراطي ـ باستغلال دعاية الدين الاسلامي الذي لا يشمون له رائحة وبفضل تأييد جمعية العلماء • والا ما كان ينتصر عليهم •

أما الحزب فهو يهاجم ابن جلول بالرد عليه • وفى جريدة « المساواة » عدد 62 كتب المحامي أحمد بومنجل مقالا بعنوان :

« بعد أن قدم ابن جلول وفاقه الى « لافال » طمع أن يكون وزيرا » فى الجمهورية الرابعة الفرنسية (2) •

---

1 ـ هؤلاء الرجال الديمقراطيون هم : لومون فيزبان ، برنيس هنري ، زيرات موريس من مدينة الجزائر ، ودومينيك ، وبوفو في قسنطينة ، والدكتور لابيـــار ، وكوسيمير روجي بوهران •

2 ـ طالع المقال بجريدة المساواة بالعدد 62 •

شيء من سياسة ابن جلول ايضا

لقد ظل الدكتور محمد الصالح ابن جلول متشبثا بسياسة الاندماج التي كلف بها منذ سنة 1930 ، وأسس لها اتحادية قسنطينة لجمعية النواب المسلمين ، ورغم فشل هذه السياسة فى كل جولاتها من برنامج بلوم فيوليت الى قرار الرابع مارس 1944 الى الدستور الجزائري ، ورغم الانقلاب العالمي الخطير الذي نبه جميع الأمم والشعوب الى المطالبة بالحرية ، فقد بقي ابن جلول مرتبطا بهذه السياسة الاندماجية حتى قيام الثورة التحريرية عام 1954 •

وقد حاول أنصاره ومحبوه وأعضاء حزبه زحرحته بكل الوسائل فلم يفلحوا • ومن المحاولات ـ كما تقدم فى الجزء الأول من هذا الكتاب ـ أن بعض أصدقائي من حزبه أخذني يوما لاقناعه بالنظرة الدينية فى التجنيس وذلك سنة 1951 فذهبنا اليه وحاولنا اقناعه فلم تفلح وقال : انني لا أطلب الكفر لأمتي ولست بكافر وانني مسلم صميم لأنني لا أومن بجنسية الفرنسيين ولكنني جعلتها وسيلة لتحرير الشعب الجزائري •

ولكي نفهم نصيبا روح سياسة ابن جلول أنقل فيما يلي بعضا من رسالة له بعثها الى رئيس الوزراء الفرنسي « بول رامادي » » (3) •

« سيدي الرئيس ، حسب الدوي الذي يدور عبر ممرات البرلمان ، والذي يثبت بقوة مسألة انتقال الوالي العام فى الجزائر وتعويضه بآخر • ويظهر أن هذه المسألة الأخيرة أثارت بعض المصائب سواء بسبب قلة المرشحين الصالحين لهذه الوظيفة ـ كما يقال ـ أو بسبب آخر ، فهذا التردد أو العائق من طبيعته أن يجعلكم فى مكان حق الاختيار من بين أحسن العاملين لخير الدولة ، شخصية تقدر على ارضاء جميع

---

3 ـ جريدة المساواة ، عدد 68 ، 13-3-1947 .

الطبقات – وعلى ارضاء أبيها فى الجزائر – (حسب ما نشر فى الجريدة) (*) •

ثم يقول : وكم أكون جريئا حين أرجو منكم أن تفكروا فى الترشيح المحتمل لوال عام مسلم ، وسيكون هذا ، على الأقل ، تعزية لنا عن عدم تنصيب وزارة دولة بالنيابة عندنا ؟ • ان الوالي العام المتخرج وهو مستشار سيجيب قطعا : « جميل جدا » ولم لا •• ؟

أما من جهتي فعندي أن المسألة لا يمكن أن توضع على البحث وهو ما كنت دائما أفكر ولازلت أفكر خلافه ، ولكي أكون فى مساعدتكم للبت على مقام سام ، فى هذا الوضع الشائك ، هل تسمحون بتقديم الاقتراحات التالية :

1 – حذف الولاية العامة نهائيا ، وقد كانت منذ وقت قريب جعلت « سكريتاريات » ، والحاق العمالات الثلاث الجزائرية بنفس الطريقة ، بأم الوطن ، لتصير ثماني عشرة عمالة فرنسية ••
ثم يضيف :

« ان هذه الاصلاحات التي قدمتها ستمكن من تنظيم جماعات من موظفي الحكومة عبر جميع الوطن الجزائري حيث يوضعون مباشرة مع سكان البوادي أين يتمكنون من بناء مفيد لتحقيق الاصلاحات التي ينتظرها الوطن ، وهكذا تنهى قضية الاتحاد والوفاق بين الفرنسيين والمسلمين •

« وحكومتكم الفخيمة يجب أن تتخذ هذه المبادرة التي ستكون لها بداية حسنة فى تحقيق هذا الاتحاد والوفاق اللذين هما رغبة جميع الجزائريين (4) •

التوقيع : الدكتور ابن جلول

---

* – يعني نفسه •
4 – انبه الى ان في الرسالة اشارات الى أن سياسة حزب الشعب أو الاتحاد الديمقراطي لا تسلم من الخطر ، ثم لا ادري المصدر الذي نقلت عنه الجريدة هذه الرسالة •

لقد كانت هذه الرسالة التي نشرتها جريدة المساواة ، دافعا آخر لفرحات عباس يشفي غليله من خصمه ابن جلول ، فكتب مقالا طويلا في افتتاحية نفس العدد من جريدة المساواة بعنـوان : « بعد تجنب المواجهة تجيء الاستفزازات » راجع المقال بجريدة المساواة عدد 68 .

وهكذا ففي انتخابات الثـامن ديسمبر ــ كانون الأول ــ 1946 وبفضل نواب المجالس البلدية التي كانت فى أكثريتها من الحركة الوطنية، وبفضل رجال المجمع الأول من الديمقراطيين الفرنسيين ، حـاز حزب الاتحاد الديمقراطي أربعة مقاعد من سبعة فى مجلس الجمهورية ، وتقوم مشادة بين الحزب ، أو بالأحرى بين فرحات عباس وآبو من المجمع الأول الاستعماري المتعصب ، بسبب دعوة عباس الى نصرة الديمقراطيين. نكتفي لهذه المعركة بالفات نظر القاريء الى مقال نشر بقلم المحامي بومنجل بجريدة المساواة عدد 56 ــ 20 / 12 / 1946 تحت عنوان :

مبارزة عباس آبـو

ومما جاء فيه : « ... لقد قدمنا نحن والآخرون نحو العشرة أيام من التفكير والتبصر بقصد دراسة اقتراح الثامن ديسمبر واستخلاص النتائج ، .. ها أن حزب البيان يسجل ثاني انتصاره الحاسم ، بينما كان حصل فى انتخابات الثاني جوان ــ حزيران ــ 1946 على استفتاء حقيقي برغم المناورات والضغوط .. تابع المقال الطويل بالعدد 56 .

وهكذا تتوسع الضجة الانتخابية فى الاجتماعات والجرائد وتنحـل العقدة التي كانت تربط الأفواه وتعصم الألسنة ، ويتخاصم الأصدقاء والأقرباء ، فيتوسل كل بما لديه من حيل ومغامرات للايقاع بالآخر . فنرى الدكتور ابن جلول ــ وقد اندحر فى الانتخابات الأخيرة ــ نتيجة فشل برنامجه فى الجمعية التأسيسية الأولى التي حصل فيها ابن جلول على سبعة كراسي ثم بسبب محافظته على سياسته القديمة ، سياسة الاندماج ، التي رفضها الشعب الجزائري منذ سنة 1936 ، وحاربها ولازال يحاربها المستعمرون ــ قلنا بعد هذا الاندحار رأينا ابن جلول يتوسل بجميع الوسائل لينتصر على خصومه ، وخاصة فرحات عبـاس

ـ الصديق القديم الذي رجع أكبر خصم ـ فيغتنم فرصة انعقاد اجتماع انتخابي لحزب الشعب ـ انتصار الحريات ـ ويطلب فيه الكلمة مظهرا حماسه للفكرة الوطنية ـ ثم يتورط فى الايقاع بفرحات وحزبه الى درجة أثارت حفيظة عباس وحزبه ، فكتبت جريدة الحزب « المساواة » تحت عنوان : « ولكن بدون حقد » « من هو الذي صفق على ابن جلول » •

مما جاء فيه : « ان الحكيم » الذي حضر يوم الجمعة اجتماع (ح ـ ا ـ ح ـ د) لم يحضر من أجل أن يقدم معارضته لها ، كما كان يتوقعه كل واحد ، فقد أخذ الكلمة حقا ولكن ـ فقط ـ ليحمل على عباس والاتحاد الديمقراطي بكل قوة سواء فى الشدة أو سوء الارادة • وقد اتخذ شعارا لحسابه الخاص : « الأمة الجزائرية » عباس خان مصالي مثلما خان ابن جلول • ونال من التصفيق كثيرا ولكن فحسب من مناضلي (ح ـ ا ـ ح ـ د) أما الباقي من الحاضرين فقد حياه بنداءات السخرية تابع المقال بالعدد 66 من جريدة المساواة •

ومن جهة أخرى ، ونظرا لمواقف حزب الشعب الشديدة ، ضد عباس وحركته ، فان عباس لم يطل به الحال أن توجه لحزب الشعب ورجاله بمثل شدة هؤلاء نحوه وأكثر ولكن باستثناء مصالي الذي لايزال محتفظا نحوه برزانته • ومن أخشن ما نورد فى هذا المجال نصوص من مقال لفرحات عباس نفسه نشر بجريدة المساواة بعنوان : « الورثة الأولياء لعهد مصالي » (3) •

ومنها : « ان اصطدام ابن جلول وحزب الشعب والادارة ، الذي دبر يوم 23 / 2 / 1947 ضد « البيان » قد ألقى ضوءا جديدا على اللعبة الداجنة التي يقوم بها الاستعمار ، كان من نتائجها السريعة أن فتح العيون على شيء لا يصدق ذلك أن شعبنا ، بفضل دروس الأحداث

---

3 ـ نفس المصدر ، عدد 67 ، 2ـ3ـ1947 •

العظمى التي تلقاها سيعرف كيف يأخذ ثقافته السياسية ، وكيف يحكم على المبادي وعلى الرجال •

« ففي مدينة سطيف ، وتحت راية حزب الشعب ، رأينا بعض متعاطي مهنة البطالة والبعداء عن كل عمل شريف ، يتدفقون بقيادة مثقفي محلات الرقص واللهو ، هؤلاء الذين يدعون أنهم أولياء عهد مصالي الحاج ، قد ارتفعوا الى مقـــام أساتذة فى فن استعمال « وطنية التمعش » فقد اتخذوا هدفهم الأصلي استعمال اسم مناضل قديم مـــن أعـداء الاستعمار والأمبريالية ، بأنه (تروست) مستغل كبير ، وهو يملك معدنا من الذهب » •

ويذهب المقال ليشرح الحادثة فيقول : لقد نظموا من الرعاع المغرورين، طول النهار ، دعاية فارغة من كل مبدأ وهدف ، وقد نظمت بواسطة الشرطة الاستعمارية سريا ، من « البروفوكاتور » والبياعين • مستعملين الفكرة الثورية • وما دروا أن هذا العمل ما هو الا تأييد للمستعمرين سواء رأينا أم لم نر •

ويضيف عباس : اننا نحب المبادىء المتطرفة ، وهذا يدل على صحة الشعب ، ولكن هذا المبدأ يجب أن يحتضنه رجال من مزاج آخر • وأعمال مبنية على وسائل أخرى لا تشرك ما بينها وبين سياسة الاستقلال المنتزع وبـين سياسـة الاستقـلال الـذي يكـون « هديـة الأب نوال » لأن هذه السياسة فانها تكون سخرية من الشعب » •

« ان الثوري الذي يحمل جلد الأرنب والذي يخفي حب الرفعة فى حين يخفى جبنه « واعتداله » خلف جاذبية وتضحية رجل ـ بالقطع هو خارج النزاع ـ • ان هذا الثوري قطعا لا يمكن أن يغلط أحدا •

« ان الالتصاق بحزب الشعب أصبح عند بعض المثقفين عبارة عن رداء ، فحينما يريد أحدهم أن يجوز كرجل شجاع يرتدي شجاعة مصالي ، وحينما يريد أن يجوز « أكبر مفكر » يخبيء ضعف ثقافته وذكائه وراء فكرة مصالي • ولما يريد أحدهم أن يصعد بدون أن يخشى

خطرا أو دائرة فـ •• (جملة محذوفه) ثم •• العلا والبطولة والشرف كلها تكتنف راية مصالي » •

ثم يقول : انني أحب كثيرا أن يكون معيـزه ابراهيم وبوقادوم ودردور ، رجال الاستقلال الجزائري ، أحب كثيرا أن يكونوا الثوريين الحقيقيين الذين ينتزعون غدا حريتنا من الأمبريالية الفرنسية » •

« انهم الآن نواب برلمانيون ومترشحون برلمانيون ، انهم الآن جالسون برفاهة فى دست التعاون ، وهم ممثلون نائبون وراغبون الى النهاية • انهم يلاحظون فى التزام فى سكوت مطبق ومليء بالغموض ، ان هـذا الغموض أمر ضروري للتأثير على الصبيان والسذج •

« نعم ان نواب حزب الشعب سيقيمون فى يوم من الأيام الثورة •• ولكن فى هذه الساعة يلزمنا نحن أن ننتظر ، لأنهم هم يعرفون أن ينتظروا • انهم ينتظرون أمام شرحات اللحم التـي هـي مضمونـة ، ويلبسون قمصانا حريرية ، وبدلات سوينغ (Swing) فى الوقت الذي شعبهم يقتله الجوع •• ثم يختم : ان أسوأ سياسة هي التي تعد بما ليس فى قدرتها تنفيذه » •

وثيقـة انتخـابيـة
المعركة تتطور ومجلة الاخوان المسلمين تفضح

ان تجدد الانتخابات فى هذه الفترة ، وتعدد الملابسات لم يتركـا الأفكار تهدأ بل ظلت المعركة تتطور وتتطور الى أن مست كل الأطراف الوطنية ، ثم اتسعت واتسعت الى أن انتشر تأثيرها حتى خارج الوطن الجزائري ، وظهر اهتمام خاص لدى بعض أخواننا فى المشرق العربي • ومن هذا ما نشرت مجلة « الاخوان المسلمين » التي تصدر بالقاهرة بعنوان : « صنائع الاستعمار الفرنسي » وحملت حملة شعواء على « حزب الاتحاد الديمقراطي » وعلى رئيسه ، نقتطف منه ما يلي : (4)

4 – ج • المغرب العربي ع 14–7–1947 .

« يضم المغرب العربي بلادا ثلاثة من البلدان العربية المسلمة هـي : تونس ، والجزائر ، ومراكش ... الى أن يقول : وقد استغلت الحكومة الفرنسية ضعف الدولة التركية فأغارت على هذه البلاد واستعمرتها ... ثم عملت على محو آثار العروبة والاسلام ...

وبعد أن يذكر ما نالته هذه البلاد من حظوة ورقي زمن العزة العربية ، وما انتابها بعد من الاستعمار ، يأتي على شيء من حرارة وطنية هـذه الشعوب واحتفاظها بشخصيتها ودينها . ولما عمدت الى استرجاع حريتها قام الاستعمار فى وجهها وسلط عليها صنائعه الذين رباهم فى مدارسه ... ثم يقول ـ بتحامل أكثر من اللازم :

« وفى طليعة هذه الصنائع صنيعة جزائرية تسمي «الاتحاد الديمقراطي» انتخبت فرنسا نوابا منهم فى مجلس الجزائر ليمثلوا فرنسا فى الجزائر ، لا ليمثلوا الجزائر المسلمة فى المجلس . وقد سافر منهم أحد عشر نائبا بدعوة من فرنسا ليطلبوا الاستقلال الذاتي للجزائر فى نطاق الاتحـاد الفرنسي الجديد .

وقد أدلي رئيس هذا الوفد « المتفرنس » بحديث الـى منـدوب « الأهرام »كان نائبة عن القطر الجزائري العربي وخيبة أمل للجزائريين جميعا ... » وبعد أن يلخص الحديث على حسب فهمه يقول :

« ويقول السيد فرحات عباس رئيس الوفد وزعيم الاتحاد الديمقراطي « نريد دولة ذات استقلال داخلي تنضم الى الأسرة الفرنسية السياسية » كما يقول عن الجامعة العربية والدول العربية الاسلامية الأخرى : « ان أثر الجهود التي تبذلها الجامعة العربية لتحرير شعوبها من ربقة الاستعمار يمتد الينا نحن الجزائريين بوصفنا شعبا مستعمرا فضلا عما يجمعنا من الأواصر الثقافية والروحية ... » .

ثم يعلق الكاتب ، متسائلا ، : فهل ما يريده الجزائريون هو هذا ؟ وهل الاستقلال التام برا وبحرا وجوا ، وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، مما لا يريده الجزائريون ؟ بل يطلبون الاستقلال الداخلي والاندماج فى

الأسرة الفرنسية . فليعرب اخواننا الجزائريون عن رأيهم ... وليكذبوا هذه التصريحات التي نعلم ـ ونحن على يقين فيما نعلم ـ أنها لا تمثل رأي عرب الجزائر فى قليل ولا فى كثير .

وهل ـ حقيقة ـ لا يربط الجزائر بمراكش وتونس ومصر وطرابلس والشام والبلاد العربية الا روابط روحية وثقافية فقط ؟ وماذا يقول فى الدم العربي الذي يتحدر منذ مئات السنين فى دماء الجزائريين كما يتحدر فى دماء كل بلاد عربي ؟ .. واللغة .. والدين .. » .

ثم يختم : ان صنائع الاستعمار هؤلاء قوم ضلوا وأضلوا ، أو ليس للدم العربي فى دمائهم نصيب ولا للعقيدة الاسلامية فى قلوبهم مكان ؟؟ .»

توقيع : عبد العزيز خياط

وتعلق جريدة المغرب العربي تعليقا أشد تحاملا وأكثر جرأة فتقول : ... وهو ـ أي مقال المجلة ـ حكم قاس شديد على السياسة اللائكية الاندماجية التي يدعو السيد فرحات عباس الى فرضها بالقوة على الأمة الجزائرية العربية الاسلامية ، على أن السيد فرحات عباس هذا قد افتضح أمره لأنه أمعن فى الاستسلام الى المستعمرين وأمعن فى الدعوة الـى « التفرنس » وأسرف فى العمل لتكفير الأمة الجزائرية المسلمة .

وقد صرح أخيرا فى باريس انه لا يعتمد فى سياسته اللائكية التكفيرية على الشعب الجزائري . وهذا حق فالشعب لا يريد أن (يكفر) ولا يريد اللائكية . ولكن على من يعتمد السيد فرحات عباس ؟ فهل يعتمد اذن على المستعمرين ؟ لأنه لابد له من أن يعتمد اما على الشعب واما على أعداء الشعب ، وليس هناك شيء آخر غير هذا » .

وهكذا تمتد التهمة أيضا الى مصالي الحاج وحزبه بسبب مشاركته فى انتخابات المجلس الوطني الفرنسي ، فبعد هجوم فرحات عباس على اتباع مصالي كما رأينا فى المقال السابق ، نجد هجوما شيوعيا على شخص مصالي نفسه ، وهي حوادث عشناها وسيرناها . ونجد أثر ذلك أيضا فيما كتبه صاحب كتاب « ثورة الجزائر اليساري النزعة ، فبعد تحليل مواقف

الأحزاب الجزائرية بعد ارهاب حوادث ماي 1945 م ، وبعد أن يذكر تراجع الحزب الشيوعي عن موقفه الاندماجي الذي اتخذه أثناء تلك الأيام السوداء ثم ينضم الى فكرة المطالبة بالاستقلال الداخلي معللا هذه التصرفات ، معتذرا عن الحزب بأسباب من الظروف الدولية التي جعلت من السياسة الأمريكية الاستعمارية خطرا على الجزائر اذا ما قطعت جميع علاقاتها مع فرنسا ... ثم يقول : وهو خطر تحقق فيما بعد فى الفيتنام الجنوبية بعد هذا يقول :

« .. ويعود النواب ليواجهوا انتخابات البرلمان الفرنسي هذه المرة والتي تتم فى نوفمبر – تشرين الثاني – 1946 . ولكن الناخبين فى الجزائر لم يواجهوا سوى تيارين رئيسين . اذ أفرج عن مصالح الحاج فى هذه الفترة ، وهو يبدأ نشاطه فى الجزائر من جديد ، « ويكون أول عمل له وهو افشال مشروع جبهة متحدة جزائرية بين العلماء وحزب البيان والشيوعيين . وقد يكون السبب هو رغبة فى تزعم الحركة الوطنية ، هذه الزعامة التي لا تتم له داخل الجبهة . فهو يسعى بالتالي للحصول من الشعب على تأييد لهذه الزعامة فى انتخابات نوفمبر » .

ولم يقف أمر الخلاف عند هذا الحد ، أي حد الأحزاب السياسية ، بل تمتد اليد – واليد الغليظة الجريئة – الى جمعية العلماء ، الجمعية التي لا زالت تصرح منذ حوادث ماي وحتى قبل ، أنها لا دخل لها فى السياسة ولا تريد تعاونا مع الأحزاب السياسية ، وبخاصة فى الانتخابات . ولم يسلم حتى رئيسها الشيخ الجليل محمد البشير الابراهيمي من الألسنة الحداد وتعرض كثيرا الى الاتهام بالماصونية والشيطنة والحلول ، ليس فى فترة الخلافات الدينية كما تقدم بيانه بتفصيل فى وقته ، بل حتى فى هذه الفترة السياسية الصرفة . ونجد نموذجا من ذلك فى مقال مكتوب بسخرية محتشمة ، فى جريدة المغرب العربي ، نقل فيه نص رسالة وجهت الى الشيخ بواسطة جمع من شباب الحركة الوطنية ، كما عبروا عن أنفسهم . واليك بعض الفقرات الملتوية تحت عنوان : « جمعية العلماء » : (5)

---

5 – جريدة المغرب العربي ع 4–7–1947 .

« عاد الى العاصمة الجزائرية فضيلة الأستاذ الشيخ البشير الابراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من جولة طويلة قضاها فى عمالة قسنطينة للاشراف عن كثب على مدارس الجمعية ومنشآتها ... والرئيس الجليل مسرور جدا من جماعات الشبان العرب المسلمين الذين هم من أعضاء « الحركة الوطنية » (6) والذين قابلوه فى كل مكان ، وقال عنهم الرئيس انهم مثل نادر للوطنية الجزائرية الصحيحة ...

ثم يضيف المقال : و فى احدى المدن تخلف الشبان الأبرار عن زيارة فضيلة الشيخ وتضايق هو من تخلفهم وطال به الانتظار ... وفى الساعة الأخيرة كتبوا له كتابا يقولون فيه :

لتحيا الفكرة الاصلاحية والمصلحون ، ولتحيا جمعية العلماء ولتحيا الحركة الوطنية ، ولتسقط اللائكية ، ولتسقط سياسة الاندماج ... وكرروا هذه العبارات مرات ، وقالوا له : اننا لم نزركم يا أستاذ ولم نتشرف بلقائكم لأننا رأيناكم ، وقد حاقت بكم بطانة سوء من اللائكيين ودعاة الاندماج . واننا نكتفي بهذه الرسالة اليكم آسفين لعدم تمكننا من الاجتماع بكم ...

الى أن يختموا : « ونحن نعتقد أن جمعية العلماء انما تقوم بالجانب الثقافي والتهذيبي من الحركة الوطنية العامة ، كما أن هؤلاء الشبان المخلصين انما يقومون بالجانب السياسي فى ميدان النضال الوطني ... ومن جهة أخرى فان أعباء التعليم العربي الحر جميعا تقع على كواهل الشبان الوطنيين فى جميع هذه البلاد » .

حزب الوحدة

وهكذا تنفتح أبواب الادعاءات والمزاعم والتهجمات على مصراعيها ، فيظهر حزب جديد باسم « حزب الوحدة » (7) وبالرغم من أن هذا الحزب

---

6 – لا يخفي أن اطلاق كلمة الحركة الوطنية في الجزائر –اذ ذاك– لا ينصرف الا لحزب الشعب .

7 – المؤسسون لهذا الحزب ، حسب ارشاد بعض الاخوان الذين كانوا اطلعوا على تأسيس هذا الحزب هم : الحاج حسين سليماني رئيسا ،وأحمد خطاب كأمين عام ، وأحمد بن الشيخ الحسين ، والشيخ الياجوري وعيمش كأعضاء .

خيالي أكثر منه حقيقة ، فقد اندفع اندفاعا عجيبا يهاجم كل الأحزاب الجزائرية المتمرسة ، ويصفها بأن ضررها على الشعب أشد من الاستعمار وأذنابه ويعقم سياستها ، ويصفها بالأنانية والتعصب الممقوت ، وبكثرة وتكرر خطاياهم السياسية ... الخ .

وبما أن المقال طويل جدا وخيالي أكثر نكتفي منه ـ فقط ـ ببعض الفقرات التي تعطينا ضوءا عن مقصده المغرض و ... الفاشل منذ الميلاد وقد كتب المقال المتسلسل بعنوان : « طبقات شعب الجزائر وأحزابها الوطنية » . (8)

يقول : « آفات الوطن تكاد لا تحصى ، منها الصادرة عن عمد ، وهي المسيرة بيد المستعمرين الطغاة وأذنابهم السفلة من أبناء الوطن الجناة ، وهاته لا ينخدع لها من شعر بوجوده ما دام الصادرة منهم يتجاهرون بعداوة الشعب ...

ومنها الناشئة عن خطأ وهي الصادرة من أبناء الوطن الذين لا يسوغ لنا أن نصفهم بالخونة ما ابتعدوا عن سيء القصد ، الا أن هذه كادت لا تكون أقل أضرارا لسير الوطن من تلك ؛ لانخداع العامة لها بسرعة ... فاذا كان أولئك طبقة أو طبقتين فهؤلاء طبقات :

« طبقة سياسية » ضررها أكثر من نفعها ، فئة ظهرت على مسرح السياسة منذ أمد ولم تغادر حتى الساعة ، ولا تزال على ما يظهر مصرة على البقاء فى هذا الميدان بالرغم من ضآلة الثمرة وعقم النتيجة ، وبدون أدنى بحث عن سبب هذه الخيبة ويعود اخفاق هذه الطائفة فى نظرنا الى أسباب أربعة :

1) الأنانية والتعصب الممقوت لآرائهم ولو غير سديدة ...

2) جهلهم العربية لغة الشعب واحتقارهم لها حتى ان بعضهم يعتقدون أن العربية ... عاجزة عن أداء اصطلاحات سياسية وأسامي عصرية ..

3) ابتعادهم عن الدين واستخفافهم برجاله الكرام ...

---

8 – جريدة الاصلاح عدد 60 ، 6–9–1947 .

4) انها لا تساير تيار الشعب ولا تعمل برغباته ...

« ونود أن لا ينسى هذا الفريق من ساستنا أن شعب الجزائر (عربه وبربره) قرآني متمكن تليد فى الاسلام وعربي تليد فى العروبة يؤثر البقاء تحت نير الاستعمار مع التمسك الضعيف بدينه على الاستقلال الأجوف حيث لا دين ولا لغة ...

وهكذا يذهب الكاتب يعدد الطبقات ، فطبقة ثانية طبقة المثقفين وهم جبناء ومتشائمون لا يعرفون الا الكلام والانتقاد وتصويب هذا وتخطيء ذلك ...

وطبقة ثالثة مادية لا يهمهم الا ملء بطونهم وجيوبهم ، ورابعة وهي طائفة المرتزقين ...

ثم يتخلص لذكر طائفته الخامسة فيقول : « ويقابل هذه الطبقات وتلك « فريق صالح » من أبناء الشعب المجاهدين المخلصين لدينهم ووطنهم عرفوا بنزاهتهم وتقديم المصلحة العامة وبرهنوا على كفاءتهم وتأهلهم لقيادة الشعب ... الخ .

وهكذا يرجع المقال ، فى حلقته الثالثة الـى الأحـزاب الوطنيـة ، وهي ـ وان كان الكلام عن الطبقات الجزائرية لا يتعدى هذه الأحزاب الا أنه ذكرها هنا بتفصيل ليدرج اسم حزبه من بينها فقال :

« وها هي الأحزاب الوطنية بالجزائر فقد أصبحت ثلاثة : « حزب الوحدة » و « حزب الشعب » و « حزب البيان » . ثم يذكر سياسة كل حزب فيقول : أما حزب البيان فانه يطالب « بالاستقلال الذاتي » فى اطار الوحدة الفرنسية وانشاء برلمان جزائري منتخب عن طريق الاقتراع العمومي « المساوي » وحكومة جزائرية ذات سيادة تتحد وزارتا سياستها الخارجية والدفاع الوطني بوزارتي الجمهورية الفرنسية خاضعتين لسلطة « الجامعة الفرنسية » .

« واما حزب الشعب « **فمطلبه الاستقلال الداخلي بانشــاء حكومة جزائرية سيدة وبرلمان جزائري** بطريق الانتخاب العــام مباشرة » يشترك فيها سائر الجزائريين لا فرق بين الأصليين منهم والأوروبيين » .

ومطلب « حزب الوحدة » هو « **الاستقلال التام » اي الداخلي** والخارجي ...

وهكذا يذهب في التعريف بحزبه فيقول :

« والذي جعلنا نتفاءل بهذا الحزب ونعلق عليه جسيم الأمل داعين له بالبقاء ، هو امتيازه عن غيره بعلو مطلبه وعزة شعاره وتفوق قانونه . ! مع خلوه من مساويء غيره لأنه نسخة من حزب « الاخوان المسلمين » ولأنه الأول من نوعه فى الجزائر .. » وبعد أن يبين بعض المواد من قانونه الأساسي يقول :

« ويضاف لمحاسنه تلك ، مكانة مؤسسيه وحياتهم الكفاحية وتاريخهم الماجد خدمة للحقيقة لا لأشخاصهم .. : « الرئيس وأبو الفكرة الأستاذ الحاج الحسين .. من مدينة المدية مهد التدين والعفاف من طلبة الأزهر الشريف وخريج كلية أصول الدين بالقاهرة .. ؟ ثم يأتي على أعماله التي لا يعرفها الا هو ، لأن الشعب الجزائري لم يسمع بهذا الحزب ولم ير له شبحا .

والمقال متسلسل طويل طالع جريدة الاصلاح للشيخ العقبي ابتداء من عدد 60 بتاريخ 6 سبتمبر ـ أيلول ـ 1947 .

الاتحـاد ... الاتحاد !

وأمام هذا التطور الخطير نحو تشتت الوحدة الوطنية تشتتا نهائيا ، يضاف ذلك الى فشل سياسة جميع الأحزاب أمـــام تصلب الكتـلة الاستعمارية ، تندفع من جديد فكرة الاتحاد ، فتتسابق الأحزاب الى التظاهر بتبني الفكرة ، وحتى بعض الشخصيات فى الداخل والخارج .

فزيادة على نداءات جمعية العلماء ، والابراهيمي بنداءاته المتهجمة تارة والواعظة أخرى ، يجيء الشيخ المولود الحافظي الأزهري ليدلي بدلوه فى الاتحاد ولكنه يتكلم كمرشد فى نطاق عام لا يمس أية حركة فيقول : (1)

« أيها القراء الكرام ! وبعد ، أتحدث معكم فى هذه المناسبة عن الاجتماع وفائدته ، وعن ضده : الافتراق وغوائله .

ان المراد من الاجتماع هو اجتماع القلوب وتآلفها وتحاببها وتعاطفها وتراحمها وتناصرها وتوافقها ، وهذه المعـاني اذا حصلت يمكن أن تستتبع اتحادا وتناصرا وتعاونا فى مرافق الحياة وأسباب السعادة ، ولا يمكن أن يحصل هذا الاجتماع الا اذا تنازل الواحد عن أنانيته وآرائه ، وعن كثير مما يكره ..

وبعد أن يأتي الشيخ بمثال العائلة الواحدة فى بيتها ، الصالحة في تدبير شؤونها يتلخص الى العائلة الكبرى فيقول :

---

1 - جريدة البلاغ الجزاجري ع 694 ، يوم 2-5-1947 .

« والجماعة الذين يجمعهم بلد واحد ويشملهم أمر واحد أو يرتبطون برابطة واحدة أو علاقة واحدة كذلك يجب أن تجتمع قلوبها وتتآلف نفوسها حول الأمر الجامع لهم حتى يتحقق ذلك الأمر جليا وهو الغاية التي يسعون اليها ووقع الاجتماع من أجلها فيحمدون سعيهم ويتذوقون ثمرة مساعيهم .. » .

ثم يأتي بما يضاد هذه الكليات ، ويحكم بأنها تصبح للجماعة أدوات تشتيت وتمزيق فيعمها الهوان والصغار والمذلة والخذلان والانهزام فيعيشون معيشة الحيوانات العجمى ..

ثم يقول « فاذا كان الناس يحبون الخير للغايات الشريفة والمقاصد السامية والمطالب العالية فسبيلهم ما وضحناه من الاتحاد والتآلف والاجتماع والتوادد والتحابب والا فهم يضربون فى حديد بارد فنتيجتهم الوبال والخسران والخذلان » .

ثم يختم : وأما الذين يتظاهرون بمظاهر الأخوة والاتحاد وقلوبهم تضمر خلاف ذلك فهذا خداع ونفاق فلا نجاح لهم ، لأن الله يكشف سرائرهم وبواطنهم حتى تطلع الناس عليها فيمقتونهم ويبغضونهم وينزعون ثقتهم منهم .. ثم ينهي : فالخير فى جمع الشمل وجمع الكلمة وجمع القلوب على المحبة والمودة . ومن حاول الخير فى غير ذلك فهو مخطيء » .

الحافظي

وهكذا نجد مقالا طويلا للشيخ حسن الوارزقي وقد كتبه بروح اسلامية حارة موجها نداءاته الى الشعب تحت عنوان ، بل عناوين :

« الى الشعب المسلم العربي الجزائري » ان المتطاحنين المتخاذلين لقمة للآكلين وغنيمة للمستعمرين « فالى هدف واحد ، والى غاية واحدة !! » « فى دائرة الاسلام المفدى والعروبة العزيزة » « وفى نطاق الحكمة والأمن والسلام » (2) .

---

2 ـ الاصلاح عدد 61 ، 13-9-1947 .

« اليك أيها الشعب العربي الكريم أقول : انك أيها الشعب الأبي تجتاز اليوم مرحلة لا تقل خطرا عن المرحلة التي اجتازها أجدادك العرب فى صدر الاسلام ، وأهم نقطة جامعة بين المرحلتين هي التحاكك بالغير ، وللغير قوة ومدنية .. وغطرسة وعصبية وتكالب وكلـها من عوامل العدوى التي تفني أمة فى أمة وتجني على الضعيف .

« لقد مشيت أيها الشعب العربي الوفي ممثلا فى هيئاتك من مبتدأ الطريق ـ طريق نهضتك ـ التي بذر بذرتها الأولى الزعيم الكبير والبطل العظيم المرحوم الأمير خالد ، حفيد المجاهد الأكبر رب الحسام والقلم مولانا الأمير عبد القادر الحسني الجزائري أسكنه الله بجوار الصديقين والمجاهدين الأبرار ..

وبعد أن يأتي على نبذة من خضوع الشعب للاستعمار ثم ركونه الى حسن النية به يضيف : ثم يتناسى الاستعمار الغاشم أنك أيها الشعب العربي كغيرك من شعوب الدنيا التي تريد تقرير مصيرها بنفسها تحفزك شهامة عربية وتهديك الى غايتك الحميدة هداية اسلامية شريفة تجعلك أيها الشعب شجي فى حلق الاستعمار وقذى فى عيون المستعمرين..

وبعد أن يذكر اليقظة العامة فى جميع العالم ونهضة الشعوب بمطالبة حريتها من الاستعمار ولكن الاستعمار يستنكر عليها حقهـا ويصفها بالمشاغبة والتشويش ويتعامى بذلك عن الحقيقة التي تذوقها الفرنسيون أنفسهم فى الاحتلال النازي ، ينادي :

« أيها الشعب المسلم العربي الجزائري ! ان النكبات الأليمة التي نزلت بنا وبأجدادنا من عهد الاحتلال الى يوم « 8 ماي » وما أدراك ما نكبة يوم الثامن ماي التي كانت بصورة أبشع مما يوصف ، وأغرب مما يذكر ، تلك النكبة الأليمة والحادثة الجسيمة التي اعتدى فيهـا الاستعمار الغاشم المسلح على أبناء الجزائر العرب المسلمين المسالمين العراة الجائعين العزل ـ بفضل تمدين فرنسا ـ ... وما كانوا بالمعتدين ، أولئك الذين ذهبوا ضحية طغيان الاستعمار الجائر وما كانوا مسلحين ، وقتلوا صبرا فسجلوا بموتهم حياة شعبهم الماجد الأبي ، وكلمات الشهادة

تتدفق من أفواههم كما تتدفق الدماء من أفئدتهم ، والنيران من أجسادهم وديارهم . تلك الدماء التي سجلوا بها على جبين الاستعمار الأروبي اللعين العار والفضيحة » .

ويضيف : ماذا بقي أيها الشعب الجزائري المسلم العربي (3) وقد افتضحت نيات المستعمرين النكراء ونظروا الينا نظرة السيد لعبده ؟ بقي أن نجمع كلمتنا للوصول الى تقرير مصيرنا بأنفسنا ، واسترداد ما اغتصب من حقوقنا المشروعة المعقولة ، فما ضاعت حقوق وراءها طالبوها ...

وبعد أن يبين ضرر التفرق والتطاحن يقول : والواجب أن لا يختلف عن هذا التكتل والتجمع هيئة ولا حزب ولا جمعية ولا منظمة ولا زاوية ، وتكية ، ولا أحد . والا فالمتخلف يعتبر منسلخا عن العروبة والاسلام والجزائر ...

وبعد أن يأتي الوارزقي ، فى حماس غامر ، على بسطة من عزة العرب والمسلمين وتاريخهم الحافل موجها النداء تارة للشعب وأخرى للشباب يختم : فالى قبلة العرب والاسلام ـ أي اتركوا سياسة الاندماج ـ يجب أن نتجه مستقيمين فى كفاحنا محافظين على الانتظام فى دائرة الاسلام المفدي والعروبة العزيزة ، وفى نطاق الحكمة والأمن والسلام » .

حسن الوارزقي

الذكرى الرابعة لحزب البيان

وهكذا يجيء دور احتفال حزب الاتحاد الديمقراطي بالذكرى الرابعة لاصدار « بيان الشعب الجزائري » ، الذي وقع بمدينة عنابة بتاريخ 30 فبراير ـ شباط ـ 1947 ، فارتأينا بالناحية أن نغتنم فرصة هذه المناسبة فكتبنا خطابا بوفاق من جميع الأخوة بمختلف الاتجاهات ، حيث كنا منذ

---

3 ـ ان الاكثار من ترديد صفات الشعب العربي المسلم الجزائري يرشدنا الى ما كان يفيض به قلب الوارزقي مثل كل جزائري ، من آثار الخيبة واستمرار أكثر الأحزاب في سياسة الاندماج فأدى ذلك الى رد فعل مكبوت يتفجر حينا كلاما محرقا .

البداية اتفقنا أن نكون ضد فكرة « الوحدة الفرنسية » ولذلك كتبناه بلهجة معتدلة مسالمة رجاء التأثير على بعض الأعضاء ، وعدم اتخاذه كخطاب متحيز لحزب أو هيئة أخرى ، وذكرنا بعضا من رجال جمعية العلماء لاشتراكهم فى الحفلة • وهذا نص الخطاب :

« الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين »

أيها السادة ! أيها الاخوة الكرام ! يسرنا جدا أن نحتفل فى هذا اليوم بالذكرى الرابعة من يوم تأسيس هيئتنا المباركة « هيئة أحباب البيان الجزائري » التي بفضل رجلها العصامي وزعيمها الفذ السيد عباس فرحات بمعونة الزعماء الرفقاء النبلاء تطورت الى حزب عظيم من الأحزاب الجزائرية التي نالت حظا من اعتناء الأمة وتأييدها ، وذلك بما أظهره رجال هذا الحزب « حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري » من التضامن والتكاتف ، وبسبب الموقف الشريف الذي وقفته كتلته النيابية فى البرلمان الفرنسي ، ذلك الموقف الذي سجل للجزائر ، فى تاريخ الكفاح ضد الظلم والجور ، صفحة خالدة من المجد ، وكتب لأبنائها البررة رسالة من نور لأبناء العروبة والاسلام فى كل صقع من أصقاع المعمورة ، معبرة لهم فيها عن مدى وفائهم لأمجادهم التاريخية •

ولئن كانت الجزائر اليوم تنجب رجالا يقودونها بكل حماس نحو استرجاع حريتها المغصوبة ومجدها السليب فما الأمر بعجيب من وطن كافح الاستعمار والاحتلال بالسلاح والمهج والأرواح ما يقرب من نصف قرن ، وأنجب الأمير عبد القادر والمقراني وبوعكاز ••• وأخيرا الأمير خالد الذي ـ ولله الحمد ـ لم يترك الجزائر خالية « أي بعد ابعاده من الاستعمار الغاشم » فهذا الزعيم الجليل الحاج أحمد مصالي وهذا رئيسنا المحبوب عباس فرحات ، وهذه القلة الطاهرة من العلماء والزعماء والأبناء المخلصين تقتفي أثرهم وتدشن من جديد ما خطه أولئك الأعلام الأماجد رحمهم الله أجمعين •

على أن الجزائر « العربية المسلمة » وهي فى طريقها لكسر أغلال العبودية وتمزيق أوصال الاستغلال ، تتشرف أن يكون على رأس حركتها

ائمة ذووا خبرة ودراية كالأستاذ الشيخ الابراهيمي ، والشيخ العربي التبسي ، وتفتخر لأن يكونوا هم أجدر بالمحافظة على شخصيتها والدفاع عن عروبتها واسلاميتها اللتين لا ترضى عنهما بديلا ، مهما كلفها ذلك من ثمن .

أيها المجتمعون البررة ! هذا صوت الجزائر يناديكم ، هذا شعب الجزائر المكافح النبيل يستصرخكم ، أنتم يا كتلة البيان ، أنتم يا أساتذة جمعية العلماء المسلمين ، وأنتم يا رجال حزب الشعب الجزائري ، أن تجمعوا صفوفكم ! أن توحدوا كلمتكم ! أن تصرخوا كلكم في وجه عدوكم ـ وقد عذبتم سواء ، وتألمتم في السجون والمعتقلات جنبا لجنب ، وأملكم واحد ، وألمكم واحد ، وعدوكم واحد وهو الاستعمار الغشوم ـ هذا صوت الجزائر يناديكم أن تصرخوا كلكم : ليسقط الاستعمار ! لتحيا الجزائر عربية مسلمة ! .

نيابة عن الزملاء المجتمعين امضاه :
عبد الرحمن بن العقون
بوادي الزناتي

رسالة اخرى الى رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

ولم يقتصر الأمر بناحيتنا السابقة ، خاصة بعد أن تبين من معاملة بعض رجال من جمعية العلماء ، وحتى في تصريحات منشورة تدل دلالة واضحة على انعطاف الجمعية مع حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، ووقع من هذا تذمر كبير انتشر حتى لنواحي قسنطينة والحروش والخروب وقالمة وغيرها فجاءوا يلتمسون منا مكاتبة رئيس الجمعية وابلاغه تذمر المسلمين بهذه النواحي ، فما كان منا الا أن كتبنا الرسالة الآتية ، بعد محادثة ووفاق جميع الأشخاص الممثلين لمختلف الحركات بالناحية ، وعرضناها على بعض الوجوه من أهل الدين والعلم وكان الوفاق تاما .

وبما أن نص الرسالة موجود في كتابي « من وراء القضبان » فانني أقتصر هنا على الديباجة ، وفقرة الختام منها :

« سيدي الأستاذ الجليل النابغة الشيخ البشير الابراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وجميع الأعضاء المحترمين •

السلام عليكم ورحمة الله ، وعلى كل من حواه مجلسكم الطيب •

أما بعد فاليكم البيان التالي من ثلة من الأعيان والمفكرين بناحيتنا ، وهي العقيدة التي تعتمل ، ليس فى قلب الجمهور من المفكرين فقط بل ولدى الأغلبية الساحقة من الأمة ، فتقبلوه باهتمام وأمعنوا النطر فى مدلوله السليم من كل غرض غير محمود • بارك الله فيكم وأدامكم ملجأ أمينا للمسلمين ••

يبدأ البيان بما يلي : « غشاوة من شكوك وأوهام ساورت الأفئدة فكادت تريبها ، وسحابة من هموم وأحزان جاورت الأنفاس فكادت تخنقها ، بل مظاهر لعبت بالنفوس فقضت على مكامن الرشد والصبر فيها ثم رمت بها بين غياهب الهلع والضجر ••

ويختم البيان الطويل : ••• وعلى كل حال فان قلتم ان الوفاق ـ أي على قبول الدخول فى الوحدة الفرنسية ـ بواسطة حزب واحد ، وان كان هذا الحزب يدعي بأغلبية كان حصل عليها بفضل تأييد جمعية العلماء أو سكوتها ، لا يكون حجة بيد الاستعمار ، فيجب على جمعية العلماء أن تقف على الأقل موقف الحياد من هذه النزعة التي تنافي خطتها الاسلامية العربية ، وأن لا تلوث كرامتها بهذا المظهر المزري أمام أعين العالم العربي والاسلامي •••

رجاؤنا أكيد وظننا فيكم حسن أيها الاخوان أن لا تعتبروا هذه الكلمات الا نفثة من صميم أفئدة ثلة من اخوانكم فى الاسلام تحمل عواطف التقدير لهذه المؤسسة الاسلامية ، وننوه اشفاقا من وطأة هذا المستقبل المخيف • ا هـ

تحريرا بوادي الزناتي فاتح شهر رجب
عام 1366 هـ ـ 1947 م

مـلاحظـة :

كان الأخوة الممثلون للحركات في الناحية كما يلي :

1 ـ الشيخ محمد الطيب ابن الهواري عن جمعية العلماء
2 ـ السيد محمد العربي زنات عن حزب البيان
3 ـ الحاج عمار بوبنيدر (بن طافر) عن حزب الانتصار
4 ـ الدراجي رفعي عن حزب الانتصار
5 ـ الشيخ عبد الرحمن بن العقون عن حزب الانتصار

وفي وادي الـــزناتي

هذا ، وعند مراجعة جريدة المساواة فى البحث عن حوادث هذه الفترة وجدت بالعدد 65 ـ 1947/2/20 خبرا بعنوان :

« احتفال ذكرى البيان » بوادي الزناتي

وقد قدحت زند ذاكرتي وعملت جميع مجهودي لأتذكر أو أجد من يذكرني بهذا الاحتفال فلم أنجح ولم أجد ما يرجح وقوع هذا الاحتفال ، وحتى محمد العربي زنات الذي ذكرته المساواة أنه أقام الاحتفال بالرغم من محاولته هو الآخر فلم يتذكر ولكنه قال فى النهاية ربما وقع هذا واني مبتلي بالنسيان ، ولا ينافي هذا وفاقنا على ارسال الخطاب المتقدم الذكر الي احتفال عنابة . وفيما يلي هاته المقالة :

« ... وفى وادي الزناتي ، جميع السكان أحيوا بشرف ذكرى البيان وقد استجاب لطلبنا صديقنا الوفي وصاحبنا زنات محمد العربي ، ففي يوم الاثنين فبراير ـ شباط ـ 1947 على الساعة الثامنة مساء ، نظم بمحل أحد أقربائه مظاهرة ناجحة .

وأمام جمع كثير من الحضور تكلم عدة خطباء تناولوا أهداف البيان النبيلة . وقد ألقى محاضرة معتبرة بالعربية صديقنا الفاضل ابن العقون عبد الرحمن الجندي القديم فى البيان ، وتلقى المستمعون هذه المحاضرة التي نأسف لعدم تمكننا من نشرها هنا ، بالهتافات الحارة : يحيا البيان يحيا الاتحاد ! » .

ثم سجلت عدة اشتراكات فى الحزب .

انه لمن المخجل لي أن استرسل فى نقل بعض أعمالي فى هذا الميدان ، ميدان الاتحاد ، لكن ما الحيلة وأنا التزمت بنقل حوادث هذه الفترات التاريخية والاستعانة بمذكراتي ، وبكل مصدر أو شخص عاش الفترات يعطينا ضوءا أو حقيقة عن تاريخ الكفاح السياسي أثناءها ، وهذا ما يحملني أيضا أن أنقل مقالا آخر ، كانت نشرته جريدة الأسبوع التونسية ، لا سيما وهو يتعلق بموضوع الاتحاد وبوحدة المغرب العربي ، مما جعلني أعتقد أهميته فى غضون تاريخ الكفاح السياسي فى الجزائر خاصة وفى المغرب العربي عامة .

وقد كتبت هذا المقال بمناسبة تحرك نحو « اتحاد المغرب العربي » بواسطة الاحزاب الثلاثة الثورية : حزب الشعب الجزائري ، حزب الاستقلال المغربي ، وحزب الدستور التونسي . فقد وقع الاتفاق على عقد اجتماع من لدن الأحزاب الثلاثة لبحث موضوع الاتحاد ، بيد أن حزب الدستور فى الأخير بدا منه تقاعس ، وكانت جريدة الأسبوع تلح على هذا الاجتماع ، وكان صاحبها السيد نور الدين بن محمود تجمعني به صداقة ، وهو يحمل فكرة ثورية فنشر المقال سنة 1948 مع تعليق يليق بالموضوع ، وفيما يلي نص المقال :

« لا خلاف أن فى كل أمة وفى كل شعب من شعوب المجموعة البشرية طبقات مختلفة وأوساطا متنوعة ، ففيها الصالح والطالح ، ومنها العالم والجاهل ، ولكل طبقة ، وفى كل وسط فئات متباينة ... الى أن أقول :

« بيد أن الشيء الوحيد الذي يجمع بين القلوب ويوحد الاتجاهات هو ذلك الانجذاب النفساني والاتجاه الوجداني الصادران عن احساسات داخلية وانجذابات عاطفية منشؤها توافق فى الميول النفسية ، وتشابه فى الأخلاق الطبيعية التي تتكون عادة فى نفوس اشتركت فى شيء أو أشياء تربط أوصالها المتقطعة ، وتلحم أجزاءها المتفرقة ، من جنس أو دين أو وطن ، أو أي لحمة من نسب ...

وبعد أن أتى على نبذة طويلة تفضي بالكلام الى الناموس الأكبر الذي يرشد اليه القرآن العظيم فى قوله تعالى : واعتصموا بحبل الله جميعا

Saisissez du texte ici

المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الطبع المتعددة
ورشة أحمد زبانة
الجـزائر ـ 1984

هـذا الـكـتـاب



أن هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة امتداد حي لمذكرات أو حوادث عاشها المؤلف منذ سنى الشباب ، أو أخـذها عمن عاشها وتذوق حلوها ومـرها ، وجاب أغوارها وانجادها ، أو نقلها من مصـادرها التي لا تتهم عقليا .

وقد التزم المؤلف أن يكون دائما مع الحقيقة التي تصحح مسيرة غالطة ، أو تكشف تزييفا مغرضا ، مبتعدا عن المماللآت الشخصية أو الحزبية ، غير متأثر برغبة أو رهبة .

فالكتاب يحمل في طياته تاريخ فترة مهمة تعتبر زبدة وخلاصة الكفاح القومي والسياسي الجزائري بكل نزاهة واخلاص لا سيما في الحفاظ على الأمانة التاريخية والتباعد عن العواطف النفسية والتيارات الحزبية المفرضة ، حتى ازاء « حزب الشعب » الذي ينتسب اليه سياسيا .

أما الأخ صاحب الكتاب فقد قال في ديوانه الشعري «أطوار» (شعراء الجزائر) : انه عاهد الله منذ نعومة اظفاره أن لا يعيش في حياته موظفا لدى المستعمر ، فتقلب من تاجر الى فلاح الى غيرهما ، حيث كانت مهمة التربية والتعليم العربي ـ وهي وظيفه الأصلي ـ لا تفي بلوازم العيش ، فاتخذها عملا تطوعيا ، وتحمل لذلك مضايقات المستعمر والسـجون والمعتقـلات أثناء الكفاح السياسي لفكرته الثورية في حرب الشعب الجزائري .

ولم تنته مضايقات المستعمرين نه الا بعد أن تمكن من الافلات من رقابة ومتابعة الشرطة الاستعمارية ، بعد انفلاته من السجن سنة 1956 ، حيث كلفته « جبهة التحرير الوطني » بتمثيلها في الشرق العربي ، ثم استقر به المقام كسـفير في الأردن للحكومة المؤقتة أثناء حرب التحرير ثم للحكومة الـوطنية بعد الاستقلال .

بيد أن حنينه لمهمته في التربية والتعليم حمله على الرجوع الى السلك التعليمي ليستكمل حياته كأستاذ للغة العربية والأدب العربي ، وليواصل بعد ذلك تطوعه في التوجيه الاسلامي مع اخوانه في المجلس الاسلامي الأعلى .

السعر في الجزائر : 90.

